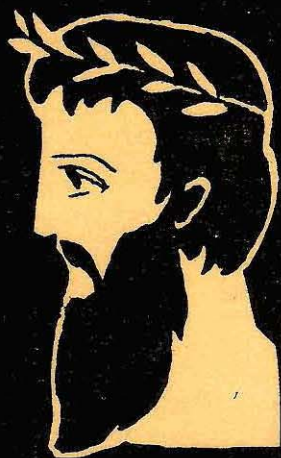


أفراطون

لهيماوس



ترجمته فؤاد جزي برابرة

افلاطون

الطيماس و الكريتيس

تحقيق وتقديم
البيرريكو

ترجمة
الأب فؤاد جرجي بربارة

دمشق - ١٩٦٨

منشورات وزارة الثقافة والتأهيل والإرشاد القومي

العنوان الاصيل للكتاب

Collection des Universités de France
publiée sous le patronage de l'ASSOCIATION GUILLAUME BUDÉ

PLATON
OEUVRES COMPLÈTES
TOME X

Timée - Critias

Texte Établi et Traduit

par

Albert Rivaud

Membre de l'Institut

Quatrième tirage revu et corrigé

PARIS

SOCIÉTÉ D'ÉDITION «LES BELLES LETTRES»

95, Boulevard Raspail

1963

اعتمدنا في هذه الترجمة مجموعة Budé ، الطبعة الرابعة . حقق النص اليوناني وقدم له الاستاذ البريريفو من أكاديمية الفلسفة بباريس ، كما قام الأب فؤاد جرجي بربارة بترجمة المقدمات والحواشي عن الفرنسية والمتن عن الأصل اليوناني .

ولقد اعتمد الأب بربارة في كتابة الأعلام اللفظ اليوناني . واحتفظنا على الغلاف فقط باسم (الطماوس) لأن الحوار عرف عند العرب به .

« الناشر »

المقدمة

الفصل الأول

تأليف الحوار وتاريخه ملاحظات عامة

١ - مصير التيمس على مر العصور

إن رفايل في لوحته الكبيرة « مدرسة أثينا » يصور أفلاطون ممسكاً بيده نص التيمس . وقد سبق ومثله هكذا فتانو بين نطية وأحياناً مزوقو المخطوطات في هوامشها . وهؤلاء كلهم لبثوا أميين لتقليد طويل يرجع الى عهد افلاطون بالذات . وقد عدّ فلاميد افلاطون التيمس رأس مؤلفات استاذهم . وارسطو الذي يستشهد به مراراً ، يرى فيه تعبيراً عن الفكرة الافلاطونية ، من اكثر التعابير اتساماً بطابع المعلم .

واكوانتس هو ، في ما يقال ، اول من وضع شرحاً لهذا الكتاب . اما اسيفسيستس واكسينثكواتيس فقد ناقشا مقاطع عدّة منه . وبعدهما درسه جمهرة من الرواقين . وعلى ما يبدو ، لم يأنف إبيكروس نفسه ان يفرد كتاباً خاصاً لدحضه .

وخص أصحاب المدرسة الاسكندرية بدورهم وكذلك الانتقائيون (Les Eclectiques) هذا الحوار بتجلة فريدة . وقد ناقش ابنلوتونخس مقاطع

واسعة منه ، ووضع له شرحاً جزئياً . ولم تَحِدِ الحضارة القديمة في اواخرها عن ذلك التقليد .

اما العلماء المسيحيون والعرب واليهود، فقد علقوا هذا النصوا اكرموا اكراماً يدايني اكرامهم الكتب المقدسة . واستشهد به بلا انقطاع كتاب العصور الوسطى ، وقد عرفوه عن طريق ترجمة لاتينية وضعها كـنـتـشـيدـيـس في القرن السادس الميلادي . وإن مدرسة من ابرز مدارسنا بشخصيتها في الاجيال الوسطى ، وهي مدرسة شارتر ، حاولت ان توفّق بين معطيات تيمستس بشأن نشأة الكون ، ونصوص سفر التكوين المتعلقة بالخلق . وقد احتلت ترجمة تيمستس اللاتينية مكانها في مكتبة المتفقه عندهم . الى جانب « مقولات اوسطو » وذيبيستس الأريباغي المزعوم .

فأثر هذا (الحوار) على الفكر الغربي لم ينقطع الى القرن السابع عشر . والنهضة الغربية (التي تلت العصور الوسطى) راحت تشرح وتناقش تيمستس بشغف خاص . فضاغف علماء اللغات والرياضيون والفلكيون جهودهم ليكتبوها معنى المقاطع الشهيرة الحقي ، المتعلقة بروح الكون . وعندما اكبّ تجرّ القرن التاسع عشر على حوار تيمستس وجد نفسه امام موسوعة ضخمة من التقاليد ، العائدة عن طريق وسطاء كثيرين الى المدرسة الافلاطونية بالذات .

وليس حوار تيمستس ، كسواه من الحوارات الافلاطونية ، مديناً بهذا المصير الذي يكاد يكون منقطع النظير في تاريخ التأليف الفلسفية ، لمخامن في الشكل لا تضاهاى . واذا ما استئينا مطلع الحوار وخصوصا اسطورة الأطلنتيس ، فليس لتيمستس من روعة الانشاء ، ما يقابل بروعة انشاء فينذن وفينذرس والمأدبة والجمهوريه . فقد خلا أو يكاد من عنصر المآسي ولم يحتفظ الا بطريقة العرض المسهب الجاف ، في اسلوب مدرسي ولغة مهينة

يمازجها أحيانا ارتباك غريب ظاهر ، كأن افلاطون يجيد بعض العناء في التعبير عن فكرته تعبيراً كاملاً . ومع ان الفيلسوف عوّل دوماً على ادقّ التعابير ، وأكثر من الجهود بوجه يكاد ان يكون متعباً ، لكي يفهم بضبط ، فمع هذا كله ما يروح التيميستس في نظرنا من انغصص المصنّفات القديمة . ولا بد من الاعتراف بان ذاك الغموض الحقيقي او الظاهر ساعد على انتشار الكتاب اكثر من لذة ما شمل من تعاليم .

وقد ظن الناس حقبة طويلة انهم يعثرون فيه على حكمة سرّية ، وليدة الحكمة البشغورية المفقودة . وقد بحثوا في جنباته عن رموز وتعاليم خفية وتجاهلوا السمة العلمية الموضوعية في هذا العمل الذي باشره افلاطون . واشتهر تيميستس خصوصا وانتشر بسبب الاخطاء « التقوية » التي ارتكبها قراؤه ، شأنه في ذلك شأن مصنّفات كثيرة ذائعة الصيت . وهو علاوة على ذلك ، المؤلف الوحيد بين مؤلفات افلاطون ، البادي بظهور دائرة معارف ، وموسوعة للمعارف البشرية . وهذه الموسوعة ، على اقتضاها ، ثرية على كل حال الى حدّ غريب . وقد ظن علماء الاجيال الوسطى ، في ولعهم الشديد بتأليف تفسير متكامل نهائي للكون ، انهم وجدوا نموذجه في حوار تيميستس .

ولذا فان معنى تيميستس التاريخي يكاد يضاهي معنى « أورغثنين » ارسطو . وهو احد المصنّفات الذي تأملته اجيال متعاقبة ، فاغتنى لبابه الخاص في بضع على مرّ العصور بعناصر غريبة عنه لا تحصى . فهمتنا قبل كل شيء ، هي المثل امام نص الحوار بالذات في محاولة لا كتناه معناه ، دون اكتراث بكل ماطلبه فيه مطالعوه من بعد .

٢ — ميزة تيميستس العامة

ان اول ما يلفت النظر في تصفح الحوار هو اسلوبه المنهجي وطريقته

التعليمية . ففي حوارات اخرى لأفلاطون ، مع انها لا تقل عن هذا الحوار دقة في التأليف ، يحجب الفن المرفه بروز التقاسيم المفرط ، بحيث يبدو الحديث ، مهما بلغ من الترابط المنهجي ، مرسلأ على عواهنه طبقاً لنزوات خاطرٍ مجتج . أما في تيمستس ، فكان أفلاطون على عكس ذلك ، يُعنى عناية خاصة باظهار معالم طريقه و ابراز تفاصيل خطابه ، إبرازاً تكاد الغلاظة تداخله . فلا ينقص فيه شيء من ذلك : اعلانات تُكرّر مراراً لما يلي من توسع في المواضيع ، ومراجعات دقيقة لما نال الخطاب من نتائج . فلا اقل من عشرة ملخصات أو برامج جزئية في حوالي تسعين صفحة ينطوي عليها الحوار : d-ε۲۶ ، d۳۹ ، c-d ۴۰ ، c ۴۴ ، a ۴۸ ، e ۵۱ ، a ۵۲ ، c-d ۵۵ ، c ۶۱ ، d ۶۱ ، a-b ۶۹ (۱) .

لا غرو ان برميندس والسيامي والسفستى وفيلفيس ، (كل تلك الحوارات) تقدم لنا نماذج لمثل هذا الضبط . ولكن ما من حوار يلجأ الى هذا الاسلوب بمثل هذه المثابرة وهذا الاجتهاد . وتيمستس ، وهذا شيء معروف ايضاً ، هو الوحيد بين كتابات أفلاطون الذي يشغل فيه العرض المتصل اكبر قسط من الحوار . فاذا استثنينا تمهيداً زهيداً ، فعرض تيمستس الطويل يستوعب المصنف بأكمله . وقد يحسب المرء أن ذاك العرض درس او بالأحرى موجز درس ، يماثل الدروس التي كانت ربما تُلقى في الأكاديمية . ولا يلقى هذا الدرس على اناس غشم ، ولكن على اناس ضليعين في مختلف العلوم ، تأهبوا لفهم اي تلميح ، ولو بعبارات مبطنه ، الى النظريات العلمية . وقد عني أفلاطون منذ مطلع حواراه بلفت النظر الى هذا الامر . وعرضه المقتضب خصوصاً للتفاصيل

۲ - (۱) هذه المراجع بأرقامها وأحرفها اللاتينية ، مأخوذة عن طبعة بيكر Bekker للأصل اليوناني . وهي التي يتبعها إجمالاً المترجم الفرنسي ألبير رفو . (المعرب)

الرياضية المتعلقة بروح الكون او بالمعطيات الفلكية ، يفرض في الواقع مستمعين
« مستأنسين بأساليب العلم^(١) . »

فالتيميئس يوحى ، اكثر من اي كتاب آخر لأفلاطون ، انه انبثق
عن تعليم عقائدي . وقد يظن القارئ انه يعثر احياناً على هنات الاستاذ ونزواته
الخاصة . والاستاذ هنا يجب الترتيب ويمتاز في اعداد دروسه . كما يمتاز في تعبئتها
دونما حاجة بقدر لا حد له من شتى المعلومات . فالعرض يبدو بطيئاً . ويتخذ
بين الفينة والفينة سيراً يكاد يكون زحفاً ، فلا يخلو من بعض التثاقل . إذ تبسط
كل جملة بلا تسرع ، وكأن المؤلف لا يعجل الى بلوغ الهدف .

ومع ذلك ، كم من الثراء في تلك الصفحات القلائل . فتيميئس
يكدرّ دون غناء او فتور أحداثاً دقيقة من كل صنف . ولا نرى بين المحدثين ،
إذا استثنينا ديكارنت^٢ ، من يجمع بين هذا التراخي الظاهر وبين فكر عميق الى
هذا الحد^٣ ودوماً في غاية التماسك . ان تيميئس يحوي موسوعة كاملة للعالم
الأفلاطوني . وهو رفيق الفيلسوف ورجل الدولة ، ويحمل من المعلومات ما لا
غنى لها عنه ، مصنفه حسب ترتيب ترابطها ، وقد عولجت بما يقتضيه كل منها
من البسط والتوسع .

ويجب ان لا نجد عنا ثوب الحيدال في العرض : فالعلم وأرجح العلم هو
ما يثار فيه . وستتاح لنا الفرصة ، لدى التنقيب عن تفاصيل الحوار ، لتثبت ان
التيميئس يعرض لنا عادة في كل مادة يتناولها : في الفلك والرياضيات والفيزياء
والكيمياء والطب ، ليس معلومات قد عتقت وعفت ، وانما حالة احدث علم
وأغزره اطلاعاً ، عندما وُضع الحوار . وأكد أن تلك الموسوعة ليست بكاملة
من كل وجه . فأفلاطون يزيح بكلمة جملة من المسائل الهامة ، وينبهنا انه سوف

(١) ٥٥٣ . -

يهمل عدداً وافراً من الموضوعات قد تستحق بسطاً مسهباً . وبعد ان يحدد اطاراً شاسعاً ، لا يملأ منه إلا بعض الاجزاء . ولكنه يدلي بشأن كل ما يقبل معالجته من المواضيع ، بالتفاصيل الدقيقة الفنية المبتغاة . بحيث يوحى المجموع شعوراً قوياً بالملء والكمال ، لا يقدر إيجاهه إلا مؤلف تمكن كل التمكّن من موضوعه . فكل لوحة صغيرة من اللوحات التي ينطوي عليها التيمثّس ، تبدو تصغيراً تاماً في اطاره الضيق . إلا أن وحدة المجموعة تبرز بروزاً مدهشاً ، لأن الرسام غدا ماهرّاً في فن انتقاء التفاصيل واضفاء الانسجام عليها وعلى الموسوعة بكاملها .

٣ - الموضوع الرئيسي في الحوار

لقد تمسك الشراح الأقدمون منهم والمحدثون خصوصاً بما يتعلق في هذه الموسوعة بعلم الكون . وقد استهوتهم بالأكثر قصة تصوير روح العالم ، ونظرية المكان والعناصر ، والنظام الفلكي . ولكن مع كل لذة تلك المعلومات ، لاتكمن فيها زبدة التيمثّس في نظر أفلاطون بالذات . فالقسم الرئيسي ، بدون ريب ، هو في اعتقاد الفيلسوف القسم المتعلق بالانسان . ومن اجل هذا القسم قد كتب كل ما تبقى تمهيداً وإعداداً له . وهذا الهدف يفسر لنا في آت واحد ، تنسيق الحوار والغرائب الظاهرة في تأليفه . إذ قد وجد بين الشراح المحدثين من يدعي انه لا ارتباط بين نشأة الكون وغيرها من اجزاء تيمثّس . وزعم رؤوده^(١) ان افلاطون كتب حواراه اولاً ، ثم ادخل عليه بعد ذلك توسعاته في علم الفلك والفيزياء ، وقلب هكذا رأساً على عقب تصميم مؤلفه الأصلي .

E. Rhode, Psyche II, 2, p. 266. - Cf. en sens contraire H. (١) - ٣

Raeder, Platons philosophische Entwicklung, 1905, p. 378 .

ولكن لا سبيل لتأييد مثل هذا الرأي ، لأسباب كثيرة . فلنتذكر أولاً ما دعا الى رواية الحوار . فهو يُفتتح بملخص حديث اشترك فيه الليلة المنصرمة سقراط وتيمنيثس واكروتيس وهونمكراآتس . وقد وصف سقراط في سياق ذلك الحديث الدولة المثلى . وفي مطلع الحوار ، يُذكر لنا بعض من أبرز الخطوط وأغربها في ذاك الوصف . وعندئذ فقط ، يُدخل افلاطون موضوع البحث الجديد الذي سيُسط :

تلك الدولة المثلى الموصوفة نظرياً ، هل يستطيع المرء ان يتمثلها في الواقع ويتصورها في حقيقة حية عاملة ، عرضة لمصاعب السلام والحرب ؟ هل يمكن ان يبني المرء لها نموذجاً واقعياً ، وأن يسكب عليه الحياة ، بحيث قد تتمكن أجزاؤه كلها ان تعيش وتتحرك ؟

ان المعضلة مذهلة لاول وهلة ، اذ ليس سوى جواب واحد على سؤال يطرح على هذا الوجه : محاولة عملية ليحقق المرء في الواقع بثورة أو اصلاح اجتماعي دولة تماثل نموذجنا المثالي . فالعمل المرتبط بالمستقبل قد يستطيع وحده ان يعطينا الجواب بتأييد آمالنا نهائياً او تحطيمها . ولكن افلاطون لا يفكر الآن بهذا الجواب ، القاطع في الحقيقة وحده ، اذ يُحتمل ان تكون الاخفاقات المتعاقبة قد فتحت عينه . فضرب من الخيال المضاعف يشرع يروي لنا ما كان ممكناً ان يكون تاريخ دولته المثالية ، لو كان كل شيء قد جرى في العالم كما يقتضيه العقل ويصعب ان لا يرى المرء في هذا المنهج ، شبه اعترافٍ شجيٍّ بالعجز بعدخيات كثيرة . فمن لم يقدر العمل ان يُرضيه ، يُضطر في النهاية ان يكتفي بالحلم . وربّ كاتب معاصر كان فكره بقصة وهمية ، وما كان ليتردد ان يجعل مدينته المثلى في المستقبل . ولكنه بفعله هذا ، يكون قد حرم (دولته) الوهية من نفوذ التاريخ وهيبته .

فبضرب غريب من الحيلة ، ينبري افلاطون ليروي لنا تاريخ وطنه ،
ذاك التاريخ المجهول المنسي . وبمحافظة هكذا على حرية تامة في الاستنباط
والبناء ، يضمن لنفسه مغنم الحياة ، الغائبة عادة من السير السياسية الروممة .
وإذا لا يحمل افلاطون وسيلة من الوسائل التي ألفها كتّاب الروايات ليسبقوا على
قصصهم ظواهر الحقيقة ، يتمكن هكذا من ان يضيف الى مراجعه الخيالية او
المفترضة ، اثباتات غير منتظرة من نوع الجاهلي .

فقد استغلت اغلب الفلسفات السابقة ، لصالح محتوى جديد ، اطار
مواليد الكون القديمة . ويزعم افلاطون ان يجدو حدوها . فيستنبط نظير
برميندس او اكسينفانيس . ولداً للكون لا اعتبارياً او شعرياً فقط ، ولكن
مولداً تتلاءم كل تفاصيله واثبت معطيات العلم واحداثها . فسوف يربط تاريخ
البشرية ودولة أثينا الخيالي ، ربطاً يحكمه ما استطاع الاحكام ، بمولد الكون
هذا المحتمل جداً . وهكذا يظهر الحاطر السياسي اللعوب يظهر المستفيد من
النفوذ المرتبط بمعطيات علم الفيزياء .

ويشبه اسلوب افلاطون ، اذا ما فكر فيه المرء ، كل الشبه اسلوباً اتبعه
اصحاب التطور المعاصرون . الم يصف استنسير التطور الشاسع ، ليرر في النهاية
برنامجاً سياسياً معيناً؟ وينطوي مثل هذا الحل ، في نظر فتان كأفلاطون ، على
فوائد اخرى . فهو يبرز بروزاً مدهشاً وحدة الأشياء . ويُتيح للفيلسوف ان
يؤلف قصة متماسكة ينتظم فيها بالتتالي كل ما يهمه من احداث ، ويُفسح له المجال
يحوّل مصنفاً مهياً الى رواية تنبض بالحياة وظاهر الحاطر اللعوب .

٤ — التصميم والانجاز

ان تيمميس واكرتيس ، كما بلغا الينا ، لا يؤلفان الا فصلين من
ذاك التاريخ الذي كان عليه أن يتضمن ثلاثة فصول . هذا ، والفصل الثاني ناقص ،

اما لان افلاطون قد قضى نجبه قبل ان ينجز عمله بجملته ، وإما لأنه توقف عن انجازه ليؤلف كتاب الشرائع ، وهذا ما افترضه الاقدمون .

ان التيمثس يدلنا على الأقسام الرئيسية في «الثلاثية» (١) . فالجزء الأول يروي لنا تاريخ نشأة البشرية ، المربوط على ما رأينا منذ قليل ، بتاريخ الكون . وكان على اكرتيس ان يتناول بالبحث تاريخ المجتمعات البشرية الامثل ، طبقاً لما حققته ائتنا في الازمان الغابرة . وفرض أخيراً على هيرمكراتيس ان يتم اللوحة التي رسمها اكرتيس بايجاز . فكان لا بد من صوغ ثلاثة حوارات تؤلف ثلاثية واحدة . وقد مُطِب الى ثلاثة اشخاص ، هم تيمثس و اكرتيس و هيرمكراتيس أن يتداولوا اطراف الحديث .

في الحقيقة ، ان دلائل التيمثس لا تتفق في الظاهر تماماً ومعطيات اكرتيس . فحسب التيمثس كان يفرض على اكرتيس وصف الدولة الاثينية البائدة . والحال ان حوار اكرتيس في قسمه البالغ الينا - وهو الوحيد على ما يبدو الذي افلاطون - لا يتكلم الا عن نظم الاطالسة . ولكن لا ريب ان تفصيل الشرائع الاثينية كان قد شغل الثاني من الحوار لو أنجز . ومدى التوسع في شرح شؤون الدولة الاطالسية يحملنا على الظن ان وصف حال ائتنا قبل الطوفان ، لو تم ، لكان قد فصل هو ايضاً تفصيلاً اوفى .

ان التيمثس يبسط لنا تاريخ نشأة البشرية . وهو في الوقت نفسه يصف لنا الطبيعة البشرية من الناحية الطبيعية والناحية الادبية وصفاً شبه كامل . ويوجه هذا الوصف برمته الى التطبيقات العملية في مجال التربية والطب والسياسة . وآخر قسم من التيمثس ليس مجرد دراسة في تركيب اجهزة الجسم او علم النفس

(١) الثلاثيات عند الأقدمين تأليف ثلاثة ، موضوعها أو الفكرة فيها أو هدفها واحد . وكانت مأنوسة خصوصاً في الانتاج المسرحي على اختلافه ، والمباريات المسرحية كان دوماً قوامها ثلاث روايات هزلية أو ثلاث مأس . (المعرب)

او الحالات المرضية ، لان افلاطون لا يتشاغل هنية عن التطبيقات المحتملة وعن وسائل التأثير في الطبيعة البشرية ، ما اتاحت هذه الطبيعة التأثير فيها . ورغم الظواهر المعاكسة ، لا يقوم وصف الكون وعلم اللاهوت والمعارف الفلكية والفيزياء الا بدور ثانوي في العرض .

ويبدو ان التوسعات الهامة التي يخصصها افلاطون لهذه المعلومات هي في الحقيقة باهظة ، اذا كان هدف الحوار سياسياً ، على ما قلنا منذ لحظة . ولكن هذا النقص الظاهر في توزيع المواد يفسر بسهولة . فأفلاطون مثبتت اولاً ان اتحاداً وثيقاً يصل بين الطبيعة البشرية والطبيعة الشاملة . فالتيمس اسهم اكثر من أي مصنف قديم آخر ، في فرض الاعتقاد على الاجيال المقبلة ، ان هناك صلة ما بين العالم الاصغر والعالم الاكبر . (وهذه الصلة كانت قد اقصمت في اسطورة (السياسي) . وقد كُتب لها ان تسيطر على فلسفة النهضة الاوربية وفلسفة القرن السابع عشر) . هذا ومع كل ما يبذل افلاطون من جهود في سبيل الایجاز ، فانه ربما يتسلم للذة المسائل التي يعالجها ولفرح عرض أهم اكتشافاته الشخصية واكتشافات خلانه ولو عرضاً عابراً .

واذا وافقنا على ماتقدم ، يصبح تأليف حوار التيمس ذا نضاعة كاملة . فلدينا قبل كل شيء من الصفحة ٢٧ c الى الصفحة ٤١ e لمحة خاطفة عن نشأة الكون ، ركز عليها الشراح الاقدمون والمحدثون اوفر شطر من جهودهم . ولكن مشكلة مصير النفوس تثار اخذاً من الصفحة ٤١ e . ومن تأملاتنا العامة في الكون ، يعود بنا الفيلسوف حالاً الى التثبت من اخطائنا واوهامنا ، ويدعونا الى التفكير في وسائل مداواتها (٤٣ e - ٤٤ abc) . وبعد ذلك مباشرة ، وبدون تمهيد تقريباً ، يُقبل افلاطون على درس اقسام الجسم البشري (٤٤ ، ٤٧) . وهكذا يتضح لنا لماذا عالج في هذا المقام - وهو مقام في الظاهر غير منطقي - نظرية المحل ، او كما يقال دوماً ، نظرية المادة . وكان من المحتمل ان يثير منذ

البدء مشكلة تلك « العلة التامة التي تفسر خواص المحل الفريدة ، وأن تكون
إثارته لها مشروعة . غير ان نظرية المحل لا تظهر الابداعي صفات الاجسام
الحسية ، ولا يؤتى على ذكر تلك الصفات الا لأنها توفر لنا احساسات نستطيع
ان نفيد منها . وكذلك لا يقبل الفيلسوف على عرض نظرية العناصر الا لتطبيقاتها
على الادراك الحسي . ولا يعالج بعد ذلك معالجة عابرة علم الفيزياء وعلم المعادن
والكيمياء ، الابداعي الظاهرات الطبيعية التي تشير مباشرة اهتمام البشرية
(كالاحداث الفلكية ٥٨ e - c - وخصائص المعادن ٦٠ c الخ) . ويرد حالياً
بتعداد انواع الاجسام الرئيسية درس الاحساسات . ثم يعاود وصف الانسان ،
صفحة ٦٩ c بعد انقطاع طويل ، بدرس علم التشريح وعلم وظائف الاعضاء ،
ويعقبه بدرس الحالات المرضية العامة ودرس في حفظ الصحة والعلاج .

وهكذا فموضوع تيمثس العام ، أخذاً من صفحة ٤٤ ، هو تاريخ
الانسان الطبيعي . ولا يقطع بسط هذا الموضوع من فترة الى فترة الا بأقواس
(او شروح) غايتها تلخيص معارف اضافية . فمسألة اصل النبات مثلاً تعالج
عراً في معرض الكلام على الغذاء ٧٦ c - ٧٧ c ، وكذلك ايضاً قصة
الحيوانات ٩١ d - ٩٢ c . فان قبلنا بما فرضنا منذ البداية ، فلا امتن ولا اجلي
من توزيع مواد التيمثس . فالانسان يظل «وما محور دراسات افلاطون . وكل
العلوم حتى اسمها تجريباً تخضع لعلم الانسان . ويلاحظ المرء التشابه بين هذه
النظرية ونظرية ديكرت او نظرية الوضعيين المحدثين .

٥ - طابع التخمين في العرض

ان حوار تيمثس قصة ، لابل رواية أو خرافة . فالعرض فيه لا يدعي
متانة البرهان ، بل يكتفي منه بما يشابه الحقيقة . فان تناول البحث اصل العالم
٢٩ c ، او نظرية الكيفيات والاحساسات ٦٨ d ، او وظائف النفس المائة

de ٧٢ ، أو على وجه أعم جملة المصنف ٦٩ ab ، فلا ينفك افلاطون يبرز طابع التخمين في خطابه .

فهل يروم ان يجد من ثقتنا في استقراءاته ، وبينها كي لا نجد تماماً في قبول كل اقواله ؟ ولكن ان صح هذا الافتراض ، تكون قيمة التيميئس العالمية زهيدة ، ويكون الحوار تمريناً من التمارين العائدة علينا بترويح لزيد للنفس دون ان نغيرها ضرورة كثيراً من الاهتمام . وهذا ما ذهب اليه اكثر المفسرين ، ولا سيما هوالد Howald منذ عهد قريب جداً ، في فهم تحفظات افلاطون . غير انهم قد تجاهلوا ربما روح التعليم عنده .

اما في الحقيقة ، فكلما اكوس ، المستعملة في التيميئس لنتع الاسطورة ، لا ترمي الى اضعاف نفوذ الرواية بل الى تقويته . وافلاطون لا يؤكّد طابع نباه الوهمي الواضح ، بقدر ما يؤكّد اسباب اعتقاده هذا النبأ قريباً الى الحقيقة . لا بل يؤكّد في شيء من الاختيال والكبرياء الظاهرة ان استقراءاته مرجحة ارجحية خارقة . أجل ان حوار (يروي لنا) اسطورة . غير ان تلك الاسطورة تداني الحقيقة المطلقة اكثر من اية اسطورة اخرى . وهذه النقطة ابرزها ابرششار بكل جلاء (١) . فإله فقط قد يستطيع معرفة الحقيقة في عالم الفيزياء والطبيعة . وان اتفق لحكيم ان يستشف علل الاشياء فكيف يمكنه ان يكشفها للبشرية الجاهلة ؟ ولن يقول افلاطون كل شيء . ولكن كل ما يقوله مرجح ، بقدر ما يمكن الحكم في ذلك .

هذا ، وقد طال ما افاض الشراح بصورة عامة بشأن الاسطورة

Cf. notamment : V. Brochard et L. Dauriac : le devenir dans la (١)
Philosophie de Platon . Bibl . du Congrès international de Philosophie 4,
Paris, 1902.p.127 . راجع التيميئس ٦٨ d .

الافلاطونية ، دون ان يلاحظوا ان لافلاطون اساطير تختلف بطبيعتها وصفاتها . فافلاطون الشاعر ، وهو من ارووع الشعراء ، يستسلم احياناً الى خاطره الطروب وقرينته الفياضة ، ويتذوق لذة خفية عندما يتلاعب بصور بهية . وفي سخريته الرهيبه ، يطيب له ان يضارع ويعارض استنباطات سلفائه ومعاصريه . بيد انه يجب ايضاً ان يبدي بعضاً من اغلى عقائده بشكل الاساطير .

وهكذا نجد في حواراته اساطير من كل صنف : بعضها مجرد صور رشيقة ، يلقىها في سبيله لهجة الابصار ، وبعض آخر تشويه كله خبث لتعاليم معادية ، وبعضها اخيراً تعبير شعري عن نظريات رصينة لها من الارجحية قدر كبير . فان كان التيمسوس بجملته اسطورة . فهذه الاسطورة تنجز الى اقسام مختلفة تباين طبائعها جداً . فهنا يبدي افلاطون تشككه بشأن انساب الآلهة ، او ازدهاء الشعراء ، بعبارات تهكم عابرة . وهناك يمازج الخاطر اللعوب عنصر جدية . فاسطورة القطر الاطلسي وبالتالي الكرّ تيس برمته هما من نسج الخيال على تأييد صولن لها وكهّان المصريين . الا اننا نجد ، وراء الخاطر اللعوب نفسه مجموعة من الاحتمالات كما نجد في روايات جُول فرن Jules Verne او قصص ويلز العالمية . ومن المؤكد ان افلاطون يعتقد بوقوع كوارث كبرى في طبقات الارض قديماً .

وتتم اخيراً اسطورة تيمسوس الرئيسية بميزات تختلف تماماً عما ذكرنا . لاغرو أن إطار العرض هو برمته اسطوري . ولا ريب ان افلاطون لا يؤمن بوجود كوب يتم فيه المزيج . ويعسر على المرء ان يعبر عن عمليات «الصانع» المتعاقبة في مقال موضوعي عن نشأة الكون . الا ان الأرقام المتعلقة بأبعاد الكواكب السيارة ، ووصف مداراتها وتلاقيها وتقابلها ، تتفق وأصحّ معطيات العلم الفلكي في عهد افلاطون . كما تنسجم نظرية اقسام النفس ونظرية العناصر

وتعاليم رياضية دقيقة . واجمالا كل مايت الى الكيمياء والظواهر الجوية وعلوم الحياة ، يفرض مجموعة اجاث رصينة جداً يقدرها افلاطون اكبر قدر .
وقد يتساءل المرء في مثل هذه الظروف لم حوِّط افلاطون الوقائع بهذا الزيّ الاسطوري بدل ان يعرضها عرضاً بسيطاً ، كما سيفعل ارسطو فيما بعد ، ولم قبل ان يجازف سلفاً بقيمة اهمّ ملاحظاته . فهل هي مجرد نزوة فنان ، او بالاحرى شعور عميق بنقص كل محاولة تهدف الى تحليل علمي شامل متكامل ؟ كيف نفرض ان افلاطون لم يشعر شعوراً ألياً بيطان كل محاولاتنا ، لنعطي الكون تفسيراً كلياً ، وهو الذي ساورته ربما اكثر من أي فيلسوف آخر ، رغبة اكتشاف الحقيقة الأزلية ؟ كيف نفرض ان افلاطون لم يشعر ذلك الشعور ، وتعليمه برمته يثبت لنا جهده المستميت ليلبغ من وراء الظواهر، الواقع الثابت ؟ وإذ وُجد التحول ، فلا بدّ من القصان في بنائنا الفكري ، ولا بدّ فيه من المراتد والاطاء . ومع ذلك ، على الفيلسوف شاء ام أبى ، ان يجازف ويحاول ويغامر . وعمله تمهيدي وبعض أقسام عمله مهمل . اما بعضه الآخر فيبدو متيناً نهائياً . فيطيب لافلاطون ان ينظر إليه ملياً .

هذا ، ويعترف العلم الحديث نفسه بعجزه عندما يميز بين الوقائع وبين النظريات والفرضيات المعدة لربطها وتفسيرها . غير ان وصف الكون في نظر افلاطون هو خصوصاً وصف مايتحول ، وخروج من عالم الحقائق الثابتة ، واضطرار إلى مواجهة مبدأ تشويش وفوضى لا يضبط . ويصدف العلم بطيبة خاطر عن هذا المبدأ . ويفضل ملازمة العلاقات الثابتة ، اذ يبدو ان قليلا من الانتظام والانسجام ينفذ بسببها الى قلب الفوضى . إلا ان العلم لا يستطيع جهل عنصر الإخلال بالنظام ، وجهل حضوره المقلق . ولذا لامفرّ من ان تحتفظ كل معرفة لعالم التبدل بشيء من عدم اليقين والحفاء ، مها بلغ العلم من الدقة والضبط .

فنظرية العالم المتحول تلبث دوماً نظريةً مرجحة فقط . ولاشك ان منهجاً جيداً يسمح لنا ان نرفع الارجحية الى درجة عالية من اليقين . الا ان هاوية دائمة قد أثبتت بين علم المثل وعلوم الاشياء المتغيرة ، وهذا كان رأي برمينيدس عندما كان يصف عالم الظن (الذكسا doxa) فالصيغة الاسطورية تعبر تعبيراً عميقاً أخذاً عن هذه الضرورات الباهظة . وهي في آن واحد تتيح لنا ان نتمق بوهمي الشعر اكثر التعاليم تجريبياً ، وتلفت نظرنا دونما إفاضة في الشرح الى فقر عقلنا فقراً لا يعالج .

وقد تبين هكذا ان التيمس اسطورة، ولكن اسطورة تداني الحقيقة، تفسر لنا بقدر ما يُسمح للضعف البشري ، اسمى ما يبلغ اليه الانسان من حقائق في هذا المجال . والمهمة المترتبة على الشاعر والفنان تفوق ربما في الحقيقة اروع العبقريات . فهناك وقائع علمية لا يستطيع شعر ان يحو جفافها الطبيعي . واذا عمد المرء الى الاستعارة واسرف في استعمالها ، فهي تُشيع الغموض احياناً في تعاليم ، لو عُرضت عرضاً بسيطاً ، لغدا فهمها اسهل متناولاً . ومافائدة اسطورة روح العالم ، ان كانت الغاية تعيين الابعاد فقط بين الكواكب ، والتدليل عن طريقة حركاتها ؟ ولم لجأ افلاطون الى هذه الحيل ، وله ما له من المقدرة الاكيدة على عرض أعوص المفاهيم بجلاء ؟

لاريب ان ايضاح هذه المسألة يجب التماسه من تقاليد العلم اليوناني في القرن الخامس ق . م . إن افلاطون يسعى الى تفسير شخصي للكون تفسيراً متكاملأً موحدأً ، يستفيد من جميع معطيات العلم . وبفعله هذا فقد حفظ لنا في ذات الوقت ارث اسلافه مفكري إليه والفلاسفة البيثغوريين والسفاسطة . فالتيمس من بعض الوجوه ضرب من المساوقة او المجازاة لروايات نشأة الكون السابقات . وافلاطون يحافظ على الصيغة التي خلفها له اسلافه ، ويطابق بينها وبين

عوائد زمانه . وينسج حسب الحاجة على غرار هؤلاء أو أولئك فيتفقله ان يُقحم
في أرصن المقالات تلاميذ لا تخلو من الظرف وناعم التهمك .

٦ - اشخاص الحوار

مع أن طريقة العرض متواصلة أو تكاد ، فالتيميش حوار كسائر
مؤلفات أفلاطون التي حفظنا. ولا يتلافى أفلاطون عناء ليوحى لنا ان المشتركين
في الحديث اشخاص حقيقيون . فالتاريخ يثبت لنا وجود سقراط واكوثيدس
وهو مكراتيس . واير كنس (٢٢ ، IF ص ٧١ ، ١٩ Diehl) يثبتنا
أن هيرمكراتيس هو عين القائد السر كوزي حامل هذا الاسم ، الذي يفيض
اكسينفون و تكيديدس و ذيوذرس الصقلي^(١) في التحدث عنه . وقد
قام هيرمكراتيس هذا بدور خطير . وناوأ أشد المناوأة واكثرها توفيقاً
المطامع الأثينية التوسعية . ونجح مرتين متتاليتين في درء هجمات أثينا ، ومنى
المجتاحين بهزيمة نكراء . ولم يستحق غيره اكثر منه اكليل القائد واكليل
الدبلوماسي . وقد روى لنا تكيديدس انتصاراته ، ونسب اليه ثلاث خطب
جميلة . ويؤكد لنا انه ترأس بعثات سياسية هامة . ويعلمنا ذيوذرس أن
هيرمكراتيس اضطر فيما بعد الى مغادرة وطنه ، حيث تغلبت الكتلة الشعبية .
وذهب بعض المؤرخين الى انه طلب حماية أثينا ، وأنه قد يكون هكذا للتيميش
اساس تاريخي .

٦ - (١) تكديس ٤ : ٥٨ - ٦٦ ، ٦ : ٣٢ - ٣٥ ، ٧٢ - ٧٣ ، ٧٥ - ٨٠ ،
٩٩ - ٩٦ ، ٧ : ٢١ ، ٨ : ٢٦ ، ٣٩ - ٤٥ ، ٨٥ - . اكسينفون : الحروب
الهلبينية ١ : ١ : ١٦ و ١٨ و ٢٧ . ذيوذرس ١٣ : ١٨ - ١٩ ، ٣٤ ، ٣٨ ،
٦٣ . ر ايضاً ابوترخس ، سيرة نيكيس ٢٦ : ٥٤٠ و ٢٧ : ٥٤١

غير ان هذا الافتراض ليس على شيء من الرجاحة . اذ يجبرنا ذيوذروس
 أن هيرمكوراتيس بعد أن نفي عن مركزا ، التجأ أولاً الى اسبرطة ،
 ثم الى آسية الصغرى واستجار بقوتباز . ولا يسمح توقيت تلك الفترة
 افتراض اقامة خلال ذلك في أثينا . ومن ظن أن في وسع الأثينيين أن يحتفوا
 بعدو هارب ، فقد اخطأ معرفتهم . فاختيار هيرمكوراتيس ليعبر عن لسان
 حال افلاطون ، له مغزاه دوغاريب . وإن ابدى افلاطون في التيميش ميلاً
 الى التغني باجماد أثينا ، فتقارظه تقع دوماً على أثيني الماضي ، وليس له استعداد
 ليعطف على معاصريه . ولعله يعهد الى عدو من أعدائهم مهمة تقرير نظامهم
 السياسي المقبل ، ليلقي عليهم درساً مريراً في سغريته . فما كان دور هيرمكوراتيس
 في ذلك ؟ إن ابروكلئس (I.A ٢٣ ، ص ٧٢ ، ٦ ، Diehl) يروي لنا
 عبارات لا تخلو من الالغاز ، جداً أثير بين قدامى مفسري التيميش . ففي
 زعم بعضهم يرجح أن تيميش قد قام بدور العلة المثالية (أو الغائية) ،
 واكوتيس بدور العلة الصورية . ولم يبق لهيرمكوراتيس إلا دور العلة المادية
 او العلة المنفصلة فقط . ولذا لم يعد له من مهمة في التيميش إلا الاضغاء ، لان
 الادوار الفعلية قد وزعت على الأشخاص الآخرين (٢) .

وعاد بعض الشراح المعاصرين الى ما اشار اليه ابروكلئس من رأي ،
 وأكثروا أن افلاطون لم ينو قط ان يؤلف حواراً ثالثاً يشغل فيه هيرمكوراتيس
 المقام الأول ويحاول مونك Munk خصوصاً أن يبرر هذا الرأي بنصوص
 التيميش نفسها (٢٧ a-b) : وفعلاً لم توزع الادوار الا على اكرتيس
 وتيميش . وصفحة ٢٧ لم يعد بعد من ذكر هيرمكوراتيس .

(٢) نجد عند ابركليس عين الملاحظة ف ٨ b

ولكن هذا البرهان غير مقنع . لان سقراط كان قد صرح ان من اختصاص الكرتييس وهيرمكراتيس أن يقوما بالمهمة ، ويعود ويؤكّد ذلك صفحة ٢٠ d. ويلمح الكرتييس من جديد (١٠٨ d) الى الخطاب الذي وعد به هيرمكراتيس . فبدون تهورٍ مفرطٍ إذن يمكن أن نفترض أن افلاطون كان يحسب ، إبان تأليفه التيمستس ، حساب حوار ثالث قد يحمل اسم هيرمكراتيس ولكن ما يكون ذلك الحوار ؟ وبمّ تختلف المهمة الملقاة على عاتق هيرمكراتيس عن المهمة المنوطة بالكرتييس ؟ لقد فرض سوزمهل Susemihl بهذا الشأن فرضية خيالية لبقّة . وادعى ان الدولة المثلى التي يبغى افلاطون الكتابة عنها ، يستطيع المرء أن يتصورها في شكلين او حالتين مختلفتين ، في الماضي وفي المستقبل . فالكرتييس يُعنى بوصف النموذج المستمد من الماضي . وهيرمكراتيس يكلف بوصف دولة المستقبل المثلى .

الا ان سوزمهل يعمد الى برهانٍ دقّة النظر فيه تفوق قوة الحجة . ففي زعم افلاطون يتم تطور الكون خلال حقبة ، قوام كل منها عشرة آلاف سنة . والحال ان تسعة آلاف عام قد انصرفت منذ بدء العالم ، حسب معطيات التيمستس (٢٣ c) والكرتييس (١٠٠ c) ألا يعني افلاطون اذن أننا نقارب نهاية الحقبة الأولى من حياة الكون ، وأن طوراً جديداً على وشك ان يبدأ قريباً ؟ لقد رذل استينهرت صنوف التحايل هذه المفرطة اللباقة (٣) . ولكنه لم يفعل الا ليعرض تحايلاً آخر غير مقبول كسواه . ففي رأيه أنّ هيرمكراتيس كان قد قام ربما بالدور الذي يقوم به في كتاب الشرائع هيفيلس واكنينييس والتزبل الأثيني . وقد كان عليه ، في نطاق دولة حقيقية ، ذات قوانين تجاري قوانين المدن النورية ، أن يصف دولة تداني الكمال المثالي ما

Susemihl, dans Jahn's Jahrb. , 1855, p. 380;Steinhart, éd. du (٣)
Timée, note 57. Cf. H. Raeder, o. c. p. 379 .

امكن . فيكون هكذا قد حلّ المشكلة التي سبق افلاطون وأثارها في جمهوريته
« ٦٠ ، ٤٩٩ ، ٥٠ » .

غير أن اكثر المقارنات لباقة لا تستطيع أن تغني عن النصوص . ولا
ندري أي شيء كان يمكن ان يجويه حوار هيرمكزراتيس ، لو قدّر لافلاطون
ان يكتبه . ومن المحتمل ان افلاطون نفسه لم يكن يعرف حين إنشاء التيميشس
ما كان مزعماً ان يقوله فيه .

ففي الفن الافلاطوني ، مها بلغ من دقة المنهج وعمق التفكير ، قسط لا
يُجبر من الحرية والارتجال ، يفوت دوماً حكم العلماء المنقبتين ، وحكمهم بالطبع
محدود . ومع ذلك ، فلا يقدر المرء ان يمتنع عن ابداء هذه الملاحظة : يُستغرب
أن يكون افلاطون قد وصف نظام الدولة المثلى ، على اوجه تختلف ذلك الاختلاف
كله ؟ فالجمهورية والشرائع واكرتيس ومقاطع من السيامي تعرض لنا
ضروباً متباينة من الميثال الافلاطوني . وهذا التباين بالذات نلقيه بين علم التيميشس
الطبيعي ونفس العلم في الباب العاشر من كتاب الشرائع . ألا يعني ذلك انه
يستحيل في نظر افلاطون ان يُخطّ للدولة الكاملة مخطط لا يتغير ؟ وكذلك لا
بد ان يشمل وصف العالم المادي قسطاً محتوماً من الاحتمال . واذا ما اكثر
المفكر هكذا من الصور التقريبية في تعريف الاشياء ، ساعده الحظ على مدانة
الحقيقية الغير المدركة مدانةً مطردة .

إن سقراط واكرتيس اشهر من أن يُضطر المرء الى تعريفها بكلمات
قلائل . وعلى ما عهدنا من سقراط في الحوارات المنطقية ، لا يقوم هنا ايضا الابدور
السامع المنصت . ولكن لا يعني هذا قطعاً ، فيما يبدو ، ان افلاطون قد عدل
تماماً عن تعاليم البيئة السقراطية . فقد تناول سقراط الحديث قبل تيميشس وقبل
اكرتيس : وهو الذي رسم ملامح الدولة المثلى ، وسطر النموذج الواجب

مدانته في الحقيقة . وغاية رواية اكرتيس دعم سقراط بتأييد تاريخي . فكان أفلاطون يقول : كلاً يا قوم ، إن نظريات سقراط ليست وهمية الى حد ما قد يظن المرء ، إذ إن شطراً منها على الأقل يمكن تطبيقه عملياً . وحيناً يبدو أن الفيلسوف يُعرض عن اوهام الجمهورية ، في تلك اللحظة عينها كأنه يتغاوى خفية ولا يُستفها في شيء .

اما تيميس اللوكريي ، وهو الشخصية البارزة في حوارنا ، فلا نعرفه الا بشهادة افلاطون . لقد أليف تيميس لوكريي برمته استناداً الى معطيات التيميس . ولا شك ان اسم تيميس بالذات لم يقم في لائحة الفلاسفة البثغوريين إلا فترة طويلة بعد افلاطون . ولا يعوي التيميس في الحقيقة أية دلالة تسمح لنا بالاعتقاد أن افلاطون شاء ان يبرز لنا في تيميس تابعاً من اتباع البثغورية . لا غرو ان تيميس من مواليد لوكريي في ايطاليا . وقد ترعرعت البثغورية في ايطاليا . والرواية البثغورية تذكر أن في لوكريي بالضبط فرعاً من الشيعة البثغورية . غير ان تلك الرواية عينها تستغل التيميس استغلالاً وافياً^(٤) . هذا ، ولا يأتي افلاطون على ذكر لوكريي الا ليعيد الى ذهننا الدور السياسي القائم به تيميس في موطنه وامتياز النظم السياسية فيه . وكل ما نقف عليه من امر تيميس هو انه ضليع في الرياضيات وعلم الفلك اكثر من أي شخص آخر من أصحاب الحوار . ويحتمل ان يكون قد وجد بثغوري يحمل هذا الاسم ، ولكن ليس لدينا سبب معين موجب لتأكيد هذا الامر .

(٤) راجع Diels , Vorsokratiker, I³, p.339. ويذكر أرسطو كسنس مشترعاً من لوكريي اسمه تيميس Timaris عاش على الاغلب بعد ٤٦١ ق.م (Jamblique V.P.I 30)
A.Delatte , Essai sur la politique Pythagoricienne , Biblioth. de la faculté de philos. de Liège, 29, 1922, p.28,183.

ويذكر لنا أخيراً نصّ التيميّس محاوراً خامساً اشترك في حديث السهرة ومنعه انحراف صحته من لذة متابعة النقاش . ولما فاتنا الدليل مسن قبل افلاطون (على هوية ذلك الشخص) لبثت مخيلتنا طليقة الجناح لتشرّد حيثما يعنّ لها . فهل ذاك المحاور هو فيلّيس كما حسب افليدرر (Pfeleiderer) ، أو افلاطون نفسه كما تخمّن فان هوسد (Van Heusde) ، أو فيلوّلوس كما يقدر ريتّر^(٥) ؟ من الواضح اننا نجعل ذلك ، وكل ما قد نقوله لاثبات هويّات اولئك الاشخاص او رذها يكون بلا فائدة . وقد افترض ردولّف هيرتسيل بهذا الشأن إفتراضاً لبقاً^(٦) ، وزعم ان افلاطون لم يكن يعرف لدى كتابة التيميّس اي شيء يكون ذلك الشخص . ولم يأت على ذكره ، بضرب من التفنّن الناعم في التأليف إلا ليحفظ الحقّ لنفسه بان يبرزه ذا وجه واضح المعالم اذا بقي ، بعد انجاز التيميّس واكثريّيس وهيرمكراّيس ، موضوعات اخرى هامة لم تعالج بعد وبهذا التحايل يلبث افلاطون حرّاً ليضيف الى حواراته الثلاثة الاولى ، التي قصد تأليفها ، حواراً رابعاً يوسّع ثلاثيته فتصبح رباعية .

إن تخميناً كهذا محتمل ، ولا يحول دونه مانع . غير أننا لا نعرف عنه شيئاً . والفتنة تنهانا بلا ريب عن معرفة ما لم يشأ افلاطون ان يبوح لنا به .

٧ — احالات التيميّس الى حوارات سابقة :

إن مطلع التيميّس يلخص حديثاً سابقاً ، بين اشخاص هم اشخاص الحوار انفسهم . وقد عالجوا في سياق ذلك الحديث دستور الدولة المثلى .

(٥) Pfeleiderer , Socrates und Platon . Tubingen , 1876 , p.690. C.Ritter

Neue Untersuchungen uber Plato. 1910 , p174;181-182.

R.Hirzel. Der Dialog I. 1899. p.240.257 .

(٦)

وخلصة ذلك الحديث هي التي ستوحى ، فيما بعد ، كل المحاولات لتصوير المثال الأسمى حياً متحققاً في الواقع . ولما تلا التيمس ، في اكثر المخطوطات ، كتاب الجمهورية ، وبدا هذا الملخص اجمالاً ، مطابقاً لتأكيدات وردت في الجمهورية ، قبيل العموم بلاقص أشمل أن التيمس يحيل إلى الجمهورية .

ولكن ريتريتين دون كبير عناو ان هذا الزعم ليس على شيء من اليقين ^(١) . فأفلاطون يصرح في الحقيقة ان تلخيص حديث السهرة امين لا بل كامل ، وانه لم يحمل شيئاً (١٩٩) . والحال أن الجمهورية إذا تناولت بالبحث فعلاً شيوع النساء والأزواج ، وتربية الدولة الاولاد الذكور والافات تربية واحدة ، وضرورة التخلص من البنين المشوهين أو فاسدي الطباع ، ودور حماة الدولة ، فانها تتناول بالبحث ايضاً الف مسألة لا يأتي التيمس على ذكرها قطعاً . أضاف الى ذلك ان ذلك التلخيص لا يكون ناقصاً فقط بل مخلاً بالأمانة . فعلى سبيل المثال ، يلمح التيمس الى أعياد أثينا الكبرى (٢١١) . اما الجمهورية فتشير لا الى أعياد أثينا ، بل الى اعياد فيندينس . اخيراً وخصوصاً ليست اشخاص التيمس اشخاص الجمهورية .

فما نستتج من هذا ؟ أن هذا الملخص ، كما توهم رؤهديه ، يرتبط بنص للجمهورية سبق النص الذي بلغ الينا ^(٢) ؟ هذا غير محتمل قطعاً ، ولدينا أسباب جيدة كثيرة تحملنا على الظن أن التيمس قد أتى حتى بعد تصنيف الجمهورية التي بين ايدينا . ام أن افلاطون سبق وألف حواراً ، ضائعاً اليوم ، عاد فيه الى

Cf. H. Raeder, Platons Philosophische Entwicklung. Leipzig. (١) - v
1905, p. 374 - 376 et C. Ritter, Timaios, cap. I, in Neue Unters. .1910,
p. 174 .

E. Rohde , o . c . II , p . 266 note .

(٢)

ما عالج من موضوعات في الجمهورية بعد أن بدّل فيها وغير الأشخاص ؟ ولكن لم يأتِ احد من الكتاب الاقدمين على ذكر هذا المؤلّف .

ولعل من الامراف بحقوق النقد ، أن يخلق المرء عندما يشاء ازدواجية لكل من كتب افلاطون . وقد قيل ايضاً أن افلاطون لا يحتفظ من الجمهورية في مقدمة التيمميس الا بما بدا له صحيحاً ، عندما شرع في تأليف هذا الحوار الاخير . وفي هذه الحال ، لم لا يتفق هذا الملخص وما فجده في كتاب الشرائع حول عين المسائل ، مع ان الشرائع جاءت على الاغلب بعد التيمميس ؟

فالخل بلاريب أبسط بكثير ، إذ لم يوجد قط حوار لافلاطون يتلائم نسه تلاؤماً ومطلع التيمميس إذا حلل . وإن كان هناك مؤلّف فهو وهمي . والحديث الذي يشار اليه لم يجر قط على هذا الوجه . فلم هذا الضرب من الخيال الباطل في الظاهر ، ولم لا يلج الفيلسوف صلب موضوعه مباشرة ؟ ذلك أنه اضحى ربما من المناسب أن يبرز افلاطون بجلاء ، ميزات عمل متجدد تماماً ، يباشره من ذاك الحين ، كما هو من المناسب ان يُظهر الفرق بين هذا العمل العلمي الموضوعي ، وبين التخرصات السالفة . فكان افلاطون في اشرافه على الشبخوخة بيدي اهتماماً متزايداً بضبط نتائج تأملاته الطويلة : فقال له العقلي يزداد رسوخاً وتأكيذاً ، وهو يبغي في نوبته التعبير عن فلسفة وعن سياسة نهائيّتين .

لاغرو ان المرء يستطيع أن يتصور نماذج لتلك الدولة المثلى ، وان يصفها ويقابل بينها ، دون ان يكثرث لظروف الواقع التي قد يُفرض أن تتحقق فيها . لقد تجاوز افلاطون ، في ذلك الحين من عمره ، تلك المرحلة . ولو شاء مفكر معاصر أن يبدي ما بين الطريقتين من تضادّ ، للجا الى تعابير عامة . أما افلاطون فهو يضفي عليها شيئاً من الحياة ، ويبرزها طبقاً لعاداته في صورة واقعية ، ويتخيل محادثة سابقة تعالج نفس المواضيع . ولا بد لنا ان نتمثل افلاطون بالذات وتلاميذه

متسترين باسماء متحاورين وهميين . ولم تحفظ لنا الحوارات الا تلاخيص مقتضبة جداً ، لما كان يدور بين المعلم وطلابه من احاديث لا تنقطع . وكما أثبتت تلك المسائل بينهم ، ونوقشت من كل الوجوه ! فالحديث الذي لخص في مطلع التيمثس ليس بالضبط ما حفظت لنا الجمهورية من حديث . فلم نعجب من هذا الامر ، ولم نفرض كل تلك الفرضيات الباطلة ، مع كل دقتها ، لنستوضح الاختلافات ؟

٨ — تاريخ التيمثس وعلاقاته بفيلفس والسياسي .

يقبل العلماء إجمالاً أن حوارنا جاء بعد الجمهورية وسبق الشرائع . هذه هي النتيجة التي توصل اليها لأسباب مصدرها فحص الانشاء ، قسطنطين رتر (١٨٨٨) ، ولوتسلافسكي Lutoslawski (١٨٩٧) ، وجومبرز Gompertz (١٩٠٢) و ناتورب Natorp وريدر Raeder (١٩٠٣) ، وحديناً رتر في اول مجلد من مؤلفه الضخم (١٩١٠) . ففي نظر هؤلاء الكتاب ، واتفاقهم ذو بال ، أن حوارات افلاطون الاخيرة الخمسة قبل الشرائع هي : السفني والسياسي وفيلفس وتيمثس واكثر تيس . وهذه هي النتيجة التي وصل اليها اتسيار لأسباب استمدتها خصوصاً من محتوى تلك الحوارات . غير أن رتر ترك معلقة مسألة تأخر الفيلفس عن التيمثس أو سبقه له (١) .

هذا وبين الفيلفس والتيمثس تشابه غريب ليس فقط في التعابير ، كما لاحظ ذلك كثيرون ولا سياتر ، ولكن في الافكار ايضاً ، إذ نجد في الحوارين آراء قريبة جداً . ونجد ان بعض هذه الافكار او الآراء يعرض في الفيلفس ،

٨ — (١) C. Ritter , Platon . Sein Leben . seine Schriften , seine Lehre I . München , 1910 . P.256 . 268 . Cf. Platons Dialoge : Inhaltsdarstellungen I . Die Schriften des späteren Alters , Stuttgart , 1903 et Philologus . 1903 . p. 416 .

مع انه يبدو ان التوسع في الموضوع لا يفرضها حتماً. فكان افلاطون لا يستطيع أن يمر بابحاثه الحديثة مرتّ الكرام ويدعن لاغفالها تماماً، وذهنه لا يبرح مليئاً منها:

١ - في فيلِفس مثلاً يحدّد الجسم الحيّ بأنه تركيب من العناصر الاربعة وهي تدخل أيضاً في جسم الكون (a - e ٢٩) ولكن في قدر أعظم من النقاء وهذه المقابلة بين الجسم البشري وجسم العالم ، غايتها اثبات مبدأ منظم في الكون شبه بروح الانسان ، ولكنه روح ملكي وعقل ملكي يشرف على انتظام السنين والفصول والشهور ، وهو حكمة فائقة . والحال ان الاستدلال عنه يسود في القسم الاول كله من التيمس ، ويظهر التماثل الشامل بين الارواح والاجساد البشرية وبين روح العالم وجسده .

وفي فيلِفس نظرية عامة في اللذة والألم (d ٣١ - b ٣٣) : ينشأ الألم دوماً عندما يطرأ على الجسد والروح تبدلات تغاير طبعها الخاص . ويقع الألم خصوصاً حين تتكاثف الرطوبة بعامل البرد ، اكثر ماتتحمل طبيعة الجسد الذي يحوي تلك الرطوبة (a b ٣٢) . وينشأ الانسراح على عكس ذلك ، عندما يأخذ النظام الطبيعي مجراه . ويُعتَر على نفس التعليم في التيمس وبفس التعابير تقريباً .

ويقبل الفيلِفس (d ٣٣ ، a ٥١) ، شأنه في ذلك شأن التيمس بأن هنالك بعض مؤثرات يمكن ان تنطفئ في الجسد دون ان تبلغ الروح .

ويلاحظ التيمس أن مشاعر النظر والشم توفر لنا ملاذّ في غابة الصفاء ويشير الفيلِفس (a b ٥١) الى نفس الحادث ولكن بتفاصيل أوفر .

أخيراً يعارض التيمس بين الصيرورة والكيان ، وبصدد الصيرورة يميز بين الولادة والوفاة . وهذا التمييز بين « اليمينيس والأسيّا » أي الصيرورة

والكيان ، يعرضه الفيليفُس (a ٥٤) بتعابير هي عين تعابير التيمسُس بالضبط . وهذا التمييز سوف يستغله الحوار لتحديد اللفة .

وبوجه عام ، ان الشعور الذي يوفره عرض فيليفَس ، يشبه الشعور الذي توفره لنا مقاطع كثيرة من التيمسُس . وقسطنطين رتّر يجسد في فيليفُس شيئاً من التناقل والعسر ، ينبىء بتعب الشيخوخة وضعفها . ولقد اشرفنا الى أن التيمسُس يحوي نقائص هي ذات تلك النقائص .

ولكن ولا ميزة من هذه الميزات تتيح لنا التأكيد أن احد الحوارين تقدم على الآخر . ودلائل الانشاء هي من الغموض بحيث لا تحل استنتاجاً قاطعاً . ونظراً لاعتبارات اخرى ، لا يستحيل قطّ ان يكون افلاطون قد انصرف الى العمل على تأليف الحوارين في آن واحد ، وعلى نفع كل منهما بما بلغ اليه الآخر من نتائج . فشر كتاب عند المحدثين يفرض بين المؤلف وتأليفه انقطاعاً في الغالب نهائياً . إلا ان الكاتب اليوناني لا يقطع حتماً مهمة التنقيح والتصليح ، عند ما يسلم مخطوطه الى النقلة . ولا بأس في تصوّر افلاطون ، وهو يقابل بين حواراته المختلفة ، منصرفاً الى تهذيبها على هونٍ ، و عاملاً حتى على تأليف كتب متباينة .

٢ - اما صلات التيمسُس بالسياسي فهي جليلة نفس الجلاء . فالأوضاع في الحوارين تتشابه في تفاصيل جمّة . وليس هذا فقط هو وجه الشبه فيها ، بل يشير السياسي أيضاً الى طائفة من التعاليم يتبسط فيها التيمسُس وحده :

ففي اسطورة السياسي "محدثنا المؤلف عن صانع الكون أو منظّمه بتعابير يستعملها افلاطون هي ذاتها في التيمسُس^(٢) . وفي السياسي كما في التيمسُس إله

(٢) راجع ٢٦٩ d من السياسي : الموفق وخالق الانسجام - ٢٧٣ b : المبدع والوالد الريان . ٢٧٣ d منظّم الكون ومزيّنه .

يدفع الكون الى دورانه (c d ٢٦٩) . بيد ان هنالك فوارق هامة بين الحوارين . لاغرو ان السياسي يدع جانباً فرضية تظهر في الشرائع ، الا وهي فرضية روح العالم الشريرة . غير ان هذا الحوار لا يميز بجلاء بين الاله المنظم والروح بالذات .

ومن جهة أخرى يلمح التيمميس الى انحرافات في حركات الكون تحدث خلال احقاب طويلة . ولكنه لا يتحدث عن تلك الحركة الرجعية الناشئة أحياناً عن تراخي العمل الإلهي . واسطورة السياسي تصف وصفاً غريباً نتائج تلك الحركة . ومع هذه الفوارق الطفيفة ، يمكن الظن ان السياسي والتيمميس قد كتباً في فترتين قريبتين الواحدة من الأخرى ، ان لم ينصرف افلاطون الى تأليفها في آن واحد .

٩ - مصادر التيمميس

لقد قبلنا ضمناً أن التيمميس يطلعنا على تعاليم افلاطون الخاصة وعلى تعاليم مدرسته . وعندما يتكلم المرء عن تعاليم افلاطون ، لاسيما على الصعيد العلمي لا بد له ان يتنبه الى ان الأكاديمية ، نظير اليكسين فيما بعد ، جماعة يتشارك اعضاؤها في حصول اجائهم . وقد بينت إيفاً ساخس Sachs ، وهذا ماسنراه بعد قليل ، أن افلاطون على الأرجح ، قد استغلّ تأليف صديقه ثييتيس* الرياضية . ولو كنا نعرف البيئة الافلاطونية معرفة افضل ، لتمكنا دون ماريب ان نشير الى حالات أخرى كثيرة بمائلة . وعلاوة على ذلك ، فان منهج الفلسفة الافلاطونية نفسه هو في جوهره منهج اختيار وانتقاء .

والدأب على تتبع كل اشكال الفكر القائمة ، ومحاولة التعبير عنها اكمل وأقوى وأعمق تعبير ، كما يفعل افلاطون بلا انقطاع ، ينطوي على تصميم عنده

ان لا يحتفظ من تلك الاشكال الا بانفس ما تقدم له . وافلاطون لا يتعطف في الواقع عن الأخذ من كل يده لابل يضطره مبدأ مذهبه نفسه أن يتهج هذا المنهج .

وكم استعار ولا بدّ ، من مصنفات تعالج احداثاً موضوعية اكثر بما تعالج افكاراً ومذاهب ؟ فهناك نَقْل عريق في القدم - لعله يرجع الى تلاميذ افلاطون انفسهم - ، يزعم ان افلاطون قد استمدّ أوفى شطرٍ من فزيائه وعلم الحياة عنده ، من اتباع بِيثغوروس . وقد أشاروا مدة طويلة الى التيمثس باسم التيمثس البيثغوري^(١) . ولكن لا بد من الاشارة الى ان افلاطون لا يلمح في موضع ما ، لا في التيمثس ولا في غيره ، الى اشغال البيثغوريين العلمية . ومن المؤكد ان الحوار يفرض كون نظرية الكميات الصماء معروفة ، كما يفرض ان مطروحة بِيثغوروس معروفة . ولكن هذا الحوار في قسمه الرياضي يلجأ خصوصاً الى نظرية المتوسطات ، والى نظرية متعددات الأوجه المنتظمة . ويبدو ان هذه وتلك ، كما سنرى ، قد ترعرعت بالضبط في عهد افلاطون والبيئة السقراطية . ونظرية الكميات الصماء ذاتها ، يُحتمل ان يكون البيثغوريون قد باثروا درسها . ولكن ثيوفانس الكوريثي استاذ افلاطون هو الذي عبر عنها خير تعبير .

ويثيئثس هو أوّل من بنى المجسمات الخمسة المنتظمة كما سيستعملها التيمثس . فيمكن الظن اجمالاً ان القسم الرياضي من التيمثس لا يمت الى البيثغورية بضلة . صحيح ان مقطوعات فيلوثوس وأرخيئس تتضمن نظريات مختلفة شبيهة بنظريات التيمثس . ولكن اسباباً عدة تحدونا الى

٩ - (١) راجع روستيني : بثغوروس والبيثغوريون في التيمثس . Atti della R. Academ. delle S. di Torino , vol. 49, 1913 - 1914, P. 373 . ولا يفتأ بروكس يقارب بين افلاطون والبيثغوريين . راجع ديبل ١٨:٧:١ .

الاشتباه بصحة هذه النصوص ، او على الأقل انها تسبق التيمثس في شكلها الحالي . وتدلّل برّنت على هذه النقطة الاخيرة يبدو الى الآن قاطعاً .^(٢)

أما بالنظر الى المذهب الذري فعضلة مصادر التيمثس معضلة دقيقة جداً . إذ نعرف ان افلاطون لا يذكر ابداً لا لِيُنْفَكِبُس ولا ذِمُو كَرِتْس . وربما نستطيع ان نفهمه اذا فترض ان تُودَّ عهود الذريين الى الوراء رداً مقبولاً ، طبقاً لرأي الكثيرين اليوم . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، اذا لبثت مؤلفاتهم مغفلة تمام الاغفال تقريباً ، كما تثبت لنا ذلك شذرة من شذرات ذِمُو كَرِتْس .

غير أنّ هناك نقاط تقارب لا يستهان بها بين فيزياء التيمثس وفيزياء ذِمُو كَرِتْس . افلا يفسر افلاطون في النهاية مولد العناصر ونشوء الصفات المحسوسة بنظرية الذرات ؟

فراي افلاطون في سير اجهزة الحواس وعملها ، مجاري او فر مجاراة رأي ذِمُو كَرِتْس . واذا كان لمذهب ذِمُو كَرِتْس الذري اساس بعضه مبني على الرياضيات ، كما يمكن المرء ان يفترضه ، فالصلات بين التعليمين قد تظهر عندئذ بجلاء أوفى . ويبدو ان ارسطو يؤيد بنفوزه هذا الافتراض لأنه يُقَرَّب غالباً بين الفيلسوفين^(٣) . فلنفحص أوجه الشبه بينها فحسباً أدق . وهذه هي الرئيسية فيها :

Cf . H. Diels, Elementum. Leipzig, 1899, P . 22. Burnet, Early (٢)

Greek ph . 3. 1920. P. 277.

(٣) راجع بروشار ، ابرتغورس ودموكرتس ، في مجلة

philosophie ancienne et de philosophie moderne, 1912, p. 32 - 33 .

Steuzel : Platon und Demokritos (Neue Jahrb . 8. d. Kl. Alt. 1920, p. 89 - 100) .

١ - نجد في التيمس صور مجسمات بدائية تكوّن العناصر الأربعة وتُشبه بعض الشبه ذرّات ذيموكرّتس .

٢ - ذاتيّة الاشكال التي يسبغها ذيموكرّتس وأفلاطون على العناصر

٣ - تفسير الصفات المحسوسة ولا سيما اللون والحرارة ومشاعر اللذة والالْم بصورة الاجسام الاولية .

٤ - نظرية الفرق بين الاشياء الثقيلة والاشياء الخفيفة ، بفعل حركات الجسم « القابل » المشبهة بحركات الغربال .

هذا وإن كثيراً من الاوضاع والمفردات التي يستعملها افلاطون نجدها في شذرات ذيموكرّتس . وأفلاطون يعتمد في كلامه عن العناصر الى تشبيهها بالأحرف . وهذا التشبيه كان مأثوساً لدى الذريّين .

أجل إن أوجه الشبه هذه مثيرة . ويبدو من الثابت ان المذهب الذري كان شائعاً شيوعاً لا بأس به في عهد سقراط . وقد علّم الرياضي إيكفتمتس ، فيما يبدو ، آراء تداني آراء ذيموكرّتس مدانة وافية .

و كتابا اكنسكرايس « الخطوط غير المقطوعة » و « الآراء » تفرض تأليف سابقة لم تصنف كلها في مدرسة ليفكيس . ويبدو خصوصاً انه وُجد في عهد سقراط ضرب من التعليم الذري الرياضي ، اثار في معاهد العلوم مناقشات عويصة . ويحتمل ان يكون افلاطون قد استمدّ اكثر قروضه من تلك النظرية النووية ، ذات الصبغة الخاصة المختلفة قليلاً عن غيرها .

ومع ذلك فان استفاد افلاطون من اعمال النوويّين ، فهو يعدّها تعديلاً يبدل معناها الى حد بعيد . فقبل كل شيء سنرى ان مجسمات افلاطون ليست صامدة كجسيمات ذيموكرّتس . فهي عرضة لاهتراء بطيء ، يبتدئ تنوّهاتها

ويفسر لنا تقلباتها بعض التفسير . فتلك الجسيمات تستطيع ان تغير اشكالها بتأثير البيئة . وعلاوة على ذلك ، فالاشكال الهندسية التي تحد الجسيمات ، كأنها تحضن جوهراً او مادة ، قوامها معالم نوعية ، ولا علاقة لها البتة بجوهر ذرات ذمو كرتس المتجانسة والكثيفة على الاطلاق . وفيما تحاول فيزياء ذمو كرتس ان تفسر النوعية بمعالم رياضية او آلية مجتة ، يتلاحم مذهب افلاطون الذري ويتضافر ، في كثير من الغرابة ، مع نظرية نوعية تشعل الكائنات . اخيراً ليس في الافلاطونية ما يقابل « المجال الفارغ » عند الذريين . لان احد معتقدات افلاطون الاساسية هو بالضبط انه « ما من فراغ » . ونظرية المكان في التيمسوس الغامضة الصعبة ، تبدو لنا فعلاً بمثابة دحض لتعليم ذمو كرتس بشأن الوجود والتيمسوس جملةً ينطوي خصوصاً على تفسير للطبيعة يتعمد الغائية .

والسيد وُوبان ، وشأنه في ذلك شأن كثيرين غيره من قبله ، قد اثبت هذا الامر من عهد ليس يبعيد ، بفراسته المأنوسة .^(٤) وهذا الاتجاه الغائي وحده قد يكفي لمعارضة فيزياء افلاطون فيزياء الذريين ، ولمقارنتها بفيزياء أتكسغورس . وهذا ما يدعوننا اليه افلاطون نفسه بقم سقراط . إلا أن تعليم أتكسغورس لا يرضيه ، على ما يظهر من حوار فيثون ، لأن ذاك التعليم يخلو من الدقة العلمية ويرضى على طيبة خاطر بالعموميات . فافلاطون يشعر اعتمق الشعور بالآلية في كل اشكالها المنطقية او الطبيعية ، رغم الروح الغائية الصريحة التي تتعش كل تعليمه . فمن جهة ، هناك ضرب من الآلية تشرف عليه المثل نفسها . وهذا النوع من الآلية يعمل في عالم المعقولات على سنة الخير . ومن جهة أخرى هناك في الطبيعة غاية عليا . وهذه الغاية لا تستطيع ان تُنفذ إلا ضمن شروط محتومة ضرورية لا يبلغ الفكر الى أغوارها .

(٤) راجع : Léon Robin , Etudes sur la signification et la place de la

physique dans la philosophie de Platon . Paris , 1919 , P . 7 , 60 et suiv .

وهذان الشكلان من الآلية يظهران أحياناً وكأنهما مندجان، كما يحدث
للمثل عندما ينظر المرء الى صلاتها . وقد توسع افلاطون توسعاً وافياً في تحليل
فكرة الضروري . وحاول ارسطو ان يبلغ بها الى الكمال . ولعل لا ينبغي
الذي أمعن في دراسة افلاطون، مدين له باهم اعتباراته في هذا المضمار . والضرورة
في نظر الذريتين أمر يتصدع عليه الفكر ، ولا ينفذ فيه . أو بالحري يسبق
الفكر . ولكن العقل في نظر افلاطون ينفذ في الضرورة نفسها ولو الى حد ما .

فكذا يستطيع ان يستمد من الذريتين بعض تفاصيل تعليمهم ، ولكن
لا ينبغ ذلك أن تكون فلسفته مناقضة فلسفتهم كل المناقضة بأسلوبها وروحها .
ونستطيع أن نقول القول نفسه عما يتعلق بعلم الحياة والطب في التيميشس .
فهناك نقاط ارتباط كثيرة بين تعاليم افلاطون وبين التعاليم التي نجدها ليس فقط
عند الكيميشن، ولكن في اقدم اجزاء مجموعة هيكلورائس . فالعرض المبسط
مثلاً المتعلق بأجهزة الحواس له صلات بيّنة بشذرات أهميذوكليليس والكيميشن
عن الموضوعات نفسها . وسندكر في سياق الكلام أهم تلك الصلات .

ومجدد بنا الآن ان نحص تحصيماً أدق ، المشاكل الكثيرة التي يثيرها
تفسير التيميشس . وقد قصدنا ان نجمع في هذه الدراسة كل العناصر التي تمكن
الباحث من التصدي لها بفائدة .

الفصل الثاني

أسطورة الأطلن蒂斯

يبدأ الحوار في كثير من الغرابة بأسطورة الأطلن蒂斯 الشهيرة . وبين هذه الاسطورة وباقي التيمثس صلة وثيقة ، مع ان البعض قد ادعى احياناً عكس ذلك . ويستطيع المرء ان يرى باعجاب في هذا الترابط نموذجاً من اكمل النماذج ، المستمدة من ذلك الفن الناعم المشرف على تأليف الحوارات .

وقبل كل شيء فان غرابة الرواية نفسها تضي على كل ما يأتي بعدها جواً سريعاً غير واقعي . وبفضل الاسطورة الافتتاحية يغمر الشعر بنوره اكثر اجزاء التيمثس دقة علمية ، وأوفرها تجريداً ، ليزيد من رونقها وجمالها . وهذه الاسطورة تفتح على الماضي والمستقبل آفاقاً لها من العمق والايام ما تمكن به الكرتيس وهيرمكراتيس ، مها كانت اوجه تنسيقها ، من أن يربطها على هيئة بحوار التيمثس . هذا ، ولا بد ان نلاحظ أن افلاطون يغتم الفرصة ، كي يجد أثينا الاحقاب الخوالي على حساب أثينا المعاصرة ، ويتماق قراءه ويندم في ذات الوقت . إن قصد الفيلسوف مبطن معقد . ولكن يمكن فهمه دون كثير عناء إذا تنبه المرء الى أن فن افلاطون يبرع في معالجة موضوعات عدة في آن واحد ، خلافاً لماهنا المدرسية .

ومع ذلك علينا ألا نعجب مما لقيه اسطورة اطلنيس من تعليقات كثيرة وغير منتظرة . وقبل كل شيء هل كانت في الحقيقة اسطورة ؟ فان تلاميذ افلاطون المباشرين ، مع ما طبعوا عليه ، كما يبدو ، من روحانية متثاقلة ، قد صدقوا كل التصديق هذه القصة برمتها ، واعتبروا الرواية الافلاطونية حقيقة . وقد ذهب اكنوانثمرو هذا المذهب ، وهو أول المفسرين الذين لا حصر لهم (ابروكلئس ٢١ a.d) . وان كان ارسطو ، بتحفظه المعهود ، قد عدّ قصة الأطلنيس خرافة (استثوافين ١٣ ، ٥٩٨) فبسيّدونيئس ، وهو في ذلك اكثر فطنة ، كان يحسب أن افلاطون قد استطاع ان يبني خرافته على معطيات صحيحة : « من الممكن جداً ان لا يكون التقليد المتعلق بتلك الجزيرة مجرد خيال ، لأن الكهان المصريين ، الذين كان صولن يسألهم ، قد أكدوا له وجود جزيرة في القدم سُميت بهذا الاسم . وأضافوا أنها توارت ولو بلغت من الاتساع مساحة قارة (استثوافين ٢ ، ١٠٢) . اما الاسكندرليون فمعظمهم قد رأى في رواية افلاطون رمزاً . وهذا لا يمنعهم من الاعتقاد بوجود الأطلنيس (ابروكلئس ٢٤ b) . حقيقة تاريخية ، رواية شعرية لوقائع حقيقية ، رمز ، خيال مجرد ، تلك في الواقع الفرضيات الاربع التي كانت ممكنة والتي اضطر المعاصرون ان يختاروا هم ايضاً بينها .

فالى عهد قريب نسبياً قد قبل اكثر الشراح والمفسرين بصحة رواية افلاطون ، وحاولوا فقط أن يجددوا مكان الأطلنيس . ولعل لئوئيس لروا Loys le Roy ، وهو اول مترجم فرنسي لحوار التيمستس ، هو الوحيد الذي يتجرأ على ابداء شكته ، اذ يقول : « أمّا أنا فأظنّ أن أفلاطون قد روى تلك الرواية ليؤتي بلده شرفاً ويدلّ على قدم العالم » (١) . وبعده ، من ألف

(١) تيمستس أفلاطون ١٥٨٢ ص ١٣ من خلف .

رُدْبِيك^(٢) Olaf Rudbeck إلى الفلكي بايبي Bailly الذي بعث برسائله عن الأطلننتيس إلى فولتير ، لم تنقطع الفرضيات . فهل كانت الأطلننتيس واقعة بعد أعمدة هرّ كلّيس ، تجاه سواحل البورتغال ومراكش ؟ أو كان لا بدّ من البحث عنها في خليج غسكُونِيّة Gascogne ؟ أو كما عرض بعضهم بعد خوستوف كولمب ، باتجاه اميركا الشمالية أو اميركا الوسطى ، في جوار بعض جزر المحيط الأطلسي ، وهي آخر ما تبقى من القارات الغائبة ؟ أو هل كانت الأطلننتيس واقعة باتجاه أكثر ميلاً الى الشمال نحو محيط الجليد الاركتيكي أو نحو السبّينزبيرغ ، على ما قال رُدْبِيك وردّده بعده بايبي^(٣) ؟ ونحن في هذا المقام ، نعفي القارىء من البراهين والمقارنات المختلفة ، الغربية احياناً في تعنتها ، وقد حاول بها الكتّبة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر ان يبرروا اوفى الاستنتاجات تموراً : ويجد من يريد في المجلد الاول من كتاب هتومي مارتان (دراسات حول التيميس) (١ ص ٢٥٧ - ٣٣٣) تحليلاً شبه كامل ، لكل ما كتب عن الموضوع قبل ١٨٤٠ . ولقد بحثوا عن الأطلننتيس في كل مكان تقريباً ، حتى في شرقي البحر الابيض المتوسط وفي المحيط الهندي نفسه . وقد صرف النقد الحديث اهتمامه تدريجياً عن هذه المشكلة التي لا حلّ لها^(٤) .

ولكن من عهد حديث قد عالج الموضوع من جديد عالم بطبقات الارض هو السيد ابيير ترميه ، واستنتج من ابحاثه أن الأطلننتيس قد وُجِدَتْ . و كذاً

(٢) Upsal Atlantica ١٦٨٢ ص ١٤٤ وما يلي .

(٣) الكتاب المذكور ص ٤٦٤ .

(٤) واليك في هذه القضية المراجع التالية :

Gaffarel, Revue de géographie 1880. I, p. 241-259 ; 331 - 345, 421 - 430; II, P. 21-29; Lagneau, Revue d'anthropologie, 1880. p. 460 - 468 .
Berlioux, les Atlantes, Paris, 1882 ; Sur les données géographiques, cf. l'excellent exposé de S.Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, I, 1913; p. 326 - 329. Cf. Critias, notice, p. 247..

وفي المكان الذي يعينه افلاطون في التيميس بالضب^(٥). ففي حقبة قريية
الينا نسبياً ، تعود الى اواخر العهد الرابع ، انهارت بقعة شاسعة برية أو مؤلفة
من جزر فسيحة « تقع الى غربي مضيق طارق ، وآثار تلك الكارثة تلبث بادبة
المعالم لعلماء طبقات الارض . فالى يومنا هذا مهاو عميقة مبتطيله تحف بسواحل
المحيط الاطلمي شرقاً وغرباً ، كأن انهارات هائلة قد حدثت على جانبيه . ومن
جزر جوج الى جزيرة جان هايين ، سلسلة من البراكين تحاذي البراكين
المنجرفة إبان الكارثة ، وتنتشر على الشفير الشرقي من هاوية المحيط على امتداد
الساحل الافريقي . وقد سبر العلماء سنة ١٨٩٨ الاغوار الشالية من جزر الأصور ،
واستخرجوا عينات من قذائف البراكين الزجاجية . واذاها من نوع لا يتكوّن
الا بتأثير الضغط الجوي : فهي تعود لإذن الى حقبة سبقت انهار البراكين المشار
اليها . وإن مجموعات الجزر الأربع ، وهي آخر بقايا القارة المتوارية ، الأصور
ومادير والكناري وجزر الرأس الاخضر ، تحتفظ الى اباننا بضروب من
الحيوان اصله من البر ، يشبه ضروب الحيوان في جزر الأنتيل وسواحل السنغال .
وهذا برهان قاطع على ان تلك الاراضي كانت جزءاً من قارة واحدة . واكثر
من ذلك هو أن حوار اكرتيس يعوي وصفاً لطبقات أرض الأطلنيس ،
يتجاوب كل التجاوب مع التكوين الحاضر لارض تلك المجموعات من الجزر :
« قاعـة من الصخور القديمة ، ذات يقع كلسية بيضاء ، تحمل جبلاً بركانية
منظفة ، وسيولاً من قذائف البراكين السوداء او الحمراء من عهد بعيد . »
فمثل هذه المقارنات تحدث في الذهن انفعالاً يعسر التخلص منه . ولكتنا
قد نخطيء في استسلامنا له دون مقاومة ، ونسيان مقاصد افلاطون الصريحة .

(٥) راجع له محاضرة نشرها في المجلة التي يصدرها معهد علوم المحيطات ، عدة
حزيران سنة ١٩١٣ . وعاد هذا العالم ونشرها في كتابه : « على شرف الأرض » باريس
١٩٢٢ ، ص ١١٧-١٤٦ .

ولنا على تقلبات وجه الارض المتواصلة ، شهادات حديثة ومخيفة تمنعنا من الشك في إمكانية وقوع أحداث في طبقات الارض نظير التي يذكرها افلاطون . فمن كل جهة حوله في اليونان وفي جنوب ايطاليا ، كان بإمكان الفيلسوف ان يشهد عمل قوى الارض الداخلية المتواصل . وقد لاحظ العلماء من عهد بعيدة عدم استقرار سطح البسيطة . وهذا التقلب الدائم هو الذي أوحى دوغما شكّ بأسطورة ميثا العالم وموالده المتعاقبة . وقد استفاد منها افلاطون نفسه في حوارى السيامى والتميس .

ولكن مها قربت منا الكوارث الطبيعية التي نجم عنها البحر المتوسط الحالي ، فهي اولا تسبق بكثير الاحداث التي سجلها التاريخ . ومهما اوغلت في الماضي اسفار الاخبار المصرية التي يقال إن صولن قد طالعا ، فهي دون ريب لم تأت على ذكر تلك الاحداث العريقة في القدم . وفضلا عن ذلك ففي التيميس والكريتيس وصف حضارة تختلف عن الحضارة الإغريقية ، وتاريخ دقيق لاصطدام وقع بين شعوب الأطلننيس وشعوب البحر المتوسط . والحال انه لم يشر احد قبل افلاطون ، على علمنا ، الى تلك الحضارة وذلك الاصطدام ، وما يتذكر باي من أشعار الاذسية لا يشير الى الأطلننيس ، (٦) بل الى أطلاس ابي كلبسو . ولا مقتطف واحد من كاتب سبق سقراط ، ولا نص واحد من أرسطو يلمح الى الأطلننيس . وثو فوستس يستشهد ببعض اقوال التيميس ويذكر بعض انحاقات مماثلة لاضمحلال الأطلننيس . غير انه لا يحكي عن روايات اقدم لقصة افلاطون . (٧) امّا هو وذنس (١٨٤ : ٤) فلا يعرف باسم

(٦) هومرس النشيد الثاني ، ش ٢٤٥ ؛ ثم النشيد الأول ، ش ٥٢ .

(٧) مقطوعة ١٢ رأي ٦٤٩٠

اطلأنته إلا اهل المقاطعات القريبة من جبل اطلأس . وهؤلاء سوف يدعوهم بَقْسِنْدِسُ نَسْمُونِي (١ : ٣٣ : ٥) ، وينسب اليهم ذِيوَدْرُسُ وجهاً كله من نسج الخيال (٣ : ٣٣) . فكل الاحتمالات توحي ان افلاطون استنبط قصة الأطلأنتيس مجدافيرها . وما من شيء يثبت عبقريته مثل اختيار اسم القصة الخيالية ، طبيعتها . ولم يكن في وسع افلاطون ان يضع بلده الامثل صوب المشرق ، حيث كان الرحل اذا ما اوغلوا في مجاهل آسيا يجدون باستمرار متاهات شاسعة لا تبدل من اليابسة . ولكن الاغريق حتى القرن الخامس ق . م . وبعده ، لم يكونوا قد حصلوا الا على معلومات مبهمه جداً عن الغرب . والبحر بعد عمد هو كئليس لبث لهم غير مفتوح . وهو وُدْس (١ : ١٠٣) يتكلم هو وصاحب كتاب جومانية (ف ١٧) عن الأطلأنتيس والأطلأسي وخضم أطلأس ، كلامه عن بحر مجهول . اذ كانوا يحسبون ان المرء لا يقدر على بلوغه ، إما الركود الرياح وإما بسبب اغوار ومستنقعات حالت دون ولوجه في اعتقادهم .

ومن ثمَّ آية بقعة انسب لقصد افلاطون ؟ هذا ، ونحن نلقى ان فثا دقيقا واحدا يتفجر في انتقاء تفاصيل من شأنها ان تسدل على القصة الخيالية ثبات الواقع . وبعض تعابير التيسيس كقيلة بان تبرهن لنا ان افلاطون قد طالع نصوصاً لهروودس متعلقة بمصر . ولكن هروودس همَّ خصوصا بباراز التباين بين ما درج عليه اليونان وبين عوائد المصريين المذهلة . أما افلاطون فهو يلتقط عند اليونان القدامى وعند معاصري صولن من اهل مصر اوجه تقارب من شأنها ان تفرض فكرة تلاحم قديم بين الشعبين . وقد اعتمد الفيلسوف في ذلك على ملاحظاته الشخصية (ر الشرائع ٧ : ٨١٩ : c-a) . وبهذه اللمسات الدقيقة التي ترتب الرواية من هنا وهناك ، يتخذ مجرى تلك الرواية كآلة نسق التاريخ ومجراه . وسيلأظ القاريء كم يتحفظ افلاطون ويحتاط لأمره ليثبت ويؤكد صحتها .

ومن هذا القبيل ، روايةُ اكرتيس برمتها، وهي في ذاتها رواية اخاذة ، فاعادة
ذكرها قديمة تتناقضها الاسرة ، فاستشهاد بشهادة صولن اكرتيس المشتريين ، ثم
استشهاد بشهادة كهان مصر ، وهم في رأي الجميع ودائع اجلّ التقاليد . فما من
روائي معاصر افتنّ افتنان افلاطون في استخدام وسائل الايجاء ، ليفرض على
العقول الساذجة قصة في ذاتها « لا تحتل التصديق » (٨)

(٨) ر اكرتيس المقدمة ، الفصل الخامس ؛ مشكلة مصادر الحوار .

الفصل الثالث

الله ونموذج العالم

١ - نموذج العالم

ولكن الالهة تتبدل فجأة في مطلع خطاب تيمثس. فيينا كنا نظير على اجنحة الحيال، اذا بنا امام اساليب علمية، هي اساليب اكثر العلوم جفافاً وافرهما تجريداً. وسوف يحافظ تيمثس على هذه الالهة المنهجية حتى نهاية خطابه. ما لم نستثن استطرادين وجيزين او ثلاثة.

فهو يفتح الكلام بتمييز عقلي، ليس سوى ترجيع لما ورد في «الجمهورية» و «السفستية». فيصرح أن العالم المنظور مصنوع حتماً تبعاً لنموذج. ومن الممكن تصور نموذجين متضادين: احدهما دائم الوجود فلا يصير ابداً، والآخر لا وجود له قط اذا تحررنا الضبط، فلا ينقطع عن الولادة (٢٧ d، ٢٨ c - a). وفعلاً من المبادئ العامة في المنهج الافلاطوني أنه لا بد من البحث لكل شيء عن مثال او نموذج على غرار صنع الشيء. ففي مقطع غريب من الجمهورية، يبرهن افلاطون عن واقعية «مثال العدل» بحتمية وجود نموذج للعدالة (١ : ٥ : ٤٧٢ c). لأن كل صانع اياً كان، ينسخ نسخاً ويعمل طبقاً لأصل. وعلى ما يبدو، ينتج بجلاء من النصوص المتعلقة بروح العالم، ان التمييز

بين النموذج والنسخة له، في التيمس، مجرد صفة منهجية . وفعلاً تظهر الماهيتان في تلك النصوص (٣٦ a) ، الماهية الدائمة الوجود « فلا تصير ابدأ ، والماهية التي لا تنقطع عن التحول ، لا ظهور نماذج ، بل ظهور مواد تدخل في تركيب روح العالم .

ولأول وهلة نرى أن النموذج الازلي ، الذي يبنى العالم على صورته ، هو واحد بالذات وعالم المثل . اما النموذج المتحول ، الذي ينحيه افلاطون ، فلا يمكن أن يكون سوى الصيرورة الحام والتبدل بلا رادع ولا قاعدة، أي «المادة». بيد أن هذه المطابقات الذاتية، التي يقبل بها المفسرون، ليست اكيدة على الاطلاق. فالنموذج الازلي - وسنرى ذلك فيما بعد (c d ٣٠) - هو في الواقع «الحي بذاته» الحاوي في كيانه صور كل الاحياء او ماهياتهم الازلية. انه ما سيُطلَق عليه فيما بعد اسم أفثنز و و و ن (الحي بذاته) ، اي نموذج للعالم يؤلفه منظومة ماهيات إزلية متكاملة الارتباط في ظل سنة « الخير » . ومثل تلك المنظومة هي شيء اسمى من مجموعة المثل او العالم المعقول .

اما النموذج المتحول فهل هو الصيرورة فقط ، لا اكثر ولا اقل ؟ ألا يكون بالاحرى هو ايضاً عالمًا ، مجموعة ، منظومة ، مها تشوش وتناقض تنظيمه ، ومها فرض ان ذلك التنظيم عابر لا استقرار فيه ؟ وعلاوة على ذلك ، فان التمييز الذي يميزه افلاطون (صفحة ٢٨ a) لا يطابق تمام المطابقة تميزه (صفحة ٣٥). اخيراً إن الأفثنز و و ن « الحي بذاته » يشمل لا روح العالم الكامل فقط ، بل جسم ذلك العالم ايضاً (١) . وهذا ما يشير اليه افلاطون في حديثه عن العناصر اذ لهذه ايضاً مثل .

(١) ابروكس ٣ ص ١٦٠٨ ديل . راجع ايضاً I. E ٢ ص ١٠٦ ، ١٠٤ ؛ I ، G ص ٨٠ ، ١١ ؛ I. A ٧١ ؛ ٨ ، ٢٣١ ؛ ٨ ، III ؛ ١٦ ، ٨ ، « ان الحي بذاته هو مله جماعة الاحياء العقليين » .

لا ريب انه يجب العُدول عن طلب الدقة الكاملة في نص الحوار . فافلاطون لم يتحراها فيه ، ولا وصلت اليها اجتهادات المجتهدين من بعده اكثر مما وصل اليها . ولا يغرنّ عن ذهننا ان المحاولات التي يحاولها افلاطون في هذا الحوار كانت تقريباً مطلع التفكير الميتافيزيقي - اللاهوتي . وقد دخل منذئذ في صراع مع معضلات عويصة : وجود صور ازلية لا تتحول ، وبواسطة هذه الصور تأليف نموذج مثالي لكل كمال ، وتأليف عالم يخضع للتحول ، وعلاقات هذه الصور بعقل اسمى واردة فائقة ، وصلات الكائن الازلي الذي لا يتبدل بالاشياء المتحولة . ذلك هو علم ماوراء الطبيعة وعلم اللاهوت الطبيعي كله . ان هذه المفاهيم المتشابهة كانت في جدها الاولى ، عندما شرع افلاطون في تأليف التيميستس .

٢ - وجود المثل والصور

ان لم يكن ثابتاً ان « الحى بذاته » هو عالم المثل عينه ، فهناك امر واضح منذ البداية . اذ إن التيمستس مبني برمته على فرضية الصور المثلى ، وقد يستحيل فهمه او يكاد ، اذا انقطعنا فترة عن قبول وجودها . هذا وان النصوص (القائلة بهذه الفرضية) متوفرة جداً . ويمكن للمرء ان يدهش من إعراض عدد كبير من المفسرين المعاصرين المجيدين عن التقيد بها ، او من اساءتهم فهمها . فنحن نقرأ في التيميستس أن الصانع ينظم العالم المنظور وعيناه تحديقان بالنموذج الامثل في عالم المثل . والحال أن التعابير التي تستخدم هنا لوصف النموذج وتعيينه ، هي حرفياً عين التعابير التي استعملها افلاطون في حوار فيثون لتحديد عالم المثل كحقيقة ثابتة ، بل يعنى ايضاً بأن يقدم لها دليلاً مقتضياً يتفق مع احد البراهين ، التي تلجأ اليها المدرسة الافلاطونية ، لإثبات وجود الكائنات غير المتحولة . وذلك الدليل هو الدليل المستمد من ضرورة العلم المطلق الكامل : فان لم توجد صور

أزلية ، فليس هناك ايضاً علم مطلق . واكثر من ذلك ليس هناك حتى ولا ظن يستحق الثقة . فلا يبقى سوى مزاعم قلقة خداعة : « لأن الاستدلال يمت بصلة الى الاشياء التي يفسرها » (a - c ٢٩) . فيصعب أن يؤكد المرء بصورة قاطعة اقوى من هذه ، وجود نظام علوي غير محسوس ، وكإل يفوق الاشياء الدنيوية . وفي النهاية يمكننا اعتبار التيميثس برمته تطبيقاً متواصلاً لنظرية الصور . ففي الحوار كله ، يجتهد افلاطون أن يبين كيف يتحقق الافضل ، قدر المستطاع بالرغم من العوائق الناجمة عن مقاومة الحتمية . وشرط تحقق الافضل هو فعلا وجود الصور ومثال الخير ونشاط مبدأ منظم وإله صالح خير .

ومع ذلك ، فنحن نجد نفس الصعوبة اذا استعنا بنصوص التيميثس لنكون في ذهننا صورة ناصعة عن نظرية المثل ، او إذا رمنا أن نعيد بناء هذه النظرية ، معتمدين في ذلك على معطيات الجمهورية أو السفستيني . وفي هذا الحوار أيضاً ، لن نعلم اين هي المثل ، ولا هل هي متميزة تميزاً مطلقاً عن الاشياء المحسوسة ومفارقة لها ، ولا بأية آلية تستطيع الاتصال بعضها ببعض ، او الاتصال بالاشياء الزائلة . ولن نستوضح بجلاء تام أو نعرف مسألة العلاقات القائمة بين عالم المثل « والحي بذاته » والله وروح العالم . فهذه الاوضاع المختلفة سوف تظهر لنا طبقاً للقرائن متميزة كل التميز ، أو اسماء مختلفة حقيقة علوية غير محسوسة فريدة واحدة بالذات . وإنما يكفي أن يهيمين الغير المتحول الكامل الأزلي على الاشياء الزائلة . وهذا ما يعتقد افلاطون حتى الصميم في غروب عمره .

ولكن إن حافظ على نظرية المثل ، أفلا يدخل عليها اصلاحات تبدل معناها ؟ في الحقيقة إن طرأ على التيميثس مثل هذه الاصلاحات ، لن يكون في وسعنا تقدير مداها بالضبط ، إلا على شرط ان نعرف بدقة ما كانت تعني نظرية المثل قبل هذا الحوار . فهل عدّ قطعاً افلاطون المثل حقائق واقعية ،

تتميز تميزاً تاماً عن الأشياء المحسوسة ، فتؤلف عالماً مفارقاً لا اتصال له بعالمنا ؟
أو بالعكس هل غرماً مروراً لا يشعر به من المثال الاسمي والأوفر ثباتاً ، الى
صور أدنى متسلسلة حاضرة في صميم الظواهر ؟ إن كلام التاويلين يُمكنه
ان يستشهد بنصوص تبدو جازمة .

ففي التيمثُّس نفسه ، وهو قصة ولوج المثال ولوجاً تدريجياً في التحول
والفوضى ، يؤكد في البدء انفصال العالمين ، عالم المثل وعالم المحسوس بقوة
مابعدهما قوة . فان مثال العالم لا يختلط لحظة واحدة ، مع النسخة الدائمة النقص
التي يحققها الصانع .

٣ — إله أفلاطون في التيمثُّس

إننا نلقى بشأن الصانع نفس المشكلة التي لقيناها بشأن المثل . ففي
(٢٨ a b) يؤكد افلاطون انه ، ماعدا النموذجين المُمكنين ، لا بد من
صانع قادر على أن يحقق احدهما . وأول ميزة في هذا الصانع كونه سبباً (٢٨
a - c) . ويحجم افلاطون في البدء عن تعريف هذا السبب تعريفاً أدق . ولكنه
يحسبه علةً عاملةً ، ونحن نقول فاعلة ، وقدرة عمل تتمكن من إحداث حركات .
وهذه بعينها ماتكون ميزة السببية المنسوبة الى الآلهة الثانوية ، المكلفة بتكوين
اجسام الاحياء (٤١ a - d) . بيد أن السببية التي يدور الحديث حولها في
الحوار ، ليست القدرة الخلاقة التي ينسبها اللاهوت الاسكندري واللاهوت
المسيحي الى الألوهة . فالصانع ونعماله يُبرزون صوراً جديدة . إلا أن هذه
الصور ينالونها بمزج عناصر سابقة الوجود ، مزجاً منسقاً . فلا يحدث الصانع
أو الآلهة الثانوية شيئاً إحداثاً مطلقاً ، لا على صعيد الوجود ولا على صعيد
الصور . لكن عملهم يُمارس على أشياء واقعية موجودة من قبل . ويقوم هذا

العمل على مزج تلك الاشياء فقط ، طبقاً لبعض قوانين الترتيب والجمال ، وعلى الاقتداء بنموذج سابق ، قد سبق فيما يبدو الآلهة انفسهم والعالم المحسوس .

لاغرو أن عمل الآلهة يبقى كبيراً ضمن هذه الحدود : فهم يقررون ويدبرون ويحددون . فالصانع هو الذي يعين حركة كرة الثوابت ليعمل منها حركة « ماهو عين ذاته » والمائل . وهو الذي يعين مصير الانواع المائتة ، وينظّم نسب الماهيات . لأنّ اختلاط هذه الماهيات ينشئ النفوس والاجسام . ولكنته لا يخلق شيئاً الا النظام والجمال طبقاً لنموذج ينسخه .

وقد يطيب لنا ان نستعيد قوام ما يدعوه الاسكندرّيون لاهوت افلاطون ، وأن نعيّن بالضبط موقع ذاك الصانع من الآلهة الآخرين وعالم المُشئل والنموذج الذي ينسخه ويقتدي به . إلا أن الصعوبات تتكاثر حالاً في وجهنا .

فقبل كل شيء نجد في التيسميّس عدة آلهة : الصانع نفسه ، وخدامه المنحدرين عنه ، وآلهة الكواكب الثابتة (a - b ٤٠) والأرض والكواكب السيارة (a ٣٨ ، d ٣٩) ، وأخيراً آلهة الاسطورة الشعبية (d - e ٤٠) التي يتحدث عنها افلاطون بتهكم يكاد يكون سافراً . فهل يفضل «ديانة» قوامها معطيات الفلك ؟ وهل يعتقد ولو قليلاً بالديانة التقليديّة ؟ أو هل ينبغي استبدال ديانة الشعب بضرب من الميتافيزيقا المجرّدة ، المصفّاة من كل عناصر الحس ؟ - ومن جهة أخرى ، ماهي علاقة كل تلك القوى الإلهية بعضها ببعض ، وعلاقتها بعالم المُشئل ؟ فلأول وهلة ، بما أن « الحلي بذاته » يحوي ضرورة نموذج كل الحقائق الواقعيّة ، ألا ينبغي ان يحوي في ذاته نموذجاً للألوهة نفسها ؟ وهل يكون هكذا نوعان من الآلهة ، نوع مثاليّ ومحسوس ؟ لا ينبئنا افلاطون عن ذلك في مكان ما من التيسميّس . ولكنته في مقطع غريب يميّز بين الآلهة المرئيّة ، أي الكواكب ، وبين الآلهة الذين يستطيعون عندما يطيب لهم ان يظهروا للعيان

مع انهم يلبثون في الغالب محتججين عن الأبصار . فهل يزدوج العالم هكذا ، فيكون هناك عالم تعمل فيه الآلهة المنظورة ، وعالم تسود فيه القوى غير المنظورة؟ إنه حلّ مستغرب يصعب علينا تصوّره . وإن كان الصانع لا يختلف عن مثال الخير وعالم المثل ، وإن لم يكن هناك إلهان أعليان الواحد فوق الآخر ، فهل يمكن أن يكون الصانع غير مثال الخير نفسه؟ وفي هذه الحال ، ألا يخرج المثال من عزلته الفائقة الحس ليتدخل في التحوّل بالذات في صورة الصانع؟ ان الشراح قد أفاضوا في معالجة هذه المشاكل . فبينما يدمج أغلبهم لاسيما اتسيلر Zeller الصانع بمثال الخير ، يؤكّد غيرهم وايرتوشار Brochard في طليعتهم أنّ الصانع هو نفسه بلاريب مر كُتب من المثل ، وأنه من ثم لا يعود الى مثال الخير ، وأن النموذج يبقى دوماً متميزاً عن الواقع الذي يصوغه الصانع على شبهه . هذا ، ويستحيل في الحقيقة ان يستخلص المرء من النصوص حلاًّ متمسكاً ففي مواضع كثيرة ، لا يتميّر الصانع إلا بصعوبة عن مثال الخير . وفي مواضع أخرى ، يبدو مثال الخير أسمى من الله نفسه ، الذي لا ينقطع عن تأمله وعن الاقتداء به في أفعاله .

وفي التيميستس لا ينفكّ أفلاطون يلبجّ في الكلام عن الصلاح الإلهي (٢٩ c) . فهذا الصلاح وحده يسمح لنا أن نفقه أفعال العلّة الاولى . وهذا الصلاح يتجلى في تنسيق اجزاء العالم تنسيقاً منسجماً . وهو الذي يفسر لنا الدراية العجيبة السابقة ، البادية في كلّ صنائع الطبيعة بلا استثناء . وما من موضوع في التيميستس يطرق اكثر من هذا الموضوع ، إن ألحّ افلاطون منذ البدء على اهمية التربية (٤٤ c) ، أو لمتع في كل سانحة ، وهو يدرس بنية الجسم البشري ، الى ضرورة إدخال العلل الغائيّة في تحليل الامور (٤٤ d ، ٤٥ cde ، ٦٨ c ، ٦٩ a-c ، ٨٧ a-d) . ولكنه لا يعبر في مكان ما بأوضاع دقيقة ، عن

علاقات الصانع بعالم المثل . وإنما يقول لنا مرة واحدة ان الصانع « يعود الى راحته المألوفة » بعد انتاج روح العالم وتوزيع المهمات على الآلهة الادين ، وإعداده لهم الخلائط التي يستعملونها (٤٢ e) . فهل نفهم من هذا القول أن مثال الخير خرج برهه ، في مبادئ الامور ، من العالم العقلي في هيئة المبدع ، وانه عاد وولج ذلك العالم دون ان يبرحه فيما بعد ؟ يبدو ان افلاطون قد احجم في كل مؤلفاته عن الجهد اللازم لصوغ علم لاهوت عقائدي والربط بين حقائقه ربطاً محكماً . ولكن ليس من الأكيد في النهاية ان هذه الميتافيزيقا قد اثارت اهتمامه بصورة خاصة . فتناحه الفكري برمته تسوده رغبة متواصلة في التطبيقات والاخلاق والسياسة وامور الطب تشغل باله اكثر من علم اللاهوت . فلا يطلب افلاطون من علم ما وراء الطبيعة سوى امر واحد ، وهو شيء من روح الثقة بالعقل والخير ، وشيء من الاستعداد الفكري للتفاؤل المنهجي الرصين . وعزمه على ان يوفّر لنا انطباعات ، هو اوفر من عزمه على أن يفرض علينا عقائد . وفنه يشيد لنا في ضباب باهر ، أشكالاً هندسية متحوّلة ، ليعود بنا في حزم ، بفضل الذهول الذي يلقيه علينا هذا المشهد ، الى المهام الانسانية التي تؤمن مصيرنا في هذه الدنيا .

الفصل الرابع

رُوحَ العَالَمِ

١ - موقع روح العالم .

إن « روح العالم » ، أوّلَ وأقدمَ إنتاجِ الصانع ، هي أيضاً إلهية . ولكن ما هي منزلتها الخاصة من الآله الذي ركبها ؟ فهل هي وهو ضمناً واحداً ، كما أكدّ ذلك كتاب كثيرون ؟ أو هي خاضعة له ؟ وهل تأتي بعده في مراتب الماهيات ، كما قد يأتي هو نفسه بعد مثال الخير ؟

إن تعليم التيمميس لا ينطوي على علم لاهوت مسبوك متكامل . ومن ثمّ فهو قابل أن يُفسر طبقاً لاستعداد كل شارح ، على أنه ضرب من نظرية الانبثاق ، أو صنف من عقيدة الخلق غامضة بعددٍ وغير واضح المعالم . ويبدو بجلاء أن إجهادات مختلفة قد تقاطعت في فكر افلاطون ، دون أن يعرف أو يريد أن يتخذ منها موقفاً صريحاً .

« فروح العالم » تبرز أولاً في التيمميس كمبدأ حركات الكون المنتظمة (٣٤ c) . والروح في نظر افلاطون هي فعلاً سبب الحياة العام . وتتجلى الحياة دوماً في حركات موجبة بانتظام الى غاية معينة . وبفضل « روح العالم »

يحصل المرور من الاعتبارات النظرية الى وصف الحقيقة الحسية وصفاً واقعيّاً .
وروح العالم سوف يتشوّش أمرها فتسمي هي والسما ، أوّل وأوسع شيء مرئي ،
أمراً واحداً . وهكذا يجتاز أفلاطون مباشرة من علم اللاهوت الى علم الفلك
والفيزياء .

وهنا ثلاثة امور ذات بال تستوعبي انتباهنا فوراً : أولاً يفرض علينا
اعتبار الخير والغائية قبول وحدة الكون (٣٠ d ، ٣١ a) . فوحدة
العالم المحسوس تستخلص طبعاً من وحدة النموذج الضرورية (٣١ a-b) . ولما
كان العالم المحسوس واحداً ، على غرار نموذج ، وجب أن يشمل هذا العالم
المحسوس كل الاجسام ، ومن ثم لا يبقى خارجاً عنه شيء على الاطلاق (٣١
b ، ٣٣ a) . والعالم لم يقع ، طبقاً لقول الذريتين والبيثغوريين ، في فراغ
لا نهاية له ، ولا في وسط يتغذى هو على حسابه . إنه كافٍ لذاته ، وليس له
أعضاء اذ لا حاجة له ان يتصل بشيء آخر سواه (٣٣ cd) . إنه كروي
وكرويته تتجم عن كون الشكل المستدير أبهى الاشكال طراً . وهذا الشكل
أبهى الأشكال ، لانه يشمل أوفر قسط من الوجود في أقل حجم . فأفلاطون
يطبق هكذا « مبدأ الاقتصاد في الوسائل » ، وهو المبدأ الذي سيسيطر فيما بعد
على فلسفة لايبنتز .

ثانياً إن العالم يتحرك وهو بسبب شكله يتحرك في إطار دائرة (٣٤ a) .
ولكن إن كانت روح العالم هي عين الكرة السهوية ، فلا بد أن تتصفو روح
العالم على جسمه : إذن يجب ان تغشاه من كل جانب نظير قبة السماء (٣٤ b) .
أخيراً إن الروح ، مبدأ الحياة ، تسبق حتماً في الكرامة الجسم الذي تحمي .
فقد كانت اذن قبله ، قبل الارض والكواكب . ولا يتوسع أفلاطون قليلاً

في كلامه عن العناصر (٣١ ، ٣٣) الاتمهداً لادخال عرضه بشأن بنية روح العالم .

ولكن ان كان كل هذا العرض واضحاً ، فشكل المقطع بأكملة مذهل . فهو من جهة مليء بتفاصيل لها في نظر أفلاطون أهمية علمية كبرى ، لأنه يعرض علينا كل نظرياته الفلكية بدقة ممتازة ومعطيات عديدة مدروسة باتقان ، يولها في صراحة قدرأ كبيراً . ومن جهة اخرى نرى أفلاطون يجلب كل توسعه في الموضوع بوشاح رمزي اسطوري لا يسهم البتة في زيادة التوسع جلاء . فما المراد من تلك الجام حيث يتم المزج ، ومن تلك الماهيات التي يؤلف الصانع بينها ، ومن تلك التقاسيم العويصة المتشابكة ؟ فلا يستطيع المرء ان يفسر كل هذا الا بصورة واحدة . لا ريب ان افلاطون يعتبر ضرباً من المحال كل تعليل علمي قاطع لنشأة الكون ، او فرضية يمكنها ان تفسر كيف جرت الامور في الواقع . ومع ذلك فالتيميئس يسترسل في اطار تعليل من هذا النوع . فلا بد اذن من اختيار صور قوية الاتجاه ، تبدي الترتيب الذي جرت الامور عليه في الظاهر . ولكن لا ريب ان ليس لتلك الصور سوى أهمية ثانوية . اذ يجهد أفلاطون كل جهده ليفرض علينا اعتقاداً وهو ان الفلك قد نُظِّم بناء على معادلات رياضية محددة بالضبط . وهو من ثم يدأب مجذوق غريب في تعيين تلك المعادلات وبلغ في ذلك . وسوف يلاحظ القارئ كيف يستعمل افلاطون ، في مطلع بحثه هذا ، براهين يستمدتها من الفلاسفة الايليايين ويجورها بعض التحوير .

٢ — عناصر تركيب « روح العالم »

إن روح العالم (وبالتالي الكرة السماوية والمبدأ الذي يحركها) تتوكل من ماهيتين : ماهية لا تتجزأ وهي عين ذاتها ابدأ ، و ماهية متجزئة جسمانية . أما

خط هاتين الماهيتين فهو بلا ريب صعب ، لا كما قد يتوقع المرء ، لأن الكائين غير المنقسم لا يقبل الدخول في خليط ، ولكن بسبب وجود الماهية الجسمانية (٣٥ a) . وقد اتخذ الصانع هاتين الماهيتين وركب منها ماهية ثالثة ، تحوي في آن واحد عناصر متجزئة وعناصر غير قابلة للتجزئة . ثم عاد وخط معا هذه الماهيات الثلاث وألف منها ماهية رابعة سوف يستخدمها في بنيانه . وهذه العملية المزدوجة غايتها الرمز الى كمال الخليط ، وقد جعل متداخلا أقصى التداخل

فقبل كل شيء ، يبدو من الصعب توحيد الماهيتين الاوليَّتين توحيداً ذاتياً . فالأولى ، اي الماهية غير المتجزئة المتصرفه دوماً حسب معادلات هي دوماً عين ذاتها ، أليست هي الماهية غير المتحوّلة ، تلك الماهية بالذات التي تؤلف ، كما رأينا اعلاه ، طبيعة النموذج المثالي ؟ ومن ثمة أليست عالم المثل بالذات ، ومجموعة الصور الازلية ؟ فهذا التفسير هو تفسير كل الشراح . يبدو انه لا يخلو من صعوبات خطيرة . اذ كيف يمكن ان يسمي ذاك العالم العقلي جزءاً صميماً من خليط دون أن يفقد خواصه ؟

ثم ماهي ماهية الأجسام المنقسمة ؟ فالمفردات التي يستعملها افلاطون ليين مزاياها ، ليست نفس المفردات التي عمد اليها في تحديد النموذج المتغير الذي تحول عنه الصانع حينما شرع في تصوير العالم . وفضلا عن ذلك ، عندما بدأ تركيب روح العالم ، لم يكن بعد من جسم . وفي كل ما يعقب ذلك الموضع من الحوار ، لن يثار من بعد أمر تلك الماهية المتجزئة . وهذا ماسوف نتحققه في فيجصنا نظرية الحل . وهكذا فنمذ هنية بدا لنا افلاطون وكأنه يسمو بنا الى صعيد التسامي ، وها هو الآن يفسح مجالاً لنظرية (التداخل) او (المحايثة) في تنازلات تبدل كل هندسة بنيانه وتخل بها . لأن العالم المحسوس

لم يعد يبدو لنا نسخة عن العالم العقلي ، إذ إن الصورة تنحدر هي نفسها الى المادة لتنظمها بفعل مباشر .

ولكن ما يفيدنا أن نفرض على افلاطون في هذه المسائل الشاقة دقة مستحيلة ؟ فهل ابتغى أمراً آخر غير غرس اتجاه غامض ، ولكنه أكيد لا يقاوم ، بأن الاشياء نظمت تدريجياً بتأثير الصور ؟ وأياً كان اسلوب ذلك الفعل ، ومهما خفيت سبل سيره ، فنحن نعاين في وضوح نتائجه الظاهرة : انسجام العالم ، وانتظام الكواكب في الفلك ، ومجرى حرارتها المنتظمة الثابت . فنحن نجوز من علم الطبيعة الى نشأة الكون . واعتبارات افلاطون بصددها ليست اعتباطية خيالية ، شأنها عند الإيونيين ، ولكنها علمية وضعية ، مبنية على البرهان الرياضي والملاحظة .

٣ - تركيب روح العالم

وبالتالي إن كانت المقدمات مبهمه ، فما تعدله من توسع سيكون في منتهى الدقة . ولا يعني هذا أن كل شيء في هذا التوسع واضح . اذ حالاً بعد افلاطون ، لقي تلاميذه الاولون صعوبات جمة في فهمه . ولا يحصى ما عرض لهذا التوسع من تفاسير في الزمن القديم . وقد كتب فيه آذرستس واكليمونخس الصولي واكرانتير وايفدئ كسوس وإرستثينيس وثوديرس الأسكاني واثراسلئس وابلوترخس وغيرهم كثيرون . ولكن التفسيرات ما عتمت أن افسدتها تاويلات المتصوفة النظرية . فتناسوا الحقائق الرياضية والفلكية ، التي أراد افلاطون أن يعبر عنها . وقد اقلقت أحلام الاسكندرانيين والبنغوريين المحدثين معاصرنا ، فاضطربوا وارتبكوا . بحيث اضطربوا أن يبلغ عهد آ. بينغ لنعثر على شرح مقبول لنصوص الحوار . وابتدأت دراسات بينغ منذ ١٨٠٧ ، وجلت لحسن الحظ

معظم الصعوبات ، فلم يزد الشراح خلفاؤه ، نظير مرتان واقتسارٌ ودُّبوي وأرشد هاند وافر كارولي ، شيئاً هاماً يُذكر على ما استخلص بينخ^(١) .

ان الخليط النهائي الذي تخيَّله أفلاطون تؤلفه ثلاثة جواهر يمكن تسميتها CBA وتعادل $C \frac{A}{4} + \frac{B}{4}$. ولكن حتى بعد هذا الخلط المضاعف ، وغايته البلوغ الى انصهار العناصر الاساسية اقوى انصهار يمكن ، تلبث نسبة العنصر غير المتحوّل أوفر في جزءه المركّب القريب الى سطح الكرة (٣٧ bc) .
وبعد ان أنجز الخليط ، قسّم الصانع تركيبة الى سبعة اقسام تتناسب بينها كأعداد متواليتين هندسيتين ، احدهما أساسها اثناث (١ ، ٢ ، ٤ ، ٨) ، والأخرى أساسها ثلاثة (١ ، ٣ ، ٩ ، ٢٧) . ومن هاتين المتواليتين أَلّف الصانع متواليةً واحدةً ، قلب فيها افلاطون ، لسبب لم يُشر اليه ، ترتيب عددين (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٩ ، ٨ ، ٢٧) .
ويعبّر افلاطون عن هذه الاحداث ، بقوله ان النسب في هذه المتوالية الاخيرة تردُّ كما يلي : العدد الثاني (٢) ضعف الاول (١) ، والثالث (٣) اكبر من الاول ثلاث مرات ، واكبر من الثاني مرة ونصف . والرابع (٤) ضعف الثاني (٢) . والخامس (٩) اكبر من الثالث (٣) ثلاث مرات . والسادس (٨) ضعف الرابع (٤) . والسابع والاخير (٢٧) هو ثلاث أضعاف الخامس (٩) .
ثم عمد الصانع الى « ملء » المجالات بين الاعداد وأنجز هذا الملء باستخدام واسطتين . ويسمّون (*mésotis*) واسطة بلغة الرياضيات اليونانية : إما سلسلة ثلاثة أعداد تؤلف متواليةً متصلةً (*analogia sinékhis*) وإما العدد الوسيط الجامع طرفي المتوالية .

A.Boeckh, Kleine Schriften, 3.1866, p. 115 et sq.

ويعرف افلاطون أصنافاً ثلاثة مختلفة من الوسائط : الواسطة الحسابية والواسطة المنسجمة والواسطة الهندسية . ولا يعنى في نصنا إلا بالأولين . فالواسطة الحسابية هي واسطة يتجاوز فيها العدد الوسيط العدد الاول بكمية تعادل الكمية التي يفوقه بها العدد الثالث ، بحيث يكون الوسيط معادلاً لنصف مجموع الطرفين . ومتوالية ٢،٣،٤ هي متوالية من هذا النوع ، فيها الثلاثة تساوي $\frac{٤+٢}{٢}$. وفي الواسطة المنسجمة ، يفوق الوسيط الطرف الاول بكسر من هذا الطرف يعادل ما يفوقه به الطرف الثاني من كسر (٣٦ a) . مثال ذلك المتوالية ٣،٤،٦ . فلدينا $٣ + ٣ = ٦$ ، و $\frac{٦}{٣} + ٤ = ٦$ ، وتعبيرنا الحاضر ، الوسيط المنسجم x بين a و b تظهره العبارات التالية .

$$\frac{ba}{b+a} = \frac{b+a}{b+a} = x \quad \text{أو} \quad \frac{a}{b} = \frac{a-x}{x+b}$$

ولكن افلاطون في تحديد المجال الفارق بين عددين متتابعين في واسطة ، سيعمد الى مفاهيم يستمدّها من الموسيقى لا من الحساب . والمجال تعينه فوارق واقعة لا بين أعداد ، بل بين أصوات تربطها بعضها ببعض علاقات موسيقية .

فلنقبل أن كل عدد من متواليتنا يقابل صوتاً معيناً (افئنفئس) من الدستور أي السلم الموسيقية . فنسمي بعداً (ذياستيا) مجموعة يؤلفها صوتان مختلفا العلو ، أو كما يقول إفكليدس : مختلفا الارتفاع والعمق (٢) . والحال

(٢) « البعد (ما يحق به) صوتان مختلفا الارتفاع والعمق » . هذه ترجمة نص

Cf. Artozène, Harm. Meybaum I,4,34 et saepe . افكليدس بالضبط !

(المعرب)

ان علم الانغام اليوناني لا ينظر كعلمنا الى عدد التمرجات الصوتية ، لوصف الاصوات الرفيعة أو العميقة . وفعلاً في النظرية الصوتية القديمة ، يقابل العدد الأكبر الصوت الأعمق ، وبتعبير آخر كان الدستور عندهم نازلاً (أي إنهم كانوا يشدون بأنغامهم هبوطاً من القرار الى الجواب) . والوتر الأعمق من القيثارة عندهم يدعى هباتي (hypati) والوتر الأعلى ^(٣) عندهم يدعى نيتي (niti) ، طبقاً لمنزلة الاوتار من آلات الطرب ^(٤) . وفي الدستور او السلم يتطلقون من الوتر الاعلى (او الصوت الاعمق) الى الوتر الاسفل (أو الصوت الأرفع) ^(٥) ويسمّون بعداً المجموعة التي تؤلفها الاصوات نفسها (أوري hori) أي الحدود . والمعادلة الرياضية الرابطة بين الأصوات تدعى لوغس 'logos أي علاقة .

وواضح أن صوتين متماثلين تماماً لا يستطيعان أن يُحددا بعداً ، وأن في بعد واحد توجد دوماً معادلتان . ففي البعد ١ : ٢ مثلاً معادلتان ١ : ٢ و ٢ : ١

(٣) ان كلمة هباتي اليونانية تعني الوتر الاعلى ، وكلمة نيتي تعني الوتر الاسفل ورفو يظيء في قوله « الوتر الاعلى » . وكان اخرى به لحفظ المقارنة بين الوترين ان يقول « الارفع » ، لان الوتر الاعلى هباتي يعطي الصوت الاعمق ، والوتر الاسفل نيتي يعطي الصوت الأرفع . وهذا ما يقوله ويدلل به هو نفسه . ولكنه خلط في قوله بين الوتر والصوت فتشوش عليه الامر . (المعرب)

(٤) Pseudo - Aristote . Problem . 23 . 919 b, I et sq . 42, 921 b, 24 .

Aristoxène . Harm . II . 34 . 3 .

(٥) ارسطو ، ماوراء الطبيعة ، ١٠ ، ٨ ، ١٠ ، ٥٧ ، ٢٢ : « نظير المرء اذا هبط من الاعلى الى الاسفل وبلغ الصوت الاضال ، فهو يرقب ذلك بالاصوات الواقعة في الوسط » . ويبدو ان عبارات ابرولغس وهبولغس وهوتنن لم تعد مستعملة في عهد ارسطو كستس . cf . L. Laloy . Aristoxène de Tarante et la Musique de l'anti-
quité . Paris . 1904 .

وهاتان العلاقتان متباينتان ابدأً . فالكبرى (٢ : ١) تُسمى اَبْرُوْلُوْغُسُ ،
(prologos) السابقة . والصغرى تسمى هِيْبُولُوْغُسُ (hypologos)
اللاحقة .

وكل هذا الضرب من التعبير مأنوس لدى افلاطون كما يثبت ذلك ، فضلاً
عن نص التِيْمِيْسُسُ مقاطع مختلفة من الجمهورية وحواري فيلِفُسُ ولاخِيْسُ .
فهو يتكلم في الفيلِفُسُ عن عناصر الصوت الثلاثة ، العمق والارتفاع
والتساوي (homotonon) ، وعن الأبعاد (ذِيَّاسِيْمَتَا) ، وعن
الاصوات المنشئة لتلك الابعاد ، وعن الانغام أو الالحان الصادرة عنها . وكلمة
هِيْبُولُوْغُسُ توجد في الاخيس (b ١٨٩) . وقد استعملها افلاطون في تورية
تتضمن تحديد هذا الوضع الموسيقي . وأخيراً في الجمهورية (٤ : ٤٣٣ d)
يذكر افلاطون الاوتار الرئيسية الثلاثة من السلم الثمانية الاوتار . فهذه الوضاع
الموسيقية كانت دارجة في زمن افلاطون . ونحن نجدها مستعملة في المقطوعة
السادسة من الفيلُولُوْغُسُ .

ومشكلة تنسيق الانغام تقوم ، حسب المقطع الأخير من الجمهورية ، على
توحيد « الابعاد » ، أو على « مَلْسِيْهَا » بأعداد أخرى تمت الى الأولى بعلاقات
معينة . وهذه العملية تدعى « التنسيق » (أَرْمُوْتِنُ armotiae) . وهذه
الكلمة يُعثر عليها دوماً في الحوارات . ونتيجة هذه العملية هي تساوق الاصوات
(السِيْمْفُونِيَّة) في الابعاد ، او تناغمها واتفاقها . ولكن اختيار الاعداد التي
تحدد الابعاد ، او تملؤها ، لا يقوم البتة على ملاحظة الاحداث الموسيقية . فأفلاطون
يعمد فوراً في الظاهر الى براهين ذات صبغة رياضية محضة .

فلنطبق هذه التعاريف على المتواليات المشار اليها في التِيْمِيْسُسُ . اننا
نجد ستة أبعاد واثنتي عشرة معادلة أو (لُوْغِي) :

$$1 : 2 - 2 : 3 \text{ و } 1 : 2 - 3 : 3 \text{ و } 2 : 3 - 4 : 4 \text{ و } 3 : 4 - 9 : 9$$

$$. 8 : 27 \text{ و } 9 : 8 - 8 : 9 \text{ و } 8 : 27 - 27 : 8$$

وهذه المعادلات قد تتخذ ثلاثة أشكال متغايرة :

أولاً - يمكن ان تكون العلاقة الكبرى مضاعف الصغرى بالضبط
(علاقة علماء الانغام المضاعفة لثوغس بثلبلا سيئس) رَ الجمهورية

$$. 534 : 7 \text{ مثلاً } . \left(\frac{1}{2}\right)^2 = \frac{2}{1}$$

ثانياً - العلاقة الكبرى إذا قيست بالصغرى تساوي الوحدة مضافاً إليها
قسم مضبوط من الوحدة . مثلاً :

$$. \frac{1}{8} + 1 = \frac{9}{8} , \frac{1}{3} + 1 = \frac{4}{3} , \frac{1}{2} + 1 = \frac{3}{2}$$

وأفلاطون لا يتوقف على الحالة الثالثة الممكنة : وهي أن العدد الاكبر
إذا قيس بالاصغر يساوي الوحدة مضافاً إليها قسم غير مضبوط منها . وفي كل

حساباته ، لا يعتمد إلاّ الى علاقات الصنف الثاني الثالث . الاولى $\left(\frac{1}{2} + 1\right)$

يسمىها علاقة نصفيّة (لثوغس هيمووليس وفي اللاتينية

ratio sesquialtera) ، والثانية $\left(\frac{1}{3} + 1\right)$ يدعواها علاقة ثلثيّة (لثوغس

إبيثورتيس . ratio sesquitercia) ، والثالثة $\left(\frac{1}{8} + 1\right)$ هي العلاقة الثمنيّة

(لثوغس إبيوغندوؤس ratio sesquioctava) . فالوضعان الأوّلان

هيموثوليس واثيترتس ، نلقاهما الاول في حوار فذئن (a ١٠٥) وحوار
ثييتس (c ١٥٤) والثاني في الجمهورية (٨ : ٥٤٦ c)^(٦).

ولا يعبا الموسيقيون اليونان عملياً إلا بالبعد الاول ٢ : ١ من الابعاد
الستة الممكنة . وهذا البعد هو المضاعف . وقد سُمِّي إجمالاً في عهد أفلاطون
تناماً او انسجاماً وتناسقاً (هَرْمُتِيَا) . وقد شرعوا أيضاً من ذلك الحين يطلقون
عليه اسم « خِلال الجميع » (ذِيْبَصُون) (أي جميع الاصوات) ،
لأنه يؤخذ بلامسة جميع أوتار « الثمانية الاوتار » . و « مَلْءُ » البعد في نظر
الموسيقي يعني إقحام اصوات بين الصوت العميق والصوت الرفيع ، تتصل بهذين
الاخيرين بناء على علاقات بسيطة . وهذا الإقحام يجب أن يتم على وجه لا يعود
المرء معه يلاحظ البعد الجديد القائم بين صوتين متتابعين إضافيين . فيقسم البعد
هكذا الى أقساط متباعدة ، يدعواها افلاطون تساوقات (سِمْفُونِيَّة)^(٧) وهناك تقابل
أو تجاوب بين الأصوات والاعداد . ولكن ماهو صنف ذاك التجاوب ؟ لا يدور
الامر ، كما رأينا ، على عدد التموجات الصوتية . بل يدور إما على طول الاوتار
او غلظتها ، وإما على مساحة الآلات المعدنية وثقلها عندما ترتن تحت المهياج ،
إذا نظر المرء الى آلات طرب غير الثمانية الاوتار . ومثل هذه الاعتبارات قديمة
جداً . وهذا ما تثبته لنا القصة المروية لنا عن هيبسوس الميتونتي^(٨) .

هذا ، وان البعد « خِلال الجميع » يمكن ان يُمدَّ بأواسطتين : الاولى
منسجمة والثانية حساسية . فنحصل هكذا على الجملة :

(٦) رَفِي هذه الاوضاع ، لا كَوَا ، ك . م . معجم أرسنوكسينس .

(٧) الجمهورية ٤ : ٤٣٠ e والفيلسوف ١٧ c و ٢٥ d والشمس ٨٠ a .

(٨) Théon de Smirne , 106 , p. 59, 4 Hiller, Diels. Vors. 31.

39. Laloy. o. c. p. 49 - 50 .

$$2 : \frac{1}{2} + 1 : \frac{1}{3} + 1 : 1$$

ويمكن على الطريقة نفسها ان نملأ البعد ٣ : ١ بالواسطة الحسابية ٢ ،

وبالواسطة المنسجمة $\frac{3}{2}$ أو $1 + \frac{1}{2}$. ويقال ان البعد الاكبر ثلاث مرات

قد ملئ بفضل بعد مضاعف ، زيدت عليه علاقة نصفية . ومجموعة الأصوات المعبرة عنها الجملة :

$$\frac{1}{2} + 1 : \frac{1}{3} + 1$$

تؤلف هي أيضاً بعداً جديداً تملؤه هو أيضاً واسطتان الواحدة منسجمة

والاخرى حسابية فنحصل هكذا على بعد آخر $\frac{9}{8}$ هو العلاقة الثمانية او الصوت :

$$\frac{1}{2} + 1 : \frac{1}{3} + 1$$

والصوت نفسه ينقسم الى شطرين متفاوتين اكبرهما يسمى القطعة

والاصغر يسمى الراسب (Limma ليماً) . وعبارة القطعة (Apotomi أبتمي)

لانجدها إلا في التيمثس اللوكري (d ٩٧) . غير أننا نجد في حوار

أكرتيس (a ١١٨) كلمة مقطوع (Apotomos أبوتومس) . ويستعمل

التيمثس نفسه كلمة (ليما) ليدل على راسب من الرواسب (a ٧٦) .

٤ — تأليف السلسلة

سوف يعمد افلاطون إذن الى « ملء » أبعاد السلسلة الأولية :

$$27 : 8 : 9 : 4 : 3 : 2 : 1$$

على وجهٍ يلقى معه الابعاد الموسيقية وأقسامها .

فلتأمل تباعاً الواسطة المنسجمة (أو الهرمونية) ثم الواسطة الحسابية .
وانتأملهما في كلٍّ من سلسلتي الأعداد المضاعفة المزدوجة او الثلاثية التي تتألف منها
السلسلة الكاملة .

(١) - الواسطة الهرمونية أو المنسجمة

سلسلة الاعداد المضاعفة المزدوجة :

$$\bullet \frac{1}{3} + 0 = \frac{16}{3} \quad 8 : 4 \quad \frac{1}{3} + 2 = \frac{8}{3} \quad 4 : 2 \quad \frac{1}{3} + 1 = \frac{4}{3} \quad 2 : 1$$

سلسلة الأعداد المضاعفة الثلاثية :

$$\frac{1}{2} + 13 = \frac{27}{2} \quad 27 : 9 \quad \frac{1}{2} + 4 = \frac{9}{2} \quad 9 : 3 \quad \frac{1}{2} + 1 = \frac{3}{2} \quad 3 : 1$$

(٢) - الواسطة الحسابية :

سلسلة الأعداد المضاعفة المزدوجة :

$$\bullet 6 \quad 8 : 4 \quad 3 \quad 4 : 2 \quad \frac{1}{2} + 1 = \frac{3}{2} \quad 2 : 1$$

سلسلة الأعداد المضاعفة الثلاثية :

$$\bullet 18 \quad 27 : 9 \quad 6 \quad 9 : 3 \quad 2 \quad 3 : 1$$

ومنها تتألف السلسلتان التاليتان :

$$8 \quad 6 \quad \frac{16}{3} \quad 4 \quad 3 \quad \frac{8}{3} \quad 2 \quad \frac{3}{2} \quad \frac{4}{3} \quad 1$$

$$\text{ثم } 27 \ 18 \ \frac{27}{2} \ 9 \ 6 \ \frac{9}{2} \ 3 \ 2 \ \frac{3}{2} \ 1$$

أو على وجه أبسط :

$$8 \ 6 \ \frac{1}{3} \ 5 \ 4 \ 3 \ \frac{2}{3} \ 2 \ 2 \ \frac{1}{2} \ 1 \ \frac{1}{3} \ 1$$

$$\text{ثم } 27 \ 18 \ \frac{1}{2} \ 13 \ 9 \ 6 \ \frac{1}{2} \ 4 \ 3 \ 2 \ \frac{1}{2} \ 1 \ 1$$

ويلاحظ أن العلاقة في اضطراب الأضعاف بين المعدل المنسجم والمعدل

الحسابي هو دوماً $\frac{9}{8}$ ($\frac{3}{2}$ هي $\frac{9}{8}$ العدد $\frac{4}{3}$ ، 6 هي $\frac{9}{8}$ العدد $\frac{16}{3}$ وهكذا)

فيتمكن المرء إذن من ملء كل الأبعاد بأرقام عددين جديدين بين كل عدد من كلا الاضطرابين والمعدل المنسجم أو الحسابي . بحيث تغدو علاقة كل من العددين الجديدين الى العدد السابق $\frac{9}{8}$. فيحصل المرء عندئذ في سلسلة

الاضعاف المزدوجة على المعادلات التالية :

$$\cdot \ 4 \ \frac{243}{64} \ \frac{27}{8} \ 3 \ \frac{8}{3} \ \frac{81}{32} \ \frac{9}{4} \quad \cdot \ 2 \ \frac{243}{128} \ \frac{27}{16} \ \frac{3}{2} \ \frac{4}{3} \ \frac{81}{64} \ \frac{9}{8} \ 1$$

$$\cdot \ 16 \ \frac{243}{16} \ \frac{27}{2} \ 16 \ \frac{32}{3} \ \frac{81}{8} \ \frac{8}{9} \quad \cdot \ 8 \ \frac{243}{32} \ \frac{27}{4} \ 6 \ \frac{16}{3} \ \frac{81}{16} \ \frac{9}{2}$$

وفي سلسلة الاعداد المضاعفة الثلاثية على المعادلات التالية :

$$\begin{array}{r}
 1 \quad \frac{81}{8} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{9}{3} \quad \frac{3}{2} \\
 \frac{81}{3} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{9}{4} \quad \frac{3}{2} \quad \frac{3}{2} \\
 \frac{27}{9} \quad \frac{27}{8} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4} \\
 \frac{27}{9} \quad \frac{27}{8} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4} \\
 \frac{27}{9} \quad \frac{27}{8} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4} \\
 \frac{27}{9} \quad \frac{27}{8} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4} \quad \frac{27}{4}
 \end{array}$$

ولكن هذه الأعداد الكسرية لا يسهل انقيادها في العمليات الحسابية ،
 فيمكن لبناء سلاسلنا، استعمال طريقة قد عمد اليها اكثر انشُرُ وايفندُ كَسُسُ،
 وربما عرفها افلاطون^(٨) . إن المضاعف المشترك الاصغر لكل هذه الكسور هو
 ١٢٨ ، فإذا ضرب هذا العدد بثلاثة نحصل على العدد ٣٨٤ ، فنستطيع أن نستبدل
 به الوحدة . فيمسي اضطراد الاضعاف المزدوجة الاولي :

$$\begin{array}{l}
 3072 : 1036 : 768 : 384 \\
 \text{واضطراد الاضعاف الثلاثية يصير :} \\
 10368 : 3456 : 1152 : 384
 \end{array}$$

فاذا ملئت الابعاد، على الطريقة المتوّه اليها سابقاً ، نعثر في سلسلة الاضعاف
 المزدوجة من الوسطة المنسجمة الهرمونية على الأعداد التالية :

$$3072 : 2048 : 1036 : 1024 : 768 : 512 : 384$$

ونجد في سلسلة الاضعاف الثلاثية :

(٨) رَ التيمميس اللوكريي ٩٦ b .

٣٨٤ : ٥٧٦ : ١١٥٢ : ١٧٢٨ : ٣٤٥٦ : ٥١٨٤ : ١٠٣٦٨

ونحصل في سلسلة الأضعاف المزدوجة من الوسطة الحسابية على الأعداد

التالية :

٣٠٧٢ : ٢٣٠٤ : ١٥٣٦ : ١١٥٢ : ٧٦٨ : ٥٧٦ : ٣٨٤

وفي سلسلة الأضعاف الثلاثية نلاقي :

١٠٣٦٨ : ٦٩١٢ : ٣٤٥٦ : ٢٣٠٤ : ١١٥٢ : ٧٦٨ : ٣٨٤

على الوجه عينه يُملاً البعد من ١ الى ٢ ($1 + \frac{1}{3} + \frac{1}{3}$) ما أمكن

مكثوه بأعداد أو عوامل سلسلة الأضعاف المزدوجة :

٣٨٤ ، ٤٣٢ ، ٤٨٦ ، ٥١٢ ، ٥٧٦ ، ٧٢٩ ، ٧٦٨ .

ولكن صعوبة خاصة تعترضنا بشأن العاملين ٥١٢ و ٥٧٦ . فالفرق

بينها ٦٤ أي $\frac{٥١٢}{٨}$. والاله لم يستطع بناء على البعد $1 + \frac{1}{٨}$ ان يلاً تماماً

الأبعاد $1 + \frac{1}{٣}$

لنفرض البعد $1 + \frac{1}{٣}$ القائم بين ٣٨٤ و ٥١٢ (فعلاً $٥١٢ = ٣٨٤$)

$١٢٨ + ١٢٨$ ، و ١٢٨ تساوي $(\frac{٣٨٤}{٣})$. وثمن ٣٨٤ اي ٤٨ يعطينا $٤٨ + ٣٨٤$

أي ٤٣٢ ، وثمن ٤٣٢ يعطينا ٥٤ ، و $٤٣٢ + ٥٤ = ٤٨٦$. والحال أن

البعد بين ٤٨٦ والعامل التالي ٥١٢ ليس الا ٢٦ ، بينما ثمن ٤٨٦ هو ٦٠٧٥ .

فاذا جمعنا ٤٨٦ و ٧٥ و ٦٠ نحصل على عدد أقوى بما يجب ٧٥ ، ٥٤٦ . وهنا يتحاييل أفلاطون لرأب الصدع . إن علاقة ٤٨٦ بـ ٥١٢ هي علاقة ٨ بـ ٩ او ٢٤٣

$$ب ٢٥٦ أي إنها تساوي ١ + \frac{١٣}{٢٤٣} .$$

كذلك يملأ البعد بين ٥٧٦ و ٧٦٨ ببعدين ، أحدهما ١ + $\frac{١}{٨}$

والآخر هو بُعد إضافي أي راسب (ليماً) . فثمن ٥٧٦ هو ٧٢ ، ٥٧٦ ، ٧٢ = ٧٢ + ٦٤٨ ، و ثمن ٦٤٨ هو ٨١ و ٦٤٨ + ٨١ = ٧٢٩ ، فين ٧٢٩ و ٧٦٨ البعد أقل من

$$١ + \frac{١}{٨} \text{ فهو أيضاً } \frac{١٣}{٢٤٣} (٧٦٨ - ٧٢٩ = \frac{١٣}{٢٤٣} \text{ من } ٧٢٩) .$$

وتحوي اللائحة الكاملة التي نحصل هكذا عليها ٣٦ عاملاً :

- ١ - ٣٨٤ ، ٤٣٢ ، ٤٨٦ ، ٥١٢ ، ٥٧٦ ، ٦٤٨ ، ٧٢٩ ، ٧٦٨ .
- ٢ - ٧٦٨ ، ٨٦٤ ، ٩٧٢ ، ١٠٢٤ ، ١١٥٢ .
- ٣ - ١١٥٢ ، ١٢٩٦ ، ١٤٥٨ ، ١٥٣٦ .
- ٤ - ١٥٣٦ ، ١٧٢٨ ، ١٩٤٤ ، ٢٠٤٨ ، ٢١٨٧ ، ٢٣٠٤ ، ٢٥٩٢ .
- ٥ - ٢٩١٦ ، ٣٠٧٢ .
- ٦ - ٣٠٧٢ ، ٣٤٥٦ .
- ٧ - ٣٤٥٦ ، ٣٨٨٨ ، ٤٣٧٤ ، ٤٦٠٨ ، ٥١٨٤ ، ٥٨٣٢ ، ٦١٤٤ .
- ٨ - ٦٥٦١ ، ٦٩١٢ ، ٧٧٧٦ ، ٨٧٤٨ ، ٩٢١٦ ، ١٠٣٦٨ .
- ٩ - ١٠٣٦٨ ، ١٠٣٦٨ - ٢٧ .

فعندنا من ١ الى ٢ خمسة اصوات كاملة وراسبان :

الاصوات : ٣٨٤ - ٤٣٢ ، ٤٣٢ - ٤٨٦ ، ٤٨٦ - ٥١٢ ، ٥١٢ - ٥٧٦ ، ٥٧٦ -

٦٤٨ ، ٦٤٨ - ٧٢٩ .

الراسبان :

$$\frac{576}{648} \cdot \frac{512}{576} \cdot \frac{432}{486} \cdot \frac{384}{432}$$

$$\frac{648}{729} \cdot \frac{8}{9} \cdot \frac{486}{512} \cdot \frac{729}{768} \cdot \frac{512}{768}$$

وفي سلسلة ٢ الى ٣ عندنا أيضا ثلاثة اصوات وراسب ، وفي سلسلة ٣ الى ٤ صوتان وراسب ، وفي سلسلة ٤ الى ٨ اربعة اصوات وثلاثة رواسب وقطعة ، وفي سلسلة ٨ الى ٩ صوت واحد ، وفي سلسلة ٩ الى ٢٧ سبعة اصوات واربعة رواسب وقطعة .

وقد يلاحظ المرء مراراً أن السلسلة التي يستعملها افلاطون هي اطول بكثير من الدستور الموسيقي . ومن الاسترسالات السبعة (في اللانحة الكاملة) التي فصلناها منذ لحظة ، استرسال واحد فقط يُستعمل فعلا في الموسيقى . إنه البعد «خلال الجميع» بقسميه الرباعي والخمسي واصواته الخمسة وراسبيه . فهذا البعد يقابل فئتين مؤلفتين من ثمانية أوتار أو مجموعتين كل منهما أربعة أوتار . فهو يفرض من ثمة آلة ثمانية الأوتار تفصل مفاتيحها كما يلي :

	٣٨٤	الوتر الأسفل
	صوت ٨ : ٩	
القسم الخماسي	٤٣٢	الوتر الردف او المجاور الاسفل
	صوت ٨ : ٩	
	٤٨٦	الوتر الثالث
	راسب ٢٤٣ : ٢٥٦	
	٥١٢	الوتر المجاور الوسط
	صوت ٨ : ٩	

القسم الرباعي	}	صوت ٨ : ٩	٦٧٦ الوتر الوسط
		صوت ٨ : ٩	٦٤٨ وتر السبابة
		راسب ٢٤٣ : ٢٥٦	٧٤٩ الوتر المجاور الاعلى
			٧٦٨ الوتر الاعلى

بيد أن تناغم روح العالم أوسع بكثير . فهو يشمل كلّ الدساتير الموسيقية الممكنة ، ويسموا بما لا نهاية له على الانسجامات المحدودة التي تهزها آلاتنا الناقصة . إن البعد « خيال الجميع » أي العلاقة ٢ ١ تقي موسيقانا حقها . إلا أن التناسق أو التناغم السامويّ يبلغ البعد ٢٧ . وفي هذا الامر رمز مفرقه وبرهان قاطع أيضا على قدرة الأعداد العجيبة . ولا يكتفي أفلاطون بإبراز فضل علم الحساب (الذي عززته) مدرسته ، وذلك بإعطائنا مثلا يستوعب انتباهنا أكثر من أي مثل آخر ، بل بيدي لنا في الحين نفسه كيف يستولي العدد على الأشياء ، ويشيع في كل أرجائها النظام والاعتدال والجمال . وهذا الجمال خفيّ لا يراه الطغام ، وإنما الفيلسوف الضليع في الرياضيات والماهر في الحساب يعرف كيف يدركه .

وبين العناصر التي تتألف منها روح العالم ، وبالتالي القسم الخالد من روحنا ، العنصر الاجلّ والثابت وحده هو العدد . وعندما يُحدّد اكنسكُراتيس الروح ، ويقول إنها عدد متحرك ، فهو يلبث أمينا لروح تعاليم التيمستس .

هذا ، وإن قسماً على الأقل من المعلومات الرياضية والموسيقية ، التي يطيب لأفلاطون أن يتبسّط فيها في هذه النصوص ، كان بلا ريب جديداً عندما ألف التيمستس . وإذا قبلنا بصحة المقطوعة السادسة من كتابات فيلوكتوس ،

فعلم الأنغام هذا كان مأنوساً لدى فيلو لوس . وعلى كل حال ، من المرجح ان فيلو لوس لا يسبق عهد سقراط ، وان هذه النظريّات قد بسطت لأول مرة في الاوساط العلميّة المعاصرة لافلاطون .

ومها يكن من امر ، فنحن نشاهد في حوار التيميثس مبادئ ضرب من الاعتبارات النظرية قد نال حظوة طويلة . لأن النصوص المتعلقة بروح العالم ما برحت مدة قرون تثير تأملات الرياضيين والفلاسفة . فمن عهد الاسكندرانيين إلى عهد كبلو وعهد بويو Bouillaud لم يبطل ماهاجت في النفوس من اهتمام دائم . وحتى في أيامنا هذه ، لا يطالع المرء تلك النصوص دون تأثر عميق ، عندما يفكر بتلك الأحلام التي دغدغت بلا نهاية مخيلات اسلافنا . وسوف نلقاها في تفحصنا نظام التيميثس الفلكي .

الفصل الخامس

نظام افلاطون الفلكي

١ - الكرة السماوية

بعد تركيب روح العالم ، شرع الاله في بناء الكرة السماوية . ولهذا الغرض عمد إلى تركيب ماهو عين ذاته وما هو آخر ، وقسمها طبقاً للنسب التي درسناها الآن . ومن هذا التركيب - القابل ان يبدو شيئاً مثالياً محضاً - شرع يكون حقيقة منظورة واقعية ، الا وهي قبة السماء . وهكذا يعالج افلاطون على حدة ، بضرب من الخيال يذهل عقولنا العصرية ، النواميس الرياضية المشرفة على حركة الكواكب والكواكب بعينها . فهو يضطرنا ان نتأمل العلاقات غير المتحولة ، الخاضعة لقدرة العدد ، قبل ان نعرف الاجسام . وهذه العلاقات هي التي تتحكم بدوران الاجسام .

فجراًة افلاطون جراًة تفرض الاعجاب . وهي تعبر تعبيراً اقوى من أي كلام عن ثقة الفيلسوف باقتدار الصور المثالية الذي لا يغلب .

فمن خليط « ماهو عين ذاته وما هو آخر » الذي خلطه الصانع وقسمه طبقاً لسنن رياضية ، يؤلف شريطتين ويصاليها الواحدة فوق الاخرى ، مثل

قوائم حرف خي «X». وإحدى هاتين الشريطين وضعت حتماً من داخل ،
والأخرى من خارج، ثم ينجي هاتين الشريطين المصلبتين ، بحيث تتلاقى أطرافها
في نقطة مقابلة نقطة تقاطعها . وهذه العملية تعطي دائرتين متداخلتين الواحدة
خارجية والثانية داخلية .

وقد لاحظنا من قبل أن تركيب الخليط ليس متجانساً تجانساً مطلقاً .
ولذا يمكن الشريطة الخارجية ان تستمد من مشيئة الله حركة جوهر « ما هو
عين ذاته » ، وأن تستمد الشريطة الداخلية حركة جوهر « الآخر » . «دائرة
الآخر» تقسم الى ست دوائر متداخلة تقابل مدارات الكواكب السيارة .
والدائرة الخارجية ، دائرة « ما هو عين ذاته » لا تقبل تقسيماً ما .

٢ — أبعاد الكواكب السيارة

إن اقسام دائرة «الآخر» تقابل لأول وهلة حدود سلسلة روح العالم : ٢،١ ،
٣،٤،٩،٨،٢٧ . وهذه الاعداد تشير حسب مقطعين من حوارنا (d ٣٦ و d ٣٨)
إلى أبعاد الكواكب النائمة عن الارض . وقد قيست تلك الابعاد بالنسبة لبعده
القمر عن الارض ، كوحدة قياسية . وهذه هي تلك الابعاد : القمر : ١ ، عطارد : ٢ ،
الزهرة : ٣ ، الشمس : ٤ ، المريخ : ٨ ، المشتري : ٩ ، زحل : ٢٧ . هذا ولا ندري على
اي معطيات فلكية يركز أفلاطون هذه الارقام .

ولكنّ مقطعاً من اسطورة الباب العاشر من الجمهورية (c ٦١٦) وما
يلي) يجعل تفسير نصوص التيمثيس هذه عسيراً . ففي هذه الاسطورة ، يصف آر
السمفيلي ابن أرمنيثس رؤيا رآها حياً ، ولا يستطيع الآخرون ان يعاينوها
إلا بعد الموت ، على الوجه التالي : لقد شاهد ، وفي البدء من بعيد ، نوراً يشبه
قوس قزح ، ولكنه اسنى واصفى يخرق الارض والسماء من اقصاها الى اقصاها .
وقد انطلقت من ذلك النور رُبط توحد السماء وتشدها الى مركز العالم ، كأنها

مراسي سفينة . ومركز العالم الرضاء هذا هو « وشيعة الضرورة » . وقد انتصبت تلك الوشيعة عمودياً من أطراف الكون ، وحوّلها يتم دوران الكواكب . وهذه الوشيعة لها واسطة مركزية من ماس ، مروسة الأطراف ، يحدق بها غمد . وهذا الغمد نفسه تؤلفه ثمانية أعماد أو ثماني حلقات منوعة الضياء ومختلفة الالوان . والحلقات تتداخل بعضها في بعض كآنية متفاوتة الحجم أو القطر .

وقد تمكن آر من موقعه على خط الانحناء ، أن يعين تقاطع الأعماد الثانية . المختلفة الكثافة على بقع تقاطعها . فالحلقة الخارجية هي الاوفر عرضاً . ثم تأتي بعدها ، من المحيط الى الوسط ، أضيق الحلقات ، فالتالي قبل الاخيرة في العرض ، فالثالثة في العرض ، ثم السادسة والثانية والخامسة ، وأخيراً في جوار المركز الرابعة عرضاً .

هذا ، وان تلك الحلقات تدور على نفسها بسرعة تتفاوت من واحدة الى اخرى . وهي تحالف في دورانها اتجاه اكثرها سرعة ، أي اتجاه الحلقة الخارجية التي تدفّعها اكلثو إحدى المصائر الثلاث بيدها اليمنى ، في حركة تتجه إذن من اليسار إلى اليمين (٦١٧ c) .

ويتضح ، من وصف افلاطون ومن الالوان التي يشير اليها ، أن الحلقات تقابل فلك الثوابت وأفلاك الكواكب السيارة . وهذه الكواكب يرتبها (في الجمهورية) ترتيبها في حوار التيميستس . أي إذا انطلقنا من المحيط الى الوسط ، فنحن نلقى تبعاً زحل فالمشتري فالمرينخ ثم الشمس والزهرة وعطارد والقمر . وسرعة الدوران القصوى هي سرعة فلك الثوابت . ثم نجد أن للقمر ولعطارد ولزهرة وللشمس سرعات مماثلة بعضها لبعض . وأخيراً أن المريخ يتحرك هو والمشتري وزحل بسرعة واحدة .

إن هذه الإشارات تتفق إجمالاً ومعطيات حوار التيمبثس . غير أن نصّ الجمهورية يسوق أمرين غريبين طال ما أفلقا راحة الشراح . إن حلقات (مدار) الكواكب ، إذا نظر إليها المرء من خطّ الاستواء في نقاط تقاطعها ، تبدو مشافراً التقاطع ذات كثافة متباينة . بعد الحلقة الخارجية الأوفى عرضاً تصطفّ بحسب كثافتها المتناقصة ، حلقات المريخ فالقمر فالشمس فالزهرة ، ثم المشتري وزحل . وليس من علاقة بين هذه الكثافات وأعداد سلسلة التيمبثس .

فهل الكثافة التي يتكلم عنها افلاطون هنا ، هي كثافة جدران الكرات السماوية المختلفة ، كما فرض ذلك مرتان^(١) (Th . Martin) في مذكرة وضعها سنة ١٨٨١ ؟ ففي هذه الحالة يتعدم التآلف بين كثافة الكواكب السيارة وكثافة الأكر . هذا من جهة . ومن جهة أخرى تنفي جملة النظام الفلكي الافلاطوني وجود مجالات فارغة بين الكرات التي تتلامس حتماً .

وهل يشير افلاطون إلى اختلاف البعد ، باختلاف الزاوية التي يتمّ فيها رصد الكواكب ، كأن ترصد من خط الاستواء او من نقطة أخرى مصعّدة أو منحدرة نحو أحد القطبين ؟ وقد بدأ مرتان نفسه وفرض هذه الفرضية في التيمبثس . إلا أن نصّ الجمهورية لا يوفر عنصراً ما يسمح بهذا التفسير المعقّد جداً ، لاسيّما وإن واضعه قد عدل عنه فيما بعد . هذا ، وإن افلاطون لا يشير في الجمهورية إلى نسبة أحجام الكواكب المختلفة - كما يقبل به ثيستن الإزميري^(٢) - لأن افلاطون في تلك الحال ، قد يتوهم أن القمر اضخم من الشمس^(٣) . وهذا لا يحتمل قطعاً .

Mémoires de l'Académie des Inscriptions . 1881 . 30. 1, P. 101 (١)

Ed. Dupuis p. 234 . (٢)

Cf. Duhem. le système du Monde . l. P. 64 . (٣)

فابسط تفسير (لنص - الجمهورية) يداني ، دوغما ريب ، التفسير الذي قرأ عليه مرتان أخيراً . وهو أن الحلقات الملوّنة الوفرة أو الزهيدة العرض ، التي يُشار إليها في الجمهورية ، تقابل الأجزاء السماوية الداخلة في مجال كل كوكب بمفرده ، والخاضعة لفعله ، والغارقة في ضيائه . والحال ان لاشيء (في الجمهورية) يؤكّد لنا ان الكوكب قد وضع (في مداره) على احدى الدوائر التي تحدّد حلقاته الخاصة من الداخل والخارج . فيمكن على هذا الوجه ، ان تنظم أبعاد المدارات بحسب قانون التيميئس العددي . وهذا القانون لا يتبيح تعيين منطقة ينفذ إليها أثر كل كوكب ، ولا اتساع البقعة التي يسيطر عليها في السماء .

٣ - حركات الكرة السماوية

ان دوران ماهو عين ذاته « ليس موازياً » لدوران « الآخر » وليس له نفس الاتجاه . فحركة « ماهو عين ذاته » تجري من اليسار الى اليمين (أي من الغرب الى الشرق) وفي اتجاه ضلع من المتوازي الاضلاع . وحركة « الآخر » مندفعة من اليمين الى اليسار (أي من الشرق الى الغرب) في اتجاه قطر المتوازي الاضلاع عينه .

فيثبت لنا هكذا ، دون ان يؤكّد ذلك أفلاطون ، ان الدائرة الخارجة هي دائرة خطّ الاستواء ، وان الدائرة الداخلية دائرة خط الانحناء . فاذا رسمت الكرة السماوية على سطح ، فخط الاستواء يمثل القطر ، وخط الانحناء يمثل « المستقيم المنحرف » ، الواصل بين اطراف خطوط العرض المتوازية (شمالاً وجنوباً) .

إلا أن نصّ أفلاطون يحوي إشارة كأنها الغز . فحركة دائرة « ماهو عين ذاته » هي جليا الحركة النهارية ، التي تدفع الكرة السماوية في خط يوازي

الأفق . والحال أن الدوران النهاري يتمّ من الشرق (اليمين) الى الغرب (اليسار) . وليس « إيتدي كسييا » باتجاه اليمين (٣٦٦ c) . وعلى عكس ذلك ، تظهر حركة الكواكب لمن يرقبها متجهة من الغرب الى الشرق أو من اليسار إلى اليمين . هذا ، وإن إشارة تماثل إشارة التيميثس قد أعطيت في اسطورة الجمهورية (١٠ : ٦١٧ c) . فإن اكلثو تحافظ بيدها اليمنى على حركة الحلقة الخارجية ، ويدها اليسرى على حركات الحلقات الداخلية . غير أن افلاطون لا يستطيع ان يجمل اتجاه الحركات السماوية الصحيح . وهو في الواقع يشير اليه بالضبط في الشرائع (٦ : ٧٦٠ d) .

وعلاوة على ذلك ، فقد سمى الاقدمون الشرق إجمالاً ميمنة العالم^(١) ، فكيف نفهم كلام افلاطون في التيميثس ؟ إن اقرب تفسير الى العقل قد اقترحه افر كرتلسي هو وغيره من الشراح^(٢) : إن اليمين الحقيقية ، عندما نعتبر السماء كرة حلقات متداخلة أو كرة ممثلة على مسطح ، نحاذي يسارنا ، والعكس بالعكس . ومن ثمّ كل دوران يبدو لنا متجهاً من اليسار الى اليمين ، هو متجه في الواقع من اليمين الى اليسار . وافلاطون يلمح مرتين في التيميثس الى المفاهيم الغربية الممكن أن تنشأ عن مواقع الشيء المدرك بالنسبة لمن يدركه^(٣) .

٤ — فرضيات افلاطون الفلكية

كل نظرية افلاطون الفلكية تحاول بواسطة دورات منتظمة لا يتغير اتجاهها ، أن تفسر ظواهر الفلك غير المنتظمة . « ماهي حركات الدوران المنتظمة

٣ - (١) ارسطو ، كتاب السماء ٢ : ٢ : ٢٨٤ ، ٦ ، وما بعد .

(٢) Fraccaroli o. c. p. 192 . (٣) ٤٣ ، ٤٦ و ٤٧ b .

انتظاماً كاملاً، التي يجعل ان يتخذها المرء كفرضيات، ليمكن من المحافظة على الظواهر التي تبدلها الكواكب الثابتة؟ « ان نص سيمبليشيدس هذا في شرحه كتاب السماء^(١)، يعبر خير تعبير، على حد قول دهم^(٢)، عن مشاغل الفلكيين اليونان من عهد أفلاطون .

إننا نلاحظ في حركة الكواكب السيارة الظاهرة ثلاث مخالفات رئيسية للنظام : فهي تبدو أولاً وكأنها تتحرك على خط الانحناء بسرعة غير منتظمة . فيظهر قارة أنها تنشط، وقارة أنها تنبأط في جريها الظاهر . ويبدو ثانياً أنها تتوقف أحياناً توقفاً تاماً، لا بل يظهر من حين الى حين أنها تتقبر عائدة الى الوراء . أخيراً يتهماً للمرء أنها تحط مرة عن خط الافق ومرة تصعد فوقه . ولذا اهتم القوم أن يجدوا مركباً من الحركات الدورانية المنتظمة، بسيطاً قدر المستطاع، يفسر كل الظواهر (الفلكية) . واليك فرضيات افلاطون :

١ - إن فلك الكواكب الثابتة ينجز دورته في مدار بوازي خط الاستواء، من الشرق الى الغرب بسرعة منتظمة، هي أقصى سرعة تبلغها الاجرام السماوية، فيجر في دورانه كل الكواكب الثابتة .

٢ - ان الكواكب السيارة كلها، لاسيما الشمس، تتحرك على مستوى خط الانحناء، فتختلف زوايا سرعاتها المعاكسة لحركة فلك الثوابت . وهي تتجه من الغرب الى الشرق (هنا ٣٨ d) . والكواكب الثلاثة الداخلية، اي عطارد والزهرة والقمر، ومداراتها واقعة بين مدار الشمس والارض، تتحرك بسرعات متساوية (٣٩ a) . اما الكواكب الخارجية، أي المريخ

٤ - (١) كتاب السماء ٢ : ١٢ ، ٤٨٨ ، ٩٣ ، هيرج .

(٢) دهم Duhem ، نظام العالم ، ص ١٣

والمشتري و زحل ، فهي تتحرك في اتجاه واحد ، وبسرعة تنقص من واحد إلى آخر ، بقدر ما يقترب من محيط منظمة الكواكب (٣٩ a) . وتألف هذه الحركات المختلفة بحيث تسيطر حركة فلك الثوابت على حركة افلاك الكواكب السيارة وتجرفها جزئياً في جريها (٣٩ a) .

وهكذا ، عندما تجتاز سيارة قوسا في جريها على خط الانحناء من الغرب الى الشرق ، فهي تُجَرَّ في الوقت ذاته من الشرق الى الغرب بجرّ فلك الثوابت المنتظمة . فيبدو أنها تخطّ في جريها خطأ منحنيّاً أو إهليجا أو لولبياً ، يشبه لولب الكرمة أو شكل سيرٍ لقوه على اسطوانة (٣) .

ومثال ذلك أننا إذا رصدنا الفلك من مكان واقع على أحد خطوط العرض الجنوبية ، يوم الاعتدال الربيعي ، بدت الشمس على الأفق في نقطة تقاطع خطّ الاستواء وخطّ الانحناء . وهذه النقطة تخطّ في السماء قوس دائرة استوائية كبرى ، تقطع خطّ الطول المارّ بالموقع الذي نرّقب منه ، على بعض الارتفاع فوق الأفق . ونلاحظ في الغداة أن الشمس قد تقدّمت على خطّ الانحناء من الغرب الى الشرق ، وأنها قد ابتعدت عن خطّ الاستواء . ولا تبرح دورات الشمس تضيق يوماً بعد يوم حتى تبلغ الشمس انقلابها الصيفي . ففي ذلك الحين ، تكون الشمس قد بلغت اسمى ذروة فوق الأفق ودارت أضيق دوراتها ، دورة السرطان . وبعد الانقلاب الصيفي تنحدر الشمس شيئاً فشيئاً ، وتتسع دوراتها تدريجياً حتى الاعتدال الحريفي ، وهو اليوم الذي يلتقي فيه مدار الشمس الظاهر بخطّ الاستواء . أخيراً بعد اعتدال الحريف ، تأخذ دورات الشمس تضيق ، ولكن

(٣) التيمس ٣٩ ٢ ، وثيبيكين الإزميري ، الفلك ٤٣ ، دوبيوس ٣٢٨ -

هذه المرة تحت خط الاستواء حتى الانقلاب أو الميل الشتوي ، وهو اليوم الذي تقطع فيه الشمس أصغر دوراتها تحت الافق ، دورة الجدي .

والحال أن تصعيد الشمس أو هبوطها الظاهرين ، يجريان بسرعة هي أوفر في الفترات القريبة الى الاعتدالين الربيعي والخريفي ، وأقل في الفترات القريبة الى الانقلابين الصيفي والشتوي . وعلاوة على ذلك ، ففي هذا الائتلاف من الحركات ، يبدو أن الشمس في تنقلها على خط الانحناء ، تقفز قفزاً في مرورها من خط موازي للاستواء إلى خط آخر . فترسم في جريها لولباً تضيق حلقاته كلما اقتربنا من أحد الانقلابين ، وتتسع في جوار احد خطي العرض الموازيين لخط الاستواء (٤) . وما يصح في الشمس ، يصح أيضاً في سائر الكواكب النائية .

ثم ان الشمس لا تنتقل بسرعة واحدة في جريها على كل من أجزاء خط الانحناء . فان فرضنا ان الارض واقعة في وسط العالم بالضبط ، وأن وسط العالم يلتقي ومركز صورة مدار الشمس ، فالأقواس الاربعة المؤلفة ذاك المدار يجب ان تظهر لنا أنها تقطع في فترات متساوية . والحال أن الأرصاد التي كانت ميسن وإفكسيمن قد باسراها ، تثبت أن مسير الشمس غير منتظم . فالممدد الحقيقية لكل من الفصول الاربعة كانت في زمن افلاطون : للربيع ٩٤ يوماً ، وللصيف ٩٢ يوماً و ١ ، وللخريف ٨٨ يوماً و ٥٢ ، وللشتاء ٩٠ يوماً و ٥٠ ، وافلاطون لا يتقدم بأي شرح (لهذه الفروق) ، مع أنه لا يجمل تلك الارصاد .

(٤) ان صاحب المقدمة يريد بدل خطي العرض ، خط الاستواء . ولو تابع فكرته وقال : « كلما اقتربنا من أحد الاعتدالين » لما أخطأ . لأن الشمس في احد الانقلابين تكون بجوار أحد خطي العرض الموازيين للاستواء شمالا او جنوبا . ودورتها آنئذ أضيق . وهذا مايقوله هو نفسه . وفي احد الاعتدالين تكون بجوار خط الاستواء ، ودورتها أوسع عندئذ (المعرب)

اما الكواكب السيارة بالذات ، فهناك عدة تتعلق بها وتتطلب تفسيراً خاصاً .

لقد رأينا أن الكوكبين السيارين الأسفلين يتقلبان حول الارض بسرعة تعادل سرعة الشمس . فينتج عن ذلك أنه لا بد للزهرة مثلاً أن تظهر لنا دوماً على بعد واحد من الشمس لا يتغير . والحال أنها تارة تتبع الشمس وتارة تسبقها بدرجات في اتجاه الشرق ، أو تتأخر عنها درجات نحو الغرب . ولهذا السبب تدعى الزهرة على السواء كوكب المساء أو الصباح (من هسبيريا المساء وهسپيرورس حامل الفجر) . ومن ثم يُضطرُّ أفلاطون أن يفرض ان للزهرة حركة خاصة مضادة ، تحملها تارة على الدنو من الشمس وتارة على الابتعاد عنها .

(٣٩ a) .

وعلاوة على ذلك ، فان الكواكب السيارة لا تكتفي بان لاتجري من الغرب الى الشرق بسرعة واحدة ، بل تبدو أحياناً وكأنها ناكسة على الأعقاب وسائرة من الشرق الى الغرب ، نحو بعض الكواكب الثابتة ، وقد بدأت وتئات عنها . وعند ابتداء الحركة الخلفية ، ولدى انتهائها ، يتهيأ للرأي أن الكوكب السيار متوقف فترة وجيزة من الوقت توقفاً كاملاً عن الحركة .

إن أفلاطون لا يجهل أيضاً هذه الظاهرات . فهو يلمح في الواقع الى أجواق الكواكب الراقصة وإلى قرانها ، وتقدم بعضها على بعض ، وتقهقر مداراتها (c ٤٠) . وكلمة برفلي ربما تدل على تجاور كوكبين متباينين . وقد فهمها ابترُكاس على هذا النحو ، فهي في نظره ابتعاد كوكب عن آخر طويلاً او عرضاً ، اذا طلعا او غارا في آن واحد تقريباً ، كالزهرة والشمس مثلاً .

وكلمة ابترُسخُر يسس أي التداني ، تعني في نظره أيضاً تداني مدارات الكواكب بعضها من بعض : « عندما تتقدم الكواكب ، فهي تسبق مواقعها

الخاصة التي تبلغها فترة بعد فترة . « ويريد المواقع التي يفرض أن تبلغها الكواكب لو كانت حركتها منتظمة . وهذا تقريبا ما يسميه ثيستن الإزميري ابرئيفسوس أي تقدم (٥) .

ويقول لنا ابرئيفسوس أن الإبنكليس أي تقهر الدوران هي نفس الإبنكليس سموس أي التكووس . وثيستن الإزميري يسمي هذه الظاهرة أنبندسموس أي عودة الى الوراء (٦) . ولكن إن عرف افلاطون هذه الاحداث فنحن لا نجد في التيمستيس أثرا للنظريتين اللتين نشأتا في عهد إيفدئ كئسس لتفسيرها : نظرية الدوائر اللامركزية ونظرية الدوائر المتداخلة (٧) .

٥ - موقع الارض وجودها أو سكونها عن الحركة .

إن الارض واقعة في النقطة المركزية من العالم (b c ٤٠) . وافلاطون يعتمد لتعيين موقعها ووصفه إلى كلمة نقلها النساخ على أوجه مختلفة . فاذا قرأنا في نسخة باريس ١٨٠٧ ملتفة ، فإن أكثر المخطوطات الاخرى تحوي مُختلفة . وهذا الخلط بين معنى وآخر يسهل تفهمه .

فان قرأنا وقبلنا هذه القراءة ، فالارض « ملتمة مكببة ملتفة » حول محور العالم (١) . وان قرأنا القراءة الثانية ، فهي « تختلج وتراوح وتتأرجح » حول ذلك المحور وقد أخذ بالقراءة الاولى كثيرون ومنهم بيبس . ودافع برنت من جديد عن الثانية بحجج قوية جداً (٢) .

(٥) دبوي ، الفلك ، ٢١ ، -

(٦) دبوي ، الفلك ، ٢١ ، ص ٢٤١ -

(٧) سيملتشيس ، في السماء ، ص ٤٨٨ ، هيرج ، دهم ٢٠٢ ص ١١١ -

٥ - (١) سيملتشيس ، كتاب السماء ، ص ٥١٨ ، هيرج . -

(٢) Early greek Philosophy, 3e éd. p. 302 et suiv. Cf. : K. Bu-

rdach : die Lehre (Neue jahrb. f. d. Kl. Alt. 1922, p. 254). -

لتأييد هذه القراءة الثانية هناك أولاً شهادة أرسطو الصريحة ، تدعمها مخطوطات كثيرة للثيمستس : « يقول بعضهم إن الأرض موضوعة في المركز ، وإنها تتخلىج حول المحور الممتد خلال الكل ، على ما كتب في الثيمستس (٣) » . وبعض مخطوطات كتاب السماء وعدة مخطوطات للثيمستس تضيف : (تتخلىج وتتحرك) . ألم يكتب أرسطو بعد هذا المقطع بقليل (٤) : « ان الذين يضعون الأرض في مركز العالم يقولون إنها تتخلىج وتتحرك حول المحور المركزي » .

ان هذه الشهادة تبدو قاطعةً لبـرنت . لأن أرسطو ما يبرح عضو الاكاديمية عندما أُلّف حوار الثيمستس . فكيف كان من الممكن أن يسيء فهم معنى تعليم أساميّ من تعاليم أستاذه (٥) ؟ وإن نص الثيمستس ، من جهة جهة أخرى يحوي كلمة (Tim) . وهذه الأداة تتطابّ فعلاً يدّل على الحركة (٦) . وفضلاً عن ذلك ، مامعنى انتقادات أرسطو ؟ فالأرض ، على ما يؤكّد كتاب السماء ، لا يمكن أن تفرض لها الحركة ، لافي مركزها ولا خارجاً عنه . اذا أولاً لا تكون لها مثل هذه الحركة « حركة طبيعية » . لأن الحركة الطبيعية لعنصر الأرض تحمله نحو المركز . ثم اذا قبلنا بحركة مائلة للأرض ، فانه ينشأ عنها حر كاتان مختلفتان : حركة الأرض وحركة الكرة السهوية . ودميج هاتين الحر كتين أو التاليف بينهما قد يظهر بشطحات على خطوط العرض ، أو برّدات ظاهرة في سير

(٣) كتاب السماء ٢ : ١٣ : ٣٠ b ٢٩٣ . راجع ذيمستس اللاثري ، ٣ : ٧٦ .

(٤) : ١٤ : ٣٦ : ٣٦ .

(٥) ٢٠٢ . ص ٣٠٢ حاشية ٢ .

(٦) ن . ٢٠٢ . حاشية ٣ .

الكواكب الثابتة . وهذا ما لا يحدث أبداً . أخيراً إن حوار الإبيثيميس (أي التعقيب على الشرائع) يؤكّد حركة الأرض حول محورها (b ٩٨٧) ، وهذا الكتاب إن لم يكن من افلاطون ، فهو بيدي آراء افلاطونية .

بيد أن هذه البراهين لا تبدو لنا قاطعة . فلنتفحص أولاً النصوص بالذات . ان القراءة الاولى « يحتمل ان يكون عند افلاطون من المقولات مرة واحدة . هذا ما نرى . وعلى عكس ذلك توجد القراءة الثانية مرتين آخرين في التيميس . وفي كلتا الحالتين لها نفس المعنى : ملفّ مكبكب (b ٧٦ و c ٨٦) . هذا ، وليس بأكيد أن ارسطو نفسه قد قرأ في نصنا القراءة الأولى . انه يقول لنا فقط « ان بعض المؤلفين يؤكّدون اختلاج الأرض حول محور العالم .. كما كتّبت في التيميس . »

ليس في كلامه تلميح الى بعض تأويلات حول مقطعنا ربما أثرت في الأكاديمية حالاً بعدموت أفلاطون؟ ان ارسطو لا يضمن قطعاً قراءة دون أخرى . وهو يؤكّد لنا فقط ان بعض تلاميذ افلاطون قد تبسّوها . وهؤلاء هم الذين يطلعنا كتاب الإبيثيميس على تعاليمهم . إلا ان تلك التعاليم تتضمن تصحيحات هامة جداً أجروها على التعليم الفلكي الافلاطوني .

لم يبرهن افلاطون في حوار فيثون عن سكون الأرض (b ٩٩) ؟ أو ليس في التيميس ذاته تذكري واضح جداً لذلك التعليم ؟ فنن خواصّ عنصر الأرض ، أليست كراهيته الحركة خاصة رئيسية (c ٥٥) ؟ وفي الفقرتين ٦٢ d و ٦٣ a ، يشرح لنا افلاطون ان جسماً قائماً في مركز العالم متوازناً ، « لاهوي أبداً نحو أحد طرفي العالم » . وهذا البرهان ، الذي يقول به بعد أن كرسيمندرس ، يصحّ تماماً في الأرض . لأن موقعها المركزي كاف

ليضمن لها السكون والجود (٧). أخيراً ، كل تفسير الظواهر الفلكية مبنيّ في التيمميس على فرضية سكون الأرض . إذ حولها تنتقل ، بسرعات متباينة ، أكبر الكواكب السيارة وفلك الثوابت . فان كان الارض حركة خاصة ، فنظرية الظواهر السماوية تغدو برمتها مغلقة . ولا بدّ عندئذ من إحلال بناء جديد كامل محلّ تعليم حوار فيثون . ونحن لانجد أثراً لهذا البناء في حوار التيمميس . وقد أشار بعضهم إلى تشخيص أوليّ لمثل هذا البناء في نصّ من نصوص الشرائع (٧ : ٨٢٢ a) . إلا أن أوثلث قد توسّعوا في معنى ذلك المقطع . لأن افلاطون يؤكّد فيه فقط ، كما فعل في التيمميس ، انتظام حركات الكواكب الحقيقيّ ، خلافاً لما فيها من خلل ظاهر .

ولا ريب ان البعض شرعوا ، فيما بعد وضمن المدرسة الافلاطونية ، يتجرون نظرية افلاطون ، ليوفّقوا بينها وبين فرضية دوران الارض على محورها . وملاحظة لتشتيرو في أكذميّاته الأولى ، تساعدنا على فهم ما ربما قد جرى عندئذ . إن اتشيتشيروياً في على ذكر هيكتيس السركوزي ، ويعرض بصورة مستهجنة رأيه في حركات الشمس الظاهرة ، وتفسيره لها بدوران الارض ، ثم يضيف : « وبعضهم يعتقد أن افلاطون نفسه يقول هذا القول بالذات في حوار التيمميس ، ولكن على وجه أكثر غموضاً بقليل (٨) »

فنحن نرى من عبارة قسّيقرون أن ذلك الرأي لم يعمّ قبوله في المدرسة . فلم يتورّع الجردون عن تصحيح نصوص التيمميس ليبرّروا تأويلهم ، ويستشهدوا

(٧) أرسطو ، كتاب السماء ، ٢ : ١٣ : ١٠ b ٢٩٥ .

(٨) Les premiers Académiques 2.39.123 : « Atque hoc etiam

Platonem in Timaeo dicere quidam arbitrantur, sed Paulo obscurius».

بأقوال المعلم . فاستعاضوا عن الوضع الذي يستعمله أفلاطون بوضع يدايته بشكله .
وإن كان غير ملائم تماماً للمقام . لأن كلمة (إِثْمِينِنٌ) لا تدل على دوران حقيقي
قدر ما تدل على تمايل وتأرجح الأرض حول محورها . وهذه الكلمة لا يمكن
تفسيرها إلا بضرورة المحافظة في النصّ المستجد على شكل يقربه أكثر ما يكون
من نص المخطوطات الأصلية .

وهكذا فالأرض الساكنة عن الحركة لاصقة ملتزمة بذلك المحور ، الممتدّة
خلال العالم . وفي أسطورة الجمهورية (١٠ : ٦١٦ b c) محور الكون قوامه
عمود من نور . وأفلاطون يقول لنا عنه إنه « تمتدّ أو مسحوب » خلال السماء
والأرض . كما ان الاوصال المنطلقة من ذلك العمود (٦١٦ c) ، لتحقق
ارتباط الكلّ ، هي أيضاً تمتدّة « مسحوبة » . ويبدو أن تلك الاوصال هي
خطوط الطول ، كما تمثلها الحلقات الكبرى الثابتة في رسم مسطحٍ للفلك .
فأفلاطون يستعمل هكذا كلمة بُولُوس استعمالاً جديداً . وفي مقطع من حوار
اكرتيس يكلمنا عن قطب أطلسيّ يختلف عن قطبي الكرة . وشارح أرسطوفانس
في نصّ يذكره ديلز Diels يبيد بشأنه هذه الملاحظة : « إن الأقدمين لا
يسمّون قطبا كالمحدثين حداً أو طرفاً من طرفي محور العالم ، ولكنهم يسمّون
قطباً ما يكتف الكلّ . » (٩)

٦ - صورة العالم

العالم ، حسب معطيات التيمس ، كروي مستدير كامل الاستدارة
ولكن إن صحّ قول أفلاطون في كرة النجوم وروح العالم ، فهل انتظمت

(٩) اكرتيس مقطع ١٨ (Vorsokratiker 3, 2, p. 318, 30) تعليق على

الطيور ، ش ١٧٩

الكواكب السيارة على كرات أو اسطوانات، وهل الارض نفسها ذات شكل كروي؟ أو هي تحتفظ بشكل أسطواني مفلطح. إن مطالعة اسطورة الجمهورية تتركنا حائرين متودّدين .

إلا أنّ نصوص التيمميس لا تدع مجالاً للشك . لأن افلاطون لا يكتفي بأن يؤكد في حزم كروية العالم برمته ، بل يقبل ضمناً أن الارض نفسها تجاري شكل الكل ، وقد احتلت منه موقع المركز . وأسطو يستوحي دوماً في كتاب السماء استنتاجات حوار التيمميس .

الفصل السادس

نظريّة المحلّ والعناصر

البحث الاول : المحل

١ - مقام نظريّة المحل :

إن أفلاطون قد عرض هكذا كل الاحداث المتعلقة بنشأة العالم ، دون أن يتكلم مرّةً واحدةً وبعبارات واضحة ، لا عمّا نسميه المادّة ولا عمّا ندعوه المكان . إذ يبدو أن العناصر التي يتألف منها العالم هي حقيقة مثاليّة محضة . ويلزمنا مجهودٌ تخيّلٍ وافرٌ لتمثّل أن تلك الطبائع المثاليّة تقابل أشياء واقعيّة محسوسة كالسماء والكواكب والأرض التي نقطنها .

ومن الآن فصاعداً نأتي الى شرح الأمور المنظورة . غير أن المنهج لا يتبدل . لأن أفلاطون يعتمد دوماً الى براهين تجرّيدية ، ينقلها فيما بعد الى الصعيد المحسوس ، لا بل يترك لنا أغلب الأحيان عناء نقلها نحن إلى هذا الصعيد . والى الآن لم يردّ نفسه مضطراً الى إدخال مفهوم المحل . لأنه اكتفى بمفهوم « ماهو عين ذاته » ، « والاخر » لبناء كل علمه الفلكي . ونظريّة

المحل والعناصر لا تترد إلا بصورة عارضة، وبمقدار ما تمكن من فهم بعض الأحداث المتعلقة بإدراك الحواس ولا يعرض افلاطون لمسألة طبيعة المحل إلا بداعي طبيعة العناصر ، وبوجهٍ أعمّ بداعي إنجازات الضرورة (٤٧ ع و ٤٨ ا) . ووجود العناصر من شأنه أن يفسّر بعض خصائص الإدراك . ووجود الضرورة من شأنه أن يفسر وجود المحل ، ذلك الوجود غير المفهوم منطقياً .

٢ - الضرورة :

ان مولد العالم قد فرض تدخل العقل والضرورة في آنٍ واحد . والضرورة مرتبطة برباط أزلي بكل وجود معقول . وضروري أولاً ما لا يستطيع الشيء أن يكون بدونهُ ، ما ينجم عن طبيعة الشيء الخاصة ولا يمكن أن يفارقه . مثال ذلك الطبيعة البشرية فهي إذا وجدت تشمل رغبات لا مفرّ منها ، وبدونها لا يستطيع جوهر الانسان أن يتحقّق . فهذه الضرورة المرتبطة بالماهية لا تُقاوم ، وتُفرض على الآلهة أنفسهم^(١) . ولا يمكن أن تفسّر تفسيراً تاماً مفهوم الخير وحده . لأنها في الواقع تتعلق بتعدّد الماهيات ومجدّد هذه الماهيات بعضها بعضاً . وقد بيّن افلاطون ميزتها هذه في حوار السّفيّتيّ . فالضرورة تُفرض ضرباً من القدرة المنطقية تفوق من بعض الوجوه الجمال بالذات .

هذا ، ويضيف افلاطون أحياناً الى هذه الضرورة المنطقية شكلاً آخر من الضرورة ، صادراً عن فعل عقوي من إرادة الآلهة^(٢) . فتدخل العلة الضرورية لا مفر منه حيثما تلقى كثرة من الحدود القابلة أن تؤلّف كلاً واحداً .

٢ - (١) اِبْرِيْغْنُوْرَس ٣٤٥ د ، الشرائع ٥ : ٧٤١ ا ، ٧ : ٨١٨ ب .

(٢) الشرائع ٧ : ٨١٨ ب .

ومن ثم لا بد أن تحصل حتى ضمن عالم المشئ و « الحى بذاته » . وبفعل الضرورة لا يستطيع لا « المتعدد » ولا « الواحد الفرد » أن يوجد كلاً على حدة بصورة مطلقة ، وإنما عليها أن يختلطاً طبقاً لقوانين منتظمة ليؤلّفاً كوناً واحداً .

والتيمنس (٥٢) يذكر في وضوح باستنتاجات السيفستي . والحال أن فكرة « الآخر » ، وهي التعبير عن الضرورة ، إذا كانت تضمن على الصعيد المنطقي ترابط الأجناس وافتراقها معاً ، فعلى الصعيد الطبيعي سوف تتيح طبيعة المحل تمييز الأشياء وتعاقبها في مكان واحد . ونظرية المحل تبرز في التيمس بمثابة بديل طبيعي لنظرية جدلية .

٣ — صعاب مشكلة المحل

وهذا الإبدال أو النقل من صعيد الى صعيد هو في غاية العسر . وارتباك فلاتون الحقيقي أو المفتعل ، في الصفحات الثلاث المخصصة لعرض نظرية المحل ، يكفي ليثبت لنا ذلك العسر . وجملة المذهب الافلاطوني يفرض في الواقع على هذه المسألة شروطاً معقدة . فنحن لا نعرف إلى الآن من التيمس وما سبقه من حوارات ، سوى وجود مُثل أو صور من جهة ، ووجود تحول وصورورة بلا نهاية من جهة اخرى . ونعرف أيضاً أن هذا العالم المحسوس هو نسخة نموذج : فالمشئ والصورورة ، النموذج والنسخة ، هي الأمور الوحيدة التي نعرفها . والحال أنه لا يمكن أن يوجد غيرها . ونظرية التيمس كلها سوف تثبت هذا التعليم . فالعالم مكتف بذاته ، ولا شيء خارجاً عنه ، ولا مجال بلا نهاية يمكن له أن يتنفس فيه ويتحرك . والعالم وحدة مطلقة . وهذه هي النتيجة الاخيرة حُطاب تيمس .

والعملية التي يولج بها الصانع النظام في الصورورة ، لا تخلق أي كائن

جديد ولا أية مادة جوهرية. إنها تنظم فقط الحى المحسوس على غرار الحى المعقول . فكيف نفقه في هذه الشروط وجود مكان متميز عن الصور وعن الصيرورة معاً ؟ فلو كان أفلاطون قد قبل بمكان فارغ نظير مكان الذرين لزمه أن يقحمه في بناء روح العالم او قبة السماء . والحال انه لم يفعل . لأن قبة السماء موجودة في التيميس قبل أن يولد المحل . فلا يستطيع المحل إذن أن يكون واقعاً من رتبة المثال أو الصيرورة ، ومن منزلتها . وان كان له مبدؤه او بالأحرى اساسه في عالم المثل ، يمكن أن يوجد بين الصور الصرفة فراغ حقيقي او مكان ، عالم يمكن مكاناً رمزياً . وعلى عكس هذا ، لا يوجد في عالم الطبيعة مكان لا نهاية له تأتي الاشياء المحسوسة وتتظم فيه .

فلا يمكن أن يدرك المحل مباشرة ، لا في عالم المثل ولا في عالم الأجسام . وليس له سوى وجود مستمد عابر، وفي الغالب غير مدرك . وهذا ما يسمّ عرض أفلاطون باللبس والغموض . والبرهان على وجود المحل لا يمكن ان يكون منطقياً فحسب ، لأنه يدور حول « ماهية » يضاف اليها موجود تدر كه الحواس . ولا يمكن ان يكون مستمداً من الخبرة ، لأن الخبرة ، ولو جابها افلاطون بعض النفوذ ، لا تستطيع أبداً أن تكشف لنا حقيقة المحل في ذاته . فميزة ذلك البرهان إذن « هجينة » . وهو حل وسط بين القياس والحس . وكل مرة نحاول أن تصور المحل في ذاته ، يبدو لنا اننا في حلم (b c ٥٢) . وكذلك عندما تناقش أمر المحل لا نوفق الى إبراز فكرة واضحة . فالكبرى في قياسنا هي أن كل شيء في محل ، او أن لا شيء خارج السماء (b ٥٢) . ولكن هذه الكبرى في ذاتها ليست حدساً عقلياً ولا إحدى معطيات الحس المباشرة . فما هي الا عبارة عن ضرب من الترابط الخارج عن نطاق المنطق ، والمبني على ضرورة عمياء تبرز للعيان كل مرة تتأمل الكثرة الواقعية .

٤ — استعارات افلاطون

لتكوين فكرة عن المحل لابدّ دوماً من أن تفصل الأشياء وأن تفككتها عما تشغل من « محل » ، وذلك بفعل تجريدٍ هو عملياً شبه مستحيل التحقيق . ومع ذلك فهذا التجريد يفرضه علينا واقع التحوّل ، لأن شيئين مختلفين لا يستطيعان أن يوجدوا معاً في محل واحد ، ولأنّ نفس الشيء يمكنه أن يصير « آخر » دون أن يُغيّر موقعه . ومن ثمّ لا نقدر ان نتخيل « الموقع » ذاته إلا باستعارات . وقد عمد افلاطون إلى استعارات عدّة متباينة بعض التباين ، قد أوقعت المُحدّثين في الحيرة والارتباك بشأنها .

« فالمحل » ، « الموقع » ، و « ما فيه » تظهرُ الأشياء ، « وما عليه » تبرز ، والجسم القابل (bc ٥٠) ، وبيت الرحم (d ٥٠ و d ٨٨) والأُمّ والمُرِضِع (a ٤٩ و d ٥٢ و d ٨٨) ، كلّ هذه التعابير تذكّرنا بالمكان الذي يحوي الأشياء . ثمّ يحدثنا افلاطون بعد ذلك عن « القالب » القابل للنقش (e ٥٠) ، وعن « المستحضر » أي الجوهر الذي نقاه العطارون من كل رائحة ليشوا فيه أطيبهم ، وعن الذهب الذي يؤتیه الصائغ شتى الأشكال والصور (a ٥٠) . وحسب التشابه التي تسترعي انتباهنا ، نحن نفكر قارة بالمكان الفارغ « الذي فيه » تظهر الأشياء المنظورة ، وقارة بالمادّة أو الجوهر الدائم الذي تكوّن منه تلك الأشياء على ما يبدو .

٥ — هل المحل هو المكان الفارغ؟

أيكمن حلّ المشكلة السابقة في كون افلاطون يعتبر الجوهر والامتداد امرأً واحداً ، على نحو ما يعتبرهما ديكارت فيما بعد ؟ « الموقع » و « المحل »

أي المكان (a - d ٥٢) ، أليس هو اسم الحقيقة الثالثة الجنسيّ ؟ هذا هو التأويل الكلاسيكي منذ أرسطو . وقد قبل به بعد كثيرين غيره آخر شراح الفيزياء الأفلاطونية ، لويس رُوبان ، وهو واحد من الذين هم أثقب نظراً بين أولئك الشراح .

وهذا التأويل ألم يكن تأويل أرسطو منذ ذلك الحين ^(١) ؟ فأرسطو يقول ان المرء لا يستطيع ان يوحد بين المحل وبين حدّ الجسم أو غلافه - أي من بعض الوجوه شكله - . ولا بينه وبين محتوى ذاك الغلاف أي المادة . والحال أن الرأي الثاني ، في نظر أرسطو ، هو رأي أفلاطون ، وفي التسميئس بالذات : و « اذا قال أفلاطون هو ايضاً في التسميئس ، إن المادّة والمحل شيء واحد بالذات . اذ القابل والمحل شيء واحد » .

يبد أن أرسطو يؤكّد لنا أن أفلاطون قد حدّد المحلّ تحديداً غير هذا الاخير في تعليمه الشفوي . لانه في ذاك التعليم يوحد بين المشارك وبين « الكبير والصغير » .

وهكذا فالمادّة الأفلاطونية في نظر أرسطو هي واحدة بالذات والمحل ، أي المكان . ولكن على ما يبدو لنا ، ليس هذا هو معنى النصّ المذكور القاطع في الظاهر . وإنما يلاحظ أرسطو ما أشرنا إليه منذ قليل ، وهو استحالة فصل المحل عن الاشياء التي تحتله ، وفصل المادة عن المكان الذي تشغله ، إلا بتجريد لا يفهم . ومن المحتمل أن يكون الاختلاف أقلّ مما يبدو بين فكرة أفلاطون في المحل وبين نظريّة أرسطو نفسه بشأنه .

٥ - (١) كتاب الطبيعة ٤ : ٢ : ٢٠٩ b ، ١٢٤

٦ — معنى النظرية الأفلاطونية المحتمل :

لو شاء أفلاطون فقط ان يفهمنا انه يتكلم إما عن المكان الفارغ وإما عن جوهر الاشياء المادي ، أيعقل أنه قد لاقى في ذلك كل ما لاقى من صعوبة ؟ فاصحاب النظريات الهندسية والمذهب الذري كانوا منذ أمدٍ بعيد قد عالجوا قضية المكان بدقة لا يتروخى المرء من بعدها دقة . اما المادة فقد اجتمعت الفيزياء القديمة أن تحدّد طبيعتها وان تعدد خصائصها .

كلا ، لا يدور الأمر حول تلقيننا وجود مكان او مادة . ولكن أفلاطون أخذ على نفسه ان يبين لنا كيف انه من التشتت المنطقي الناتج عن مفهوم « الآخر » بصدر التشتت الطبيعي بدوره ، اي استحالة وجود شيئين مختلفين معاً في محل واحد . كما آلى على نفسه ان يحوّل الى حقائق طبيعية مفاهيم من نوع منطقيّ او جدليّ محضٍ ، وان يجوز من صعيد المثال الى صعيد المحسوس . وهذا لا يمكن إلا بالاعتماد على الاستعارات ، وعلى ضرب « هجين » من البرهان ، يلزمه أن يلجأ في آنٍ واحد الى معطيات عقلية وإلى حدوس حسية .

ليس له جل كيان خاص . وما هو اذا توخينا الضبط ، جوهرٌ جديد ، يضاف الى جوهرى التحوّل والاشكال . ولكن يُفرض على تلك الاشكال وذاك التحول ، بضربٍ من الختمية الباطنية ، ان تنتشر وتتكاثر بالتشتت . وهذه هي الضرورة التي يروم افلاطون ان يُسلط عليها الاضواء . ولا تهدف استعاراته إلا الى افهامنا إياها . فينتج عن ذلك ان استعاراته تبدو ملتبسة ، ينطبق بعضها على الامتداد ، وبعضها على المادة ، في حين ان افلاطون لا يبغى لا المكان ولا الجوهر .

وهكذا يتضح لنا من جهة ، كيف لا يُقحم افلاطون نظريّة المحل في موضوع العناصر ، وقد كان يُحتمل مثل هذا الاقحام . ومن جهةٍ اخرى ، لماذا يرفض افلاطون رفضاً مبرماً ان يعين لكل من العناصر موقعاً محدداً ، كما يفعل ارسطو فيما بعد . لابل ينطوي التيمستس (٥٣ a ، ٥٨ c ، ٦٢ c ، ٦٣ c) على لون من الدحض المسبق لنظريّة ارسطو في العناصر .

ففي نظر ارسطو كما في نظر افلاطون ، ليس من فراغٍ خارج عن العالم ولا يوجد مكانٌ مُميّزٌ عن جوهر الاشياء . ولكن للكون « فوق وتحت » تعينها طبيعة العناصر المقابلة نفسها : فالنار هي ما يصعد دوماً ، والتراب ما يهوي أبداً الى مركز الكون . وتضادّ الثقيل والحفيف سوف يفيد لترتيب العناصر في العالم المنتظم (الكثوزموس) .

بيد أن افلاطون لا يقبل بهذا القول . واذا كانت العناصر تتجه في نظره الى مواقع معينة ، فذاك الأمر لا ينبج عن قرابة طبيعية في كل منها مع محل محدود . والقول بوجود موقع معين سلفاً لكل من العناصر يوازي في رأي افلاطون اعترافاً ضمنياً بتقدم الضرورة على الادراك .

ولولا خوفنا من استعمال تعابير عصرية جداً ، للإفصاح عن فكرة افلاطون لقلنا ان التيمستس يحوي استنتاجاً جديلاً لفراغٍ مهم في قلب عالم مليء . فالوجود المعقول من قبل تجريبياً ، والقائم في عزلة عن المكان ، وتحت أشكال صورٍ غير متحولة أو صفاتٍ متحولة ، هو من بعد الآن « مشتمت » ، منشور ، مبعثر في المكان : إنه يشغل محلاً ويتفكك الى أجزاء خارج بعضها عن بعض .

فيبدو ، مع التحفظ ومراعاة ما يجب مراعاته ، أنه يوجد عند افلاطون برهان يشبه البرهان الذي نجده عند لايبنتز . هذا ، وإن لايبنتز قد قرأ سنة ١٦٧٦ م . وقامل حوار التيمستس . واستنتاج افلاطون يرتكز في نهاية التحليل

على وجود التحول أو « الآخر » ، ويستمد قوّته بوجه غير مباشر حتى من وجود الصور . لأن هذه الصور لا تقدر أن توجد وتبقى بدون طبيعة « الآخر » . وهذه الطبيعة وحدها يمكنها أن تميز بينها .

فنحن نفقه إذن ما عانى أفلاطون من صعوبات ليُعبّر عن مفهوم معقد إلى ذلك الحدّ . ونفقه أيضاً حيرة الشراح إزاء تلك التعابير غير المألوفة .

البحث الثاني : الصور

١ - وجود المثل أو الصور .

ما ينتج في التيمميس من سير الحديث نفسه والتبسط في الموضوع ، أن مشكلة طبيعة المحل مرتبطة في الصميم بمشكلة وجود الصور أو المثل الأزلية . وفي الواقع تُطرح مسألة أصل العناصر مرتين : أولاً بعبارات عامة ، وذلك قبل التساؤل عن وجود المحل (١) ، ثم من جديد وعلى وجه أدق بعد الشروحات المتعلقة بالمحل (٢) . وعندئذ يتساءل أفلاطون هل هناك صور مطلقة أو مثل للعناصر ، لا بل بصورة أعمّ ، هل توجد مثل (٣) .

ويجب بتدليل ملخص ، ولكن في غاية الجلاء ، على واقعية المثل ، كل المثل ، وليس مثل العناصر فقط . إن المثل موجودة ، لأننا نملك موهبة خاصة تطلعنا عليها : وهذه الموهبة هي ادراكنا العقلي (٤) . إن المثل موجود ، إذ يلزم هذه المعرفة غير المتزعزعة الأكيدة ، المحفوظة لئفر زهيد فقط من الناس المستنيرين ، موضوعاً يمثّلها .

١ - (١) التيمميس ٤٨ b - (٢) ٥١ c - (٣) ٥١ d - (٤) ٥١ de .

وحقيقة المثل ، موضوع المعرفة العقلية ، هي غير متحولة نظير تلك المعرفة . فهي لا تتغير شكلها ، ولا تولد ولا تموت . لا تقبل أبداً عنصراً ما آتياً من مصدر آخر . إنها غير خاضعة لإدراك الحواس . وإن الحديث يدور في هذا المقام حول المثل ، وبصورة أدقّ حول المثل كما يصفها لنا السُّفِسْتِيّ . هذا ما يظهر في جلاء من المقطع التالي ، وفيه يُلخّص أفلاطون بكلمات القضايا التي ناقشها في السُّفِسْتِيّ : « فالبرهان يبيّن أن أمرين الواحد منها بغير الآخر ، إذا اتفق لهما أن يتداخلا ، لا يمكنهما أن يكونا هكذا في النهاية شيئاً واحداً وشيئين متباينين في الوقت عينه^(٥) . »

فهذه الجملة تُذكرنا ببدأ الهوية ، وعليه تدور فعلاً مناقشات حوار بَرْمِينِيدِسْ وحوار السُّفِسْتِيّ . وتنبهنا أيضاً أن الوجود موضوع البحث هنا هو أيضاً الوجود المثاليّ .

ويقابل هذا الوجود الحقيقة المحسوسة ، وهي على مجاراتها الحقيقة الأولى في الاسم ، حقيقة تتغير وتولد وتموت في المجل . فاذا قارنا هذه النصوص النصوص التي استقر أنها من قبل ، حيث يدور الحديث حول نموذج العالم ، يُضطر المرء الى القول بأن أفلاطون يقرّ في التيميستس بصورة جازمة نظرية المثل .

٤ — علاقة نظرية المثل بنظرية العناصر .

ولكن لماذا يُشير أفلاطون نظرية المثل ، وهو لا يعود إليها فيما بعد ،

(٥) cd ٥٢ .

لماذا يثيرها بالضبط بشأن العناصر؟ ذلك دون ريب ان الأشكال البدائية هي من العالم المثالي لا من العالم المحسوس ، لانها قابلة ان تكون موضوع تحديد عقلي ورياضي . اذ ان المثلثات البدائية ليست فقط في الواقع غير منظورة ، ولكنها أيضاً أبهى المثلثات وأكثر ما يستطيع المرء تصوّره منها^(١) . والإله قد حققها واحكمها إحكماً^(٢) على قدر مطاوعة وجود الضرورة له ، بفعل المُثُل والأعداد . وبالتالي تشترك صور العناصر بطبيعة المُثُل .

غير أن هذه الصور ليست مثلاً بجمالها . إذ إن العناصر تتطوي على شيء يستمدّ أصله من الضرورة^(٣) . وحضور هذا « الواقع الضروري » يفسّر لنا كون العناصر يتحوّل بعضها الى بعض^(٤) . إلا أن الأجسام البدائية هي في الواقع صور مثالية وكاملة من بعض الأوجه . ومع ذلك فهي تزداد اقتراناً بالتحوّل ، بمقدار ماتكون الجواهر الكيميائية المختلفة وموادّ الاجسام الحية . ويتدرّج هكذا افلاطون الى الكلام عن المجسمات البدائية ، كأنها جزيئات مادية ، قابلة الاهتراء والتفتت ، ومعرضة لفقدان حدّة تنوّعاتها . وهو يفسر الشيفوخة والموت بهذا الاهتراء عينه ، وبتراخي الجسيمات الأولية في النخاع واللحم . وفي هذا المقام يجري المرور من عالم المُثُل الى العالم المحسوس ويحصل « الاشتراك » .

٢ - (١) التيمشس ٥٦ c .

(٢) ن . م .

(٣) ن . م .

(٤) ٥٦ d .

البحث الثالث : العناصر

١ — متواليّة العناصر الهندسيّة :

فلنتبع الآن أفلاطون في تفاصيل برهانه . إنه على وجه مستغرب جداً ، يضمّ الى وقائع الاختبار الأقيسة الرياضيّة . فالتراب والنار هما أول ماثر كتب . والحال أنّهما بين العناصر العنصران المتضادّان أشدّ التضاّد . وقد اعتبرهما اتباع بيثاغورس والإليّياتيين مبدأيّ العناصر الأخرى .

ان المبدع سوف يشد هذين الحدّين المتطرفين الواحد الى الآخر . وأقوى رباط يعتمد اليه لذلك هو الرباط الناجم عن الواسطة الهندسيّة ، اي عن معادلة متصّلة ، تكون فيها الصلة الرابطة بين الحدّ الأول والحدّ الوسط ، نفس الصلة الرابطة بين الوسط عنه والحدّ الأخير بحيث نحصل على :

$$\frac{x}{1} = \frac{f}{x} \quad \text{أو} \quad x^2 = f \quad \text{أو} \quad \overline{fx = x}$$

وبعبارة أخرى x هي جانب مربع فيما f و x هما ضلعاً مستطيل مساوي . والحال ، يؤكّد لنا افلاطون ، أن واسطة واحدة تكفي لوصل مسطحين . بينما يلزمنا واسطتان لوصل مجسّمين . وهذه العبارة شغلت فكر الشراح ردحاً طويلاً من الزمن . ونحن نرى من قرائتنا ابرو كندس أن المهندسين القدامى ولاسيما ذمّو كرتس ، ما كانوا يقبلوا بالعبارة التي يذكروها افلاطون .

إذ في الواقع يستطيع المرء أن يولج بين عددين مسطحين لا واسطة

واحدة هندسية ، بل جملة واسطات . فبين المسطحين ١ و ٦٤ مثلا يمكن حشر

المسطحين ٤ و ١٦ إذان : $\frac{4}{16} = \frac{1}{4}$ و $\frac{4}{64} = \frac{1}{16}$. وعلى العكس هناك

حالات لا يوجد فيها بين عددين مجسمين إلا واسطة هندسية واحدة . فعلى سبيل الذكر ٨ هي المتوسط الهندسي الوحيد بين ١ و ٦٤ ، و ٦٤ هو الوسط الهندسي للجسم الوحيد بين ٨ و ٥١٢ . بين المتوازي الاضلاع ٤×١ و ٨×٣٢ هناك الواسطان ١٦ و ٦٤ ، وبين المتوازي المستطيلات $١ \times ٢ \times ٤$ و $٤ \times ٤ \times ٨$ ليس الا واسطة واحدة : ٦٤ . فكما لاحظ ذلك ابرئو كذئس منذ أمد بعيد لا يجهل سوى احتمال ضئيل أن يكون افلاطون قد جهل هذه المعارف الجليلة .

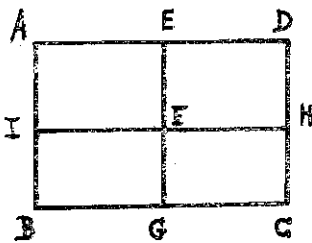
وقد حلّ يبيغ هذه الصعوبة حلاً لبقاً . ففي نظره ، أن افلاطون قد طرح المسألة في شكل هندسي . ففي حالة على الأقل توجد واسطة وحيدة بين مسطحين ، وواسطان فقط بين مجسمين .

فلنفرض فعلاً مستطيلين متشابهين ABCD و AEF . ولنعتبر h , a ضلعين

للا كبر ، و a و b ضلعين للأصغر . فتكون $\frac{a}{b} = \frac{B}{a}$

وبالتالي $\frac{a}{b} = \frac{aB}{ab}$ وأيضاً المستطيل $\frac{AEGB}{ABCD} = \frac{AEFI}{AEGB}$

إذن AEGB هي واسطة هندسية بين AEFI و ABCD . ويمكن أن نبرهن على النمط



شكل ١

نفسه أن AIHD تقوم بالمهمة نفسها والحال ان

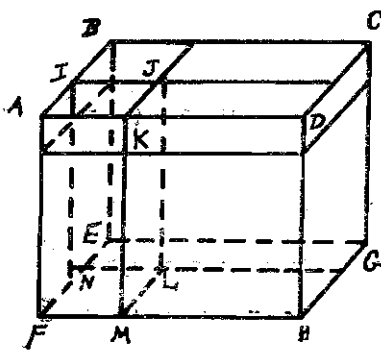
المستطيل $AEGB = AIHD$. والقول هو

نفسه عن المستطيلات المساوية AEGB .

ففي هذه الحالة الخاصة إذن واسطة هندسية

واحدة ، او بالأحرى كل الواسطات

الهندسية فيها يساوي بعضها بعضاً .



شكل c

ويبراهين ماثلة بين المرء أن بين المتوازي المستطيلات ABCDEFGH و AIKJFLMN لا يوجد سوى واسطتين هندسيتين ولا يستحيل أن يكون أفلاطون قد هدس فعلاً بهذين البنائين . وعلى كل حال ، فهو يؤكد بصورة عامة أنه لا بد أن نحصل ، بما أن العالم مجسم ، على المعادلة التالية :

$$\frac{e}{t} = \frac{a}{e} = \frac{f}{a}$$

فنقول ببلغتنا الحديثة أن المعدلين المطلوبين توفرهما لنا الجمل التالية :

$$3\sqrt{ft^2} = e \quad ; \quad \sqrt{f^2t} = a$$

وهذه الجمل تقابل مسألتى المجسمات : ١ - إذا فرضنا أن ضلع مكعب هو a ، فالمطلوب بناء موشور مستقيم علوه t وقاعدته f ؛ ٢ - إذا فرضنا مكعباً ضلعه e ، فالمطلوب بناء موشور قائم علوه f وقاعدته t . وهاتان المسألتان أعمّ على كل حال من المسألة التي يطرحها أفلاطون . وسوف نرى فيما بعد أنه من الصعب جداً أن نوفق بين المعطيات السابقة وبين المعلومات العددية ، المتعلقة بالمثلثات الأولية^(١) .

١ - (١) بشأن هذه النظرية كلها انظر A.Boeckh , Deplatonica corporis mundani fabrica . dans Gesammelte kl . schr . Leipzig , 3 , 1866 . p . 229 sq .
P. Duhem . Le système du monde , I , 1912 , P . 29 - 30 .

٢ — المثلثات الاساسية :

لما كانت الأجسام الاولية من الجوامد ، وحوث العمق في ذاتها ، حدثتها المسطحات . والحال ان كل مسطح يتألف من مثلثات او يتحلل الى مثلثات . وبكثير من الغرابة ، يطبق افلاطون في هذا المقام مبادئ قياس المساحات العملي . وكل المثلثات في دورها تنشأ عن صنفين من المثلثات ، لكل منهما زاوية قائمة وزاويتان حادتان . والواحد اضلعه متساوية والثاني متفاوتة . فالاول المتساوي الساقين هو دوماً شبيه بذاته . ولا يشتمل من ثمة الاعلى نوع واحد . اما الثاني فهو يشتمل انواعاً لا تحصى . وافلاطون يختار من هذه المثلثات نوعاً يحدده بهذه الكلمات (d ٥٤) : « وعنه ينشأ ثالثاً المثلث المتساوي الاضلع » . وقد برهن يينغ بصورة قاطعة ان عبارة ek triton او ek tritou لا تعني الا « ثالثاً » . وقد اختلف الشراح في فهم معناها .

ينشأ إذن ضرب ثالث من المثلثات هو المثلث المتساوي الاضلع ، الناجم عن مثلث فيه الضلع الاصغر مساوٍ لنصف الوتر (b ٥٤) . وفي هذا المثلث تربيعة الضلع الاكبر هو دوماً ثلاث مرات تربيعة الاصغر^(١) . ويمكن ان نبرز البناء الذي يشير اليه افلاطون على الوجه التالي . فلنفرض أن a الوتر وان b الضلع الاكبر ، وان c الاصغر . فيكون لدينا :

$$3c = b^2 , \frac{a}{2} = c$$

والحال طبقاً لنظرية بيثاغورس ، أن $a^2 = b^2 + c^2$. ولكن إذا

$$\text{كانت } 3c = b^2$$

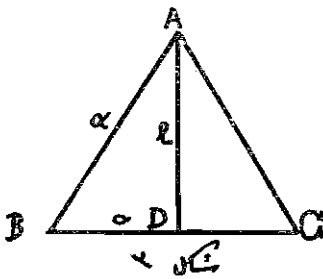
٢ - (١) في معنى كلمة ذِينَمِسُ الرياضي، انظر Th. Lheath., Diophantus of Alexandria . Cambridge , 1910 , p. 38 , note 1.

فلدينا : $c^2 + 3c = a^2$ ، أو $\sqrt{3c + c^2} = a$. ونحن نلاحظ انه لا بد من إيجاد مثلث قائم الزاوية بأعداد صحيحة . إن إفيكليدس يدرس مثل هذه المشكلات في الباب الثاني من كتاب العناصر (١ : ٤٢٨ : ٧) بيد أن ابرئو كنيس في شرحه كتاب إفيكليدس ينسب إلى افلاطون حلاً لإحدى تلك المشكلات . وهي التي نلقى حلها بالجملة التالية :

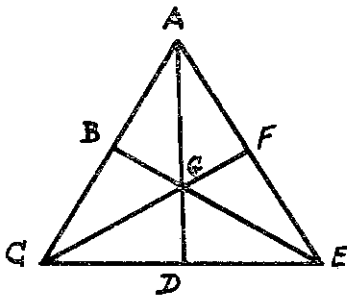
$$(1 + n^2)^2 = (1 - n^2)^2 + (2n)^2$$

وافلاطون يعتبر ان الخاصتين التاليتين بيئتين من الوجهة الهندسية :

(١) - إذا ضمنا مثلثين قائمين متساويين ، فيها الوتر ضعف الضلع الاصغر ، إذا ضمناهما من جهة ضلعيها الأكبرين ، فنحن نؤلف عندئذ مثلثاً متساوي الأضلاع .



و فعلاً إذ إنّ الزاويتين ADB و ADC قائمتان ، فالخط BDC مستقيم . و $AB = AC$ و $BD = CD$. والحال ان AD نصف BC . إذن $AB = AC = AD = BC$. (٢) - في المثلث القائم الزاوية الذي وتره ضعف الضلع الاصغر ، تربيع الضلع الأكبر هو ثلاث مرات تربيع الضلع الاصغر .



و فعلاً لنفرض ان a هي الوتر ، وان b و c هما الضلعان فاذا كانت $a = 2c$ و $c^2 = 3c$. ولكن حسب نظرية بيشغورس $a^2 = b^2 + c^2$. إذن $b^2 = 3c^2$

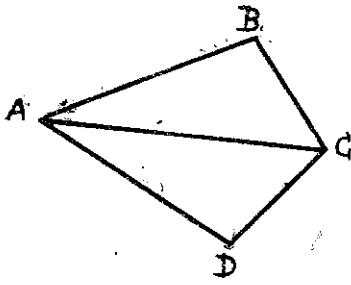
ويبي افلاطون بواسطة ستة مثلثات من هذا النمط مثلثاً جديداً
متساوي الاضلع .

فلنفرض اننا نضم مثلثين قائمي الزاوية مختلفي الاضلاع من النمط
المذكور . وأتينا نضمّهما اثني اثنين سواء من ضلعيهما الاصغرين أو من وتريهما .
فإن أعدنا هذه العملية ثلاث مرات على ستة مثلثات، نحصل على مثلث متساوي
الأضلع ، يولفه ستة مثلثات مختلفة الأضلاع أو ثلاثة مثلثات متساوية الأضلع^(٢)
[هكذا] .

وفعلاً فلنضمّ ABG الى CGB بضلعه الصغير GB ، ثم CGB الى CGD
بوتره CG ، وهكذا . فالزوايا في G المقابلة للأضلع الكبيرة من المثلثات ، هي
زوايا قائمة لمثلثات متساوية الاضلع (هكذا)^(٣) . وبالتالي فهي تؤلّف إذا
جمعت ثلاثها معاً زاويتين قائمتين ، وإذا جمعت ثلاثها معاً زاويتين قائمتين ، وإذا
جمعت ستها معاً أربع زوايا قائمة . ومن ثمّ يندمج وتر المثلث الأخير ووتر
الأول . والزوايتان ABG و GBC هما قائمتان . والحط AC مستقيم . وهكذا
نبرهن أن الشكل ACE هو مثلث ، وأنّ الجوانب AC و CE و AE هي متساوية .
هذا ، ويمكن أن نعرض البرهان نفسه على وجه آخر . إذا جمعنا مثلثين
قائمي الزاوية ABC و ADC من جهة وتريهما فالشكل الناشيء هو شكل رباعي

(٢) يريد المترجم الفرنسي : وهذا هو الصحيح ، ثلاثة مثلثات كل منها متساوي
الساقين ، لأنه لا سبيل الى ضم ثلاثة مثلثات متساوية في مثلث واحد .
(المعرب)

(٣) راجع الحاشية السابقة .



شكل ٥

متوسطته الرتر المشترك . وجمع ثلاثة اشكال رباعية من هذا النمط ، نُضم من جهة أضلاع المثلثات الصغرى ، يعطينا مثلثاً كبيراً متساوي الاضلاع ، ناشئ عن ضمّ ثلاثة أشكال متوازية الاضلاع ، تلتقي متوسطاتها في نقطة كأنها وسط الشكل . (ر شكل ٤) .

٣ — المجسمات الاولية :

وسوف يعمد افلاطون الى هذه المثلثات لبناء مجسماته البدائية : ذوات الواجهه الاربعه أو الثمانية أو العشرين والمكعب .

١ — الرباعيّ الواجهه : إذا جمعنا ثلاثة من المثلثات المتساوية الأضلاع من ثلاث زوايا مسطحة ، حصلنا على زاوية مجسمة قيمتها أصغر مباشرة من قيمة أضيق زاوية مسطحة . والحال أن أضيق زاوية مسطحة ، هي الزاوية التي تختلف قيمتها عن قيمة زاويتين قائمتين ، أو الزاوية ذات 180° ، بقدر أصغر من أي قدر يُعطى .

ولكن ثلاث زوايا مسطحة كل واحدة قيمتها 60° تعطي 180° . فكل زاوية مجسمة من الشكل الرباعي الواجهه ، وهو اول شكل من المجسمات البدائية ، تؤلفها إذن ثلاث زوايا مسطحة قيمة كل منها 60° . ويضيف افلاطون أن من خصائص الرباعيّ الواجهه ، أن يتقسم الى أجزاء متساوية مؤتلفة كل سطح الكرة التي يرسم فيها (a ٥٥) . والتطوح التي تُحَدُّ هذا المجسم الأوّل ، تؤلفها بمجملتها أربعة وعشرون مثلثاً بدائياً .

٢ - الثمانيّ الاوجه والعشرون وجهاً : والنوع الثاني من المجسمات ، أي الثمانيّ الاوجه (a ٥٥) ، له ثمانية أوجه مثلثة وست زوايا مجسّمة . ويتألف من ثمانية وأربعين مثلثاً بدائياً . والنوع الثالث أي العشرون وجهاً ، يشمل عشرين وجهاً مثلثاً ، ومئة وعشرين مثلثاً بدائياً واثنتي عشرة زاوية مجسّمة . تحدد كلا منها خمسة سطوح .

٣ - المكعب : إن المكعب تؤلّفه مثلثات قائمة الزوايا متساوية السوق متقابلة الرؤوس . فالمكعب مجوي إذن اربعة وعشرين مثلثاً متساوي الساقين ، وثمانى زوايا قائمة مجسّمة تحضن كلا منها ثلاثة أوجه متعامدة (e ٥٤) .

٤ - صعوبات هذا البناء .

إن النصوص التي بين ايدينا تثير مشا كل عدّة خطيرة .

١ - لقد رأينا من قبل ان العناصر الاربعة توحّد بينها ضرورة معادلة من نمط المعادلة التالية : $\frac{e}{f} = \frac{a}{c} = \frac{f}{a}$ ومن ثمّ لا بد أن توجد علاقة من هذا النوع إما بين أعداد السطوح الحاضنة المسربلة ، وإما بين أعداد المثلثات أو السطوح التي تحدد الزوايا . والحال أننا إذا لمنا المعلومات التي يوافقنا بها أفلاطون فنحن نحصل على اللوحة التالية :

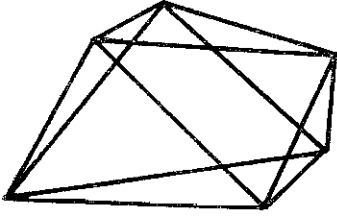
السطوح	الزوايا	حاضنة الزوايا	المثلثات	
٤	٤	٣	٢٤	الرباعيّ الاوجه :
٨	٦	٤	٤٨	الثمانيّ :
٢٠	١٢	٥	١٢٠	«العشرون وجهاً» :
٦	٨	٣	٢٤	المكعب :

ولا سبيل لأن نعتز في أحد هذه الأعداد ، على المعادلات التي أشرنا إليها في جملتنا السابقة . ويقترح جالبرت^(١) O Gilbert أن نراعي أعداد السطوح الحاضنة الزوايا المجرّمة في الأشكال البدائية (العمود الثالث) . إذ يمكن فعلاً بواسطة هذه الأعداد أن يؤلف المرء مطلع اضطراد عددي : ٣-٤ ، ٤-٥ ، ٥-٦ ، ٥-٦ . إلا أن الحدّ الأخير من هذا الاضطراد ، لا يُحصل عليه إلا إذا حسبنا ستة سطوح لنحصر زوايا السداسيّ الأوجه أو المكعب . وهذا فعل اعتباطي إلى حدّ كبير . وعلاوة على ذلك ، فقد علمنا أنّ أفلاطون يتكلم عن اضطراد هندسيّ .

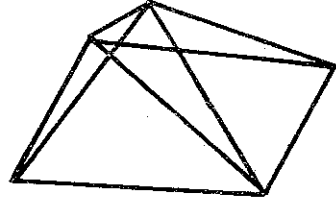
٢- ويشرح لنا أفلاطون فيما بعد (b ٥٦) أن كل (عشرين وجهاً) من الماء ، يولد إذا تفكّك ، رباعي الأوجه من النار واثنين من ثنائيات الأوجه من الهواء ، وأن ثنائي الأوجه من الهواء يتحلل إلى اثنين من رباعيّات الأوجه من النار ، وأن جزئين ونصفاً من الهواء تشيء جزءاً (عشرين وجهاً) من الماء . فلتأمل مثلاً ثنائيّ أوجهٍ من الهواء . إن اثنين من رباعيّات الأوجه لا يقابلان حجم ثنائيّ الأوجه . ويستحيل أن يُقسّم ثنائيّ الأوجه إلى اثنين من رباعيّات الأوجه . وثنائيّ الأوجه يُقسم ، طبقاً للجملة الرابعة عشرة من الباب الثالث عشر من كتاب أفكليبيدس ، إلى هرمين رباعيّي الزوايا ، ضمّ الواحد إلى الآخر من جهة قاعدته . إلا أن هرمين أو رباعيّي الأوجه إذا ضمّ الواحد إلى الآخر ينشئان سداسيّ الأوجه . وهذا الشكل لا يمثّل في لائحة المجسمات الأولى .

.Die meteorologischen Theorien , P . 167-168 .

٤ - (١)



شكل ٦



شكل ٧

« والعشرون وجهاً » لا يمكن أن يُقسَّم هو أيضاً الى اثنين من ثنائيات الالوجه والى رباعي واحدٍ من رباعيَّات الأوجه .

قبل نرد غموض نصوصنا الى جهل افلاطون في علم المجسَّات ؟ صحيح أن افلاطون يبدو وكأنه يقول في الجمهورية (٧ : ٥٢٨) ان بناء المجسَّات لم يحقق بعد ، وهو يشكو في ذلك لا مبالاة الدول « ولكن سوف نرى أن القوم كانوا قد حصلوا ، في عهد تأليف التيميثُوس على بناء المجسَّات المنتظمة ، كما هي وارده في الباب الثالث عشر من كتاب العناصر (٢) . هذا ولا يحتاج المرء الى معلومات وافرة في علم المجسَّات كي يلاحظ أنه لا يمكن انشاء ثنائيّ الالوجه من ضمّ اثنين من رباعيَّات الأوجه . اذ يكفي لذلك ، النظرُ الى أحد النماذج المنحوتة في الحجر أو الخشب ، وقد أجاد استعمالها خيرَ أجادة عند اليونان ، علماء الهندسة وفنّ البناء .

٣ - أن الرباعيّ الأوجه أو الهرم هو صورة النار البدائيّة ، والثماني الأوجه هو صورة الهواء ، و « العشرون وجهاً » صورة الماء ، والمكعب صورة الارض . وافلاطون شأن ذمموكونيُّس ، يقول ببعض التجانس بين الأشكال وبين الخصائص الحسيّة في العناصر المقابلة . ولكن هل تنشأ الصفات الحسيّة عن فعل الأشكال لا غير ؟

(٢) راجع الفقرة التالية : ، - اتساع معارف افلاطون الرياضية .

ان ارسطو ينتقد النظرية الافلاطونية انتقاداً مستغرباً^(٣) . ويقول ان كانت الاجسام مركبة من مساحات ، وهذه من خطوط ، والخطوط من نقط فلا يكون للاجسام ثقل الا اذا كانت المساحات والخطوط ، ومن ثمّ النقط ، ثقيلة . ولكن لا يعقل ان ننصّر نقطاً ثقيلة . ويبرهن ارسطو على هذا الموضوع معتمداً على نظريته الخاصة في الثقل^(٤) . ثم يضيف : « وعلاوة على ذلك ، اذا كانت الاجسام تزداد ثقلاً بتزايد مساحتها (أي وجوها) ، كما يبسط ذلك في التيميس ، فمن الواضح ان الخطّ والنقطة مجرزان هما أيضاً ثقلاً ما^(٥) . ويشير ارسطو الى مقطع في التيميس ، يعلن فيه افلاطون ان النار هي اخف العناصر ، لأنها مركبة من اصغر الاجزاء (ab ٥٦) .

ولكننا سوف نرى فيما يلي ، أن افلاطون لا يعتمد البتة إلى الأشكال الأولية في ما يعطي عن الثقل من تفسير ، وان نظريته في الثقل تشابه اكبر تشابه نظرية ارسطو نفسه . إن حوار التيميس يعرض لنا الثقل والحقة بمثابة خاصيتين نسبيتين ترتبطان بطبيعة المسكان (ن . م) .

وفي مثل هذه الحال ، نفهم تردد الشرّاح المعاصرين وحيوتهم فائسلي^(٦) يعتمد على نصوصنا هذه ، ليدعي ان المادة الافلاطونية تُردّ إلى الامتداد أو الى معالم او خصائص هندسية محضة . أما توماس ريتان^(٧) فيحسب أن افلاطون

(٣) ر كتاب السماء ٣ : ١ : ٢٩٩ a - b ١٥ .

(٤) ن . م . ٢٩٩ a : ٣٠٠ وهذا تعريب نص ارسطو : « ومن الواضح المؤكد ان النقطة لا يمكنها ان تعجز ثقلاً » .

(٥) ن . م . ٢٢٩ : b ٣٢ .

(٦) ١ : ٢ ص ٨٠٠ ومايلي .

(٧) ك . م . ٢ ، ص ٢٣٩ ومايلي .

لا يتوقف إلا عند السطوح المعشّية أو القشرة التي تكتنف الأحجام . ويرى أن هذه السطوح هي « صفحات رقيقة من مادة جسيمة » (٨) .

وإيفا ساخس Eva Sachs توافق على تفسير مماثل (٩) . غير أن أرسيه هاند يظن على عكس ذلك ، أن المجسّمات الهندسية تغلف جوهرأ مادياً يفسر خواصها الطبيعية (١٠) . ولكن لم يستطع ولا واحد من أوّلك الكتاب ان يحوّ تناقضات التعليم الأفلاطوني الظاهرة .

ونحن إذ نطرح على أفلاطون هذه الاسئلة الدقيقة ، ربما نتطلب منه دقة كاملة لم يستطع ولم يشأ إحرارها دوننا ريب . ونظرية الاشكال البدائية معدة في النهاية ، لتفسر لنا كيف يلج النظام في فوضى الصفات وفي تشويشها المائج . فهذه الأشكال بخصائصها المحدودة غير المتحوّلة تؤتي الصيرورة شيئاً من الاستقرار . ولكن هذه الأشكال لا تكوّن جوهر الصيرورة الذي يلبث ناشئاً عن الصفات المتحوّلة . وبالتالي كل خصائص الأجسام ، وكلّ ظروف استحالاتها لا تُفسّر بالميزات الهندسيّة التي انطبعت عليها الاشكال الاولى . وبين هذه المعالم الرياضية يتبقى شيء مستعصم لا يتحوّل ، ألا وهو الصفات نفسها . ولكن هنالك تجانس بين الاشكال وبين الصفات التي تقرها الأشكال . فطبيعيّ ان يكون للنار اطراف حادّة ، وأن تتألف من اصغر العناصر وارسطها . وبين هذه الحفّة التي يفسرها تنسيق الكون جملةً ، وبين تلك الرشاقة المرتبطة ببنيّة المجسّمات الاوائل ، هنالك ارتباط نستشفه ، دون تمكننا من متابعة استنتاجاتنا الرياضية بنتهى الدقة . فكيف نستغرب عجزنا عن بناء اضطراد مضبوطٍ كامل للعناصر .

(٨) ص ٢٤٢ .

(٩) ك . م . ، ص ٢١٧ .

(١٠) ص ٢٠٢ .

ألا تتدخل الصيرورة في الأمر لتشوش حساباتنا وتدس الخطأ في نتائجها؟ فحسبنا وهذا أمر جليل ، ان نكون قد استجلينا قليلاً سة النظام والقياس ، التي لاقتنا تعمل خلال اختلاط الظواهر المنظورة .

٥ - اتساع معارف افلاطون الرياضية .

حسب نصّ الباب السابع من كتاب الجمهورية ، ذاك النصّ الذي ذكرناه من قبل ، لم يكن بناء الحجّات المتعددة الأوجه المنتظمة قد نحقق بعد في عهد افلاطون . بيد ان التيميس يفرض ان هذا البناء يعرفه القاريء . ونحن نجد في عناصر إيفكليدس الجمل المتعلقة بالحجّات الأربعة الأولية . والجملة الأخيرة من الباب الثالث عشر (١) ، والجملة الحادية والعشرون من الباب الحادي عشر تقول : « إن كلّ زاوية مجسمة تحدّها زوايا مسطحة ، مجموعها أقل من اربع زوايا قائمة . » وميزة تقسيم مساحة الكرة المحصورة التي يذكرها افلاطون في كلامه عن رباعيّ الأوجه ، ليست سوى تعريف المجسم المنتظم في الجمل الاثني عشرة وما يليها من الباب الثالث عشر من كتاب إيفكليدس . فيبدو إذن انّ التناقض قائم بين نصّ الجمهورية ونصّ التيميس . هذا ، وبناء على تقليد قديم ، قبيل به من بعد بيير تانري ، كلّه مؤرّخي الهندسة ، من المحتمل ان تكون نظرية الحجّات الخمسة المنتظمة المتعددة الأوجه من استنباط البيثغورين . وقد نماها الهم اسيفميس والكصنذرس بليستير ويمفلكس ومؤلف «الحساب الإلهي » وابروكلّس وسمبليثيس وجملة مؤلّفين آخرين جمعت إيفا ساخس سذرانهم . ونصّ لابركلّس على الاخصّ يؤكّد ان بيثغورس قد اكتشف

(١) هيرج ، ٤ ، ص ٣٣٨ . ر ما قبل ، الفقرة : ٤ - صعوبات هذا البناء .

تركيب الاشكال الكونية الخمسة : (٢) وبما أننا نقبل عموماً ، من بعد تانري أن ابروكس في مصنفه « فهرست المهندسين » قد استعان « بتأريخ الرياضيات » لإيفندس عن طريق أحد اصحاب الجامعات ، وقد يكون جيمينس ، فان اكتشاف الجسّمات الخمسة المنتظمة قد يرجع على الاقل الى المدرسة البيثغورية ان لم يرجع الى بيثغورس نفسه . ولكن فوغت Vogt قد برهن ، وتبعته في ذلك ايفاساخس ، ان ابروكس لم يستعن مباشرة بايفندس ، بل ربما بعيفلكس (٣) . فضلاً عن ذلك ، من المرجح جداً أن المقطع السادس من مقطوعات فيلولوس الذي يذكر الجسّمات الخمسة المنتظمة هو منحول . ويبدو أن برنت قد أثبت ذلك جيداً (٤) .

فاذا راعينا الظواهر ، لا بدّ أن يعود بناء الاشكال الخمسة المنتظمة المتعددة الواجه لا الى البيثغوريين بل الى ثيئيتس صديق سقراط وأفلاطون على ما يعلمنا سويندس وعلى ما تشير اليه التعليقات على كتاب افكليدس (٥) : « في الباب الثالث عشر هذا يُبنى ما يدعى بالجسّمات الأفلاطونية الخمسة . وهي ليست من أفلاطون نفسه . لأن ثلاثة من الجسّمات الخمسة التي ذكرناها هي من

In Euclid . , 65 , 15 Friedlein .

(٢)

Eva Sachs . Die fünf Platonischen Körper . Zur Gesch . der

(٣)

Mathematik und der Elementenlehre Platons und der Pythagoreer . Philologische Untersuchungen . herausg . von A . Kiessling und U . V Wilamowitz - Moellendorf . Berlin . 1917 . 8 . P.9et sq . Bf . Jamblique , Vita Pythagori , 88 .

(٤) فولوس ، مقطوعة ٦ : (3 . 32 B . 12) « وأجسام الكرة

أربعة في العدد النار والمانء والتراب والهواء . وهذه كلها في الكرة والجسم الخامس ألكس هو سائق الكرة . »

Burnet . Early greek Philosophy 3 , P . 284 - 303 .

راجع

Scholia in Euclid . X I I I . Haiberg , P . 654 , 1-10 . -

(٥)

ينغورس : المكعب والمهرم والاثني عشري الوجوه . أما « الثاني الاوجه »
 « والعشرون وجهاً » فهي من ثيئيتس . وقد سُميت بالمجسّات الافلاطونية ، لأن
 افلاطون يأتي على ذكرها في التيمس . والباب الثالث عشر هذا يحمل اسم افكليدس
 لأن افكليدس ، قد أفسح لها مجالاً في عناصره .

ويُحتمل ان يكون نصّ التعليقات على افكليدس هذا مأخوذاً عن
 بابس Pappus . وقد كان هو نفسه يستفيد من تاريخ الرياضيات الذي وضعه
 ايفدس . وما قد يدعو الى الدهشة ان بناء الاثني عشري الوجوه ، وهو اصعب
 من بناء الثاني الاوجه والعشرين وجهاً ، يكون قد عُرف قبل بناء هذين
 الاخيرين . ولكننا نرى حتى ايامنا هذه في متاحف مختلفة اثني عشريات حجرية
 منتظمة اصلها تروشي او سلتّي ، وتُردُّ الى عهد سحيق (٦) . ولا يستحيل
 قطعاً ان ينحدر الباب الثالث عشر من كتاب افكليدس برمته عن تعليم
 ثيئيتس .

وفي النتيجة ، كان بناء الأشكال الهندسيّة الخمسة المنتظمة ، التي اعتمدها
 حوار التيمس ، كان ذلك البناء ، على الأقل في بعض اقسامه ، حدثاً رياضياً .
 ولا ريب انه كان قد حَقَّق منذ عهد قريب ، عندما الف افلاطون حوار . وهو
 يؤكّد ذلك بجلاء كامل (٧) . وقد وُفِّق ثيئيتس الى اكتشافاته بعد ان
 كان افلاطون قد انجز تأليف الباب السابع من جمهوريته . وقد بادر افلاطون
 لولعه الخاص بالاحداث العلمية ، الى الاستفادة منها في التيمس حالما اطلع عليها .
 ولذا يبدو من حين الى آخر انه يتججّح ببسط علم فارغ . وايفاساخس تلوميه

(٦) Burnet , o . o . P . 284 . R. Newbold , Archiv . 19 . P.204.

(٧) b٤٨ وهذا تفسير نصّ افلاطون الذي لا يشير لسوء الحظ الى الأشكال الهندسيّة بل الى
 العناصر : « ولم يدلنا بعد أحد على أصلها ومولدها . » (المترجم) ! ...

لأنه يأتي على ذكر تعريف الجسم المنتظم ، في موضعٍ ، لا يفيد هذا الذكر قليلاً . إلا أنها أساءت فهم نوايا الفيلسوف ، وهو معنيّ بصدد الرباعيّ الأوجه ان يظهر انتظام الاشكال البدائية المثاليّ ، ومسرور ان يثبت بمثلٍ ، يُحفظ للذكرى والتاريخ ، أهمية اشغال اصدقائه (العليّة) .

البحث الرابع : الاحداث الجورية

ان حوار التيمستس ينطوي على مستهلّ علم الاحداث الجوية بمعناها القديم . وعلى ايجاز تلك الخطوط العريضة المقرط ، وعلى غموضها الكبير ، فالمرء مع ذلك يتبيّن نظريّات عدة ، سوف تملأ الباب الثالث من كتاب علم الاحداث الجوية لارسطو ، وهذه النظريّات عنها سوف تكون الى العهد الحديث اساس علم المعادن وعلم الكيمياء . وتلك المعلومات كانت تقليديّة ، تعود في قسط وافر منها الى الفيزياء الايونية . ويصعب علينا اليوم ان نتميز فيها العناصر المستحدثة من القديمة .

تنوع العناصر .

يبتدىء افلاطون بملاحظة عامّة وهي ان هناك صنوفاً كثيرة لكلّ من الاجسام البدائية . ويفسّر تعدّد تلك الصنوف ، بوجه عام ، باختلافات الشكل الطفيفة وفقدان الانتظام في المجسمات المكونة الأساسية (٥٧ c) .

١- النار .

توجد ثلاثة انواع من النار : اللهب المحرق والضوء وبقايا اللهب المتأججة . ويظهر لنا ان كلمة افلو كس لم تحظ بمعناها العلميّ الا في عهد افلاطون . وهو لا يستعملها الا في التيمستس للدلالة على اللهب . وسوف يُعرّف ارسطو اللهب

دخاناً أو غازاً مشتعلاً^(١) . وآخر نوع من النار هو « ما يتبقى من اللهب في الأجسام المشتعلة ، بعد انطفاء اللهب » . وذلك ليس اللهب على قول جليبير O Gilbert^(٢) . وما من داع الى انتقاد روح التمحيص عند أفلاطون . إنه النار الكائنة في جسم يحترق ، لا ينطلق منه لهب ما ، نظير الحديد المتوهج أو الحجر المتأجج .

٢ - الهواء .

ييز أفلاطون نوعين من الهواء: الأثير، وهو على غرار أمبيد كليس^(١) ، يقارنه بالهواء وليس بالنار. ثم « الضباب » المدلهم . وهذا الضباب هو في هذا المقام ، شأنه عند هوميرس^(٢) ، ضرب من الهواء . وكل مرة يتكلم أفلاطون عن الأثير فهو يمثله بالهواء . إنه على ما نطالع في حوار فيثون (b ١٠٩) ، من السماء الأرجاء الصافية جداً ، حيث تركز الكواكب . فالأثير أنقى من الهواء بكثير ، وله خواص مماثلة . انه بالإضافة الى الكواكب ما الهواء بالإضافة اليها (b ١١١) . وقد عدل تلاميذ أفلاطون عن وجهة النظر هذه ، واعتبروا الأثير من جديد صنفاً من النار^(٣) .

٣ - الماء .

إن درس أنواع الماء هو درس اوسع . فأفلاطون يذكّر نوعين من الماء،

١ - (١) دخان مشتعل، كتاب السماء ٢ : ٤ : b ٣٣١ ، ٢٥ ، وكتاب الأحداث

الفلكية ١ : ٤ : b ٣٤١ ، ٢١ .

(٢) ك. م. ص. ١٧١ .

٢ - (١) ر. أمبيد كليس (15 , 241 , 1 , 3 , Vorsokr .) .

(٢) التعقيب على الشرائع ٨٩١ e .

الواحد سائل والآخر « قابل للسلان » (١) .

ونحن لا نجد هذا التصنيف عند الكتاب الاقدمين . لكن ارسطو قد
تبناه . إذ انه هو ايضاً يعدّ المعادن القابلة الذوبان موادّ شبيهة بالماء ، لها الماء صفات
مشتركة وتختلف عنه بصفات اخرى (٢) .

فلنظرية أفلاطون هذه النتيجة المستغربة ، وهي أن الماء مبدئياً من الجوامد ،
وهو لا يسيل إلا بفعل النار نظير المعادن . فالتلج والجليد والبرّد والمعادن هي
سوائل متجمدة . وسوف يحافظ علماء اليونان على هذه النظرة المستهجنة ، التي
نلقاها هي نفسها عند كيميائي الاجيال الوسطى . إلا أن المعادن اثبت من
السوائل ، وهي تحوي كمية اقل من النار ، لأن مثلثاتها الاساسية اكبر . وبين
اصناف الماء الماويّات لها أهميتها الخاصة ، وما ذلك دونما ريب إلا بسبب قيمتها
الغذائية . وكلمة خَمْوُسُ الواردة في التِيْمِيْسِيْس ، لا يُعثَر عليها في الحوارات
الأخرى . ولا يثبتها بهذا المعنى قبل أفلاطون سوى عُثْرَغِيْس (٣) وابْرَمُذِيْكُس .
فهي عندهم مرادف خِلْسُوْس (٤) .

٣ - (١) كلمة ختون وضع علمي للدلالة على المعادن القابلة الامتداد . ر التيمس

٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ -

(٢) كتاب الأحداث الفلكية ٣ : ٧ : ٣٧ ، ١٥ - ٢٧٠ ، ٣٧٦ -

(٣) عُثْرَغِيْس في مديح هيلانة ؛ ١ (14 ، 253 ، 2 ، 3 ، Vorsokrater)

- (٤) ان كلمة خِلْسُوْس تعني بلغة الطب الاخلاط وبلغة النبات الماوية أولاً والعصير ،

وكلمة خَمْوُسُ تعني عصاره اللحم خصوصاً ، وأي عصير ، والاخلاط ايضاً ، ولادة
الطعام وذوق الاشياء واستذواقها . ثم تمازجت كل هذه المعاني عندهم في الكلمتين على

السواء . (المترجم)

٤ - التراب .

خلافاً للعناصر الاخرى، ليس للتراب من انواع خاصة. وانما تنتج اصنافه عن نسبة الماء والنار ، وعن وفرة هذين العنصرين أو قلتها فيه . وفعل الماء في التراب يحدث بصورة عويصة متشابكة بعض التشابك . فالماء الحارق التراب ، لا يلبث أن يُطرد منه في قسطه الاكبر بضغط الذرات الترابية . فينضح التراب الماء ويندى سطحه ويتبخر الماء ويتحول جزئياً الى هواء . وهذا الهواء في نوبته يضغط طبقة الهواء الملاصقة التراب ، والتراب نفسه كردّ فعل . والضغط يؤتي التراب كثافة وقساوة ونشوفة، بحيث تتكون على سطحه قشرة متراصة يابسة . وهكذا تتولد اصناف الحجر الصلب المختلفة (a ٨٠ ، b ٦٠) .

وتدخل النار يشرح تكون الآجر (c ٦٠) . وتظهر أخيراً الاملاح او المواد الذائبة ، عندما تفارق بعض ذرات التراب ، مفارقة موقته ، كمية من الماء كانت تحفظ تلك الذرات في حالة ذوبان ، فتجمد جزئياً لتعود وتذوب بعد ذلك في الماء (d ٦٠) . وفعل النار هو الذي يسود حجارة كثيرة . هذا ، ولا يسهل أن يعين المرء بدقة الاصناف المعدنية التي يميزها افلاطون . وبعد هذه الشروحات بقليل ، يجد القارئ توسعاً غريباً في موضوع « الماويّات » او المزائج السائلة كالخمر والزيت والعسل والصمغ (١) .

٤ - (١) إن افلاطون يخص بالذكر (a ٦٠) زيت الخروع : كيكبي kiki . وهذه الكلمة لاتدلّ على الشجرة ، بل على الزيت الذي يستخرج منها : هروذ^٢ نُس : ٢ : ٩٤ ، واسترافن ١٧ : ٢ : ٠٥ . راجع لشارل بوجيه Charles Beaugé ، الخروع واستخداماته الطبية في مصر القديمة Archives médico - chirurgicales de provinces . 1924 . 2 . p.67

إن هذا القسم كله من حوار التيميشس يُلخّص على الأرجح معلومات
فنية أنسها معاصرو افلاطون ، واستفاد منها أرسطو نظيرهم في كتاب الأحداث
الفلكية (٢) . والصيغة الآلية في كثير من تلك الإشارات ، يذكرنا
بفهم كوتس كما بعيد إلى ذهننا أشغال بعض السفسثيين وعلى كلِّ ،
لا يترسل افلاطون في هذه الموضوعات . لا بل يعمل تماماً درس الاحداث
الفلكية المختلفة التي نالت حظاً وافراً من دراسات سابقه . ذلك أن البلوغ الى
التنقيب عن الطبيعة البشرية يستحثه دوغما ريب . وتلك الطبيعة على ما رأينا ، هي
هدف أبحاثه الرئيسي .

(٢) مثلاً كتاب الأحداث الفلكية ٤ : ٦ : ٣٨٣ a ٣١٨ ، نظريات
ارسطو في تكوين الأجر .

الفصل السابع

رُوحُ الْإِنْسَانِ وَجَسَدِهِ

البحث الأول : الروح البشرية

الروح في التيمميس كما في سائر مؤلفات افلاطون ، هي أصالةً مبدأ الحياة ، أي مبدأ حركات منظّمة وموجّهة نحو غايةٍ معيَّنة . فكلّ ما يحيا ، أي كلّ ما يتحرك في انتظام حركةً ذاتيةً ، ما خلا العناصر ، يجرز روحاً . وهذا لا يفرض حتماً أن تكون الروح ماثلة في كلّ اجزاء الاجسام الحيّة بالنسبة ذاتها .

بيد أن طبيعة الروح البشريّة لا تبحث في حوارنا هذا الا على صعيد تربويّ واخلاقيّ خصوصاً . أما الاعتبارات النفسانيّة فلا تشغل في عرض افلاطون إلا محلاً زهيداً . فنظريّة الإحساسات مثلاً تبسط كلّها دون ذكر الروح ، غير مرّةٍ واحدة في معرض الكلام عن السماع (٥٧ b) .

١ - أقسام الروح :

إن حوار التيمميس يُميّز ثلاث لا بل أربع ارواح مختلفة . فهناك أولاً

« المبدأ الذي لا يموت في الحيوان المائت » (e ٤٢) . وقد صورّه الصانع نفسه ، ليودعه بعد ذلك في أيدي الآلهة الثانوية ، المكلفة بصوغ الأجسام الحية (٤١ d ، ٤٢ e ، ٤٣ ade) . وهذا المبدأ ، على كونه غريباً عن الجسد ، يتحكّم مع ذلك في بنيانه ، لأن وظيفة الجسد الجوهرية هي أن يخدم المبدأ الروحي بمثابة عجلة له (٦٩ d) . والحال أن العنصر الغير المائت من الروح البشرية هو مماثل لكل المائتة روح العالم . فهو كرويّ مثلها ، وينطوي نظيرها على دائرة « الشيء ذاته » ودائرة « الآخر » . وله على غرارها دوراته ، بعض منها يتعلّق بالكيان ، والبعض الآخر بالصورورة (٤٣ a ، ٤٧ d ، ٩٠ d) . ولكن خلافاً لما يحدث لروح العالم ، يتمكن تأثير الاشياء الخارجية من الإخلال بتلك الدورات ، وذلك على وجهين (٤٧ bcd ، ٩٠ d) ، لأن فيض الغذاء وجريان الإحساسات المتواصل يسبّب لدورات الروح البشرية ضروباً وألواناً من التشويه والتشويش . بيد أن تركيب الروح البشرية العليا ، إذا ما استثنينا الأمور المشار إليها ، هو ذات تركيب روح العالم .

وأفلاطون يُعيد إلى ذهننا بصراحة أن الروح البشرية تنطوي على نفس الأبعاد وعلى ذات الواسطات ، ويعنى بالعودة الى ذكر قيمها (٤٣ d) . وفضلاً عن ذلك ، فالنموذج السماوي يحدث فيها ضرباً من الجاذبية . وقد انتصب الجسم البشري واستقام بتأثير تلك الجاذبية (٩٠ a) . وهذه الروح الأولى متّحدة بالجسد ، مغلق عليها في الجمجمة ، « دوراً صنعها عن قصدٍ لتقبّلها » (٧٣ e ، ٦٩ c) . وأكثر من ذلك هو أن الروح متّحدة موضعياً بذاك القسم من النخاع ، الموسرّع في الهامة ، ألا وهو الدماغ (٧٣ d) .

هذا ويصعب علينا القول بأن افلاطون قد اعتقد بحقيقة تلك الدوائر الثسريحية ، الدائرة ضمن الجمجمة ، طبقاً لحركات القبة السماوية . لأن الروح

البشرية ، شأن روح العالم ، هي غير منظورة ، ولا يستطيع ادراكها إلا العقل . هذا ماسوف يقوله في الشرائع (١٠ : ٨٩٨ d) ولكن هذا لا يمنع ان تكون محتواة في الجسد (٨٩٨ e) . فلا تتطلب من افلاطون تعليماً دقيقاً ، (في هذا الصدد أو في غيره) ، تباعد كل البعد عن إعطائه .

٢ - الأرواح السفلى :

أما الأرواح الأخرى فهي من صنع الآلهة الثانويّة ، وقد أوجوها في كل الجسم من الرقبة فما دون . وأفلاطون يطلعننا بدقة على موقع كل منها وعلى وظائفها . غير أنه لا يقول لنا شيئاً عن تركيبها .

فالاولى واقعة في الصدر فوق الغشاء الحاجز . وهي مقر الغضب والحماة الحربية وما إليها من المشاعر المائلة (٦٩ c d) . وانفصلها عن الروح غير المائة ليس انفصلاً مطلقاً ، إذ يمكنها الاتصال بها عن طريق بروز العنق (٦٩ e) . ومن ثمّ فهي تقبل التأثير بعض التأثير بفعل العقل .

أما روح التغذية ، فهي على عكس ذلك ، مفصولة أتمّ فصلٍ بحجاب الغشاء الحاجز عن الروحين العلويتين . إنها مربوطة بسكنها فوق السرّة ، كما يُربط البهيم الأعجم الى معلقه . وليس لها رأي أو تعليل أو فهم . فتلبث من طبعها أبداً هامة خاملة (٧٧ b c) . وهي مقرّ شهوة الشرب والأكل والرغبة واللذة والألم (٧٠ e ، ٧٢ d) . ولكنها تتمكّن ، بفضل الصور المرتسمة على سطح الكبد الأملس ، بعض التمكّن ، من الاتصال بالروح العليا . وهي التي تحبونا بالاحلام والمشاعر المسبّقة وأشكال الوجدان الغامضة الأخرى .

وبحال فعل هذه الروح يتوقف عند السرّة . إذ ليس من تحتها سوى تضاعيف الاحشاء الملتف بعضها على بعض ، وحيث ليس من قوّة نفسية عاملة

على ما يبدو . ومع ذلك ، حتى في تلك البقعة المحرومة نجد روحاً ، لا بل كأننا
جديداً حياً مستقلاً ، مرتبطاً بالمتن ، ومستعصٍ كل الاستعصاء على تدخل
العقل (a b ٩١) .

وبالتالي ، يبدو أن هناك فارقاً في الطبيعة بين الروح غير المائنة وبين
الأرواح السفلى . فمن جهة مبدأ حركات منتظمة تعرفها حدود رياضية ، مبدأ
كله نظام وكاه جمال ، ومن جهة وظائف عضوية غامضة بهيمية ، كأن الفكر
والانسجام قد غربا عنها . بيد أن التواصل لم ينقطع فيما بينها انقطاعاً تاماً . إذ
يبقى حتى في أحط الغرائز شبه انعكاس بعيد عن الحياة الأبدية . هذا ، ولا
يبغي أفلاطون أن يضحي حتى بأشكال الحياة الدنيا . فكل روح أو نفس لها مجالها
الخاص ووظائفها الضرورية . وهناك سنة شاملة على الإطلاق ، تفرض على كل
تلك الأرواح أن تحافظ على كيانها ، وأن تنميها بالممارسة والمثابرة على العمل ،
إذ بدونها يفسد طبع تلك النفوس وينحطّ لاحتالة (c ٨٩) . والروح الغير
المائنة ذاتها تزداد قوة بالترويض العقلي والتفكير . وهي على عكس ذلك تداني
العدم أو تكاد إذا ما استسلمت للاهواء (b c ٩٠) . فخلودنا ليس نهائياً ، وفي
وسعنا أن نفقده بتوانينا . ومن نعمة علينا ان نتمي كل ارواحنا على السواء ،
وان نعنى كذلك بمواهب جسدنا على اختلافها (d ٨٩ ومايلي) .

٣ - الحوارات الأخرى ومصاعب هذا التعليم :

إن المعلومات السابقة تتفق إجمالاً وماتوفر لنا منها حوارات فيذرُن
وفينذرُسْ والجمهوريّة . بيد أن تلك الحوارات على خلاف التيميستس ،
لاترمي إلا الى القسط الخالد من النفس . ولكن التيميستس ، شأن الباب العاشر
من الشرائع ، يقول بتقدم الروح في الوجود على الجسد . وفي الوقت ذاته

يفرض أنها مولودة مثله أما حوارات فيدَن وفيندزُرس والجمهورية فهي تتضمن على عكس ذلك ، أزلية الأرواح كشرطٍ للتذكر . هذا ، ويضيف حوار فيندزُرس أن تجسد الأرواح نتيجة لسقطةٍ وعقابٍ على زلة (c ٢٤٦) . فتعليم فيندزُرس ينطوي على اتحاد الروح بالألوهة اتحاداً أصلياً ، ثم على انفصالها كعاقبة للخطيئة .

وعلى النحو عينه ، يبدو أن فيلفس يقول إن نفسنا قد استمدت كيانها من « الروح الكلية » : « من أين جسدنا قد اتخذ روحه ، لولم تتعش الروح جسم العالم بالذات ؟ » أما في التيمس فنحن لانعثر بعد على شيء من هذا ، كما لانعثر عليه في كتاب الشرائع^(١) . فهل تبدلت اعتقادات أفلاطون ؟ وهل عدل الآن عن نظرية التذكر وعن أزلية الأرواح ؟ ألم يكن في ذلك سوى رمزٍ جميل ، لافائدة منه في مصنف علمي ؟

من الصعب جداً ان نعرف هذا الأمر . ولكن في النهاية ، ما يهمن على كل تعليم افلاطون بشأن الروح البشرية ، هو شعورنا بأن عقل الانسان ، في قيامه بوظائفه السامية متحد مباشرة بالله . وبأي عملية او حيلة يبلغ الى ذاك الاتحاد ؟ إن افلاطون لا يطمع الى تفصيل هذا الأمر وإطلاعنا عليه . بل يكتفي بأن يوقظ فينا ، باختياره اختياراً واعياً صوراً نبيلة ، ذاك الاستيقاظ الواله والظما غير المرتوي الى مصير أسمي ، هو غاية البشرية القصوى .

والسيدروده E. Rhode يشير إلى صعوبة بمائلة ، في تحليل جميل استعرض تعليم افلاطون في قضية الخلود^(٢) . ففي التيمس وكتاب الشرائع ، الروح هي قبل كل شيء مبدأ حركة^(٣) . ولكن حركة الروح الخاصة تظهر

٣- (١) رَ فيندوس c ٢٤٦ ، وفيلس ٣٠ a ، ثم الشرائع ١٠ : c ٨٩٢

و c ٨٩٦ .

(٢) E. Rohde Psyche 2/2 p. 271, note 1 .

(٣) الشرائع ١٠ : c ٨٩٣ ، a ٨٩٦ .

لنا في التيمسُّس على وجهين متباينين جداً . فمن جهة ، هي حركة حيِّ محرِّكه الروح وأداته الجسد . وهذه الحركة منظورة محسوسة تقيدُها مجموعة معينة من الاعضاء والوظائف الجسدية . ومن جهة أخرى ، هي حركة الفكر الرامية الى أمور عقلية محضة ، تخالطها وتتعرف عليها (التيمسُّس ٢٧-c-a) .

فأي علاقة يمكن ان توجد بين هاتين الحركتين ؟ وكيف يستطيع أفلاطون في كتاب الشرائع ان يتكلم عن « دوران » العقل ^(٤) ؟ فهل هذا مجرد استعارة ؟ او ربما بالاحرى شعور عميق بوحدة الاشياء ، وبالانسجام الباطني الرابط بين نظام الجسد ونظام الروح ؟ فالعناصر المكوّنة للجسد أليست هي نفسها المكوّنة للعقل ؟ الشيء ذاته والآخر ، النظام والاخلال به ، كل هذه الامور متصلة في كل مكان ، مختلطة ، الا على حدودها القصوى المثالية ، حيث يستقر الخير الصافي من جهة والبيرورة المتقلّبة أبداً من جهة أخرى .

٤ - التقمص :

أحد العنصرين اللذين تتركب منهما الروح البشرية خالد ، والآخر هالك فان . والواحد صنع المبدع ، والآخر من إنتاج الآلهة الثانوية . فيكلمنا التيمسُّس عن قسم من الروح مانت ، وجوده نتيجة اتحاد الروح الخالدة بجسد مانت . واتحاد الروح والجسد ينجم هو ذاته عن مجرى نواميس ^(١) حتمية أطلع عليها المبدع عبيده وكتفهم بها . فهو يحدث كنتيجة لفاعل إرادة الآلهة . والروح أوّل مرة خضعت لسنة التجسد ، لم تتدخل قط في اختيار جسدها ، الذي

(٤) ١٠ : ٨٩٣ b ، التيمسُّس ٨٩٩ a .

٤ - (١) كلمة نواميس يونانية من نُومُس التي اوضحت عندنا ناموس وجمعت على نواميس ، مثل مفاعيل . (المترجم) .

حلت فيه . وهذا ما يسميه افلاطون « المولد الأول » (a ٤١ ، e ٩٠) .

ولفرط تدنسي الروح الخالدة في هبوطها هذا تفقد عقلها الى حين (e ٤٣)

a ٤٤) . إلا انها تستطيع من بعد ، بالتثقف وبممارسة الأبحاث العلمية ، أن تستعيد هي ذاتها نظام حركتها المتشوش فترةً من الزمن (b c ٤٤) . إن هذه الفكرة مأنوسة لدى افلاطون^(٢) . غير أن التجسد الاول ستعقبه تجسّدات متتابعة ، لا تدخل فيها الآلهة ، بل تتعلق فقط بالسيرة الصالحة أو الطالحة التي تهيجها الأرواح البشرية في هذه الدنيا^(٣) . لأن هناك بعض التجانس والتقارب بين الصورة التي يتخذها البشر في حياتهم الجديدة ، وبين سلوكهم على الارض (d ٨٧) . وفعلاً في ولادتها الجديدة تستطيع الأرواح البشرية أن تعود وتتجسد في أجسام بهائم من كل نوع ، حتى في أجسام الاسماك والرخويات (كالحلزون والمحارات وما إليها) (b a ٩٢) . إن افلاطون لا يتكلم ، شأن أمبيد كليس ، عن تجسد جديد في النبات . وإذا استثنينا هذا الامر ، فهو يعرض لتعليم تجدد الولادة في شكله الاعم . وأجسام كل الحيوانات بلا استثناء ، تبدو قابلة لا يواء الأرواح البشرية الساقطة^(٤) .

إن تأكيداً كهذا يبدو مناقضاً لنصوص عدّة في حوار فيذرئس والجمهورية . فطبقاً لتعليم فيذرئس ، روح حيوانية ، بمعنى الكلمة الحصري ، لم تشهد قطّ الحقيقة ، لا تستطيع أن تحيا في جسد إنسان (b c ٢٤٩) . ومن ثمّ ألا يجب ، مقابل ذلك ، القول بأن روحاً بشرية ، ولو ساقطة ، لا تستطيع

(٢) غرغبيس ٥٢٣ ، فيذن ١١٣ ، d ، الجمهورية ١٠ : ٦١٥ ومايلي .

(٣) فيذرئس ٢٤٩ ، b ، الجمهورية ١٠ : ٦١٧ ، e ، التيميمس ٤٢ ، b .

(٤) التيميمس ٩١ ، d ، ٩٢ ، b ، فيذرئس ٢٤٩ ، b ، فيذن ٨١ ، e الجمهورية

١٠ : ٦١٨ ، a ، ٦٢٠ ، b c التيميس ٤٢ ، b .

هي أيضاً أن توجد وتعيش في جسم حيوان ؟ لا سيما وإن ما يميز الإنسان تمييزاً خاصاً ، هو وجود الروح العليا فيه ، تلك الروح التي صورها المبدع بذاته ، أي الذيمن (الملاك أو الجني) والبسيخي (النفس) والثيروغثيس (النطق والعقل) . والحال أن هذه الموهبة والحلّة ، البشرية في جوهرها ، مفقودة في الحيوان (٥) .

ومع ذلك ، إن كان التقمص في شكل حيوان عقاباً ، فهذا العقاب لا ينال إلاّ النّوس (أي الإدراك والفهم والروح العاقلة) . فكيف قد يتمكن العقل ، الغريب برمته عن الطبيعة الحيوانية ، أن يقطن فيها ولو برهة واحدة ؟ إن تلاميذ افلاطون قد لاحظوا تلك الصعوبة . وابرثو كلثس يعلمنا بذلك . غير أنهم لم يتوقفوا الى إيجاد حلّ ملائم لها (٦) . وقد ادعى بعضهم أن النفس الروحية ، وهي متائلة في كل مكان ، لا تنشط ولا تعي ذاتها دوماً بالباهة عينها . ومن ثمّ فهي تتدنسى أحياناً وتغفو بحيث لا تستطيع أن تنعش وتحيي جسم إنسان (٧) . فهذه كانت ربّما فكرة افلاطون . ولكنّه لا يبيدها بدقّة في مقام ما من مؤلفاته .

وقد اقترح رثوده E. Rohde افتراضاً آخر . فهو يرتأي أن افلاطون قد ردّ ، في أواخر حياته ، كل محتوى الروح الى موهبتها العقلية ، وزوى في الجسد كل الوظائف النفسية الأخرى . غير أنه في تلك الحال كان مضطراً الى العدول عن نظرية تجدد الولادة . ولا يكون قد حافظ عليها في التيمس إلاّ من باب الأمانة العقوبية لأراء الأرفيين وأمبيدث كلّيس ، وبسبب فوائدها

(٥) الجمهورية ٤ : ٤٤١ a b .

(٦) ٣٢٩ d ، ديل ٣ ص ٢٩٤ .

(٧) آثينثسيديس في كتاب الآراء ٣٢ : ٤٤١ a ، ١٥٠ .

العملية أيضاً ، وما قد يجلبه مثل هذا التعليم من تأييد للحقائق الأخلاقية .

إلا أن التقليل من أهمية الاعتقاد بالتقمص هو تكثر لروح الافلاطونية بالذات . فمهما كانت قيمة الاسطورة التي تعبر بالصور عن ذلك الاعتقاد ، فلايمان بتقدم يمكن نحرزه الأرواح أو تدنٍ محتمل تنحدر إليه ، والثقة بجهود العقل لسيطر على الغرائز السفلى ، كل هذا عنصر متميز راسخ من فلسفة افلاطون . وما هو صحيح ، على ما أشار إليه رثؤهده ، هو أن التعليم الافلاطوني في الروح يفتح المجال لمعطيات كثيرة تختلف في منشأها وطبيعتها . فأفلاطون يمزج ويصهر في بوتقة واحدة الاعتقاد الأُرثوذي والبيشغوري القديم ونظريته في الروح أحدث عهداً (ترى فيها أيضاً) مبدأ الوظائف الجسدية . التيمس في هذا المضمار يوفق لنا اول تصميم ، كامل جداً حتى من ذلك الوقت ، لكل المذاهب المتعلقة بروح الانسان . وسوف تُهيمن تلك المذاهب على الفلسفة ، من عهد ارسطو الى عهد ديكارت ، ثم عهد اسبينوزا فلايبنتز .

٥ — اتحاد الروح والجسد

إن افلاطون هو ربما اول من طرح مشكلة اتحاد الروح بالجسد . فكما انها تظهر في مظهرين متباينين ، فهي مزمعة ان تتحد به ايضاً على وجهين متميزين . والروح بصورة عامة إن كانت اقدم من الجسد واكمل ، فهي لا تختلف عنه في الجوهر . فتوكيب جسم العالم مثلاً هو اقل نقاء فقط من تركيبها . بيد انها تتضمن عين العناصر المكوّنة ، إذ يكمن في الروح ذاتها جوهر الاجسام القابل للتقسيم . وبالتالي يشبه اتحاد الروح بالجسد ضرباً من الخليط ، تخلط فيه عناصر كيميائية متجانسة .

على ان العقل ، ومنشؤه إلهي ، يُعارض الجسد وفي آنٍ واحدٍ الاقسام السفلى من الروح . والجسدُ حيث يبلغ ، هو له سجن ومنفى ومكان محنة ، وايضاً « عجلة » معدّة لنقله . لكنّه يلبث غريباً عنها .

ولا يتكلم افلاطون في التيمُّس الا عن الصنف الاول من الاتحاد . فالروح - ويجب ان تفهموا الارواح الدنيا^(١) . - هي متحدة موضعياً بالنخاع . والنخاع يشعل الدماغ ومنخّ السلسلة الفقاريّة ومنخّ العظام والمي . والنخاع جسم نقيّ نقاء خاصاً ، قوامه قسيّات مستمدّة من كل العناصر، نعمت فيها المثلاثات الاصلية الى حدٍ بعيد (b c ٧٣) . ففي هذا النخاع تأتي الارواح وتتأصل ، وتستقرّ « وتُرسي » . وبه ترتبط « اوصال الحياة » (b d ٧٣) ، التي تشدّ الروح الى الجسد وتأمرها به . والنخاع هو ايضاً متّحد بالعظام اتحاداً وثيقاً . ففي تقيه من الصدمات وتقلّبات الطقس . ومتّحد باللحم الذي يغشّي العظم ويحميه . لان العظم واللحم يتولّدان هذا وذاك من النخاع (b ٧٣) . والنخاع يدخل في تركيب العظام (c ٧٣) . ويصعب ان يتخيّل المرء اتحاداً اعمق واوثق ، حتى إن انفصام « اوصال الروح » ينطوي على تفكّك العناصر نفسها التي تتألف منها الروح السفلى . فالعقل وحده ينجو على الأقل جزئياً من مصير الجسد . وقلنا جزئياً لانه خاضع لفعل الارواح الثانويّة الدنيا . ويمكن ان ينجرّف في سقوطها وتدنّيها لفترةٍ من الزمان قد تطول او تقصر .

٥ - (١) لقد نسي رِفُو أنه يتكلم أو بالاحرى أن أفلاطون يتكلم أيضاً عن الروح العليا . رَ فِيا تقدم الفقرة الاولى من هذا الفصل . (المترجم)

البحث الثاني : الاجسام الحية

١ - عناصر الاجسام الحية

يبدو أفلاطون وكأنه يسرع ليبلغ الى بنية الكائنات الحية . ووصف تلك البنية سوف يستوعب أو يسكاد نهاية الحوار كلها . لا يرتاب أفلاطون في أن تلك الكائنات تتركب من العناصر الأربعة . وتأكيده ميسن في الأبحاث الطبية^(١) تؤيده نصوص فيلدفيس و تيمس^(٢) . فهو يقول : « إن أفلاطون يعلن أن أجسادنا تتكون من العناصر الأربعة ، لان الأشياء الموجودة في الكون تتولد على هذه الطريقة نفسها . » والكائنات الحية تشعر بانطباعات الحرّ والبرد . وهذه الانطباعات لا يمكن المرء أن يفهمها إلا اذا وجد في تلك الكائنات عنصر النار والماء (c ٦١) . فضلاً عن ذلك فالنار مبدأ الحركة^(٣) ، والماء والبرودة مبدأ السكون والراحة^(٤) . ولكن التراب هو الذي يقوم بالدور الرئيسي في تكوين الاحياء . وأفلاطون لا يفتأ اميناً لهذا التعليم وقد عبر عنه مراراً عدّة ، لاسيما عندما كان يعود إلى اسطورة « أهل الارض » (المولدون من قلب تربتهم)^(٥) .

(١) . Diels, XIV. 12 .

(٢) فيلفس ٢٩ de ، تيمس ٨٢ a .

(٣) يثييتيمس ١٥٢ da ، تيمس ٦٧ da .

(٤) ثييتس ١٥٧ adc ، تيمس ٦٢ a .

(٥) السفسي ٥٢٤٨ ، السياسي b ٢٦٩ ، a ٢٧١ ، وهذا بالضبط معنى

كلمة أفثيوخثين اليونانية . وهي تعادل الكلمة اللاتينية indigena تماماً ، وتعني

لاسكان البلاد الأصليين فحسب ، بل أهل الارض النامون من قلب تربتها .

(المترجم)

٣ - التشريح عموماً

يتبسّط افلاطون في عرض فرضيته العامة ، وييدي لنا فيه تفاصيل غزيرة جداً . بحيث يتضمّن التيمّيس مجئاً شاملاً حقيقياً في التشريح وعلم الوظائف العضويّة .

والترتيب المتبع في عرض مسائل التشريح هو غريب الأطوار لأوّل وهلة . إذ يكلمنا افلاطون تبعاً عن الغشاء الحاجز وعن القلب والرئة والكبد والطحال والأمعاء . ثمّ مجدّثنا عن النخاع عموماً (نخاع السلسلة الفقاريّة ونخاع العظام) ، وعن الدماغ والعظام والمفاصل ، وعن اللحم والعراقيب ، وعن الفم والاسنان ، وجلد الهامة والشعر والاطافر .

فيمكن أن نتميّز ، في التشريح الافلاطوني ، سلسلتين مستقلّتين من التوسّعات ، الاولى تنظر الى الاعضاء الرئيسيّة براعاة موقعها من الجسم بدءاً من عل . والثانية تبحث خصوصاً عن الاعضاء التي تمثّت بصلة بمتازة الى وظائف الروح .

ويبدو ، علاوةً على ذلك ، أن التشريح هذا كته يستوحي فكرتين عامتين . وهما أولاً أن افلاطون لا يتبسّط في التشريح لذاته ، ولا نظراً الى التطبيقات الطبيّة ، مما بلغت أهميتها في عينه ، ولكن خصوصاً ليوضح بدقة أوفى موقع أقسام الروح المختلفة ، وعلاقات تلك الأقسام بالجسد ؟ فيبرز التشريح هكذا وكأنه علم لاحق بعلم النفس . وثانياً ، وهذا ما كان في وسعنا ان نتوقّعه ، تسيطر على العرض برومته أبداً دائماً اعتبارات غائيّة .

٣ - الغائية في بنية الجسم

في التيمس سلسلتان من التأمّلات مختلفتان تدور حول موضوع الغائية هذه .

٦) - لما كان الجسم قبل كل شيء عجلة الروح (٦٩ ع) أخصاً، لزمه أن يشمل تقاسيم تماثل تقاسيم الروح عنها . والحال ان الروح تحوي أولاً قسماً مائتاً وقسماً غير مائت . فيقدم لنا افلاطون العنق بمثابة « برزخ » يفصل قسمي الجسد المقابلين الواحد عن الآخر ، ويصلهما ، في آن واحد ، الاوّل بالثاني (٦٩ ع) .

والروح المائتة تقسم هي أيضاً في دورها إلى قسمين . وبين الجزئين من الجسم المعدّين لإيوائهما ، يقوم « حاجب » الغشاء الحاجز (٦٩ ع ، ٧٠ ا) . وسوف يلاحظ المرء أن الفصل كامل بين روح التغذية والروحين العلويتين ، المعزولتين عنها بالغشاء الحاجز ، في حين ان الاتصال يلبث ممكناً ، عن طريق العنق ، بين الروح العاقلة والروح الغضوب ، التي لا تبرح قادرة على سماع صوت العقل (٧٠ ا) .

ومع ذلك يمكن أن ينشأ اتصال مضاعف غير مباشر ، حتى بين الروح الدنيا والروح العاقلة . اذ يقع فعل العقل في الواقع خصوصاً على القلب (٧٠ ب) . ومع أن القلب قد جعل فوق الغشاء الحاجز ، فهو يتّصل بواسطة الشرايين بأبعد أجزاء الجسم ، حيث ينطلق الدم ليحمل مشورات العقل . أضف الى ذلك أن ما يهيج الروح الغضوب من اضطراب يؤثي القلب حماوة ، فتبرده الرنة ، وتكون له في الوقت نفسه بمثابة مسند وفّاس يمكن القلب أن يتكئ عليه ويقفز ليعاود مكانه (٧٠ د) .

ويحدث الاتصال الثاني غير المباشر عن طريق الكبد ، عضو الروح الشهوانية (ab ٧١) . وتبدو روح الرغبة والشهوة ، المتبطّحة بين الغشاء الحاجز والسرة ، غريبة اغتراباً تاماً عن العقل . ولكن الكبد ، وهو مقرها الرئيسي ، له خاصة عكس الصور الواردة من العقل ، على سطحه الاملس اللمّاع . ولا يشير أفلاطون الى اسلوب ذلك « العكس » ، ولسبب ما أحجم عن تلك الاشارة . إلا أن العكس يفرض أن صوراً تنطلق من المنطقة العليا وتستطيع أن تحترق سدّ الغشاء الحاجز وأن تلج الجوف نفسه . أما الطحال فهتمته تنظيف الكبد ، يجرف ما قد يبلطخه من أدران (c ٧٢) .

ويتوقف مجال سيطرة الروح عند السرة . وتحت السرة لا يبقى سوى تضاعيف الامعاء الملتفة بعضها حول بعض ، والمائلة أسفل الجوف . غير أن الامعاء نفسها تؤازر نشاط العقل . ألم يُنظ بها أن تحتفظ بالغذاء فترة من الزمن كافية لتصدّ احتياجات الجسد ، في كرّاتها الغير المنقطعة ، عن إزعاج العقل ازعاجاً متواتراً جداً في ممارسة أعماله ؟ فلا يقدر المرء ان يتصور تشريحاً وعضوية نشبت فيها الافكار الغائبة نشوباً أوفر وأتم .

(٢) - إن الروح متّحدة بالنخاع وقد تثبتنا من ذلك قبلاً . فالنخاع والدماغ هما الاوصال التي تشدّ بها الروح وتؤسر (d ٧٣) . والروح مرتبطة بها كما ترتبط عيناً خطوط الطول بوشعة العالم المركزية ، في كتاب الجمهوريّة (١٠ : ٦١٦ cd) . والنخاع ، وهو اصل المني أيضاً ، (c ٧٣ و a ٧٤) يشمل مادة الدماغ ومنخّ العظام . وأفلاطون يخلط بين منخّ العظام وبين محور الجهاز العصبي الفقاري . فتوكيب النخاع إذن يختلف عن توكيب أي قسم آخر من أقسام الجسم ، ويشبه توكيب الكواكب . ويردنا أفلاطون لتفسيره الى تأمل المثلاث البدائية (bc ٧٣) ، ويبغي أن يلقننا ان النخاع قد صنع من

مثلثات في غاية النعومة ، كأن جوهر النخاع أوفر كمالاً من جوهر العناصر نفسها .
وقد رُكِّب النخاع منذ الاساس ، طبقاً لنسب معينة ، تفسّر فوارق
الأنواع اللاحقة (٧٢ c) . وهو يؤلف كتلة كروية هي الدماغ . وسلسلة
من القطع المستديرة المستطيلة هي النخاع الفقاري . ويوجد النخاع أخيراً داخل
العظام . واذ إن النخاع هو أداة الروح الخاصة ، فقد حظي بجهاز وقاية
منظّمين جداً .

أولاً لقد سلّح سلاحاً عظيماً صلباً (٧٣ de) ، مستديراً متصلاً حول
الدماغ ، متفرّعاً الى أقسام ، هي الفقرات ، حول النخاع الفقاري ، ومتخذاً في
الاعضاء أشكالاً عظيمة متنوّعة . ودور العظام الرئيسي هو أن تحمي النخاع
(٧٤ a) . ولذا لاق أن تكون مادتها لا تقبل الفساد . وقد بلّغ الآلهة الى
هذه النتيجة بصهر العظام على دفعات متتالية في النار والماء (٧٣ e) . هذا ،
وإن مادة العظام نفسها تحوي كمية نسبية من النخاع ، لتضمن دوغاريب التصاقاً
أكبر بين العظام والنخاع . أخيراً ربطت العظام بمفاصل لتمكّن الجسم من
التحرّك (٧٤ ad) . .

ثانياً كل تلك الاجزاء غلّقت باللحم (٧٤ cd) . واللحم له ثلاث
وظائف رئيسية . فهو يحفظ حرارة الجسم ثابتة ، بفضل ما ينطوي عليه من
رطوبة أو اخلاط خصوصاً ، يتألف منها العرق . واللحم يحمي المفاصل ويمنع نحر
العظام بالاحتكاك (٧٤ b) ، واللحم أخيراً يقوم بدور المنضدة ، ويجول دون
تشمس العظام في السقطات (٧٤ b) . وأفلاطون يلاحظ بصورة عابرة أن
حساسية اقسام الجسم هي في نسبة عكسية بالنظر الى العظام والى اللحم الذي
يغشها . وهذه الحساسية تبلغ ذروتها في الرأس الذي تحميه عظام رقيقة
لا يكسوها اللحم . وهي ضعيفة في الاعضاء حيث العظام الثخينة يغشها لحم

كثيف (bc ٧٥) . والشعر يوفّر للجمجمة حماية خاصة . ففي كلّ الحوار يقتصر الوصف التشريحيّ على أزهد التفاصيل . وكل ما يأتي على ذكره منها يستغلّه افلاطون لتفسير غائيّة صرفة ، أحياناً صيانيّة ، وغالباً عميقة ، وبين الفينة والفينة ترافقها أضواء مذهلة كأنها من عالم الغيب .

٤ — تنسيق المسائل المتعلقة بعلم وظائف الاعضاء

علم العضويّة الافلاطوني برمته مداره وظيفتا الغذاء والتنفس . وبهما يربط افلاطون بحث الدورة الدموية . فاذا كان المبدأ بسيطاً ، لان الغذاء والتنفس يسعيان الى غاية واحدة هي انتاج الدم (a ٨١ c ٨٠) ، فتفاصيل العمليات متداخلة جداً . وإن حكمنا في الموضوع ونظرنا في حكمنا الى وفرة الاستعارات التي يلجأ اليها افلاطون وغموضها ، تثبتنا أن الفيلسوف لا يسيطر على السيطرة على موضوعه . فهو يتعثر ويرتبك ، ولا ريب ، بسبب وهن معلوماته التشريحيّة .

٥ — العروق الكبيرة .

فهو لا يميّز فعلاً تمييزاً واضحاً بين المسالك التنفسية والمسالك الدموية والمسالك المضميّة . ويبدو أن وصفها العام ينطبق على هذه او تلك على السواء . وهو وصف مقتضب مهم . فبين اللحم والبشرة مجريان ظهريّان كبيران ، الواحد واقع الى يمين العمود الفقاري والآخر الى يساره (dc ٧٧) . وفروع هذين الجريين تتصالي على مستوى العنق . فهل الكلام عن الأهر والوتين ؟ غير أن هذين العرقين لا يتصالبان في العنق . او هل يدور حول المريء (اي البلعوم) وحول القصبة الرئويّة؟ ولكن افلاطون لا يجهل ان هذين الجريين واقعين الواحد

خلف الآخر ، وليس على جانبي السلسلة الفقارية . وهل الكلام عن الاوردة والنوابض ؟ ولكن عرض نظرية التنفس وهو يلي العرض السابق ، يغدو عندئذ مستحيل الادراك .

٦ — التنفس والغذاء .

إن التنفس والغذاء في نظر افلاطون وظيفتان مرتبطتان الواحدة بالآخرى ارتباطاً وثيقاً . وتفسران على الطريقة الالية الصرفة نفسها . فكيف تستطيع العناصر الغذائية ، بعد ولوج الجسم ، ان تُحتجز فيه ؟ وإن هذه العناصر تنتج حتماً عن التراب والماء (ab ٨٧) ، لأن جسيمات الهواء والنار الصغيرة جداً ، اذا دخلت الجسم تخرج منه حالاً وتترسح خلال اللحم وحتى العظام (d ٨٧ و c ٧٩) . بيد ان حركة الهواء والنار المتواصلة ، التي يوفر ويحافظ عليها التنفس ، هي تفسر لنا التغذي نفسه .

٧ — مجاري التنفس الغشائية ومجاري التنفس الغازية .

يتميز افلاطون بين مجاري التنفس والغذاء الغشائية او اللبفية - ولهذه واقع تشرحي - وبين المجاري الغازية التي يمكنها ان تنطبق انطباقاً دقيقاً على الاولى ، ويمكنها ايضاً ان تفارق تلك المجاري اذا دعت الحاجة وان تخرج من الجسم الى حين . ان هذا التمييز يجعل نظريته كلها في غابة الغموض .

فلتأمل « المجوف الاعلى » بين الرأس والحجاب الحاجز . انا نستطيع ان نرى فيه مجريين مكتوعين ، ينحني اولهما على مستوى تجاويز الأنف ، والثاني على مستوى حنية الحلق . وهذان المجران يتوكلان من هواء ونار - اي إنهما من غاز - . ولكنهما يقترنان بتعاريب المجرين المنظورين الحلقوم والبلعوم .

ويتشعب الاول متخذاً هيئة مِذْرَى له فرعان . وقد يميل المرء لأول وهلة الى الاعتقاد ان ذلك المِذْرَى يقابل فرعي القصة الرثوية . غير ان هذا الظن بعيد عن فكر افلاطون . إذ إن الله يحدر في الواقع احد الفرعين الى الرثة ، فيتبع هذا الفرع شعاب القصة الرثوية (الشعاب الغليظة) ، ويُحدر الاخر الى « الجوف الداخلي » ، بازاء الشعاب . وبالتالي فرعا مجرانا الاول هما من جهة القصة الرثوية ، ومن جهة اخرى المريء ، الذي ينفصل عن القصة تحت اللهاة . ثم إن هذين الجريين يتفرعان الى أطراف الجسم ، في الجوف الداخلي ، على غرار دالية من قصب (cd ٧٨) . وهما لا يقابلان المجاري التشريحية . فهما أولا يتألفان لا من لحم وعظام بل من هواء وثار . وعلاوة على ذلك ، ليس من تماثل كامل بين هذين الجريين والمجاري الغشائية ، حيث يساوان . لأن لهما خواص فريدة: فان حافظ الجهاز الناشئ عنها جملة على شكله الذاتي الى حد ما ، فهو يبلغ من الليونة مقداراً كافياً ليجتاز المجاري الغشائية دون ان يدوب فيها ، وليلج في الجسم عن طريق القم والمنخرين ، وليخرج منه ماراً بنفس الطريق . لا بل يستطيع بسبب دقة العناصر التي يتركب منها ان يخرق اللحم والجلد ويتسرب هكذا خلال الجسم (d ٧٩ c ٧٨) .

اخيراً يتركب هذا الجهاز الغازي من جزئين : غلاف او حاجز خارجي مصنوع من هواء ، نظير الاقسام المكونة للقائمة فوق اللهاة ، ومحتوى مصنوع من نار . والحال ان من خواص النار ان تجتاز كل الاجسام حتى الهواء فالنار المحتواة في المجاري الهوائية يمكنها إذن ان تجتاز حواجز تلك المجاري دون ان تجرّها معها . وسوف يقسّر لنا افلاطون التنفس واستساعة الغذاء بواسطة هذا الجهاز .

٨ — عملية التنفس :

فعل التنفس ينطوي على أطوار ثلاثة .

١ — الزفير :

يُفسر الطور الأول ، وهو الزفير بخواصّ العناصر العامة ، لاسيّما النار . فالنار المحتواة في النسمة المستنشقة ، والمحتجزة في الجسم ، تسعى الى الخروج منه لتلتحق بالنار الخارجية (ade٧٩) ، فتجرّ معها من الداخل الى الخارج جهاز التنفسّ الغازي برّمته . وهكذا في كلّ زفير يخرج الجهاز التنفسيّ (الغازي) ، من الفم والمنخرين وينتشر في الجو الخارجيّ . ولا بدّ ان نلاحظ أن افلاطون يَعدّ الزفير فعلاً أولياً . ولا يعبأ بحركات الصدر .

٢ — التنفس الجلدي :

عندما يلج جهاز التنفسّ الغازي الجوّ يضغط الهواء الخارجيّ في جوار الرأس . وهذا الهواء يضغط في نوبته الهواء المجاور ، إذ ليس من فراغ . والضغط ينتقل دائريّاً إلى كل طبقات الهواء التي تحوِّط الجسم . والحال أن الهواء الخارجي عندما يُضغط على هذه الصورة يبحث عن منفذ ، فينفذ الجسم ، لا عن طريق الفم والمنخرين هذه المرّة ، بل خلال البشرة واللحم (d٧٨ ، e٧٩) . والهواء الممتصّ على هذا النحو بارد . فيدفاً بلامسة اللحم ، وينزع من ثمة الى الصعود . فيخرج إذن خلال اللحم ، ويحدث في الهواء الخارجيّ ضغطاً ثانياً يخالف باتجاهه الضغط الأول .

٣ - الاستنشاق :

وهذا الضغط الثاني يدفع الجهاز التنفسيّ (الغازي) من جديد ، - وكان قد خرج من الفم والمنخزين - فيضطرّه الى الدخول من حيث خرج (dev9) .
فالتنفّس الجلدي إذن في نظر افلاطون هو طور متوسط ضروري بين زفير يليه استنشاق . ومبدأ التنفّس الرئوي هو واحد بالذات في زعمه . فهو دوماً حركة العنصر الحرّ في اندفاعه إلى مكانه الخاصّ (ab 81 ، d 79) . وما هو أوفر غرابة في كل هذه النظرية إقحام جهاز التنفّس الغازي ، ذلك الجهاز الذي يقترن بتعاريب الجاري ويُمكّنه أن يخرج من الجسم دون أن يفقد شكله الذاتي . وهذه الفرضيّة انفرد بها افلاطون . وهذا ما يؤكده لنا في الحاح مؤلف كتاب التنفّس .

فهو يقول ان نظرية افلاطون تخالف جميع نظريات العلماء السابقين ، نظير ديميو كثرثيس وأنكسغورس وأمبيدوكليس^(١) . وقد ارتكب افلاطون خطأ لا يُفسر ، عندما افترض ، خلافاً لكل ما يقارب الحقيقة ، أن الزفير يسبق الاستنشاق : « عندما تخرج الحرارة عن طريق الفم ، يقول افلاطون ، يلج الهواء الخارجي خلال اللحم ذي المسام ، ويشغل المكان الذي خرجت منه الحرارة ، اذ ليس من فراغ ... ثم يخرج هذا الهواء من جديد ، بعد أن يسخن هو ايضاً ، ليعاود مكانه . ويطرد ثانيةً دائرياً عن طريق الفم ، الهواء الساخن الذي سبق وخرج ... والنتيجة لمن يزعمون هذا الزعم ، ان الزفير يسبق الاستنشاق . والحال ان الامر على عكس ذلك^(٢) ، .

Empépoele . Fr . 100 . vorsokr . 1/3 . p . 258 . (١) - ٨

Ps . Aristote . De Respiratione . 5 . 472 b . 6 ; 13 - 19 et (٢)

21 . 480 a . 16 et sq .

٩ — عملية التغذية والدورة الدموية :

ان ظاهرة التنفّس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بظاهرة التغذية (d ٨٠) .
لأن النار عندما تليج « المجوّف الأسفل » ، مع جهاز التنفّس (الغازي) ،
ما بين الغشاء الحاجز والسرة تقسم الاطعمة الموجودة هناك الى اجزاء صغيرة .
فان النار على ما ذكر ، لها خاصّة تقسيم كل الأجسام . ثم ترزّبي النار تلك
الاجزاء الصغيرة في صعودها ، وتدفعها الى الجاري الدموية ، وتوزعها على الجسم
برمته ، طبقاً لسنة تقارب الشبيه من الشبيه (ab ٨١ ، ab ٧٩ ، e ٧٨) .
والدم ، هو مبدأ تغذية الجسم ، ينشأ على حساب تلك الاجزاء حيث يسود اللون
الاحمر . وتحصل استساغة الغذاء بفعل علل آلية محضة . اذ تقابل كل كائن حي
مثلثات بدائية متنوعة متميّزة . ورؤوس تلك المثلثات أحدّ في الشباب . ثم
تهتري مع العمر وتهاجم الاطعمة بعزم متضائل (b ٨١) .

ويؤكّد لنا أفلاطون أن الدم لا يبرح يجري في الجسم ، وأن الجاري
تقوم بدور قنوات ريّ . وقد يتوقّع المرء أن يخضع هذا الجريان لحركات
جهاز التنفّس . ومع ذلك يكتبني أفلاطون بان يؤكّد لنا أن الدم
يتحرك في الجسم حركة تشبه الحركة التي تدفع القبة السماوية (a ٨١) . غير
أنّ هذا كله لا يمنع أن ينطوي التيميّس على أوّل محاولة لعرض نظريّة تفسّر
الدورة الدموية .

١٠ — مصادر علم الحياة الافلاطوني

إن علم التشريح وعلم العضويّة هذين يختلفان برمتهما اختلافاً وافياً عما
نجدّه منها في المجموعة الهبكتريّة وفي تآليف ارسطو ، كما يختلفان أيضاً عما

نجده منها عند العلماء السابقين عهد سقراط . فعلى وجه عام تبدو معلومات أفلاطون التشريحية ناقصة جداً ، وأقل ضبطاً ودقة بكثير من معلومات الأطباء معاصريه أو سابقيه .

ومعلوم أن الهيكل العظمي والمجاري الدموية الرئيسية والعضلات كانت موضوع وصف صحيح ، منذ القرن الخامس (ق . م .) ، وأن الأطباء اليونان مارسوا من عهد بعيد التبضع والتشريح . بيد أن من يطالع كتابات أرسطو في علم الحياة ، تحف وطأة قسوته على أفلاطون . فأرسطو لا يميز أكثر من معلّمه بين الرئتين (١) ، لا بل يؤكد صراحة أن جهاز التنفس ليس عضواً مزدوجاً (٢) . وهو يميز جيداً بين المريء وبين المجاري التنفسية . ولكنه نظير التيميس يقبل أن الطعام يستطيع أن يدخل الى الرئة (c ٧٠) . لا بل يتبنى عدة فرضيات يشير اليها أفلاطون .

فنحن نلقى عنده أيضاً التشبيه بين جهاز المجاري الدموية وبين جهاز ريّ البساتين (٣) . وتوارد التعابير المستعملة يثبت لنا أنه استوحى التيميس مباشرة . وكذلك ينطوي التيميس (c ٧٥) على شرح غريب لنمو الشعر : إن صانع الجسم البشري قد نقش بشرة الجمجمة بثقوب كثيرة يسري منها الخلط الدافئ . ومن هذا الخلط الخارج في بطء من المسام ، الجزء الأقل ميوعة يصدّه الهواء المجاور فينكفئ عائداً الى تحت الجلد ويضرب فيه جذوره (bc ٧٦) . ونحن

١٠ - (١) أرسطو ، أعضاء الحيوانات ٣ : ٦ و ٧ .

(٢) ن . م . ٣٠ : ٧ : b ٦٦٩ ، ١٣ .

(٣) التيميس c ٧٧ : « نظير الأقنية في البساتين » . أعضاء الحيوانات ٣ : ٥ :

٦٦٨ ، « تتشعب المجاري في البساتين الى أقنية كثيرة » .

نعثر على شرح مماثل مع بعض الفوارق ، في مقطع طويلٍ من كتاب مولد الحيوانات^(٤) لارسطو .

فأمور مجهولة كثيرة مشتركة بين أفلاطون وأرسطو . فيها مثلاً لا يميّزان لا هذا ولا ذاك ، بين العضلات واللحم والأظناب . لا غرو أن علم التشريح وعلم العضوية هما أكمل عند ارسطو بكثير ، ولا سبيل المقارنة بينه وبين استاذه . إلا أن الاتجاهات في التعليم لا تتباين كثيراً .

وأن يكون أفلاطون صاحبَ الابحاث التشريحية المعتمد عليها في التيميس ، أو أن يكون قد استفاد من أشغال نُقِدت في مدرسته ، أو قام بها ستُفِستيون معاصرون ، فهذا كله فرضية لا تنطوي على شيءٍ غير معقول ، بعد ما أعلمتنا دراسات ديبل عن نشاط الأفلاطونيين العلميّ .

البحث الثالث : نظرية الاحساسات

ان نظرية الاحساسات تحتلّ في التيميس مكاناً مستغرباً . فهي تلي نظرات عامة الى تركيب الاجسام الحية ؛ وتسبق ، خلافاً لما أنسنا من ترتيب ، بحث التشريح والعضوية . وهذا التخطيط تمليه على افلاطون مشاغله الغائية ، اذ ان وظيفة الإحساس مميزة من مميزات الكائنات الحية . وخلافاً لما سوف يفعل أرسطو ، لا يعطي افلاطون مَرَحاً عاماً عن الاحساسات ، بل يكفي

(٤) ٥ : ٢ : ٧٨٢ ، ٢٥ الخ ...

بأن يدرس تبعاً لحواس الخمسة أي حواس اللمس والذوق والشم والنظر والسمع .
وكما لاحظ ثيوفراستس ذلك ، ليس درس افلاطون مفصلاً إلاّ بصدده النظر
والسمع (١) .

١ - الرؤية .

ان عنصر النار هو الوسيط الضروري للرؤية . وهو يعمل على ثلاثة اوجه
مختلفة ، كما يلاحظ ذلك أرشييه هاند ويثير (٢) . فأفلاطون يميز :

١ () نار الرؤية المحترقة في جرم العين ، والمتدفقة منه ، عندما ترتفع
الجفون ، كأنها تيار متواصل (b ٨٢) .
٢ () النار الخاصة بكل شيء مرئي ، والبادية بهيئة اللون . انها «محسوس»
الرؤية الحقيقي .

٣ () نور النهار . وبدونه تبقى الأشياء عموماً ، ولو مضيئة ، غير
مرئية (ن . م . ٠)

ولا يذكر ثيوفراستس سوى الصنفين الأولين من النار . ولكننا
نجد في نص من الجمهورية (٦ : ٥٠٨ c a) تمييزاً هو نفس تمييز التيميس . ولا
يأتي في موضع ما على ذكر الصور التي تتكون في العين ، ولا على ذكر الاشياء
المشعة التي تلبث نيرة مرئية حتى في الظلام .

ونظرية الرؤية في الشكل الذي يضيفه عليها التيميس ، ليست النظرية
عينا التي تبرز في حوار ميشن (d ٧٦) ، والمردودة الى غرغيس وربما الى

(١) - ١ De sensibus . Doxogr . p. 500 . 8 . cf . J . A .

Beare . Greek Theories of elementary cognition . p . 141 .

(٢) ن . م . ص . ١٤٠ - (٣) كتاب الآراء لثيوفراستس ، ص ٩٤٠ - ١١ .

أمبند كليس ، على ما بين دبل (٤) . وفي كتاب الحواس (ف ٥ و ٩١)
يُعرض لنا تعاليم افلاطون بثابة حل وسط بين فرضيتين متعارضتين . فالبعض
(ومنهم ربما ألكميشن) يشرحون الرؤية بمجرد تيار ينبعث من العينين ويُسلط
على الاشياء . وغيرهم (أي ربما الذريون) يقبلون ، على عكس ذلك ، (بتيار)
ينبتق من الاشياء ويُسلط على العينين . وافلاطون يفرض لقاء تيارين ضوئيين
مختلفين ، ينبعث الاول من العينين والثاني يصدر عن الاجسام المنظورة . وكان قد
افترض هذه الفرضية ، عندما كتب الجمهورية وحوار ثيستيئس .

إن تلك الفرضية تشمل في الحقيقة صعوبات كبرى ، لم توفق الشروحات
الى تذليلها . اذ يبدو في الواقع أن فعل الرؤية يتم ليس فينا اي في العين ، ولكن
خارجاً عنّا في « جسم الرؤية » ، وهو بثابة اسطوانة او دفقة من نور ، ينطلق
من العينين ، ويلقى على مسافة منها ، النار الصادرة عن الاشياء . « وجسم الرؤية »
هذا يماثل بعض المائلة « جسم التنفس » او جهازه الغازي ، الذي أتينا من قبل
على وصفه .

هذا ولا يفسر لنا افلاطون لا الطريقة التي يتبعها النور ليتدفق من العين
تدفقاً متواصلاً دون أن ينضب ، ولا شروط لقاءه النور المنبعث من الاشياء
ليندمج فيه . وما هو دور ضياء الشمس من جهة اخرى في الرؤية ؟ حسب اسطورة
الجمهورية ليس للاشياء نور خاص ، بل كل ما هناك انها تعكس نور الشمس . فهل
تعليم التيمس هو نفس التعليم ؟ إن افلاطون لا يبين لنا هذه القضية . غير
أن سكوته هذا لا يعني انه وقف من هذه القضايا موقف الشك ، على ما زعم
ابرانطيل (٥) .

Sitzungsber . der Konigl . Preuss . Akad . der Wiss .

(٤)

Zu Berlin . XIX 1884 . p . 343 , 349 . - Aristoteles Farbenlehre . (٥)

p.26 - 57 .

٢ - المرايا .

سوف نلقت النظر الى ميزات خاصة في نظرية افلاطون . إن فيلسوفنا يحاول ان يشرح لنا انعكاس الصور في المرايا ، والوهم المماثل الذي يحصل عندما ننظر الى الشيء ورأسنا الى اسفل . ولا يلتفت في شرحه الى رؤية العينين، ولكنه يعتبر جسم الرؤية بمثابة قضيب مستقيم ، ولا يخلو من بعض الكثافة ، فيه قسم ايمن وقسم ايسر . ويفسر افلاطون انعكاسات الصورة البصرية بتقلات الشيء النسبية ومصدر جسم الرؤية . إلا أن النص الغريب المتعلق بالمرايا المقعرة ، يجعلنا نفترض أن افلاطون كان قد استشف مبادئ علم الضوء والبصر الهندسية . فيها يشرحون اليوم انعكاس الصور بتقاطع الأشعة وتصالها .

٣ - الألوان .

إن افلاطون يميز مراراً بين الشكل واللون . ولكنه لا يبحث إلا عن رؤية الألوان ، دون رؤية الشكل وتوهم الشيء .

وفي رأي افلاطون أربعة ألوان اساسية : الاسود والابيض ، واللون الوضاء المتألق اللماع (١) ، واخيراً الاحمر وهو التماع الأشعة ذات الضياء المعتدل في ماء العين (٢) . فيعتقد إذن ان الاسود والابيض وكذلك « اللماع » هي صنف اللون (٣) . اما الاحمر فيبدو ان ليس له سوى حقيقة نسبية ، اذ يتولد لا في « جسم الرؤية » ، بل في العين ذاتها . ومن ثم يتبين لنا أن افلاطون قد ضم نظريتين في الرؤية مختلفتين ، دون ان يدمج الواحدة في الاخرى .

٣ - (١) راجع فيثون ١١٠ . cd . .

(٢) التيمس ٦٨ c .

(٣) ٦٧ c و ٦٨ e ، ثينتنس ١٥٣ d ، الجمهورية ٧ : ٥٢٣ d ، فيلفس ١٢ e

إبرنغورس ٣٢١ d ، ٣٤٦ d .

والألوان التسعة الرئيسية الأخرى تتحدر من هذه الألوان الأساسية
الاربعة بامتزاجات يصفها لنا افلاطون . واليك تلك الألوان : الأصفر الذهبي
والأرجواني ، والأسمر الفاقع ، والأسمر الفاتح ، والأخضر ، والأصفر الفاهي
والأزرق السماوي ، والأخضر المشرب زرقة ، وأخيراً الأخضر .

ولا تقابل هذه المزائج المشار إليها مزائج الأنوار الملونة في علم الضوء
الحديث . فيبدو أن افلاطون - وكذلك صاحب كتاب الألوان المنسوبة
نحلةً الى ارسطو - يفكر بمزائج واقعية ، تشبه ما يستعمله منها الرسامون
والصباغون .

أما النظرية التي يعرضها أرسطو ، في كتاب الأحداث الفلكية ، بصدد
قوس قزح ، فهي تختلف بعض الاختلاف عن النظرية السابقة . فأرسطو يعرف
ثلاثة ألوان أساسية : احمر قانيء ، وأخضر زاه ، وأرجواني (٤) . ولا يذكر
افلاطون إلا هذين الأخيرين . أمّا الأحمر القاني ، فلا يأتي على ذكره إلا في
حوار تيمستس اللوكريي (١٠١ ع) . وتختلف كل هذه الألوان في نظر
افلاطون ، لا لأنها مشربة ، بل لأنها صافية صفاء اوفر او اقل (٥) . فأجمل
أبيض ليس الابيض الحاوي اوفى كمية من البياض ، بل الابيض الاقل مزجاً .
اخيراً يعترف افلاطون انّ هناك صلةً بين بعض الصفات في الاشياء
وبين لونها ، وانّ هناك ألواناً طبيعية ، خاصة ببعض المواد المرة (٨٣ b) .
والاحمر هو لون طبيعي في الدم (٨٠ c) . وقد يتوصّل المرء على هذا المتوال
الى اعتبار الألوان نفسها نظائر موادّ قابلة ان تمثل في المزائج . راجع على هذا
السييل الفقرة d ٧٤ من هذا الحوار .

(٤) ٣ : ٢ : ٣٨٢ a ، ٣ النخ .

(٥) فيلفس ٥٢ c و ٥٣ a b .

فكيف نوفق بين هذه الإشارات وبين مقطع ثييتس الشهير (١٥٣ d e وما يلي) ، حيث يبدو ان الالوان توقّر لنا انصع مثالٍ على نسبة الاحساسات ؟ ذلك ان افلاطون ربّما يعرض لنا ، في حوار ثييتس ، لا تعليماً شخصياً ونهائياً في موضوع الالوان ، بل رأياً من الآراء ابداه غيره من المفكرين ، واحبّ ان يستغله مؤقتاً ربّما جيّء نظرياته الخاصة .

٤ - السمع .

إن درس السمع اكثر اقتضاباً عند افلاطون . وهنا أيضاً نلاحظ ان معلومات التيميس تتفق إجمالاً مع معطيات الحوارات الاخرى : حوار خرميذس ونيديتس والسيفستي^(١) فكما ان اللون هو غرض الرؤية ، كذلك الطين هو غرض السمع . وقد لاحظ احد النقاد ان كلمة فئسي الصوت تُستعمل بمعنى عامّ وتدل على كل ضرب من الضجيج او القرقة^(٢) .

والتيميس يحدّد الطين او الصوت تحديداً يثير الاهتمام : « إن الصوت هو اختلاج ينقله الاثير خلال المسمعين إلى الدماغ فالدم . ومن هناك ينتشر حتى الروح . والحركة الناشئة عن هذا الاختلاج البادىء في الراس والمنتهي في الكبد هو السماع » (٦٧) . ويلخص ثيوفراستس هذا التعريف بهذه العبارة : « صدمة ينقلها الاثير فالدماغ والدم خلال المسمعين الى النفس » (رأي ٥٠٠ : ١٤) . وكلمة ابليغي التي يعمد اليها افلاطون ليعيّن تلك الصدمة ، يجب ان

٤ - (١) خرميذس ١٦٨ d .

(٢) أئيتيس ٤ : ١٦ : ٤ (الرأي ٤٠٦ a ٢٨) ، ٤ : ٩ : ١٠ : ٤٠٧

٢٢ a ٤ : ٢٠ : ١ (الرأي ٤٠٩ a ٢٥) : ثيوفراستس ، في الحواس ،

٦ (الرأي ١٤٤٥٠٠) .

لا تحملنا على الظنّ انّ الفيلسوف توهّم الطين كارتجاج اثيري^(٣) . لا بل يبدو لنا انه يعتبر الصوت البشري ، وهو يثير اهتمامه بوجه خاص ، يعتبره بمثابة عجلة للفكر و حقيقة تداني الكائنات المجردة^(٤) . وسوف يؤكّد النقّاد فيما بعد ان افلاطون قد عدّ الصوت حقيقة لا جسم لها .

وعلى كل حال ، فالعملية التي يصفها الفيلسوف غريبة . إذ لم يتدخل الكبد فيها ؟ الأن الطين الجهوري جداً يهزّ الجسم حتى في اعتمق اجزائه ؟ اليس الجواب بالاحرى انّ الكبد ، وهو عضو الإنباء بالغيب ، مكلف بقبول كل صور الحقائق العلوية ؟

٥ - الذوق

يعرض لنا افلاطون بشأن تذوّق مختلف الموادّ نظريّتين متباينتين بعض التباين .

وتبدو اولاهما آلية صرفة . فأخشن قسيات الاجسام تؤتينا المذاقات القابضة والتي تقلّ عن تلك خشونة تؤتينا المذاقات الفجّة . والقسيات التي تحدث في الفم فعلاً منظّفاً مطهراً لها طعم مالح . والقسيات المنظّفة غاية التنظيف حتى إتلاف الانسجة ، تسمى مرّةً . والتي تتبخّر في حرارة الفم وتتشبّ في المنخزين تدعى حادّة . والتي تحدث تخمراً يقال عنها مزّة ، ويدعون اخيراً عذبةً القسيات التي تصقل ارداف اللسان . فهناك إذن سبع مذاقات اساسية ، يعرضها ثيوفراستس في جلاء كبير ، اخذاً عن التيمس^(١) .

(٣) بيترم.م.ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٤) رأي ٤٠٧ a ٤٠٩ ؛ ٢٧ a ٢٥ ؛ ٥٢٥ ، ١٧ ، ر - ارسطو ، في النفس

٢٨ b ٤٣٠ .

٥ - (١) في الحواس ٨٤ .

إلا أن افلاطون يضيف الى هذا التفسير الآلي ، نظرية كيميائية حفظ
 منها ارسطو لبها^(٢) . ولا يمكن المذاقات ان تنشأ وتتمو الا في السوائل المائية
 الى التبخر او التخلل . فسيبحث افلاطون اذن عن المذاقات وعن خواص
 السوائل معاً . وسوف تتمثل له الماويّات المختلفة ذات المذاق والطعم بمثابة
 اصناف من الماء . وسيقف منها تيمثس اللوكريّ نفس الموقف^(٣) .

٦ - الشم .

تكثر الملاحظات ذات المغزى في الصفحة المقتطعة لحاسة الشم . بما ان
 كل رائحة تنطوي على عملية كيميائية تماثل عملية التخمر او التبخر ، فالاجسام
 الاولية لارائحة لها . ويقول ارسطوهو ايضاً ان العناصر غير راحة (التيمثس
 ٦٦ d ، ٦٧ a) : ويتكلم افلاطون عن العطور ، كلام رجل يحبها . ويؤكد
 في الجمهورية (٥٨٤ b) وفي حوار فييلفس^(٤) (٧١ b) ان الشم هو الحاسة
 التي تؤنينا انقى المذات .

٧ - اللمس .

كلام افلاطون في اللمس وجيز جداً . وهو يربط باللمس ما قد ندعوه
 الحس^(٥) الباطني والحس^(٦) الحراري . وعضو هذه الاحساسات المشترك هو اللحم .
 وهذا ما سوف يردده تيمثس اللوكريّ وثئوفرستس^(٧) .

(٢) بيتر م . م . ص ١٧٣ - .

(٣) التيمثس ٦٥ d ، والتيمثس اللوكري ١٠٠ e - .

٧ - (١) التيمثس ٦١ d ، ٦٤ a ، ثئوفرستس : في الحواس ، ف ٥ .

٨ - الحسّ المشترك

ان راى افلاطون في الارواح او النفوس الثلاث ، الحالة في اقسام مختلفة من الجسم ، تمنعه فيما يبدو من الكلام عن حسّ مشترك . وقد لاحظ غلينس هذا الامر من عهد بعيد ، ولفت اليه النظر من بعده بيتر^(١) . ومع ذلك فأفلاطون يقول ان في الدماغ مركزاً تأتي المشاعر الحسية وتجتمع فيه^(٢) . ويبدو ان بعض الإحساسات العنيفة عنفاً خاصاً يمكنها ان ترقى الى الدماغ ، وان تؤثر فيه مباشرة ، كالروائح الحادة والمذاقات القابضة^(٣) .

والحال ان الدماغ هو مقرّ العقل ، والعقل وحده قادر ان يعرف الاحساسات وان يميّز بين الاشياء . فالحسّ المشترك اذن والادراك ذاته واحد ، اذ اليه تبلغ معطيات الحواس ، على الاقل جزئياً . فأفلاطون ، على ما راينا لم يفصل بين ارواح الانسان الثلاث بمواجز لا يمكن المرء ان يتخطاها . بل انه يُعنى على عكس ذلك بأن يوفّر بينها اتصالات متنوّعة ، تجري على السواء في كلا الاتجاهين . فكما ان العقل يتأثر بأثر الارواح السفلى الخاضعة له . فهو ايضاً يعلّي عليها او امره ، ويسير عملياتها . وحتى لدى الكائنات الدنيا ، وفي داخل ارواحها ، المحرومة فيما يبدو من نور العقل ، نجد اثرأ ضئيلاً لإشعاع المعقول . ومهما بلغت سقّة التباعد بين العالم العقليّ والعالم المحسوس ، فأفلاطون يقول بانّ المرء يردّ تدريجياً ودون ما انقطاع من الواحد الى الآخر .

٨ . (١) غلينس ، الرأى ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، بيتر . م . م . ص ٢٧٠ - ٢٧٥ .
(٢) التيمس ٦٤ ac ، فيلس ٣٣ ، d ٣٤ ، a ٣٩ ، bd ، ثينس ،
١٥٦ a ، ١٨٤ d ، ١٨٥ a .
(٣) التيمس ٦٥ c ، ٦٦ d ، ٦٧ a .

٩ - مصادر هذه النظريات .

الا ان افلاطون قد حفظ لنظرية الاحساسات صفة العضوية المحضة .
وقد تجنّب على ما يبدو ، وربما عن تصميم ، ان يطرح بشأنها المسائل الفلسفية
وقد ناقشها من قبل في حوار ثييتتس^١ بكثير من القوة والدقة .
ونحن نعرف ، وبالضبط عن طريق الثييتتس ، ان تلك المسائل
كانت قد اثيرت ونوقشت نقاشاً طويلاً لدى سابقه ومعاصريه . فقد نظر اليها
امبيدكليس والذريون وغرغيس وأنستيمينس وغيرهم ، من كلّ وجوهها .
ولكن افلاطون ، وهو يعرف مؤكداً كل تلك المنازعات . لا يريد
ان يأتينا في هذا المقام الا بأحداث دقيقة . ويبغي ان يتكلم كلام عالمٍ طبيعيّ
وفيزيائيّ . فإلى اي حدّ يستغلّ تأليف سابقه ، لاسيما الكميثن وامبيدكليس
وذمو كرتس ، والى اي حدّ يقوم بعملٍ شخصي ؟ إن المعلومات تتقضا للبت
في هذا الامر .

الفصل الثامن

علم الأمراض والمداواة والوقاية

١ - مبدأ علم الامراض الافلاطوني .

كلّمًا تراكت التفاصيل في حوار افلاطون هذا ، يظهر على الفيلسوف انه يستحثّ خطاه ويتضجر ليبلغ نهاية عمله . على اتنا في بحث المرضية والمداواة قد اشرفنا على انفع المعارف واكثرها ضرورة للبشرية .

ان الجهاز البشري عرضة للأمراض ، وهو يخالف في ذلك الحيوان السماوي . فمكافحة الامراض وشفائها مهمة من مهات العالم الرئيسية . هذا وبصورة عامة جداً هناك اربعة اسباب للأمراض :

١ - الزيادة او النقصان في نسبة العناصر الداخلة في تركيب الجسم البشري .

٢ - تبديل لا قانوني في وضع العناصر النسبي .

٣ - تبديل لا قانوني في خواص تلك العناصر .

٤ - اخيراً اضطرابات في استماعة الغذاء وفي نبذه (٨٣ b) .

غير أن اسباباً أخصّ تضاف إلى تلك الاسباب العامة . فلا بد من تحديدها . إذ إنّ العناصر الاربعة في الواقع ، لا تدخل في تركيب الاجسام الحية صرفة . بل تؤلف فيها مزائج مشتقة او « ثانوية » ، تنشأ عنها العظام والعضلات واللحم والدم وكل الأنسجة . وأهم تلك المزائج الدم إذ منه يتولد اللحم والشائج .

٢ — اللحم والدم :

والدم مجوي ثلاث موادّ مختلفة : ألياف ، وراسب يتخثر بعد انفصاله عن الليف ، واخيراً سائل ذهني لزج ، يتقطر من الالياف واللحم ، وظيفته من جهة تغذية العظام ، ومن جهة اخرى ، إلصاق اللحم بالعظام . فيبدو هكذا ان اللحم ينجم عن تجمد الدم جزئياً وانه يتركّب من نفس العناصر الاساسية . فالفاعلة والنظام يبغيان ان ينتج اللحم عن الدم . ولكنّ الحلل يطراً عندما يعود اللحم ، على عكس ذلك ، كلّه او جزئياً الى حالة السوائل ويتدفق في المجاري وقد اتخذ شكل دم فاسد . ومن ثمّ تُرجي المجاري دماً تمازجه الصفراء والخثارة او غيرها من النخام والقيح على اختلافهما . هذه هي علّة الامراض الرئيسية .

٣ — تحلل اللحم :

وبين هذه الاخلاط الحاطة أهمها الصفراء والخثارة . فهناك للصفراء صنوف عدّة ، نظراً لعمر اللحم الذي انتجها . فلحم أسود قد شاخ ينتج حيناً صفراء ضاربة الى السواد ، مُرّة او حامضة حسب الحالات ، وحيناً صفراء مائلة الى الاحمرار ، وحيناً صفراء خضراوية ، عندما يتمازج اللونان السابقان . ولحم حديث العهد عندما يبع ينتج صفراء مُرّة (٨٣ c) .

وعلى النحو عينه ، هناك للخثارة صنف عدّة . خثارة عذبة تنجم مباشرة عن الدم ، وخثارة خامضة تصدر عن الصفراء ، واخيراً خثارة راغية تنجم عن لحم حديث العهد ، داخلها الهواء وأرغى (٨٣ d) . وهذا الصنف الاخير يسبب الدموع والعرق . وهذه الرطوبات كلها لا تسبب الامراض حتماً ، لاسيما عندما تتسرّب الى الخارج كالعرق . بيد انها مبدئياً ضارّة ، اذ تُضخّم كمية السوائل في الجسم على حساب اللحم .

فبناء على هذه المبادئ ، يصنّف افلاطون الامراض ويوزّعها إلى اربع فئات :

١) الامراض الناجمة عن ميوعة اللحم .

ولها اربعة اشكال من الخطورة المتفاوتة :

أ - الميوعة ابتدأت ولكنها لم تنشب بعد في قواعد اللحم الاساسية ، أي في ما يشدّ اللحم الى العظم (٨٣ e) .

ب - الميوعة تبلغ الغلاف الزجاجي الواصل للعظام باللحم . فيخشوشن ذلك الغلاف ، ويكتظّ بالملح ، فيذوب تحت اللحم الى ان تنقلص الاوصال وتنفك عن العظام ، واللحم المنفكّ ينحدر في الدم (٨٤ ab) .

ج - وتبدأ هذه الظاهرة ، ليس في اللحم ، ولكن في العظام . فتتخرّج هذه وتنتن وتفسد اللحم ثم الدم وهذا ما يحدث عندما يتكاثف اللحم حتى يمنع العظام عن التنفس (٨٤ b) .

د - اخيراً يمكن ان يُصاب النخاع نفسه (٨٤ c) .

٢) الأمراض الناجمة عن الهواء

لا تقصر مهمة الرئة على تبريد القلب . إنها ايضاً موزّعة الهواء الاكبر على الجسم (٨٤ c) . فعندما تنسدّ بعض ممرّات الهواء لا يعود قسم من الجسم

يتلقاه . وهكذا يكثر عمل الممرات الباقية حرّة ، فتزحف وتمدد . وعلاوة على ذلك ، يتراكم الهواء المتزايد في جوار الغشاء الحاجز ، ويشوّهه . او يتكدّس داخل اللحم حول المجاري والأوصال . فینشأ عن ذلك المرض المدعو *تینتئس* *أبسنثوتئس* (٨٤ e) . ولا يترجع هذا المرض ما لم تفاجئه الحمى .

٣ (الأمراض الناجمة عن الخثارة :

إن الخثارة إذا امتلأت فقاع ، اي مُخاماً ايض ، تستطيع ان تلتصق الجسم بيقع بيضاء ، عندما يتمكن الهواء ان يغادر الفقاع ليلج تحت البشرة (٨٥ a) . وحين تختلط الخثارة بالسويداء ، تشوّش دوران العقل وتسبب الداء المقدّس اي الصرع (٨٥ b) . واضطراب مماثل ، ولكن أقلّ وطأة ، يحدث الاحلام (ن.م) اخيراً إن الخثارة الحامضة والمالحة الناجمة عن الصفراء تسبب الزكام والزلات الصدرية (ن.م .) .

٤ (الأمراض الناجمة عن الصفراء :

تحدث الصفراء عموماً كل الالتهابات . ولكننا نتمييز بين البثور او القروح ، وهي تنشأ عندما تجرد الصفراء مخرجاً ، وبين الالتهابات الشاملة . ولفهم تفشي هذه الالتهابات الاخيرة ، لا بد ان تصور ان الدم يتألف من نقيع تحضنه ألياف ، تسبب التخثر بعد الموت (٨٥ d) .

فان ولجت الصفراء الدم ، وكانت كميتها زهيدة ، خثرتها الاليف ، واحدثت بذلك برودة سريعة في الجسم ترافقها قشعريرة (٨٥ e) . وان اقتحمت الصفراء الدم ، وكانت كميتها كبيرة ، فهي تشوّش الألياف ، وان بلغت النخاع تستطيع ان تفصم العرى الرابطة الروح بالجسد (ن.م .) . ولكن الجسم يحمي نفسه من ذلك الاقتحام ويطرده الصفراء بالإسهال والزحار .

٤ - الحميات :

قد يظن المرء ان الحميات ناجمة عن فعل الصفراء . ليس لهذه من دخل في الامر . لأن افلاطون يفسرها بفعل العناصر المباشر ، او بفعل احد العناصر إذا تزايد . ويقسم الحميات الى اربعة انواع (٨٦ a) : الحميات المتواصلة ، واليومية والثلاثية والرباعية ، طبقاً لازدياد او نقصان سرعة الحركات لدى العنصر الذي يحدثها .

و كأن افلاطون يعتبر الحميات بمثابة تعقيد او ازمة في الامراض الاخرى . وتآزم الحال فيها قد يسوق الشفاء .

٥ - مصادر علم الامراض في التيمس

إن تشخيص الامراض (أي المرضية) المقتضب هذا هو متشوش عند افلاطون الى حد بعيد . ويظهر بدائياً اذا ما قيس بالتشخيص المرضي في الدراسات الهيبكراتية . ويصعب تعيين عدة أمراض يذكرها التيمس . والتيتيس والأبستوتيس يذكرها كثيراً الاطباء اليونان . وهم يلاحظون شأن افلاطون ، فعل الحميات المعافي من هذه الامراض^(١) . اما المرض الذي يغشي الجسم ببقع بيضاء ، فيمكن أن يكون مرض التهاب الابيض الذي يصفه كتاب الادواء^(٢) أو أن يكون الحرق فقط لاغير . وعلى كل حال فتعداد العلل ناقص زري .

فمن أين استمد افلاطون عناصر مثل هذا التشخيص ؟ من الثابت الأكيد

٥ - (١) - لثريه ٤ ، ٥٢٣ ، ٥ : ٦٥٩ ، ٥ : ٢٩٥ ، ٩ .

(٢) - لثريه ٦ ، ٢٢٨ ، ٦ في العلل ، ١٩ .

انه كان يعرف مصنّفات الطب . وقد كانت على ما يبدو وافرة جداً في القرن الخامس ق م . وعندما يشير الى الاطباء ، فذلك عادة كي يسخر منهم دون كيس او ظرف . وهو يتهم مراراً في حواراته^(٣) بهِرُودِ كُئْسُ السِّلْمِفْرِيّ وهيكرايس لايرد اسمه في التيميس ، ولكنه يُذكر في فيذرُس بعبارات سخرية^(٤) (٢٧٣ c) .

فستطيع إذن أن نفترض أن افلاطون قد عمد إلى بعض أبحاث سبقت عهده ، وربّما دون أن يزج نفسه كثيراً ليعبر عن نظرية شخصية . وقد كانت التعاليم الطبية كثيرة ومتنوعة ، ولم يترتب عليه سوى حيرة الاختيار . فبعض تلك التعاليم راحت تعلّل الادواء بفعل المتناقضات ، على ما فعل ألكميسثُنُ . وغيرها ، لاسيما تعاليم هيكرايس واتباعه ، عمدت الى «مزاج العناصر الثانوية» أي الاخلاط والرطوبات . أمّا أميندُ كليس والمحافظون من تلاميذه ، فقد كانوا يتمسكون بفعل العناصر الاربعة المباشر .

ويبدو أن افلاطون قد استمدّ من هنا وهناك فرضيات متنوّعة ، ولا يحاول حتى التوفيق بينها . فذهب تحلّل اللحوم المستغرب وتطور الاخلاط ، الذي عثرنا عليه في التيميس ، هل هو منه شخصياً يا ترى ؟ إن الامر لا يستحيل ، ولكنّ النصوص تنقصنا لإثباته . وعلى كل حال ، هناك بعض التشابه بين نظرية التيميس والنظرية المعروضة في كتاب الطبيعة البشرية^(٥) .

(٣) الجمهورية ٣ ، ٤٠٦ c ، ابرتغورس ٣١٦ d ، فيذرُس d .

(٤) ر في التيميس ٨٨ a تلميح الاستخفاف الى اخطاء الاطباء « الحادعة

العدد الأفرمّن يُقال عنهم أطباء » .

(٥) ف ٤ لتريه ٥ : ٣٨ : « ان جسم الانسان يجوي في ذاته دماً ونخاماً

وصفراء مائلة الى الشقار أو السداد . » L. 6. 40.

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد رأينا ان افلاطون ينسب الى الهواء الذي تُطبق عليه فقايع الحثارة البيضاء ، دوراً خطيراً . والحال أن بعض اطباء الاغريق كانوا يعلّون جملةً من الامراض بفعل الارياح (٦) .

وكتيّب الطب الذي وجدته كينين وحلّ رموزه ديلز يُفرد فصلاً كاملاً لتعاليم افلاطون الطبيّة (٧) . إلا ان المؤلف قد استمدّ معلوماته لامن نصّ التيميس بالذات ، بل من مجموعة مقتطفات قد شوّهت من ذلك الحين تشويهاً وافياً ، واقحم فيها إضافات مختلفة (٨) . ولا يعثر المرء فقط في ملخصه هذا هذا على إشارات لم ترد في التيميس ، بل يجد أن ترتيب الفصول في ذلك الحوار قد تغيّر . واكبر اهتمام تثيره لدينا هذه المجموعة هو أن القوم في زمن ارسطو قد نظروا بمجدٍ كبير الى علم المرضيّة الافلاطوني .

(٦) راجع للتّريه ٢ ، ٣٩٤ ، Jilberg Kuchlewein ، ١٠ ، ١٤٦ ، ثم الدراسة الصغيرة حول الطبائع ، وفيها تعليل الرعشة ، والزحار ، والنورم وبصق الدم والاستسقاء وانفجار الدماغ والصرع ، كل ذلك بفعل الهواء المحتجز في الجسم لتّريه ٦ : ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٦ .

Supplementum aristotelicum. III. 1. Anonymus Londonensis (٧)
ex Aristotelis iatricis, Menonius et aliis medicis Eclogae. Berlin. 1893

(٨) ف ١٤ : ١٢ : تمييز انواع المزاج الاربعه ، ويبدو أن تمييزاً كهذا أصلة رواقّي (راجع فيه ف ١٤ : ٤٤ : « لأن النفس قد علقت بالنخاع » .

ان هذا القول يبّالغ في تفهم نصّ أفلاطون . - ف ١٦ : ١ : المقطع المتعلّق باللسان وتأيبده بنصّ ، لا يوجدان في حوار التيميس ، كما لا يوجد التشبيه الوارد في : ١٦ : ٢٤ - ٢٥ ، ر حوار التيميس ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ . - ف ١٧ : ٢ : وظيفة الرئة تخفيف سرعة حركات القلب ، لا تبريد القلب ، على ما يقول التيميس . اخيراً نجد أن الترتيب قد تغيّر عما كان في الحوار .

٦ - أمراض النفس

النفس أو الروح لها أيضاً امراضاً . وامراضها الجهل والجنون (b ٨٦)
ولكن أصل تلك الأمراض في النهاية جسدي . فالجنون مثلاً سببه افراط في اللذة
أو الألم ، يظلم العقل على اثره . وهذا الافراط ذاته ناجم عن اضطرابات في
الوظائف العضوية ، فازدياد المني المسرف يعكتر دوران العقل ، وكذلك
تسرب بعض الاخلاط المزمنة أو الفاسدة الى الدماغ (c d ٨٦) .

وان كانت الشيرة ضرباً من الجنون، فقول سقراط : ما من احديكون
شريراً بإرادته ، يتخذ معنى جديداً ويزداد دقةً وجملاً (١) .

٧ - المداواة والوقاية :

إن المداواة الأفلاطونية بسيطة ، ومردّها الى اقدم التقاليد في الطب
اليوناني . وعلى ما يتبين لنا من المجموعة الهكراتيّة ، قد فضل اطباء جزيرة
كوس ، كلهم أو جلهم المعالجة الطبيعية ، بوسائل الوقاية أو التمارين
الرياضية ، على العلاجات العويصة والعقاقير . فالحمامات الدافئة أو الباردة وحماوة
المقصورة أو حرارة الشمس ، والرياضة البدنية المنظمة ، هذه كلها في نظرهم
عوامل شفاء اكثر فعالية من مستحضرات الصيدلة .

وأفلاطون ينحاز كل الانحياز الى رأيهم ، دون ان يعني موقفه هذا انه
يرزل على الاطلاق استعمال الادوية (b ٨٩) . غير انه يضيف ، فيما يبدو ،
بعض عناصر جديدة الى نظرية اطباء كوس . فهو يلمح خصوصاً في ابراز دور
التمارين الرياضية الخاص . ودورها ان تعيد علاقات التوازن والتناغم المفروض.

٦ - (١) ابرغورس ٢٤٥ ، الشرائع ١١ : ٩٣٣ .

وجودها طبعاً بين مختلف اقسام المركب الانساني : بين اقسام الجسم ، بين الروح والجسد ، وبين وظائف الروح المختلفة .

فعلم الرياضة البدنية يتعاون والطبيب . لا بل يتوب منابه وعلى خير وجه ، في أغلب الأحيان^(١) . ويظهر لنا افلاطون ، اقله في التيمستس ، بعيداً عن تلك الصوفية النسكية المتكررة للجسد ، التي سوف يعتنقها بعض تلاميذه . فهو يروم التوازن والاعتدال في كل شيء . ولا يقل رذله ترويض القوى الروحية بمفردها ، عن رذله ترويض الوظائف الجسدية دون غيرها .

٧ - (١) السياسي ٤٢٦٧ ، ٤٢٩٥ ، الشرائع ٣ : ٦٨٤ .

الختام

لقد استعرضنا هكذا التعاليم الرئيسية في التيميس ، وحاولنا جمع المعلومات الضرورية لفهم معناها . فما هو الانطباع الذي يمكن استخلاصه من سلسلة هذه المباحث الخاصة ؟

إن التيميس هو أولاً محاولة رام بها افلاطون ان يلخص ، في مقال وجيز ، مجموعة معارف العلماء الافلاطونيين حول الطبيعة . فهو يحوي تاليفاً مترابطاً ، مقتضباً ولكن شبه كامل ، لجميع معلومات افلاطون عن الطبيعة . وقسم كبير من ذلك التاليف المترابط لا يتجلى لنا كعمل شخصي . فلا بد أن نرى فيه دونما ريب ، لا نتيجة أبحاث وملاحظات شخصية ، وإنما تركيز المعارف المكتسبة في البيئة السقراطية الأفلاطونية . وقد استفاد أفلاطون خصوصاً من اشغال تلاميذه وأشغال تلاميذ سقراط ، وربما أيضاً بين الحين والحين من مباحث سابقة .

أما عمله الخاص فهو إدخال هذه العناصر في مجموعة جيدة السبك ، فُرِضت بتناسكها وتوازنها مدة أجيالٍ على العلماء اليونان . فالتيميس من هذا الباب هو شبه صورة مستجدة ومطلعة لاشغال العلم القديم . وهي تبدو أحياناً وكأنها تجاري إشارات وأساليب ذلك العلم .

وفي الواقع ، بين المحاولات السالفة لتفسير الكون تفسيراً شاملاً ، هناك محاولة يحملنا التيميس على الالتفات إليها فوراً ، ألا وهي محاولة أميند كليس .

فمنظومته « حول الطبيعة » لا تزال، مع ازدياد أرسطو لها، أوسع وأعمق مصنفٍ
 خصّ الأقدمون به الكون، قبل موسوعة ديميو كرتس أو أفلاطون. وكثيرة
 تفاصيل التيميس التي تحملنا على أن أفلاطون قد تذكّر نظريات الفيلسوف
 الصقليّ، تلك النظريات التي سوف ينتقدها انتقاداً لا دعماً جداً في كتاب الشرائع
 . (١٠ : ٥٨٨٩) .

لا ريب ان التعليم المتعلق بالعناصر هو ثروة مشتركة أسهم فيها جبهة من
 العلماء في القرن السادس والحامس. ورغم جهود أفلاطون ليؤثّر ذلك التعليم ضبطاً
 ودقة، فهو يحفظ في التيميس بصيغة وافرة من القدم. ونظرية المكان الطبيعي
 التي تكملها، لا تكاد معالمها تبرز للعيان^(١). وتوازن الأرض في مركز الكون
 كان أمبيد كليس قد فسّره بجرعة آلية تداني الحركة التي يصفها أفلاطون^(٢).
 وخصوصاً وصف الطبيعة البشرية يذكّرنا بشروحات أمبيد كليس أو الاطباء
 الذين كانوا يستوحونه. فالانسان في نظر أفلاطون كما هو في نظر أمبيد كليس،
 عالم أصغر بنيانه مرتبط ببنيان الكل^(٣).

والفيلسوفان يشرحان على وجه مماثل تقريباً حركة التنفس^(٤) ونشوء
 أنسجة الجهاز الجسمي^(٥). أخيراً تبدو نظرية الاحساسات في التيميس نقلاً عن
 نظرية أمبيد كليس ببعض الحرية والتصرف^(٦). وإجمالاً يتمثل لنا التيميس

(١) أثبتيس ٢ : ٧ : ٦ (الرأي ٣٢٦) .

(٢) كتاب السماء ٢ : ١٣ : ٢٩٥ : ١٣٥ .

(٣) هيكراتيس، الوصفات الطبية ٢٠ .

(٤) أثبتيس ٤ : ٢٧ : ١ (الرأي ٤١١) .

(٥) أثبتيس ٥ : ٢٢ : ١٠ (الرأي ٤٣٤) .

(٦) ثيوفراستس، في الحسن، ١، وما يلي (الرأي ٤٩٩) .

برمته و كأنه يطبق على مذهب غائي، ملاحظات وفرضيات استمدها من فلسفة آية . أفلم يعمد افلاطون لتحقيق هذا المشروع الجريء الى انتاج أمبيد كنليس، المتعثر ربما مع ما هو عليه من عظمة ، او إلى تخريج عُشرِ غيسٍ لذلك الانتاج ، وقد اسبغ عليه قسطاً أوفى من الدماسة والاناقة ؟

وأفلاطون ، مع سروره الباطني الوافر من عمله ، لا تأخذه الأوهام بشأن قيمة ذلك العمل المطلقة . لا غرو أنه يصعب على المرء أن يجد تفسيراً شاملاً افضل . ولكن عندما يدور البحث حول عالم الظواهر ، الضبط والتدقيق الكامل يتنعان عن العلم البشري . فظاهرة واحدة قابلت شروحات عدّة ، كلها تداني الحقيقة . وبين الصور المتنوعة التي يمكن للمرء أن يصرّ بها الأشياء ، يصعب عليه الاختيار ، واختياره يلبث في عددٍ منها اعتباطياً .

ويوم وعى الفكر اليوناني ضرورة المطلق ، ونهته اليها مفكرو إيلينا ، عرف في آن واحد أنّ ذلك المطلق لا يُدانيه عقل في عالم هذا الدنيا . فلم يسبغ اذن افلاطون ، على عرضه الامور ، شكل رواية ، في نزوة فقط من نزوات الفئّانين ، لأنّ الله وحده يعرف الحقيقة المطلقة . اما الانسان فقد فرض عليه أن يكتفي بالفرضيات أو الصور التقريبية . لا بل هناك مشكلات يعجز ان يُقدّم عنها فرضيات .

بيد أن الفيلسوف مضطّر إلى المجازفة . وعليه أن يحاول فهم الكون ، ولا يجزع من خطر خطأ لامندوحة عنه . ومع هذا كله ففي بناء افلاطون الناقص ، أقسام متينة وربما مكتسبة للعلم نهائياً . وفي مجال الفلك والفيزياء وحتى في مجال الطب ، تصف وقائع ثابتة ، وإن تباعدت ، في البنيان العلمي ، وتمحوّل ما كان يمكن أن يبدو نزوة شاعرٍ الى حقيقة عميقة شبه اكيده .

ولا بدّ خصوصاً ، للتجرؤ على خوض مغامرة كهذه ، من ثقة بالغة في

قوى العقل . وهذه الثقة يستمدّها أفلاطون من نظرية المثل ، من اعتقادٍ لا يترزّع بصور لالتحوّل ، منسجمة التنسيق ، تنظّم أحداث الكون بأمرها ، وتخضعها لسنة الخير ، على كره انتفاضات الصيرورة . ولكي يتمكّن التحوّل نفسه ، أن يجري هكذا جرياً منتظماً ضمن إطارات معقولة ، يتوجّب وجود نظام صور سرمدى ، ووجود واقع ثابت لا يستجّل ابداً . فالتيمس يعبر عن هذه العقيدة في كل صفحة من صفحاته تقريباً . والأفلاطونية برمتها تلخص في هذه العقيدة . ولا يبعد فقط ان يقوم التناقض بين فلسفة أفلاطون السابقة وبين تعاليم التيمس ، بل إن هذه التعاليم في كل تفاصيلها تثبت وتبرّر المبادئ المستخلصة من الحوارات السابقة .

هذا ، ولا بدّ من المعرفة أن الفيزياء وعلم الفلك وعلم الكون إجمالاً لا تشكل الموضوع الرئيسيّ في حوارنا . ولكن الموضوع الحقيقيّ في الحوارات الثلاثة غير المنجزة ، والتيمس كان بمثابة مقدّمة لها ، هو تاريخ البشرية ، كما كان يفرض أن يتسلسل ، لولا وقوع الف سبب معكّر ، لا يسع ذهننا ان يسبق ويستشفها . فالتيمس ينطوي بالضبط على فلسفة التاريخ ، تمتّ عن طريق العلوم التي تبحث فيها تلك الفلسفة وتلخصها ، الى نظرةٍ شاملة لتعليل الطبيعة . فالكون لا يثير اهتمام أفلاطون ، إلا بمقدار ما تساعد معرفته على تفهّم ذاتنا ومعالجتها ، وتنظيم المجتمع البشري خيراً تنظيم . ولا يقصد الفيلسوف أي مجتمع ، وإتّما دولة أئنا . وما انفكّ متعلقاً بها تعلق الولع والهيام مدى العمر ، مع ما أبدى نحوها في فتراتٍ عابرة من نزوات القوة المتشائمة .

ولذا يستحث أفلاطون نفسه ، خلال أوفر اعتباراته تجريداً ، وابعدها ظاهراً عن قصده العام ، نحو النتائج العلميّة والاستنتاجات التطبيقية . لاغروانه يتباطؤ أحياناً على الدرب ، شأنه في ذلك شأن كلّ الفلاسفة ، وقد أغوته على

كرهه ، اللذة الخاصة الناجمة عما يعالج من مسائل . ولكنّه لا ينسى أبداً لحظة واحدة غاية مسعاه الخطير ، ألا وهي سعادة وكإل وطنه .

ولا يبعد التيمس فقط عن أن يكون نخبلاً ما وراثياً ، على ما يقال أحياناً : بل يروم أن يضع تحت تصرف سياسة موضوعية ، كل إمكانيات العلم الافلاطوني والحماة المنظمة التي تدفع بسياق الرواية -- وكم تسهو أحياناً وتتعدد -- نحو الهدف المعين بوضوح منذ البداية . إن تلك الحماسة تضيء على الحوار لونا من الجمال الجليل المؤثر . وقد اختار افلاطون إطاراً ، نصفه روائي ، يسط فيه التيمس ، لكي يبرز في آن واحد إبرازاً وافياً صبغة عمله التخمينية والعابثة معاً ، ولكي يجود ذلك العمل الفكري بما للحياة من وثبة دائمة التبدل والتجدد . فهو نسيج خيالٍ وربما رواية . بيد أن تلك الرواية قريبة جداً من الواقع . رواية ليس فيها ما يتشع بالاعتباط الكامل ، وحيث النور المنحدر من المثل الأزلية يبعث لآلاء من ضياء الحقيقة الصمدية .

الفصل التاسع

مخطوطات التيمس ونصه

١ - المخطوطات .

لقد انضي الينا نص التيمس في نحو ثلاثين مخطوطاً ، تناثرت بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر ب.م. الا أنه لا يمثل في موسوعة من اشهر موسوعات المجموعة الافلاطونية ، وهي الموسوعة الكلار كيانة المعتمد عليها غالباً فيما يتعلق بباقي الحوارات .

١ - واقدم تلك المخطوطات هو الباريزي اليوناني ١٨٠٧

(A . de Bekker , Codex Coislilianus de la Bibliothèque nationale) .

ويبدو أن هذا النص يتقدم بضع سنوات على المخطوط الكلار كيانتي نفسه . وقد تأنقوا في نسخه حول اواخر القرن التاسع ، على عمودين وبأحرف متوسطة الحجم جميلة . ومعروف أن جان لاسكاريس قد اكتشفه حوالي ١٤٩٠ وجاء به من المشرق مع المخطوط « من مخطوطات ذمسيثيس . فالباريزي ١٨٠٧ قد نسخ ، على ما يظهر ، عن آخر ذي عمودين ، يعود ربما في نظر Schanz^(١) الى

Ueber den Platocodex n : 1807 ... Rh. Mus. Zur . Phil . 33,1878 (١) - ١
P . 306 .

القرن السادس ب . م . وقد وصفه السيدان Alline . Omont بدقة وافية تتيح لنا ان نحول المطالع الى اسغال هذين العالمين^(٢) . وما يزيد فيه قيمة نص التيمس ونص الحوارات الاخرى ، تفاسير وتصحيحات هامشية ، اضافها المتعاقبون على احراز المخطوط . ولكن صاحب النص الاولي (العائد الى القرن السادس) اعاده نفسه النظر في نسخته وصححها بعناية قصوى ، كما تشهد لنا بذلك إضافات أو فوارق حجة خطها بيده .

فهذا هو المخطوط الذي اعتمدهنا أساساً في هذه الطبعة . والسيد بارنت قد أصدر منه مقابلة دقيقة جداً على غيره من المخطوطات . إلا ان نصنا بجملته قد قوبل على الأصل وعلى النسخة الفوتغرافية الممتازة التي نشرها السيد أمون Omont . وحواشي نصنا اليوناني^٣ تورد كل اختلافات المخطوط A وكل ما يشير اليه من فوارق . هذا ، وهو يكاد لا يضيف شيئاً يذكر الى المخطوط الذي اصدره بارنت ، لما امتازت به من الدقة مقابلته على المخطوطات الأخرى .

(٢) فئة ثانية من المخطوطات يمثلها السفر ٢٦ من المجموعة اليونانية في مكتبة فيمينتا (de Bekker J, Burner, de Schanz Y) . وقد كتب هذا المخطوط بحرف صغير عادي ، يقارب بشكله أحرفنا الحديثة ، ويرجح أنه يعود الى القرن الرابع عشر إن بعد عهده وكتابته يختلف خطها اختلافاً بيننا في مختلف أجزائها ، ولا يُردّ هذا الأمر إلى تعاقب ابيادي كثيرة على نسخ المخطوط ، بل إلى التقلّب في طبع ناسخ واحد .

ويحتل التيمس في هذا المخطوط محلاً غير منتظر ، بعد الرباعيتين

(٢) Platonis codex Parisinus A . Oeuvres Philosophiques de Platon .

Facsimile en phototypie ... du Ms. grec 1807 de la biblioth . nat . , Paris 1908 (notice de M . H . Omont) .

الاولين وقبل برمينيذس . وقد نسخ هذا المخطوط ، في القسم المنطوي على التيميس ، عن نصّ ممتاز نُقِّح بدقة ، يطلعنا على إسناد مختلف اختلافاً ظاهراً عن إسناد مخطوط A ، وله غالباً ، على ما يبدو نفس القدر والقيمة . اما المخطوطات اليزانفاني منها والبندقيّ S ، والمركياني ٥٩٠ ، والمثناكي ٤٠٨ فما هي إلا نسخاً اكثر او اقل امانة عن مخطوط فييينثا ٢١ .

وقد اعتمد سائز وبارنت عدداً كبيراً من اختلافات هذا النصّ . وقد لبثنا نحن أمينين لمخطوط A مبدئياً ، كل مرة لم يظهر لنا نصّ Y أفضل بصورة اكيدة . وهذا لم يمنعنا من مقابلة نصّنا مقابلةً كاملةً بنصّ Y ، أخذاً عن صورة شمسية جيدة جداً أجريت لحساب مجموعة بوديه G. Badé ، وكل الفوارق القيمة أثبتها في حواشي نصنا اليوناني . ولم نتردد على غرار بارنت عن تبني بعض الاختلافات الواردة في Y . ولو كان لدينا اسنادان متباينان كل التباين الواحد عن الآخر ، لبدأ اسلوبنا ساذجاً اعتباطياً . ولكنه هنا مشروع ، اللهم فيما يتعلق بالتيميس لأنه حصل مؤكداً اتصال وتداخل بين الإسنادين ، إسناد A وإسناد Y .

ومخطوط فييينثا ٥٤ (وهو الملحق اليوناني Y ، W عند بارنت وآلين) هو ربما سابق لمخطوط Y . وهو يشبهه من أوجه كثيرة ، فبصورة شبه دائمة ، عندما يبتعد Y عن A يطابق عندئذ W . ومن جهة أخرى ، عدد وافر من اختلافات W نعتز عليها عند ابثروكأوس وعند الشراح الأقدمين . ويتبها للمدقق من حين الى آخر أنه يعثر في هذا المخطوط على معالم اسناد مستقل في آن واحد عن A وعن Y . ولكن لسوء الطالع ، تشوه النسخة أخطاء لا يستهان بها : هناك إسقاط وتبديل وغلطات كثيرة تَضَطَّرنا الى استعمال W بتحفظ . وقد

قابلنا نصنا بهذا المخطوط أيضاً مقابلةً كاملة على صور شمسية له . ولم تحتفظ منه في حواشينا الاّ بعدد زهيد من الاختلافات .

وبين المخطوطين Y ، W ، والمخطوط ١٨١٢ من مكتبة الدولة (الباريزي اليوناني ١٨١٢) أوجه شبه كبيرة . فنصّ الباريزي ١٨١٢ الذي لا يرجع الى ما قبل القرن الخامس عشر متشوّش الى حدّ بعيد . فمن اسقاط الى تبديل الفاظ أو عبارات من مكان الى آخر ، الى ارقام الشروح الهامشية في النصّ ، وهذه أقلّ النقص في النسخة الأولى ، ولم تُتبدّل خلال اعداد النظر المتتالية التي أجراها الناسخ الأوّل او الذين أحرزوا المخطوط من بعده . ومع هذا كله ورغم أخطاء جمّة ، نعتز أحياناً في الباريزي ١٨١٢ على أصداء إسناد قديم يختلف عن اسناد A أو اسناد Y . أضف الى ذلك أن هذا المخطوط ذي القراءة السهلة له أهميته التاريخية الكبرى ، إذ يُحتمل أن يكون قد استخدم كأساس لطبعات التيميس الاولى ، لا سيما طبعة هنري إتيين Henri Estienne ولم تثبت منه حواشي نصنا اليونانيّ الا بعض الاختلافات ذات الصبغة الخاصة المفيدة في تاريخ الإسناد .

وقد نهجنا النهج نفسه بالاضافة الى مخطوط فيينا ٥٥ (الملحق اليونانيّ ٣٩ ، وهو F استايدر وبارنت) . وباقي المخطوطات لم نعد اليها الا من خلال تعريف سانس أو بارنت لها .

وأخيراً نفحصنا بدقة شروحات ابروكس وخالكديفس ، واستشهادات تشيشيرو وابلوترنخس ويامفلدكس وسيمبلتشيئس واستيفيئس بالتيميس في كتاباتهم .

٢ - النص والترجمة .

إن نصنا الحاضر ولو وُضع بناءً على مقابلات جديدة ، لا يخالف في شيء النص الذي أثبتته بارنت في كثير من التذوق العالمي . وبعد دراسة المخطوطات بدا لنا أن الأفضل مراعاة التقليد في هذا المِضمار جهد المستطاع . ولم نعثر إلا على تصحيحات معاصرة زهيدة ، معظمها مستمد من مذكرة تقدم بها راواك ، او من مؤلف إيڤا ساخس الممتاز في تاريخ المحسّات الحمسة المنتظمة . ولم نقترح تصحيحات جديدة ، طقيفة في حد ذاتها ، الا حيث تها لنا انه لا غنى عنها .

وقد اتخذت ترجمتنا (الفرنسية) ، عدداً من المرات لا يستهان به ، فظهر توسع في المعنى ، تجنباً لكثرة الحواشي . وضحينا دوماً بالأناقة في سبيل الأمانة المفروضة في نص له ماله من الصبغة العالمية . وتصفّحنا الترجمات السابقة ، لاسيما ترجمة هنري مرتان Henri Martin ، وأرشيه هاند ، وافر كروبي^(١) Archer-Hind & Fraccaroli .

ونحض هنا السيد ديس A.Diès شكرنا على ملاحظاته الكثيرة واقتراحاته النفيسة .

٢ - (١) أفلاطون ، التيمس ، ترجمة ادجيبزبه افر كروبي ، تورينو ،

الطيموس

أو

التيمس

أشخاص الحوار

- سقراط
- تيمستس
- هرمسكراتس
- أكرتيس

١ - التمهيد

١ - المطلع :

سقراط : واحد فائنان فثلاثة !.. ولكن ياعزيزي تيميشس ، أين هو رابعنا ، رابع الذين أضفونا البارحة وأولموا لنا ، والذين نادب لهم اليوم المأدبة ونحتفي بهم ؟

تيميشس : لقد أمتت به وعكة خفيفة ، ياسقراط ، إذ ما كان ليتخلف برضاه عن ندوتنا هذه .

سقراط : ألا يئناط بك في هذه الحال ، وبهؤلاء أيضاً ، القيام بمهمة الغائب؟
تيميشس : دوغاريب . وثأكد أننا ، جهد المستطاع ، لن نتأخر عن ذلك في شيء . ثم إننا قد لاعدل في تصرفنا ، إن قصرنا نحن الآخرين في مقابلة وليمنتك بوليمة فاخرة مثلها ، بعد أن أضفتنا البارحة وأكرمت ضيافتنا .

٢ - تلخيص حديث الأمسية البارحة :

سقراط : وهل تذكرون الموضوعات التي نظمت لكم التحدث عنها ؟
تيميشس : إننا نتذكر بعضها . وما لا نتذكره منها ، فأنت حاضر لتذكرنا

به . لا بل إن كان الأمر لا يشقّ عليك ، فأعدّها على مسامعنا منذ البداية وأجزها لنا باختصار، لترسخ في أذهاننا رسوخاً أكمل .

سقراط : سيكون لكم ذلك . إن خلاصة الأقوال ، التي نطقت بها البارحة حول الدولة ، تُردّ إلى التساؤل عن الدولة المثلى وعن خير الرجال الذين يؤلّفونها ، لتبدو لي أنها الحكومة الفضلى .

تيميستس : وكل ما قلت يا سقراط ، كان على فكرنا تماماً ، وطاب لنا اجمعين .

سقراط : في تلك الدولة الفضلى اذن ، ألم تفصيل أولاً بين طبقة الفلاحين والصناعات الأخرى ، وبين طبقة المناضلين عنها (١) ؟

تيميستس : أجل .

سقراط : وطبقاً لطبيعة كل فئة ، قد كلّفنا كلا منها مهمة واحدة فقط ثلاثها ، وأسندنا إليها صنعة واحدة . وقلنا عن الذين يجب عليهم أن يجاربوا في سبيل الجميع ، قلنا إنه يفرض عليهم أن يكونوا حماة الدولة فقط ، إن أقدم احد على الاساءة اليها من الخارج وحتى من الداخل، وأن يقضوا بالحلم والوداعة لرؤسهم ومن هم بالطبع خلاّتهم ، وأن يقسوا في القتال على من يلقون من اعداء (٢) .

تيميستس : هذا صحيح تماماً .

سقراط : وفعلاً كنا نقول إن طبيعة نفس الحماة ، على ما أظن ، يجب أن

(١) الجمهورية ٢ : ٣٧٠ . ad

(٢) الجمهورية ٢ : ٣٧٥ C : « لابد أن يكونوا ودعاء حليين مع المواطنين، وقساة أشداء مع الاعداء » .

تكون معاً حماسية جياشة ومتزنة متعقطة حسب الأحوال ،
ليستطيع الحماة أن يتجملوا ويصبروا مع البعض ، وأن يقسوا
ويشندوا مع البعض الآخر ، وأن يتصرفوا هذا التصرف أو
ذاك عن حق (٣) .

تيميئس : نعم .

سقراط : وماذا قلنا عن تربيتهم وتهذيبهم ؟ ألم نقل إنه لا بد أن يتغذى
هؤلاء الحماة (ببادئ) الرياضة والموسيقى والعلوم الرياضية ،
وأن يُنشئوا عليها كلها ، وعلى كل ما يليق بهم (٤) .

تيميئس : هذا عين الصواب .

سقراط : وقد قيل أيضاً إنه يُفرض على من يتربون هذه التربية أن لا يحسبوا
في وقت من الاوقات الذهب والفضة أو أي مغنم آخر ملكاً
خاصاً . ولكن عليهم أن ينالوا كأعوان ومنجدين مكافأة حراستهم
تمن يتنجون بفضلهم ، وأن تفي تلك المكافأة بمحاجات اناس أعفاء
قنوعين ، حتى يصرفوها بالاشتراك مع اخوانهم ، فيقتاتون معاً
ويحيون بعضهم مع بعض ، صارفين همهم في كل آن الى الفضيلة
ومنقطعين عن المهام الاخرى .

تيميئس : قبلت هذه الامور وعلى هذا النحو بالذات .

سقراط : وذكّرنا أيضاً بشأن النساء أنه لا بد من خلق الانسجام بين طبائعهن
وطبائع الرجال ، لتغدو قريبة متدانية ، وأنه لا بد أن تسند

(٣) الجمهورية ٢ : ٣٧٥ e : « وبالإضافة الى طبعه الحماسي الجياش ، يجب على
حارس الدولة الصالح أن يكون أيضاً حكيماً » .

(٤) الجمهورية ٢ : ٣٧٦ e و ٣٧٧ a .

إلّا إن كل المهام المتعلقة بالحرب ومرافق الحياة الأخرى ، لتكون
كلها مشتركة (٥) .

تيمثس : وعلى هذا الوجه قيلت تلك الامور أيضاً .

سقراط : وماذا قلنا بشأن إنجاب البنين ؟ ألا يسهل تذكرة هذا الموضوع
بسبب خروجه عن المعتاد ؟ فقد جعلنا كل زواج مشتركاً بين
الجميع وكل البنين أبناء الجميع (٦) ، متحايلين كي لا يعرف احدهم
ابداً أن مولوداً من المواليد هو ابنه ، بل يعدّ الجميع كل الحماة
من أسرة واحدة ، فيحسبون أخوات وإخوة كل الذين هم ضمن
العمر المناسب لذلك ، والذين قبل ذاك العمر فما فوق يحسبونهم
والدين وأجداداً ، والذين دون ذاك العمر أبناء وأحفاداً (٧) .

تيمثس : نعم ، وهذه الاشياء يسهل تذكرها على الوجه الذي تقول .

سقراط : ولكي يولد الاولاد ، قدر المستطاع ، ولهم خير الطباع ، ألا
نذكر أننا قلنا إنه يجب على الرؤساء والرئيسات أن يتخفوا
ويتدبروا جمع الأزواج بالقاء بعض القرع ، حتى يتجامع الطلاح
والطالحات ، ويتجامع الصلاح والصالحات ، كل فئة تتجامع الفئة
المماثلة لها ، دون أن يدبّ الحقد الى قلوبهم بسبب ذلك ، بل
يعتقدون أن الاتفاق هو سبب التجامع ؟

تيمثس : نذكر ذلك .

(٥) للرجل والمرأة نفس الطبيعة : الجمهورية ٥ : ٤٥٤ e و ٤٥٥ ade .

(٦) شيوع النساء والاولاد ، ٥ : ٤٥٧ cd .

(٧) تنظيم الزيجات ، ٥ : ٤٥٩ a و ٤٦٠ - ٤٦١ .

سقراط : وقلنا أيضاً إنه لا بد ان نربّي ابناء الصالحين من الحماة . اما ابناء الأشرار ، فيُدفعون سرّاً الى مدينة اخرى . ويجب أن يراقب هؤلاء الابناء اثناء نموّهم ، وان يعاد المستحقون منهم . أما غير المستحقين من الابناء اللابئين في الدولة فيُنقلون الى بلد العائدين بدلاً منهم .

تيميُس : الأمر على ما ذكرت (٨) .

سقراط : ألم تستعرض الآن الأمور مثل البارحة ، عائدين اليها عودتنا الى رؤوسها أو غناوينها، ام تتوخى بعد شيئاً من اقوالنا السابقة لإهملنا ذكره ، يا عزيزي تيميُس ؟ (٩)

تيميُس : البتة ، يا سقراط . فهذه هي الموضوعات التي تحدّثنا بها .

٣- يودّ سقراط تأريخ دولة حقيقية يقابل وصفه النظري .

سقراط : اسمعوا الآن مايلي حديثنا عن الدولة التي استعرضناها ، وما اشعر به نحوها . فشعوري هذا يشبه شعور انسان يرى حيوانات جميلة في رسم على الرسوم وحتى في الواقع ، ولكن مخلدة الى السكنية ، فيودّ أن يشاهدها وهي تتحرك وتقوم في مقاومتها وجهادها ببعض ما يبدو ملائماً اجسادها . وأنا قد شعرت ، بالنظر الى الدولة التي استعرضناها ، شعوراً مماثلاً بالذات .

(٨) الباب الخامس من الجمهورية يقول فقط : « يجب أن ينجفوا الاولاد المشوهين

في مكان مقفر لا يدنى منه ونام عن الابصار » ٤٦٠ c .

(٩) راجع المقدمة ، فصل ٧ .

وقد أصغني بلذّة الى من يفصلّ لنا المعارك التي تخوضها دولة ، فيروي لنا أن دولتنا تعاني مشاقّها في نزاعها مع دول اخرى ، وأنها قد بلغت مرحلة الحرب على خير أهبة ، وأنها ، في خوض غمارها ، تبدي من المآثر في الافعال ومن الحماد في الاقوال والمفاوضات مع كلّ دولة ، ما يليق بتهذيبها وتربيتها .
(يصرّح سقراط في هذا المقام أنه عاجز عن رواية تاريخ من هذا النوع)

وفي هذا المضمار . يا اكرتيدس وهيرمكراتيس ، قد حكمت أنا ذاتي على ذاتي أنني لن أوفّق ابداً الى اطراء تلك الدولة وأولئك الرجال الإطراء الوافي . وتقصيري هذا ليس فيه ما يدعو الى العجب .

(الشعراء والسفيسيتيون عاجزون هم ايضاً عن هذا القصد) .

وقد اتخذت عن الشعراء ، الاقدمين منهم والمحدثين ، الفكرة عينها .
لأنني ازدري صنف الشعراء ، ولكنّه واضح كلّ الوضوح أن « طائفة الاقتداء والمحاكاة » تحاكي وتجاري خير محاكاة وعن اسهل سبيل ، كلّ ما ألفته ونشأت فيه . وأما ماخرج عن اطار البيئته والنشأة ، فيصعب على كل انسان محاكاته في الاعمال ، ويصعب عليها صعوبة أشدّ أن تجاريه حسناً في الاقوال .

وإذا انتقلنا الى صنف السفيسيتيين ، فأنا اعتقد أنه واسع الخبرة في مقالات كثيرة وجميلة شتى . واكني أخشى ان يخطيء في حكمه على الفلاسفة وعلى رجال السياسة على السواء ، لتجوّاله الدائم من مدينة الى مدينة ، واعراضه عن سكنى منزل خاصّ في بقعة من بقاع الارض . ومن ثمّ ، أن لا يفقه ما

(١) رأي افلاطون في الشعراء : الجمهورية ٢ : ٣٧٧ b وما يلي .

نظريته في المحاكاة والاقتداء : الجمهورية ٣ : ٣٩٢ b ، ٣٩٤ c ، ٣٩٥ a

قد يبيديه هؤلاء في الحرب وما يأتونه من مآثر في معارك ، وأن يفوته ما قد يحققونه قولاً وعملاً في تعاطيهم مع كل فردٍ بمفرده .

(محاوروه وحدهم لها الصفة اللازمة ليُقدموا على رواية تاريخ كهذا) .

بقيت اذن لدينا الطائفة المنتمة الى حالتكم والمتسمة بصفاتكم ، والمشاركة في آن واحد الفلاسفة ورجال السياسة بطبيعتها وتربيتها . فثيميثس هذا هو من أشهر مدينة ، مديمة لشكريس في ايطاليا . وهو لا يقل ثروة ومحتداً عن أحد من اهل ذاك البلد . وقد شغل اعظم المناصب والرتب في مدينته وبلغ في ظني ذروة الفلسفة كلها . ونعرف جميعنا ، نحن الحاضرون هنا ، ان اكرتيس لا ينتمي الى السوق في أي من الموضوعات التي نعالجها . وأما ما يتعلق بسجية هرْمُكْرَاتيس وتربيته ، فلا بد من الاعتقاد بناءً على شهادة كثيرين أنها تصلحان لكل هذه الامور .

ولذا نشطت البارحة ، بعد التفكير ، الى تلبية رغبتكم ، عندما سألتهموني التحدث عن السياسة ، لعلمي أنكم ان اردتم ذلك ، تصلحون لمتابعة الحديث واتمامه ، ولا احد يصلح لذلك اكثر منكم . لانتابعد اعداد الدولة لحوض حرب لائقة بها ، انتم وحدكم بين المعاصرين تستطيعون ان تمنحوها ما يناسبها لتلك الحرب . فبعد أن تكلمت عما فُرض علي ، رتبت لكم ، لقاء ذلك ، الكلام عن الموضوع الذي أشير اليه الآن . هذا ، وقد وافقتم معاً ، بعد التباحث فيما بينكم ، على مقابلة هدية ضيافتي بهدية أقوالكم وخطبكم . فقد مثلتُ اذن امامكم وازدنت لسماعها ، وأنا اوفر الجميع تأهباً لقبولها .

هرْمُكْرَاتيس : انا ، وايم الحق يا سقراط ، لن نقصّر في شيء ، على ما قال صاحبنا ثيميثس ، عن القيام بهذا الواجب . وليس لدينا عنذر للتخلف عن ادائه . ولذا حال خروجنا البارحة من هنا ،

وبلوغنا المضافة الي ينزلنا فيها اكرتيس ، لا بل قبل ذلك
أثناء المسير ، كنتا نتداول هذا الامر بالذات . وقد ساق الينا
اكرتيس هذا حديثاً سمع من عهد بعيد . فأعده الآن يا
اكرتيس على مسمع سكراتيس ، ليحكم معنا هل يوافق
هذا الحديث مقصدنا او لا يوافقه .

اكرتيس : لا بد لي ان افعل ، ان استحسن الاقتراح شريكنا الثالث تيميثس .
تيميثس : انا على رأيكم صراحة .

ب . التطرق إلى الموضوع

١ - حديث اكرتيس

اكرتيس : استمع الآن يا سقراط ، الى حديث غريب جداً ، مع انه صحيح
من كل الوجوه ، كما رواه يوماً صولن احكم الحكماء السبعة .
(قرابة صولن واكرتيس وعلاقة الواحد بالآخر)

فقد كان اذن صولن من انساب اذربيدس والد جدنا ، ومن احب
الناس اليه ، كما يقول هو نفسه ، في مواضع كثيرة من شعره . وقد قال
لاكرتيس جدنا^(١) على ما كان يذكر لنا هذا الاخير في شيخوخته ، ان لهذه

١ - (١) الشخص الذي يذكره الحوار هو اكرتيس الكبير ، جد اكرتيس الطاغية
أحد الطغاة الثلاثين . كان ابن اذربيدس نسيب أو خليل صولن (افلاطون ، خرميدس
١٥٧ e ، ١٥٨ a ؛ ديجينس اللاثري ، ١:٣ ثم فلوسترس ، حياة السفستين ١٦٥)
اقرن والد افلاطون بيركتيوني حفيده اكرتيس الكبير وأخت الطاغية . راجع :
Diels , Vorsokr. 3 , 2 , P . 309 , 26 , C . Ritter , Platon , I 1910 , P . 12 - 15

المدينة مآثر عظيمة وعجيبة ، درست وعفت مع تراخي الزمن وهلاك البشر .
ولكن احدى تلك المآثر واعظمها كلها ، إن ذُكرت الآن ، فقد تليق بأداء
الشكر لك ، وفي الوقت نفسه بديح الآلهة المديح العادل الصحيح ، كأننا
نسبحها حقاً في عيدها الحافل الحاضر .

سقراط : لقد احسنت . ولكن ماهي المآثرة السجقة في القِدَم التي رواها
اكثر تيس نقلابا عن صولتن ، لا كحديث من الأحاديث ،
وإنما كعمل واقعيّ انجزته هذه الدولة ؟

(كيف استدرج أميفتندروس اكر تيس إلى المناذمة)

اكر تيس : سأقصّ عليكم هذه الرواية القديمة ، وقد سمعتها من رجلٍ لم يكن
في شرح الشباب . وقد فاهز اكر تيس آنذاك ، على ما كان
يردد ، التسعين من عمره تقريباً ، وأنا لم ابلغ على الاكثر إلا
العاشرة . واتفق لنا أن وقع يوم كرتوتيس أثناء أعياد
الأباتوريا (٢) . وما ألفت الناس في العيد كل مرة جرى للأطفال
في ذلك اليوم ايضاً . إذ قد أقام لنا أباننا مباراة في الشعر الغنائي .
فأنشدت جملة من القصائد لشعراء كثيرين . ولكننا نحن
الاطفال الكثيرين تغنينا بنظومات صولتن الشعرية ، لأنها
كانت طريقة حديثة في ذلك العهد .

فقال عندئذ أحد اخوتي ، - إما لأن الامر بدا له هكذا إذ ذاك ،
وإما ليؤتي اكر تيس بعض السرور - ، قال إذن إن صولتن هو في رأيه

(٢) في هذا العيد ، راجع لنا كتاب السياسيات ، ١٩٥٧ ، ٥ : ٥ : ٩ ح ٣ .

Cf. Wilamowitz : Aristoteles und Athen . 2 . 1893 . P. 271 , 16

من الوجوه الاخرى احكم الحكماء ، وانه حتى في الشعر أيضاً أجود الشعراء طراً
وأوفرهم نبلاً ونحرراً . فطرب الشيخ وسرّ جداً - واذكر الامر تماماً - ،
ثم هسّ له وقال : « يا أمينئذرس ، لو لم يمل إلى الشعر من باب التلهي
فقط ، بل جدّ فيه نظير الآخرين ونشط له ، وانجز الرواية التي جاءنا بها من
مصر ، ولولا انه اضطرّ الى إهمال قرض الشعر بسبب الاضطرابات والثورات ،
وبسبب المساوىء الاخرى التي لقيها هنا لدى عودته ، لما فاقه شهرة في ظني
احد من الشعراء في يومٍ من الايام ، لاهسيئذرس ولاهئوميرس ولا شاعر
آخر سواهما . »

فسأله الفتى : وما كانت تلك الرواية ، يا اكرتيس ؟

فأجاب : « كان صؤلن يتكلم فيها عن أجلّ مآثرة وربما عن اشهر
كلّ المآثر طراً التي اجتاحتها هذه الدولة . ولكن بسبب تراخي الزمن وهلاك
أبطالها ، لم يبلغنا نبأها .

فأردف الغلام : « وما هي تلك المآثرة ، وكيف رواها صؤلن ،
ومن سمعها فنقلها كرواية صحيحة صادقة ؟ »

٢ - رواية صؤلن

فقال الشيخ : « في مصر عند الذلثنا^(١) ، حيث يتشعب مجرى النيل
بقرب رأسه ، مقاطعة تدعى السائيكية ، لأنّ المدينة الكبرى في تلك

١ - الذلثنا حرف يوناني يقابل الذال عندنا « ذ » ، بشكاه ولفظه . وقد سُمّي
هكذا رأس النيل لانه يشبه هذا الحرف . (المترجم)

المقاطعة هي مدينة سائيس . ومنها خرج الملك آمزيس^(٢) . وفي نظر اهل تلك المدينة إلهة أسست حاضرتهم ، اسمها بلغة مصر نئيث^٣ ، وباللوانية حسب قولهم أثنا . ويدعي القوم انهم اصدقاء الأثينيين ، ومن بعض الوجوه انسابهم . فيقول صؤلن^٤ إنه لما صار الى هناك ، لقي لديهم حفاوة كبرى . ولما راح ذات يوم يستجلي الاحداث العريقة في القدم ، ويسأل عنها او فر الكهنة خبرة فيها ، ألقى انه - إن صح القول - لا يعرف منها الخمس من الطمس ، لاهو ولا اي رجل من الهلتيين . وابتغى مرة ان يدفعهم الى الحديث عن تلك الحوادث الغابرة ، فشرع يتكلم عن اقدم امور دولتنا ، عن فيرفيس^(٣) الذي يعدّ اول انسان ، وعن نيسوفي ، وراح يروي اسطورة ذيفكليش^٥ وبيررة ، كيف نجوا من الطوفان وعاشا من بعده ، ويسلسل الذين انحدروا منها ، ويحاول بما يقول ان يتذكر عدد السنين وان يحسب مدى الازمان .

(١) — ليس لليونان ذكريات عن الماضي السحيق

فقاطعه احد الكهنة وهو متقدّم جداً في الايام قائلاً : « صؤلن ، يا صؤلن ، انتم الهلتيين تلبثون دوماً اطفالاً ، وليس من شيخ هلتيين . » فلما سمعه صؤلن قال : « كيف ... وماذا تقول ؟ »

(٢) آمزيس أو آمزيس الثاني هو أحتمس أحد ملوك مصر من السلالة السادسة والعشرين . عاش نحو ٥٦٩ ق م . راجع هيرودتس ٢ : ١٦٢ وما يلي . نئيث هي إلهة سائيس الكبرى . وسائيس هي ربّما مدينة السويس القديمة .

(٣) فرنفس الأرغي هو الانسان الاول وأبو احدى النيوقات . راجع فيه

Akousilaos , Fr . 20 Diels . utilisé par Platon . d'après Clément . Strom .

I . 102 . Vols . 3 . 2 p . 209 , 14 .

فأجابه السكاهن الشيخ : « انتم جميعكم فتيان بأرواحكم ، إذ لا تحفظون فيها زعماً قديماً مستمدّاً من نقلٍ أو تقليدٍ عتيق ، ولا علماً مُغْتَبِراً مع تراخي الزمان . وسبب ذلك هو ما يلي : لقد دهمت البشر كوارث كثيرة وعلى اوجه متعددة . وسوف تدمهم ايضاً . واطورها بالنار والماء . وقد حلت بهم نواب آخري اقلّ خطورة ، واتخذت عشرة آلاف شكلٍ غير شكل النار والماء .

فالقصة التي تردت عندكم وعندنا ايضاً، وهي ان فثيثن بن هيليس (الشمس) شدّ الحيل يوماً الى مركبة ابيه (١) . وإذ عجز عن دفع المركبة في طريق والده ، احرق ما على وجه الارض ، وضرب هو بالصاعقة وهلك . فهذه القصة اتسمت بزّيّ الاسطورة وشاعت . اما الحقيقة فهي ان انحرافاً يقع للاجرام الدائرة في الفلك (٢) حول الارض . وهذا الانحراف يتمّ خلال حقب بعيدة الامد . فتهلك الكائنات على وجه الارض بنار مستعرة . وعندئذ يلحق الدمار لاهل الجبال والمناطق العالية والجافة اكثر مما يلحق القاطنين على ضفاف الأنهار وساحل البحار .

(١) يذكر اسطورة فثيثن خصوصاً هيسيدس (المقطوعة ١٩٩ ، أرزخ ٢) وإسخيلس وإفتر بيئدس .

Cf . G. Knaack. Questiones Phaetontae . in Phil . Untersuchungen h. von A. Kiessling u. U. von Wilamowitz - Moellendorf . 8 . 1886 . p. 8 .

ويتبين المرء من نصّ أفلاطون أن العلماء حاولوا ، منذ القرن الخامس ق.م . ، أن يفسّروا الاسطورة تفسيراً عقلياً يتفق ومعطيات الفلك . —

(٢) ان كلمة parallaxis انحراف ، لا توجد عند المتقدمين على عهد سقراط ولا عند أرسطو . وأفلاطون يستعملها في السياسي ٢٦٩ e ، ليدلّ على الانحراف الصغير الذي تبعد به الحركة الدائرية عن حركة الدائر بداته .

(٢) — امتياز مصر بموقعها

والنيل الذي هو مخلصنا في الحالات الاخرى ، في تلك الحالة بالذات
ينقذنا من تلك التهلكة بفيضانه . وعندما يبغي الآلهة من جديد تطهير الارض
فيغرقونها بالمياه ، ينجو من الغرق رعاة البقر والغنم المقيمون في الجبال . وسكان
المدن عندكم ترجئهم الانهار الى البحر . واما في هذا القطر فلا تتحدر المياه لا في
هذه الحالة ولا في غيرها من الحالات . ولا تنهمر كالسيل من اعالي الهضاب الى
السهل . ولكن على عكس ذلك تتفجّر كلها بالطبع من اسفل . ومن ثمّ تحفظ
الاشياء عندنا لهذه الاسباب وتعدّ عريقة سحيقة في القدم .

بيد أن الحقيقة هي أن جنس البشر لا ينقطع يكثر تارةً ويقلّ أخرى ، في
كل الامصار التي لا يضايقه فيها برد قارس أو حر لافح . ومما يجري عندكم او في
هذه البلاد أو في أيّ مكان آخر ، فسمع به ونعرفه ، إن كان في ذلك أمر جميل
او جليل أو يمتاز بناحية من النواحي ، فمن قديم الزمان يسجّل هذا كلّ عندنا
ويحفظ في الهياكل . وأما عندكم فكلّ مرة تكاد تنتظم فيها شؤون الأدب
والشؤون الأخرى كلها التي تحتاج اليها الدول ، إذا بفيض السماء يدهمها ويذهب
بها كأنه وباء يتفشّى في سنين معبودة (١) ، فيترك منكم الأميين والجهلة ، بحيث
تصبحون بمثابة أحداث ابتدؤوا عهداً جديداً ، لا تعرفون شيئاً من كلّ ما كان
في غابر الأزمان لدينا أو اديكم .

وفعلاً ما كنت تسلسله الآن من أنساب ، يا صوّلثين ، في استعراضك

٢ - (١) إن نظريّة طوفان دوري تختلف عن النظريّة الواردة في السياسي

ce ٢٦٩ . أمّا الامراض التي تنتابنا في فترات منتظمة فهي الحميات

(التييميريس ٨٦ a) .

احداث بلادكم لا يختلف الا قليلاً عن خرافات الصبية . فأنتم أولاً تذكرون طوفاناً واحداً غطى وجه الأرض ، مع أن فيضانات كثيرة قد حدثت قبله . ثم لا تعلمون ان ابيه وخير أمة اخرجت للناس ظهرت عندكم وفي بلادكم . ومنها انحدرت أنت وجميع رعايا دولتكم الحاضرة ، اذ قد بقي فيكم قسط زهيد من زرع تلك الأمة . وقد فاتكم هذا الأمر ، لأن المتعاقبين من تلك الأمة خلال أجيال وأجيال قد تلفوا وهم لا ينطقون بلغة الكتابة .

لأن دولة الأثينيين الحاضرة كانت مزدهرة ، يا صؤلئني ، في العصور الغابرة ، قبل أعظم بوار انتاب البشر بالمياه ، وامتازت وتفوقت في الحرب واشتهرت في كلّ الأمور شهرةً واسعة . ويُقال إن مآثرها كانت اجلّ المآثر وأجلها ، وأن نظمها السياسيّة كانت أبهى نظمٍ تحت السماء سمعنا بها . « ويقول صؤلئني إنه لما سمع هذه الأقوال تعجّب ، وأبدى كلّ اهتمام وسأل الكهنة ان يبسطوا له بدقّة وبالتسلسل كل ما يتعلق بمواطنيه القدامى .

٣ — عراقة أثينا في القدم .

فأردف الكاهن : « لا أرفض استجابة سؤلئك يا صؤلئني ، ولكنني أتكلّم إكراماً لك ولدولتكم ، وخصوصاً استعطافاً للالهة التي نالت بالقرعة دولتكم ودولتنا ، وربّتها وهذبتّها . بيد أن بلادكم سبقت بلادنا بألف سنة ، إذ استمدت زرعكم من الأرض ومن هيفيستس^(١) . وبلادنا أتت بعدها في الزمن . وقد سُجّل بالكتابة في هياكلنا حساب السنين التي مرّت على حضارة وطننا هذا .

٣ - (١) هذا تلميح الى اسطورة مولد إرخثونويدس ، كما يوردها إفثريبيدس ، في روايته إيتن ، ش ٢٦٧ ، راجع أنثيغونوس الكريتي ، مقطوعة ١٢ . وقد وُلد إرخثونويدس من الأرض بعد أن افسد عليها هيفيستس وهو يطارد أثينا . (المترجم)

(الشرائع المصرية هي صورة لقوانين أمينا قبل ذلك العهد بنسبة آلاف سنة)

أما مواطنوك الذين عاشوا منذ تسعة آلاف سنة ، فسأيتن لك قوانينهم
بإيجاز ، وسأروي لك أهي مائة أئوها . وفيما بعد إبان اوقات فراغنا ، سوف
نأخذ السجلات نفسها ونستعرض تفاصيل الأمور كلتها بالتالي .

والآن تأمل شرائعهم ونظمهم بمقابلتها مع نظم هذه البلاد وشرائعها .
إذ انك تجد اليوم ههنا أمثلة كثيرة عن القوانين المرعية عندكم في ذلك الحين .
أولاً طبقة الكهّان المفروزة عن الطبقات الأخرى . وبعدها طبقة اهل الصناعات
وكل فئة منهم تتعاطى صناعتها على حدة دون أن تختلط بغيرها من الفئات . ثم
طبقة الرعاة . فطبقة الصيادين والقناص ، وطبقة الفلاحين . ولقد لاحظت ربّما
أن طبقة المحاربين مفصولة في هذا البلد عن جميع الطبقات . وقد قرّض الشرع
على أفرادها ان لا يهتموا بشيء من الأشياء ما خلا شؤون الحرب . اضم الى
ذلك نوع تسليحهم بالمجانّ والرماح ، ونحن أول من تسلّح بها في أرجاء آسيا
لأنّ الإله علمتنا إياه ، كما علمتمكم إياه أولاً في أصقاعكم النائية تلك .

ثم ترى ربّما بشأن ما يتعلق بالفكر والعقل ، أي اهتمام أعاره الشرع
عندنا ، وحالاً منذ البداية ، وبشأن الحضارة والثقافة ، كيف وجد كل شيء ،
حتى العرافة والطبّ بغية المحافظة على الصحة ، وتطبيقات هذه الأمور الإلهية
على الأغراض البشرية ، وكيف حصل لنا جميع المعارف الأخرى الناجمة عن
هذه . فالإله اذن حلتكم ، انتم أولاً إذ ذاك ، بكلّ هذه الزينة الروحية وكل
ذلك التنظيم ، وأقامت بين ظهرانيكم ، بعد أن اختارت مقاماً لها المكان الذي
خلقتم فيه ، آخذة بعين الاعتبار اعتدال الفصول فيه ، إذ يجعله صالحاً ليقبل
أكثر الناس فهماً وتعقلاً . ولما كانت الإله مغرمة بالحرب ومولعة بالحكمة ،

اختارت مكاناً مزمماً ان يحمل أوفر الناس شهباً بها، وسكنته قبل أي مكان آخر .
 فأتمت اذن فيه ، واتبعت سنناً مثل هذه السنن ، لا بل أفضل منها ايضاً ، وتفوقتم
 على الناس طراً بكل ضرب من المناقب ، على ما يليق بأولاد الآلهة وأربتهم .
 فمآثر دولتكم وافرة وعظيمة . وقد دونتها عندنا لإعجابنا بها . ولكن
 إحداها تفوق كل المآثر عظمة وبطولة (٢) .

(نضال أئمتنا وشعوب سواحل المتوسط ضد الأطلنطيس)

لأن سجلاتنا تذكر آية قوة ضخمة أخدمتها دولتكم ذات يوم ،
 وقد مشت بصلف على أوربا كلها وعلى آسية معاً ، من خارج حدود أوربا ،
 من المحيط الاطلسي (٣) .

٤ - الأطلنطيس .

لأن الحضمّ الواقع هناك كان يمكن عبوره في ذلك العهد . وقد حوّط
 جزيرة عند فوخته وهي التي تدعونها، على ما تقولون ، أعمدة هرّكليس . وكانت
 الجزيرة اكبر من ليفيا وآسيا معاً . ومن هذه الجزيرة كان يمكن للمسافرين في
 تلك العصور أن يجتازوا الى الجزر الأخرى ، ومن هاتيك الجزر الى القسارّة
 بأسرها ، الواقعة على الساحل المقابل حول ذلك البحر الحقيقي . لأن ما يقع داخل

(٢) راجع المقدمة الفصل الثاني ، واكرتيس ١٠٨ e .

(٣) في رأي كتبة معاصرين مختلفين ، لا سيما ابرل Preller Robert ، الأسطورة
 اليونانية ط . ٤٤ ، ١٨٩٤ ، ص ١٦٥ ، صولن هو اول من قص رواية الأطلنطيس
 الاسطورية ، ولم يعمد افلاطون الا الى استغلال روايته . غير أن نصوص التيمس نفسها
 تشير صراحة الى أن صولن لم ينشر شيئاً من كتاباته (٢١ cd) .

الفوهة التي تتكلم عنها ، يبدو مرافاً ذا معبر ضيق . وأما ذلك الحضم فهو بحر حقيقي ، والارض المحدقة به يمكن بحق ومن كل الوجوه أن تدعى قارة . بمعناها الصحيح .

b ففي جزيرة الأطلننتيس تلك ، قد نشأت سلطنة ملوك عظيمة وعجيبة . وبسطت سيادتها على الجزيرة كلها ، وعلى جزر اخرى كثيرة ومساحات شاسعة من القارة . وبالإضافة الى تلك البلاد ، كانوا يسودون من جهتنا على لفيّا حتى حدود مصر ، وعلى أوربا حتى حدود ترّنيا . (١) وقد تجمعت هذه السلطنة برمتها ووحّدت شملها ، وحاولت ذات مرة في اجتياح واحد ان تستعبد كل البقعة الواقعة في أرجائكم وأرجائنا ودخل مضيق هرّكليس . فبدت عندئذ عزة دولكم ، يا صوّالئن ، وأظهرها فضلها وبأسها للبشر اجمعين . إذ ترعّمت الجميع برباطة جأشها وضروب فنونها في الحرب ، وقادت اليونان ، ثم انفردت في الواقع بحكم الضرورة ، لانسحاب الجيوش الخليفة الاخرى ، وبلغت ذروة المخاطر ، وقهرت المتحامين وتغلّبت عليهم ونصبت أقواس النصر ، وصانت الذين لم يقنعوا قط في العبودية من أن يسوا أرقاء ، وحررتنا نحن الآخرين جميعاً المقيمين ضمن حدود أعمدة هرّكليس دون حقدٍ أو حسدٍ (٢) .

٤ - (١) لفيّا او ليبيا هو الاسم المشترك المطلق على اقسام افريقيا الواقعة الى غربي مصر . وترنيا (وقد غدت فيما بعد اتزوريا) هي القسم الغربي من ايطاليا .

(٢) ان رواية افلاطون الجميلة تذكرنا بمسرحية الفرس لايسخلس (رواية المبعوث ، ش ٣٥٣ وما يلي) . ويمكن للمرء أن يرى في هذه الرواية تلميحاً واضحاً لبعض الوضوح الى الحرب الفارسية الثانية .

(نوارى الاطلينتيس)

d وتعاقب الزمن. وحدثت هزات ارضية هائلة ، طوفانات. وفي يوم واحد و ليلة شديدة دهما ، خُسفت رقعة من بلادكم ونوارى معها كل جيشكم جملةً ، وكذلك توارت جزيرة الأطلينتيس في لجة البحار وانمحي أثرها (٣) . ولذا اضحى اليوم ذلك البحر غير سالك ، لا يسبر غوره اذ يحول دون ذلك وحل قريب جداً الى وجه المياه ، تركته الجزيرة عندما غارت .

٥ - كيف استرجع اكرتيس ذكرياته .

e لقد سمعت ، ياسقراط ، في صيغة مقتضبة ، ما قاله اكرتيس القديم الايام نقلاً عن صولن . وفيما كنت تتكلم البارحة عن السياسة وعن رجالها الذين وصفت ، كنت أتعجب إذ قد ذكرت الامور التي بسطتها لكم الآن ، وأنا جني ذاتي متسائلاً كيف لاهمت اقوالك في معظم الأشياء التفاصيل التي رواها صولن . ولم أتنا أن أصرّح بذلك حالاً ، لأنني لم أكن أذكر الرواية ذكرى وافية بسبب تمادي الزمن . ففكرت إذن في نفسي أنه لا بد لي أولاً من أن استعيدها استعادة كافية في ذهني ، وبعد ذلك أسردها لكم . ولذا وافقت سريعاً على المهمة التي أنطتها لي البارحة ، لاعتقادي أننا قد نوفّق الى مارينا بهذا الخطاب توفيقاً جيداً مقبولاً ، لأنّ أجلّ عمل نقوم به في كل بحث يشبه أبحاثنا ، هو تقديم مقال يلائم مقاصداً .

(٣) شراح معاصرون مختلفون يجدون في هذا الوصف تلميحا الى بحر سرجاس . وايركلس ، في تعليقه على التيمس (٥٨ ب ٤١ ص ١٨٨ ، ديل ١٥) يورد نصاً لارسطو يذكر فيه أعماقاً موحلة واقعة بعد أعمدة هرّكليس : « لقد أعلمنا ارسطو أن في البحر الخارجي عند مدخله اوطالاً ، وأن ذلك الموضع ذو مياه منخفضة وموحلة . . ويدعون حتى يومنا هذا افرأخي Vrachi ، الصخور المختبئة في البحر والمغطاة بالمياه . »

فمكذا إذن ، على ما قال صاحبنا (ميرمكثراتيس) هذا ، حالما
 خرجت من هنا البارحة ، تذكرت أقوال (صُولُثْن) ونقلتها الى مسمع
 الإخوان . وبعد أن غادرتهم عدت أتفحصها كلها تقريباً آناهُ الليل حتى استعدتها
 مجدافيرها . وحقاً كم يصح القول السائر، إن معلومات الطفولة ترسخ في الذاكرة
 بصورة عجيبة . إذ لست ادري هل استطيع أن أعيد الى ذاكرتي ما سمعته
 البارحة فقط . وقد أعجب كل العجب إن فاتني امر زهيد من تلك التفاصيل التي
 سمعتها منذ عهد بعيد جداً . فقد كنت أنصت اليها بلذّة كبيرة وانشراح
 عميق ، والشيخ يعلمي برغبة واندفاع ، لأنني كنت ألحّ عليه في السؤال واعود
 اليه مراراً وتكراراً ، بحيث رسخت في أقواله كأنها خُطت في ذهني بكتابةٍ
 لا تمحى نظير الرسم الذي داخل الشمع ألوانه^(١) . وما كاذ الصبح ينبج حتى
 اسمعت اصحابنا هؤلاء كل تلك التفاصيل ، كي يستفيضوا في الاحاديث معي .

٥ - (١) ٢٦ c بشأن تلك الرسوم التي داخل الشمع ألوانها ، راجع لابليينس ،
 التاريخ الطبيعى ، ١٤٩١٢٥ : « ذلك الرسم الذي لا يفسده لا ضياء الشمس ولا
 الملح ولا الهواء : » « Quae pitura nec sole nec sale ventisque corrumpitur »

هوار
التيمس
بالذات

ج - الاسلوب المفروض اتباعه في باقي الحوار

فالأذن إذن ، أنا مستعد بأسقراط ، أن ابسط لكم لا الخطوط العريضة
فحسب ، بل التفاصيل برمّتها مثلما سمعتها . وهذا هو الهدف في اقوالنا السالفة
كلّها . والمواطنون الذين وصفت ، والدولة التي استعرضتها أمامنا البارحة ،
استعراضاً كأنه اسطوري ، سوف ننقلها الآن الى حقيقة الواقع ونضعها هنا
نصباً أعيننا . والمواطنون الذين صورّتهم في ذهنك ، سنقول عنهم إنهم اجدادنا
في الحقيقة ، وهم الذين كان يتكلّم عنهم الكاهن المصري . فسوف ينسجمون
تمام الانسجام وعلى كل وجه مع اولئك ، ولن نشدّ إذا قلنا عنهم إنهم اولئك
الذين عاشوا في الزمن الغابر (٢) .

وستضافر جميعنا ونضم جهودنا المشتركة ونحاول جهد طاقتنا أن نقي
وفاء لانفعا بما كلّفنا . ولا بدّ بأسقراط ، ان نتفحص هل هذا القول يوافق
قصدنا ، أو يترتّب علينا أن نبحث عن قول آخر يكون له بديلاً .

سقراط : وبأيّ قول أفضل نستبدل هذا ، يا اكرتيس ، لاسيما وانّه
يلائم الذبيحة الحاضرة ، المقدّمة الى الآلهة ، أعظم ملائمة لاتّصاله
الوثيق بها وبجانسته لها ، ولأنه قول عظيم كلّ العظمة يعبر عن
واقع ، لا اسطورة شاردة وتأثّة مع الخيال . فان عدلنا عن هذه
الأقوال ، فكيف وأين نجد غيرها ؟ لا يمكن ذلك . ومن حسن
حظّي ، عليكم أن تتكلّموا ، وعليّ ان أركن وأخذ الآن الى
السكينة وأستمع لكم لقاء ماقته البارحة .

٥ - (٢) راجع كتاب الشرائع ٣ : ٦٨٣ و ٦٨٤ a .

د - توزيع الأدوار

اكرتيس: تأمل إذن ، ياسقراط ، تنظيم المأدبة التي أدبناها لك ، كيف وزعنا ألوانها . لقد بدا لنا ان يبتدىء تيمثس ويكلمنا أولاً عن مولد العالم وأن ينتهي بكلامه عن الطبيعة البشرية ، لأنه أغزرفا اطلاعاً على علم الفلك ، وأوفرنا انصباباً على معرفة طبيعة الكون . واتفقنا على ان اتكلم انا بعده ، كأنني قبلت البشر منه وقد ولدتم بنطقه ، وكأنما قبلتهم منك ، وقد هذبت فئة منهم تهذيباً فائغاً، ثم أدخلهم ليمثلوا امامنا مشولهم امام قضاة ، فأجعل منهم ، طبقاً لفكر صولثن وشرعه ، مواطنين في هذه الدولة . وكانهم أثينييو العمود السالفة ، الذين نقلت عنهم الأسفار المصرية المقدسة أنهم دالوا وبادوا . وفي ما عدا ذلك ، اتكلم عنهم كلامي عن مواطنين حاليين في دولة أثينا (٣) .

سقراط : أتخيل أنني سأحظى ، مقابل وليمتي ، بأدبة خطابية كاملة فاخرة . وقد حان لك ، يا تيمثس ، بعد هذا أن تدعو الآلهة حسب المؤلف وتكلم .

تيمثس : أجل ياسقراط ، لا بد أن افعل هذا ، لأن جميع الناس ، وإن كان لهم حظٌ زهيد من الفهم والتعقل ، يدعون الله دوماً ويستجدونه عندما يقدمون على اي عمل صغير او كبير . ونحن

(٣) راجع المقدمة ، الفصل الاول ، الفقرة الثالثة . هذا في الواقع الموضوع الذي يعالجه حوار اكرتيس .

العازمون على الكلام عن بعض نواحي الكل ، هل صار أو لم
يصر ، يلزمنا ضرورة ، إن لم نفقد الصواب تماماً ، أن ندعو
الالهة والإلهات ، وأن نسألهم ان توافق أقوالنا كلماتهم
أتمّ الموافقة ، ومن جهتنا أن تتسلسل هذه الأقوال في ترابط
وانسجام . هذا هو ابتهالنا المتعلق بالالهة . أمّا ما نسأله لنواتنا ،
فهو أن تفقهوا أنتم كلامي على أهون وجه ، وأن أبيته أنا خير
تبيان على النحو الذي أفكّر به وطبقاً للأهداف التي عيننا .

الفصل الأول

المثالان الممكنان والمبدع

التساؤل الأول :

في نظري إذن ، لا بد ان نغز أولاً الامور التالية : ماهو الكائن الدائم الوجود ولاحدوث له ، وما هو المحدث دوماً وغير الموجود ابداً ؟ إن الواحد يدرك بالفكر بواسطة البرهان ، اذ يوجد دوماً على حال واحد ، والآخر يخمنه الظن بواسطة الحس الحالي من البرهان . إنه محدث بال وفي الحقيقة لا يوجد ابداً . (١)

٢٨

a

السببية والمبدع والمثالان

هذا ، وإن كل محدث يحدث ضرورة عن سبب من الاسباب . إذ يستحيل قطعاً ان يحدث حدث دونما سبب (٢) . وأي شيء قد يحقق المبدع

١ - (١) ٧٢ a : نجد التمييز عينه ، وبعبارات مماثلة تقريباً في الجمهورية ٦ :

b ٥٠٧ و d ٥٠٩ . راجع السياسي ٢٦٩ d .

(٢) يورد افلاطون مراراً مبدأ السببية: فيذن c ٩٨ و b ٩٩ ، فيلفس ٢٧ b .

الشرائع ١٠ : e ٨٩١ ، والتيمس ٢٩ d ، e ٤٦ ، c ٥٧ ، e ٦٨ ، a ٦٩ ، ٨٧

c ٣٨ d ، e ٤٤ ، c ٤٦ ، d ٦٤ ، الخ .

b فكرته وخواصه ، وهو ينظر دوماً إلى السكان على حالٍ واحدة ، ويستعمل في صنعه مثلاً كهذا ، فذلك كله يكون حتماً جميلاً ، إذ يتمّ على هذا النحو . وأما ما يصنعه المبدع وهو ينظر الى المحدث ، مستعملاً مثلاً مولدأ ، فذلك ليس بجميل^(٣) .

تطبيق هذا التمييز على العالم

التساؤل الثاني :

c فالفلك برمته أو العالم أو ذاك الشيء الآخر ، - ولنسمة بأي اسم قد يُسمى به ويتقبله افضل قبول - لا بدّ ان نبحث أولاً بشأنه ما يفرض أن يبحث في البدء بشأن كل شيء : هل كان دائماً ، فليس له أي مبدأ حدوث، أو هل ابتداءً من مبدأ ما ؟^(٤)

إنه قد حدث لأنه منظور ولمس وله جسم . وأمثال هذه الأمور كلها محسوسة . والمحسوسات يدرّكها الظن بواسطة الحس ، وتظهر بجلاء محدثة مولدة . ثم إننا نقول عن المحدث إن من الضرورة ان يحدثه سبب ما . فاكتشاف صانع هذا العالم وأبيه إذن عمل شاقّ . ويستحيل على مكتشفه أن يُفصي باكتشافه الى الجميع .

(٣) ان ابروكلس ، ٨٤ d (Diehl, I, 265. 18) يشبه المبدع بفديس الذي لم يشأ ان يتخذ نموذجاً حسيّاً لينحت تمثال زفئس .

(٤) راجع فيذن ، ٧٩ a ، ٨٣ b .

التساؤل الثالث :

ومن جديد ، لا بدّ أن يُبحث ايضاً بشأن العالم هذا الأمر التالي : مهندس
العالم قد صنع العالم ياترى بالنظر الى أي من المثالين ، أبالنظر الى المثال الثابت غير
المتحوّل ، أم بالنظر الى المُحدَث ؟ فان كان هذا العالم جميلاً ومبدعه صالحاً ،
فجلي أنه كان ينظر في صنعه الى المثال الازليّ . وان كان .. أمر لايجلّ لأحد
حتى النطق به .. فقد كان ينظر الى المثال المُحدَث . ولكنه واضح لكل عاقل
أنه كان ينظر الى المثال الازليّ . لأن العالم هو أبهى الصائرات ، ومبدعه خيرُ
العلل واذا احدث على هذا النحو ، فهو يُدرّك بالعقل والفهم ، وقد أبدع طبقاً
للمثال الثابت .

(للعالم إذن مثال ثابت لايتحول)

ولما كانت هذه الامور على هذا النحو فالضرورة الحتمية تقضي إذن بأن
يكون هذا العالم صورةَ عالم ما^(٥) . واعظم كل شيء أن يتبدى المرء بدهاً طبيعياً
فلا بدّ إذن من أن نميز بشأن الصورة ومثاليها التمييز التالي : وهو أن المقالات
والبراهين تمتّ بصلة القرابة الى الامور التي تفسرها وتبرهن هي عنها .

(النتيجة ضربان من المعرفة ، أولاً العلم)

فالثابت إذن والراسخ والواضح بعد (إدراك) العقل له ، تلزمه براهين
ثابتة لا تتحوّل . ويليق قدر الامكان أن تقوم هذه البراهين على أقوال لا تُدحض
ولا تُقهر أو تتزعزع ، وأن لا ينقصها شيء من القوة والمتانة .

(٥) لايفتأ أفلاطون متشاغلاً بالبحث عن نموذج صنعت الأشياء على مثاله (التيمس

٢٩ b ، السياسي ٢٧٧ d ، فيندرس ٢٦٢ c ، الجمهورية ٥ : ٤٧٢ c ، ٦ : ٥٠٠ e ،
١٨ : ٥٦١ c) .

(ثانياً الظن الذي يشبه الحقيقة)

أما براهين مايمائل ذلك الثابت ، فتكون محتملة ومجارية البراهين الاولى من باب المماثلة ، لان المماثل صورة^(٦) الموجود . والحقيقة هي بالنظر الى الاعتقاد والظن ، ماهو الكيان بالنظر الى الحدوث والصورورة^(٧) . فلاتعجب اذن ، ياسقراط ، ان لم تتمكن جيداً من أن تتفق بعضنا مع بعض في اقوالنا تمام الاتفاق ومن كل وجه ، ومن ان نضبط كل الضبط براهيننا في أمور كثيرة تتعلق بالآلهة ومجذوث الكل . ولكن إن قدمنا من تلك البراهين ما لا يقل عن غيره في مدانة الحقيقة ، فعلينا أن نرضى به ، ذاكرين ان لنا طبيعة بشرية ، انا المتكلم فيكم وانتم المحكّمين . ومن ثمّ يجدر بنا ، ان قدمنا بشأن الآلهة وحدوث الكل حديثاً محتملاً ، ان لانتمس من بعده حديثاً غيره بيده ثباتاً .

سقراط : لقد احسنت جداً ، يا نيميئس ، ولا بدّ لنا أن نتقبل حديثك على النحو الذي تشاء . وقد أنصتنا الى مطلعك باعجاب . فأنجز لنا حالاً بسط موضوعك الشائق .

(٦) راجع ابروكس ، ١٠٥ ، a ، ديبل ، ١ ، ٣٤٤ ، ٢٨ .

(٧) ان كلمة يينيس Genesis يستعملها أفلاطون بتواتر للدلالة على الحدوث أو الصورورة . (راجع السياسي ٢٦١ ، a ، ٢٨٢ ، d ، السفستي ٢٣٥ ، e ، فيلفس ٢٦ ، d و ٢٧ ، a ، الشرائع ١٠ : ٨٨٩ وفي مواضع كثيرة أخرى) .

الفصل الثاني

لماذا وُجد العالم : الصلاح الإلهي

تيمس : فلنقل لأية علة أنشأ المتيء الصيرورة وهذا الكل برمه . لقد كان صالحاً . والصالح لا يداخله حسد ما بشأن أي شيء . ولما خلا من الحسد ، أراد ان تحدث جميع الاشياء ، وهي تدانيه اعظم مدانة^(١) . وقد يقبل المرء أتمّ القبول من اناس حكماء ، أن هذا مبدأ الصيرورة ومبدأ العالم الاسمي . ويصيب كل الاصابة في قبوله .

(عمل الله المنتظم)

لأن الله لما أراد أن تكون جميع الاشياء جيدة ، وأن لا يكون شيء منها خبيثاً ، تناول بعد هذا التصميم كل ما كان مرئياً غير هادئ ، لا بل مضطرباً ومصطخباً متشوشاً ، ونقله من الفوضى الى النظام ، معتقداً ان حالة النظام افضل على كل وجه من حالة الفوضى . ولم يكن حلالاً ، ولا يحل الان ، لأفضل الكائنات أن يضع شيئاً ما لم يكن ابهى الاشياء .

(هذا الكون حي)

٢ - (١) راجع ذيبجيينس اللائري^١ : ٣٠ ، فهو يورد قولاً من هذا النوع نسب الى تالس الحكيم ، فيلسوف ميلتس .

ففكّر إذن ، وبعد التفكير وجد أنه لا يمكن ان يصدر عن الأشياء
المرئية بالطبع كون متكامل بلا فهم بفضل كوناً متكاملأ ذا عقل وفهم ، وأنه
يستحيل أن يُؤتي احد العقل دون نفس . وبناءً على هذا التفكير ، جعل العقل
في النفس ، والنفس في الجسد ، وهندس الكلّ ، ليكون الكلّ بالطبع أبي
الاشياء ، وينجز هو خير الاعمال . فعلى هذا النحو إذن ، يجب القول ، طبقاً
لبرهان محتمل ، بأن هذا العالم في الحقيقة كائن حيّ ذو نفس وعقل ، وأنه حدث
وصار بعناية الله .

الفصل الثالث

طبيعة مثال العالم : الحي « بذاته »

واذ ثبت لنا هذا ، علينا ان نقول ما يعقب مباشرة هذه الامور . على شبه أيّ من الاحياء انشا العالم منشوه ؟ لن نخطّ من قدر العالم ونشبهه بأحد الاشياء التي جعلت طبعاً من نوع الجزئيات . لأنّ لا شيء يشبه الناقص ويمكن أن يكون جميلاً . بل فلنفرض أنه يشبه غاية الشبه ، ذاك الكائن الذي تتكوّن أجزاءه من سائر الاحياء الآخرين ، كأفراد واجناس ، لان ذاك الكائن يشمل في ذاته جميع الكائنات العقلية ، كما ينطوي هذا العالم علينا وعلى كل الحيوانات الاخرى المنظورة . لأن الله إذ شاء ان يشبه هذا العالم أعظم الشبه أبهى الكائنات العقلية وأكملها في كل شيء ، جعله حياً واحداً منظوراً ، حاوياً في ذاته كل الاحياء المجانسين له بطبيعتهم .

فهل كنتا اذن على حقّ في قولنا بسماء واحدة ، أو كان أصحّ أن نقول .
بسموات كثيرة لا تحصى ؟ لقد كنتا على حقّ في قولنا بسماء واحدة ، اللهم إن
كان من شأنها أن تُبدع على صورة المثال . لأن الكائن المنطوي على الكائنات
الحية العقلية لا يمكن أن يكون ثانياً بعد آخر ، اذ ينبغي من جديد ان

يكون هناك حي آخر يشمل ذينك الاثنين الأولين . لانها يكونان بمثابة
جزءين له . ولن يقال بحق عندئذ ان هذا الحي قد صنع على شبهها ، بل على شبه
الذي مجموعها . فلكي يكون اذن هذا الحي شبيهاً في وحدانيته بالحي الشامل ،
لهذه الاعتبارات ، لم يصنع المبدع عالمين ولا عوالم لا تُحصى . وإنما حدث
b1 وولدت هذه السماء وحيدة ، وسوف تبقى أبداً وحيدة .

الفصل الرابع

لما كان العالم جسماً فهو يفرض وجود النار والتراب

ولا بدّ أن يكون المحدث ذا جسمٍ، مرئياً وملهوساً . ولا شيء يمكن أن يصير مرئياً بدون نار ، ولا ملهوساً بدون مادة كثيفة ، ولا كثيفاً بدون تراب . ومن ثمّ طفق الله بركب جسم « الكلّ » من نار وتراب . ولكن لا يمكن اثنين ان يتوَكَّبا وحدهما حسناً دون ثالث .

c (ضرورة ثلاثة حدود لإنشاء اضطراد) .

لأنه لا بدّ أن يكون بينها رابط يضمّ الواحد إلى الآخر . وخير الربط هو الذي يمكنه أن يؤلف من ذاته ومن الأشياء المربوطة شيئاً « واحداً » ، في غاية الوحدة . والاضطراد يحقق هذا الامر أفضل تحقيق . لأنه عندما يكون متوسط ثلاثة أعداد ما مكعبة أم مربعة ، في نسبة واحدةٍ من الأوّل إليه ، ومنه هو المتوسط إلى الأخير ، ثم في نسبةٍ واحدةٍ من الأخير إليه ، ومنه هو المتوسط إلى الأوّل ؛ فعندئذ ، اذا غدا الوَسَطُ أولاً واخيراً ، وإذا غدا كلّ من الاول والاخير ايضاً وسطاً ، فيتفق هكذا حتماً أن تكون كلّ هذه الحدود على ذات النِسَب . وعندما تغدو على ذات النسب فيما بينها ، تكون هي

٣٢

a

كلّها واحدة . فإن لزم أن يكون جسم الكلّ مسطحاً لا عمق له ، فواسطة واحدة قد تكفي لتربط ذاتها وتربط الطرفين اللذين معها .

(ولكن لما كان جسم العالم أحـد المجسّمات لزمه واسطتان وأربعة حدود) .

والحال أنه كان ينبغي أن يكون مجسّماً من المجسّمات . والمجسّمات لا تنسّقها أبداً ولا تضمّ أجزاءها واسطة واحدة ، بل تضمّها دوماً واسطتان . فعلى هذا النحو وضع الله الماء والهواء في وسط النار والتراب . ووفّق بين هذه العناصر ، مراعيّاً قدر المستطاع ، معادلةً واحدةً ، وجاعلاً عين النسبة بين النار والهواء وبين الهواء والماء ، وعين النسبة بين الهواء والماء وبين الماء والتراب فربطها بعضها ببعض ، وأنشأ سماءً واحدةً مرئيةً وملبوسةً . وبناءً على هذه النسب ، ومن مثل هذه العناصر الأربعة في العدد ، وُلِدَ جسم العالم ، منسجماً بالتناسب . وحصل بفضل هذه العناصر على الصداقة . ومن ثمّ ، لما التأمّت أجزاءه في واحدٍ ، أصبح مرصوفاً لا يفصم عراه آخر ما خلا الذي ربط بينها .

b

c

الفصل الخامس

العالم كروي وهو يكفي ذاته ويشمل الاجسام كلها

إن نسيق العالم وإنشاءه قد استوعب كلاً من العناصر الاربعة مجملته . لأن منشئه قد أنشأه من النار بأسرها ، ومن الماء برعته ، وكذلك الهواء والتراب . ولم يدع خارج العالم ولا ذرة واحدة ولا أية طاقة من احد تلك العناصر ^(١) . وهذه كانت نوابه .

أولاً لكي يكون العالم حياً شاملاً متكاملًا في غاية التكامل ، مؤلفاً من كامل الأجزاء . وعلاوة على ذلك ، لكي يكون واحداً فريداً ، إذ لم يتبق ما يمكن ان ينشأ عنه عالم آخر بمائل . أخيراً كي لا يشيخ ولا يعتل ^(٢) ، معتبراً أن عوامل الحرارة والبرودة وكل العوامل الأخرى ذات المفاعيل العنيفة ،

٥ - (١) راجع المقدمة ، الفصل الثالث ، الله ومثالا العالم .

(٢) أن هذا المقطع يلمح ال مناقشات قديمة بشأن وحدة العالم . وأفلاطون يورد هنا براهين استمدتها من فلاسفة إريثا (راجع لبرمينيدينس المقطوعة ٨ ، وليميئليس المقطوعة ٧ و ٨) . واستدلال افلاطون هذا سيعمد إليه أرسطو وتلاميذه (راجع له كتاب السماء ٢ : ٤ : ٢٨٦ ب ١٠ و مايلي) . وهذا ما اشار اليه ابركس (١٥٧ - ١٦١ ، ٥١١ ب ٢ ص ٥٨ - ٦٧) .

إذا احدثت من اُخارج بجسمٍ مركّب ، ودهمت في آناه غير مؤاتية ، فهي تفكّكه وتجلب له الامراض والهرم ، وتؤدي به الى البوار والدمار . ولهذا العلة وبسبب هذا التفكير ، هندس الله العالم ، وجعله فريداً شاملاً ، متكاملأ من جميع اجزاء العناصر طرّاً ، لا يهرم ولا يتناهبه داء .

(العالم كروي)

وقد أعطاه الشكل الملائم المجانس . فقد يليق بالحميّ المزمع أن يضمّ في ذاته جملة الاحياء ، شكل ينطوي في ذاته على كافة الاشكال بلا استثناء . ولذا آناه شكلاً كروياً ، يبعد مركز قطره الى سطحه بعداً متساوياً من كلّ الجهات . وأداره تدويراً ، وجعله أكمل جميع الاشكال ، وأشبه شيء بذاته (هو الشكل الكروي) ، معتقداً أنّ الشبيه أفضل بعشرة آلاف مرة من المغاير .

(العالم يكفي ذاته ، ولا حاجة له الى اعضاء)

وقد مهد الله سطح الكرة كلّّه ، وجعله أملس ناعماً من ظاهره . وذلك لاسباب عدّة . ولم يكن العالم بحاجة قطعاً إلى عيون ، إذ لم يتترك خارجاً عنه شيء منظور . ولا الى سمع ، إذ لم يتترك خارجاً عنه شيء يُسمع . ولم يحّدق به هواء لطيف يستدعي التنفّس . ولم يحتاج الى عضو ما به يزدرد الطعام ، أو آخره به يدفع نفاية الأكل الذي قد سبق واستساغه . لأنّ لا شيء يخرج منه ، ولا شيء يلجّه من أيّ مصدر كان . إذ لم يلبث ولا شيء (خارجاً عنه) . فهو بذوله يوفر لذاته الغذاء . وقد وُلد عن قصدٍ ليتأثّر بذاته في ذاته ، ويضع كل شيء بذاته في ذاته . لأنّ الذي ركّب عناصره اعتقد أنه خير له ان يكتفي بذاته من أن يحتاج الى الاشياء الأخرى .

وقد حسب الله أنه لا ضرورة أن يركب له أيادي ، إذ لا حاجة له أن يأخذ ، ولا أن يصد عنه مناوئاً . ولا أن يركب له أرجلاً ولا ما يستخدم للتقتل على الاطلاق .

(ان العالم يتحرك حركة دائرية)

وقد جابه الله حركة تلامم الجسم ، وهي التي ، بين الحركات السبع (٣) ،
تنسجم أعظم انسجام مع العقل والفكر . ولذا برمه على نفسه ، وفي نفس المحل
برمة وثيدة ، وجعله يتحرك حركة دائرية ويدور على نفسه دوراناً . وانتزع منه
الحركات الست كلها . وحرمه من الشرود بها . واذ لم يكن بحاجة في ذلك
الدوران الى أرجل ، ولتده بلا سيقان ولا أقدام .

(تلخيص البحث السابق) .

وإذ فكر الله - الدائم الكيان - هذا التفكير ، بشأن الاله المزمع
ان يصير ذات يوم إلى الوجود ، صنعه جسماً أملس مسطحاً ومتساوياً من كل
صوب في بعده عن مركز قطره ، وكلاً واحداً متكاملًا من أجسام متكاملة .

(٣) الحديث في المقام عن تقسيم الحركات الى سبعة أصناف : الحركة الدورانية ،
والحركة من اليمين الى الشمال ، ومن الشمال الى اليمين ، ومن امام الى خلف ، ومن
خلف الى الامام ، ومن فوق الى اسفل ، ومن اسفل الى فوق . وهناك تقسيم آخر الى
عشرة انواع ، تجده في كتاب الشرائع ١٠ : ٨٩٣ . c . راجع التبعيض ٤٣ : b .

الفصل السادس

روح العالم

(إنها تحديق « بالكل » وهي فلك السماء) .

وقد جعل الله النفس في وسط الجسم ، ونشرها خلاله كله ، وغلفه بها حتى من ظاهره . وجعلها تدور حوله سماءً واحدة فريدة منعزلة ، قادرة بزيتها الخاصة أن تلبث مستقلة في ذاتها لا تحتاج الى كائن آخر ، تعرف ذاتها وتحبها محبة كافية . ويفضل هذه المناقب كلها ، ولدها الله إلهاً سعيداً .

(روح العالم سبقت جسمه) .

ولم يستحدث الله الروح بعد الجسم ، كما باشرنا الآن الحديث عنها بعد تحدثنا عن الجسم . لأنه لو صنع الجسم قبلها لم يسمع أن يحكم الحديث العهد قديمه . غير أننا إذ نشارك الاتفاق والاقدار ، فنحن نتكلم أيضاً اتفاقاً وعرضاً . لكن الله أنشأ النفس وجعلها بولدها ومناقها متقدمة على الجسد ، وأقدم منه عهداً وسيدة وآمرة ، وهو خاضع لها ، وركبتها من العناصر الآتي ذكرها وعلى النحو التالي .

وأخذ الله من الجوهر « الدائم الثبات على حالٍ واحدة » وغير القابل الانقسام ، ثم من الجوهر المنقسم المحدث في الاجسام ، ومزجها و صنع منها صنفاً ثالثاً من الجوهر متوسطاً بين الاثنين ، له طبيعة ماهو عين ذاته وطبيعة الآخر^(١) . وأقام الثبات في الوسط بين غير المنقسم من الجوهرين وبين المنقسم المتعلق بالأجسام^(٢) . ثم عاد وأخذ هذه الجواهر ، وهي ثلاثة ، ومزجها وعمل

٦ - (١) راجع لترجمة هذا النص العويص مرتان وولراب : Quid Plato de animae mundanae elementis docuerit, Progr. Dresde, 1872, ص ١٠ . وعنوان الكتاب الموضوع باللاتينية يعني : ماذا علم أفلاطون ياترى بشأن عناصر روح العالم .

(٢) إن كل المخطوطات تحمل الضمير «هما» (حتى ابركس ، d ١٧٨ ، ديبل ٢ : ١٥٥ ، ٢ . وهذا خلافاً لما يؤكد اشتنهارت ، وقد اقتفى اتسليير وفؤولتراب إثره) . وهذا الضمير أفئتئون ، الذي لا يمكن أن يتعلق لا « بالوسط » enmêço ولا « بغير المنقسم » amérous ظهر مستعصي التفسير . وإذا قرأنا « أفئتو » الضمير المفرد بدل الجمع ، وأرجعناه الى « النوع الثالث من الجوهر » triton oucias eidos ... ترتب علينا ان نترجم نظير فؤولتراب (ص ١٠)

Deinde natura ejusdem et alterius si respicitur , etiam hac ratione medium inter individuum ejus et per corpora dividuum composuit .

إلى طبيعة الشيء ذاته والآخر ، فقد جعل حتى على هذا النحو وسطاً بين غير المنقسم منها وبين المنقسم بواسطة الأجسام » . ويمكن أن نفهم « افتون » كضمير تجزيشي . هذا رأي رفو . ونحن لانرى إشكالاً كبيراً في الامر . والضمير الجمع المضاف اليه يعود حتماً حسب الفرائض الى الجوهرين المنقسم وغير المنقسم اللذين يتكلم عنها الفيلسوف في العبارة السابقة . ويقول أفلاطون في صراحة إنه أخذ ميزة الديمومة والثبات وعدم التحول وجعلها بين الجوهرين المنقسم منها وغير المنقسم ، ليمزج بين كل هذه العناصر والصفات ويركب منها مزيجاً واحداً ، وصورة واحدة ، (المعرب) .

b منها كلها صورة واحدة . ولما كانت طبيعة الآخر عسرة الخلط ، حشرها ونظمها بالعنف ، وضمتها إلى طبيعة ما هو عين ذاته ، ومزجها مع هذا الجوهر . واذ جعل من الثلاثة واحداً ، عاد وقسم هذا الكل إلى الأقسام التي ينبغي ويليق أن تقسم . وكل قسم مستمد أصلاً بما هو عين ذاته ومن الآخر ومن الجوهر الممزوج الناتج عنها . وشرع يقسم على النمط التالي :

(تقاسيم المزيج الأولية)

c انتزع أولاً من جملة المزيج جزءاً واحداً . وبعده انتشل جزءاً هو ضعف الاول . ثم جزءاً ثالثاً هو مرة ونصف اكبر من الثاني وثلاث أضعاف الأول . ثم جزءاً رابعاً هو ضعف الثاني . واخذ جزءاً خامساً هو ثلاث مرات الثالث . وجزءاً سادساً هو ثماني مرات الأول . وجزءاً سابعاً هو سبع وعشرون مرة الاول .

(كيف ملأ الله مجالات السلسلة الناشئة في هذا التقسيم)

٣٦ وبعد تلك التقاسيم ، ملأ المجالات المضاعفة والاكبر بثلاث مرات ،
a واقتطع من المزيج أجزاء ووضعها في تلك المجالات . بحيث حصل في كل مجال واسطتان ، إحداهما فوق الطرفين أو يفوقانها بكسري واحد . والثانية تفوقها أو يفوقانها بكمية متساوية في العدد . ومن هذه العلائق حصل ، في المجالات السابقة ، مجالات واحد ونصف وواحد وثلاث وواحد وثمان . فملأ الله كل مجالات واحد وثلاث بمجال واحد وثمان . وترك جزءاً من كل مجال . والمجال المتروك في هذا الجزء هو في حدود عدد ٢٥٦ الى حدود عدد ٢٤٣ . وهكذا استنفذ المزيج b الذي اقتطع منه التقاسيم والمجالات .

(الفلك وخط الاستواء وخط الانحناء)

وشقّ عندئذ هذا الجهاز كله إلى اثنين من عرضه . وطبّق احدى الشقّتين على الاخرى بشكل X خي ، (وهو حرف الحاء اليوناني) ، وثنى كلاهما من الشقّتين على نفسها بصورة دائرة . وضمّ طرفي كل شقّة مقابل نقطة التقائهما .

(حركات الفلك)

وشملها بالحركة الثابتة الدائرة في عين المكان . وجعل إحدى الدائرتين خارجية والاخرى داخلية . وأعلن أن الحركة الخارجية هي حركة تنجم عن طبيعة « ما هو عين ذاته » ، وأن الحركة الداخلية هي حركة تنجم عن طبيعة « الآخر » . ووجهه حركة ماهو عين ذاته جانبيّاً إلى اليمين ، وحركة الآخر قطريّاً نحو الشمال . واعطى السطوة لدوران ماهو عين ذاته والمائل . لأنّه تركها وحدها دون انشقاق .

(حركة الكواكب السيارة)

أما الحركة الداخلية ، فبعد أن شقّها على ستّ دفعات إلى سبع دوائر متفاوتة ، وفقاً لكلّ من المجالات المضاعفة والمجالات التي هي اكبر بثلاث مرات ، - وهذه ثلاثة مجالات وتلك ثلاثة مجالات - ، رتب أن تجري الدوائر جرياً يعاكس بعضه بعضاً ، وأن تدور ثلاث منها بسرعة متماثلة ، وأربع بسرعات متباينة تختلف من دائرة الى دائرة ، وتختلف عن سرعات الدوائر الثلاث الاخرى ، ولكن طبقاً لنسب معينة^(١) .

(٣) راجع المقدمة ، الفصل الخامس .

(موقع جسم العالم داخل روحه)

ولمّا أُبجز كلُّ تركيب الروح طبقاً لفكر مركّبتها ، نظّم هذا المركّب بعد ذلك توزيع الجسم كله ضمنها ، وردّ منتصف الجسم الى منتصف الروح ووفّر لها الانسجام . وهي بعد أن نُسيجت من وسط الفلك الى أقصاه ، واشتملته في ظاهره من كلِّ جانب ، وأخذت تدور على ذاتها ، انطلقت انطلاقها الإلهي وبأشرت حياةً عقليةً لاتنقطع تستغرق الزمن برمته (٤) . وغدا جسم السماء منظورا ، ولبثت الروح لاترى ، ولها نصيب في العقل وانسجامه ، وصارت بين الكائنات المولدة المستحدثة أفضلها ، وقد أحدثها افضل الكائنات العقلية الدائمة الوجود .

(٤) راجع لأرسطو كتاب السماء ٢ : ٢ : ٢٨٥ b ١٦ وما يلي .

الفصل السابع

وظائف روح العالم

لأن الروح إذن قد مُزجت من طبيعة « ماهو عين ذاته » ومن طبيعة « الآخر » ومن جوهر ناتج عنها ، فتألفت من هذه العناصر الثلاثة ، ونُسقت أقسامها طبقاً لعلاقات رياضية معينة وربطت هذه الاقسام بانسجام ، فهي تقول في دورانها على ذاتها ، عندما تلامس شيئاً له جوهر لا ينقسم ، وتعلن بجر كنها وبذاتها كلتها أي كائن يماثله ذلك الشيء وأي كائن يغايره .

(المعرفة : الظن أو التخمين والعلم)

وتعلن خصوصاً ، بشأن الكائنات المستحدثة ، بالنسبة لأي شيء وفي أية حال وكيف ومتى يتفق لها ان يوجد كل منها ، وان يشعر ويتكبد الملمات من قبل الزائلات ومن قبل الأزليات .

والعقل الصادق في ذاته ، إذ يجول في المتحرك بذاته ، عندما يتناول المحسوس ، وتكون دائرة الآخر قوية فتؤذن بذلك روحه كلتها ، تحدث المزامم والاعتقادات الراسخة الصادقة . ولكن عندما يتناول الامور المنطقية العقلية ، وتكون دائرة « الشيء ذاته » حسنة الجري فتنبئ بذلك ، يتم حينئذ حتماً الفهم والعلم .

ولإن قال احد عن الكائن الذي تنشأ فيه هاتان المعرفتان إنه شيء آخر غير الروح ، فهو يقول كل شيء سوى الحقيقة .

الفصل الثامن

أصل الديمومة والزمان

ولما رأى أبو العالم ووالده ، أنه وُلِدَ صورةً للآلهة الأزليين ، وأنه
كائن حي متحرك ، جذل وابتهج وفكّر أيضاً أن يجعله أكثر شبيهاً بئسالة .
فكما أن ذلك المثال حيّ سرمديّ ، حاول أن يجعل « هذا الكل » أيضاً قدر
الامكان شيئاً مماثلاً .

والحال أن طبيعة الحيّ كانت أزليّة . ولم يكن من سبيل أن يربط الله
هذه الأزليّة في المستحدث ، وأن يدججها به دججاً تاماً . ففكّر أن يضع صورةً
متحرّكة للأزل . وفيما كان يزين السماء صنع للأزل الباقي في وحدته ، صورةً
أزليّة تجري على سنّة العدد ، وهي ما سمّيناه زماناً . لأن النهار والليل والشهور
والسنين لم تكن قبل حدوث السماء ، ولكنّ الله استنبط حدوثها عندما كان
يركب الفلك .

فكل اقسام الزمن هذه ، و«الكان» ، وألّ « سيكون » غدت اصنافاً له .
ونحن نسبو وننسبها للجوهر الأزليّ ، غير أننا لا نصيب في ذلك . فنحن نقول
عنه ونُدّعي انه كان وكائن وسيكون . ولكن لا يليق بهذا الجوهر سوى القول
« انه كائن » حسب النطق والتفكير الصحيح . اما «الكان» ، وألّ « سيكون »

فيجدر ان يقللا عن الحدوث الجاري في الزمن ، لانها حركتان وتحوّلات . لكنّ القائم دوماً على حالٍ واحدة دون تحوّل ، لا يليق به ان يصير اكبر سناً او احده خلال الزمن ، ولا ان يكون قد صار ذلك في فترةٍ ما ، ولا ان يصير الآن او يصير في ما بعد ، ولا ان يلمحّه قطعاً شيء مما تلحقه الصيرورة بالاشياء الحسيّة . لكنّ تلك الامور قد غدت اعراضاً من الزمن ، وهو يضارع ويمائل الأزّل ، ويجري في دورانه على سنّة العدد (١) .

ولابدّ ان نضيف إلى ماسبق العبارات التالية : ما حدثت فهو قد حدثت وما يحدث فهو يحدث ، ثم ما سوف يحدث فهو سيحدث ، واللاموجود هو اللاموجود هذه العبارات لانتوّلها بضبط ودقّة . وعلى كلّ ، لعلّ الوقت غير مؤات الآن للتدقيق في هذه الابحاث .

فالزمن اذن حدث مع الفلك ، ليولدا معاً وينحلا معاً . إن جرى انحلالها يوماً ما . وحدث على مثال طبيعية الازل ، كي يشبه ذلك المثال قدر الاستطاعة غاية الشبه . لانّ المثال هو كائن مدى الازليّة كلّها . والفلك هو ايضاً كان وهو كائن وسوف يكون بلا انقطاع مادام الزمن .

٨- (١) إن أفلاطون يبسط في هذا الفصل نظريّة عن الزمن تتّسم غاية الاتسام بطابع العصر ، مع أنها ترجع ربّما الى عهد البشغوريين . (راجع لارسطو كتاب الطبيعة ٤ : ١٠ : ٢١٨ : ٣٣ وما يلي) . يرتبط الزمن بالتحوّل ، وهو معدوم بالنظر الى الحقائق أو الكائنات الأزليّة . فكلّ شيء يدوم له زمنه الخاص . ويبدو أن هذا الزمن يقابل فترة تحوّل وإيقاعه . وكلّ كوكب له زمنه وهو منفرد بذالك الزمن (٣٩ d) . ولكن أزمنة السيارات تقيسها وحدات الزمن الناجمة عن حركات الشمس والقمر . وعلاوة على ذلك ، هناك زمن مشترك ، وهو « السنة الكبرى » إذ تعود في نهايتها مظاهر الفلك كلّها الى أوضاعها الاولى . وهذا الزمن يسيطر على الازمنة الاخرى بجمليتها ، كما يهيمن فلك الثوابت على حركات النجوم بأسرها .

الفصل التاسع

وضع الكواكب السيارة في الفلك ودورها

فمن تفكير الله هذا اذن ومن مثل هذه النية لديه بشأن إحداث الزمن ، لكي يُولد هذا الزمن ، نشأت الشمس والقمر والكواكب الخمسة الاخرى ، الملقبة بالسيارة ، لتحديده وضبطه وصيانة اعداده . وبعد ان صنع جسم كل منها ، وضع تلك الاجسام في المدارات التي يخطها دوران الآخر في جريه . وهذه المدارات سبعة وتلك الاجسام سبعة . وجعل القمر في المدار الاول حول الارض ، والشمس في المدار الثاني فوق الارض . ثم كوكب الصبح والكوكب المدعو كوكب هرئيس المقدس جعلها يعدوان في مدارهما بسرعة تتعادل وسرعة الشمس ، ولكن اتجاهها يعاكس اتجاهها . ولذا نرى ان الشمس و كوكب هرئيس و كوكب الصبح ، هذه الكواكب الثلاثة تتلاحق ، فيلحق بعضها بعضاً طبقاً لسنة ثابتة (١) . اما الكواكب (السيارة) الاخرى ، ان رام احد ان يفصل ابن ركزها الله ، وان يستقصي كل اسباب ذلك التركيز ، فذاك المقال الخارج عن الموضوع قد يولي من المشقة ما يفوق الأهداف التي يُقال لأجلها . ولعل

٩ - (١) راجع المقدمة ، الفصل الرابع ، في تقارن السيارات والكواكب

الاخرى وتقابلهم .

هذه المسائل ستحظى هي ايضاً فيما بعد حين يتسع لنا الوقت ، بالشرح اللائق (٢).

(تقارن الكواكب السيارة وتقابلها)

عندما يبلغ اذن كل من الكواكب اللازمة لانشاء الزمن ، الحركة الموافقة له ، وولدت تلك الكواكب كائنات حية مرتبطة اجسادها بربط روحية ، وعندما تعلّمت ما فرض عليها ، وكانت حركتها منحرفة بانحراف حركة الآخر ، تسير خلال حركة ماهو عين ذاته وهي منقادة لها ، جرى بعض هذه الكواكب في مدار اوسع ، وجرى بعضها في مدار أضيق . وسارت ذات المدار الأضيق بسرعة أشد ، وذات المدار الاوسع بسرعة أبطأ . وبالنظر إلى حركة ماهو عين ذاته ، بدت الكواكب الدائرة بأقصى سرعة واللاحقة ذات السرعة الابطأ وكأن هذه الاخيرة تلحقها (٣) . لان حركة ماهو عين ذاته في تدويرها دورات الكواكب تدويراً لوليبياً ، جعلت أبطأ الكواكب سرعة يبدو ، بسبب ازدواج دوراتها وبسبب تعاكس تلك الدورات في آن واحد ، وكأنه اقرب الجميع الى تلك الحركة ، وهي أسرع الحركات طراً .

(٢) إن بسط المسائل الفلكية التي يشير اليها ويعدنا بها ، لا توجد في أي مكان من التيميس . ولا يتم افلاطون إلا بكواكب أربعة هي القمر والشمس والزهرة وعطارد .

(٣) إن مدار ماهو عين ذاته تنعشه حركة النهار . وهذه الحركة تسيطر على كل الحركات الاخرى ، وتجريها في سيرها ، مع أن تلك الحركات تتجه انجماً معاكساً . ومن ثم تتبين لما تظهر الكواكب وكأنها تدور دوراناً لوليبياً . راجع من المقدمة الفصل الرابع .

(أصل الليل والنهار)

فلكي يكون هناك مقياس جليّ فاصع لبطء الكواكب فيما بينها وسرعتها ، ولكي يُبدي مايتعلّق بحركاتها الثماني ، اناط الله منارةً بالحلقة الثانية المحدقة بالارض . وهي مانسميه الآن شمساً . كي تثير أعظم اثاره أرجاء السماء برمتها ، ويشترك بالعدد جميع الاحياء الذين يليق بهم ذلك ، ويتعلّموه من دوران (ماهو عين ذاته) القائم على حالٍ واحدة ومن مثله .

فقد حدث الليل والنهار إذن على هذا النحو وبسبب هذه الغايات . وهما دوران مدار فريد هو اعقل المدارات . ويحدث الشهر عندما ينجز القمر دورته ويلحق الشمس . ويحدث العام عندما تنجز الشمس دورتها . أما دورات الكواكب الاخرى ، فلا يفهمها سوى النذر القليل من الناس ، ولا يدعونها بأسماء ، ولا يرصدونها ولا يقابلونها بعضها ببعض حسابياً ، وبالتالي ، إن صحّ قولنا ، لا يعرفون أن شطحات تلك الكواكب هي زمن ، وأنّ تلك الشطحات تستغرق زمناً لا يحصى ، وأنها متنوّعة الى حدّ عجيب .

(السنة الكبرى)

ومع ذلك لاينع هذا من أن ندرك أنّ اكتمال عدد الزمن يستوعب السنة الكاملة ، ويحدث هذا الامر عندما تنجز المدارات الثمانية جميعها سعيها ، وتبلغ الى نقطة انطلاقها ، وتعود كل منها وتقيس سرعتها على دورة الثابت في ذاته على حالٍ واحدة ، والسائر سيراً منتظماً .

(الختام)

فعلى هذه السبل ولهذه الغايات إذن ، نشأت الكواكب ذات الادوار ، والمنطلقة في كبد السماء ، كي يكون هذا العالم على أعظم شبيه مع الكائن العقليّ الكامل ، ويجاري أتمّ مجاراة طبيعة الأزل .

الفصل العاشر

لابد أن يحوي العالم أربعة أصناف الاحياء

وكانت الكائنات الاخرى إلى مولد الزمن قد صنعت على شبه المثال الذي صوّرت عليه . وهذا العالم لم يكن قد ضمّ في داخله كلّ الكائنات الحية المزمعة أن تحدث . ومن هذه الناحية ما برح يباين مثاله .

فشرع الله يضع هذه الكائنات الباقية ، مصوّراً إياها على طبيعة مثال العالم . ومن ثم على الوجه الذي يعاين عقله المثلّ في « من هو الحيّ » ، ماهي تلك المثلّ وكّم هي فيه ، ارتأى الله انه يجب على هذا العالم ان يحوي هو ايضاً كائنات مماثلة لها في الماهية والسّم . وهي أربعة مثلّ . المثال الأوّل هو جنس الآلهة السّاوي . والمثال الثاني هو الجنس المجنّح الجاري في الهواء . والمثال الثالث هو الصنف المائي . والمثال الرابع هو الجنس الذي يبشي على الاقدام والبري .

(الآلهة الفلكية)

وطفق إذن يصنع من نار القسط الاعظم من صورة الجنس الالهيّ ، كي يتألق اعظم تألق ويكون بهيئاً جدّاً في النظر . وإذ صورّه على صورة « الكل »

جعله حسن الاستدارة ، ووضعه في ذهن الاقوى لينقاد له : ووزع افراده على سطح الكرة السماوية كلها ، ليكونوا لها يحملنها زينة حقيقيّة . وجبا كلاً من أولئك الافراد حركتين : الواحدة ثابتة في ذات الاله وتدور حول عين الامور يفكر بها دوماً في ذاته ، والثانية حركة الاندفاع إلى الامام ، يخضع فيها لدورة الثابت والمائل . ولا يتحرك هذا الجنس من الالهة بالحركات الحتمس الاخرى وهو منصرف عنها كي يكون كل من افراده قدر المستطاع في غاية الصلاح .

ولهذا السبب بالذات نشأت جميع الكواكب التي لانسير ولا تقيه ، وهي كائنات حيّة إلهية أزلية تدور في ذات المكان بصورة ثابتة ، وتلبث دوماً على تلك الحال . أمّا الكواكب الدوّارة ذات المسيرة والتيه الذي وصفناه فيما قبل ، فقد حدثت ونشأت بعد تلك الكواكب الثابتة .

(الأرض)

وقد استنبط الله الارض حاضنة لنا ومربية ، ولفها حول المحور الممتدّ خلال العالم كله ^(١) ، وخوّّلها إبداع الليل والنهار، وأقامها حارسة عليها، وجعلها أولى الالهة الذين نشأوا داخل الفلك وأقدمهم عهداً ^(٢) .

(١٠) - (١) راجع المقدمة ، الفصل الخامس والسادس .

(٢) طبقاً لمعطيات المقطع e ٧٧ وولد الليل والنهار مع الفلك ، ومن ثم قبل مولد الارض . وليست هذه سوى أقدم الالهة المحشورة في بطن الفلك (c ٤٠) . ومن جهة اخرى يحتمل ان تكون الارض ثابتة بلا حراك ، (راجع الفصل الخامس من المقدمة) . فكيف يمكنها ان تكون « حارسة الليل والنهار ؟ » لاشكّ أن افلاطون يلمح الى التعليم الذي ينسبه سيمبليتشيديس الى البيثاغوريين : « لقد قالوا ان الارض كوكب ، لأنها هي ايضاً آلة للزمن ، اذ هي سبب النهار والليل . وفي الواقع عنها يصدر النهار عندما يعكس الاشعة بوجهها المتوجه نحو الشمس . وهي سبب الليل عندما تدير وجهها نحو مخروط الظل الناتج عن وضعها مقابل الشمس (Diels , Wors . 3 . 1 . 356 . 24 .)

(لن يخوض في التحدث عن امور الفلك).

ومن العيب ان نتحدث عن جوقات هذه الكواكب الناتجة السيارة ورقصها ، وعن تدانها بعضها من بعض ، وعن دورانها بعضها حول بعض ، وتسابقها ، وفي قيرانها والتحامها ، أي من تلك الالهة مجازي الاخر ، ومن منها يغدو على الطرف المقابل ، ومتى يقف بالنظر اليها بعضها امام بعض ، وبعد أي حِقْبٍ كلٌّ منها يجتنب (فينخسف او ينكسف) : ثم يعود ويبرز للعيان ، فيبعث المخاوف في قلوب من لا يستطيعون التفكير ، وينبئ عن الاحداث الواقعة عقب تلك الظاهرات الفلكية . فالكلام على هذه الظاهرات دون النظر الى ما يمثلها في الواقع عبث وعناء باطل . وحسبنا هذا المقدار من التوسع في هذه الامور ، ولنختم مقالنا في طبيعة الالهة المنظورة والمولودة .

الفصل الحادي عشر

سلالة الآلهة الآخرين

هذا ، وانه لفوق طاقتنا ان نقول شيئاً عن الآلهة الاخرين وأن نعرف مولدهم . وفي هذا الموضوع علينا ان نصدق الذين تكلموا عنهم فيما قبل ، لأنهم على ما يقولون ، من سلالة الآلهة ويعرفون دون ريب معرفة جليّة واضحة أجدادهم . فيستحيل إذن أن لا نصدق ابناء الآلهة ، ولو تكلموا عن اولئك الآلهة دون بيتات مقبولة وبراهين قاطعة . ولكن بما انهم يردّون انهم ينقلون تبشير تتعلق بأمرتهم وذويهم ، فلا بدّ من أن نتبع العادة المألوفة ونصدقهم . فليكن إذن مولد هؤلاء الآلهة كما تخيّل أولئك الشعر ، وهاكم ذلك المولد : ولدت الأرض من فلك السماء ولدين هما أكيمثوس وتيميس . ووُلد لهما فثركيس واكرثوثس ثم ريثا وكل من بعدهم . ومن اكرثوثس ريثا وولد زيفس وهيرا وجميع الذين نعرف انهم يُدعون إخوة لهما ، وهؤلاء ايضاً انجبوا ابناءً واحفاداً (١) .

١١ - (١) يشير افلاطون في هذا النصّ الى مولد من مواليد الكون عند الأرفيين ويذكر فيه اربع سلالات إلهيّة. واكرثوثس ٤٠٢ bc وفيه النفس ٦٦ c ، يليمحان دون ريب الى هذا المولد نفسه ، الذي شمل ستّ سلالات إلهيّة (طبقاً لماورد في الشعرين

فلما ولد إذن جميع الالهة الذين يدورون علناً في فلك السماء ، والذين
يَظهرون قدر ما يشاؤون ، قال لهم والد هذا العالم بأسره هذه الاقوال :

الذين يذكرهما أكثر أتيلس . والمقطع كله هنا هجائي ساخر ، ويظهر ذلك بوضوح .
وهذا ما يلاحظه ويؤيِّره : F . Weber , Platonische Notizen uber Orpheus ,
Munchen , 1899 , p . 12 et Suiv . ويعود افلاطون في حوار أكثر نيتس ١٠٧
ab ، ويقول اننا في جهل كامل بشأن الالهة ، راجع الجمهورية ٢ : ٣٦٤ c « وم كما
يدعون سلالة مؤوسيمس وأرففس وسليبي والاهات الطرب والفن والموسيقى » .

الفصل الثاني عشر

تركيب اجساد الأحياء الآخرين

« يا آلهة من آلهة أنا مبدعها وأبوها ، إذ هي مصنوعات أحدثتها بحبوكة لا تفصم عراها إن لم اشأ ذلك . هذا ، وأكيد أن كل ما رُبط ورُكِّب يحل . ولكن ابتغاء حلٍّ ما نُنظِّم وانسجم انسجاماً بهياً فطابت حاله ، هو مبتغى الشرير . ومن ثمّ بما أنكم محدثون لستم خالدين ولا صامدين كل الصمود ، لا تفك عراكم . ومع ذلك لن تتحلوا ، وهذا أكيد ، ولن تلقوا مصير الموت ، لأن إرادتي هي لكم رباط أعظم وأقوى من الرُّبُط التي شُدِّدتم بها عند مولدكم ، فتعلّموا الآن اذن ما أقول وابتن لكم .

لقد بقي ثلاثة أجناس مائة لم تولد بعد . وما لم تبرز هذه الأجناس الى الوجود فالسما تلبث ناقصة . اذ لم تحرز في ذاتها كلّ اجناس الاحياء . مع ان ذلك يفرض عليها ، اذا ما لزمها ان تكون كاملة كلاً وافياً . وإن انا احدثت وصيرت هذه الاجناس ، ونالت الحياة من لدني ، عادت ربا الآلهة . فلنكي تكون إذن مائة ، ويكون هذا الكلّ كلاً شاملاً في الواقع ، إنتفتوا اذن حسب طبيعتكم الى صنع الكائنات الحية ، مقتدين باقتداري في مولدكم وإبرازكم

الى الوجود. أما القسم من هذه الكائنات الذي يليق به ان يُسمى باسم الخالدين ،
المدعو إلهياً ، والمرشد فيهم جميع الذين يتبعون اتباع الحق والعدل على الدوام
واقْتفاء آثاركم ، فأنا ابذر بذاره وأبدأ بصنعه وأدفعه اليكم . وعلى اثر ذلك ،
تُسدون بسدى الغير المائت لجه المائت ، وتصنعون كائنات حية وتولدونها وتؤتوها
طعامها وتربونها . واذا هلكت تعودون وتتقبلونها .

d

الفصل الثالث عشر

الصانع يصور الأرواح ويركبها

قال الله هذه الاقوال ، ثم عاد إلى الجام الاولى ، التي خلط فيها روح « الكل » ، ومزجها وسكب فيها البقايا من الجواهر التي عمد اليها من قبل . ومزجها على الطريقة ذاتها . غير انه لم يبق شيء من الجواهر الصافي الثابت على حال واحدة بل من الجواهر الثاني والثالث فقط . فلما ركب كل ما بقي من هذين الجوهريين قسمه أرواحاً تساوي الكواكب عدداً ، ووزعها على الكواكب واحدة لكل كوكب . وأصعد الأرواح إليها إصعاده لها على مراكب . وأبدى لها طبيعة « الكل » وأطلعها على النواميس المحتومة ، نواميس مصاثرها :

(سنن مصير الأرواح العامة)

أن مولداً أولاً واحداً سيرتب لها جميعها ، كي لا ينتقص هو حق احد . وبعد أن يلقي بذارها في أدوات الزمن ، كل واحدة منها في الأداة الموافقة لها ، يفرض عليها أن تنبت أوفر الكائنات الحية خوفاً واتقاه الله . وأن الطبيعة البشرية تكون مزدوجة . وأن الجنس الاقوى منها سوف يتسم بسمه خاصة ، ويدعى فيما بعد رجلاً .

وعندما تغرس الارواح بحكم الضرورة في اجسادها ، وينمو قسم من جسدها ويتقلص قسم ، يتحتّم إذّاك أن ينشأ معه: أوّلاً شعورٌ واحد في الجميع ينجم عن الاهواء العنيفة ، وثانياً ينشأ الحبّ تمازجه اللذّة والحزن . يضاف الى ذلك ، الخوف والغضب ، وكلّ الاهواء الناجمة عنها ، وكلّ التي تناقضها طبعاً. فمن تغلب على هذه الاهواء عاش في البرّ ، ومن تغلب لها عاش في الاثم . ومن يحيى حينا زمانه الملائم ، يعود فينطلق الى سكنى نجمه المأنوس ، فيحظى بحياة سعيدة في ألفة الكواكب . وإن زلّ عن هذه المبادئ ، تحوّل في ولادته الثانية الى طبيعة امرأة . وإن لم يرد في هذه الحالة أيضاً عن شرّه ، فعلى النحو الذي يحطّ به من كرامته وبسيء التصرف ، على شبه ذلك النحو تكون الولادة التالية فيتحوّل دوماً من طبيعة وحش الى طبيعة وحش آخر تماثل شرّه . وهكذا دواليك ، فلا يستبدل حاله السيئة ولا ينجو من متاعه ومشقّاته ، قبل أن يتقاد لدورة « ماهو عين ذاته وما هو مماثل » المطبوعة فيه ، ويسحب معه في اذعانه تلك الكتلة الضخمة من النار والماء والهواء والتراب التي نمت فيه من بعد ، وهي ثورية غير عاقلة ، وقبل أن يخضعها للعقل ، ويبلغ بها من جديد الى صورة حالته الاولى الفاضلة جداً .

وبعد أن سنّ الله الأرواح كل هذه القوانين ، كي لا يكون فيما بعد مسؤولاً عن شر كل منها ، بذر بعضها في الارض ، وبعضها في القمر ، وبعضها في كل ماهناك من ادوات أخرى للزمن^(١) . وبعد زرع الارواح ، كلّف الآلهة

١٣ - (١) راجع المقدمة ، الفصل السابع ، المطلب الخامس . لا يتكلم افلاطون

فيما بعد ، كما يفعل هنا ، عن كثرة الكواكب الآلهة . ونحن نجد في الشرائع ١٠ : ٩٠٣ d و ٩٠٤ b ، اشارة الى هذا المعتقد عينه .

الجدد أن يصوّروا الاجساد المائنة ، وأن يضمّوا اليها كلّ ما ينقصها من أرواح بشرية . وفوض إليهم بعد ان ينجزوا هذا العمل وكل المهمات الاخرى التابعة له ، أن يتسلّطوا عليها وأن يسوسوا جنس المائتين خيراً سيامة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وان يراعوه أجمل رعاية، كي لا يغدو هذا الجنس لنفسه علّة الشرور والمساوىء .

الفصل الرابع عشر

الآلهة الأحداث يصورون الاجسام

اتحاد الروح والجسد

٤٣ وبعد أن رتب الله هذه الامور كلها ، ما انفك على حاله المؤلف يتوقع
٤٤ جري الامور . وفيما هو ينتظر ويتوقع ، فكّر ابناؤه بأمر ايهم واطاعوه .
فأخذوا المبدأ الخالد في الكائن المائت ، واقتدوا بيدهم واستعاروا من العالم
عناصر نار و تراب و ماء و هواء ، على ان تُعاد فيما بعد ، ولحموا العناصر المستمدة
وربطوها بعضها ببعض ، لا بالربط غير المنفصمة التي رُبطوا هم بها ، ولكنهم
صهروها بواسطة مفصلات دقيقة جداً لا ترى لدقتها ، واصطنعوا من تلك العناصر
جميعها كل جسم بمفرده .

(اتحاد الروح والجسد)

وغمسوا دورات الروح الخالدة في جسد زاهر بما يرد إليه وما يصدر عنه
من تيارات . وهذه الدورات لدى انغماسها في نهر هدار لم تُخضعه ولم تخضع له .
بل ماقتت نارة تجرف في تياره بالعنف ، ونارة تجرفه في مجراها . بحيث شرع
٤٥ هذا الكائن الحي يتحرك برمته ، وإنما بلا نظام ولا تعقل ، متوجها الى حيث

يتفق له أن يسير ، وقد أحرز الحركات الست جملة . فجعلت تلك الكائنات الحية تتقدم إلى الامام ، ثم تغفل راجعة الى الوراء ، ثم تسير نحو اليمين ونحو الشمال ، وتصدر وتصدر ، وتسير في كل اتجاه طبقاً للأماكن الستة .

(ما يحدثه الحس من اضطرابات)

لأنه ولو كان الموج الذي يغمر الجسد ، ثم يتدفق منه ، عارماً - وهو التيار الذي يؤتبه إتياء الغذاء ويوفره له - ، فشعور كل جسد بما ينتابه من أرزاء يسبب له اضطراباً أشد وأعنف من اضطراب ذلك التيار . فعندما يضطم جسم إنسان عرضاً بنار خارجية غريبة عنه ، أو بصخر ، أو بما يُزلقه من مياه متجمدة أو عندما تلفه عاصفة رياح هوجاء ، تنور الاضطرابات في الجسد بفعل تلك العوامل كلها وتندفع بقوة الى الروح . وهذه الاضطرابات برمتها هي التي دعيت فيما بعد ، ولهذه الاسباب ، مشاعر . وتدعى الآن أيضاً مشاعر او احساسات . وفضلا عن ذلك ، بما تحدث تلك الانفعالات عندئذ وعلى الفور من اضطراب واسع وعنيف جداً ، يُضاف الى اضطراب قناة الجسد الجارية بلا انقطاع ، وبالهزة الشديدة التي تهز بها دورات الرياح ، تُعطل منها تماماً دورة ما هو عين ذاته ، لأن دورات الروح تعاكسها ، وتمنعها عن السيادة وحتى عن السير . ثم انها تهز هزاً دورة الآخر ، ومن ثم تُحوّر تحويراً كل ابعاد الضعف والابعاد التي هي ثلاث مرات اكبر ، وهذه ثلاثة وتلك ثلاثة : كما تُحوّر واسطات واحد ونصف وواحدٍ وثلاث وواحدٍ وثمان ، والأوصال الناشئة عنها ، وتحدث في حلقات تلك الدورة كل خلل ممكن . واذ هي غير قابلة للتفكك تماماً الا بارادة واضع علمها وسداها ، فانها تشوشها ذاك التشويش ، بحيث لا تحفظ تماسكها إلا بالجهد . وهي تجري وتدور ولكن دونها تعقل . وتدور تارة دورات معاكسة ، وتارة منحرفة ، وطوراً منقلبة . ومثلها مثل رجل انقلب رأساً على عقب ، وأسند

رأسه الى الأرض ورفع قدميه الى فوق قبالة آخر . فعندئذ في وضع الذي يعاني من هذا الموقف ووضع الذين يشاهدونه ، تتمثل الأشياء وكأن ذات اليمين هي ذات الشمال ، وكأن ذات الشمال هي ذات اليمين . ويبدو الامر على هذا النحو ، لكلٍ من الطرفين المتقابلين .

٤٤ (أسباب الخطأ العامّة والجنون)

a ودورات الروح تعاني هي أيضاً عين المصاب ومكاره اخرى مماثلة ، وتعاني منها بشدّة فعندما تعثر على شيء من الأشياء الخارجية يجانس ما هو عين ذاته او الآخر ، عندئذ تسمّي المائل لشيء والمغاير لآخر باسماء تناقض الحقيقة وتغدو كاذبة غاشمة . ولا يكون فيها ولا دورة واحدة أمرة او مرشدة . وإن حملت من الخارج بعض الانفعالات ، ووقعت على دورات الروح وجذبتها في تيارها ، هي وكل غلاف الروح ، فعندئذ تبدو تلك الدورات وكأنها غالبية ، في حين أنها مغلوبة على امرها .

b فبسبب هذه الانفعالات كلّها ، عندما تربط الروح بجسد مانتٍ تصير حالاً ومنذ البدء بلا فهمٍ ولا عقل (١) .

(كيف يعاد الترتيب والنظام)

ولكن عندما يتقلّص ويتناقص تيار النموّ والازدهار الجسدي ، تعود دورات الروح وتأخذ طريقها ، طريق الهدوء والسكينة ، وتسير فيه راسخة اكثر فأكثر ، مع تراخي الزمن . وعندئذ ترجع الى هيئتها الطبيعية ، فتستقيم

١٤ - (١) مفعول تجسد الروح الأول هذا يشار اليه أيضاً في حوار فيذن ٨١

c و ٨٣ d . ويعود اليه أفلاطون في المقطع ٨٦ e من حوار التيمستس هذا .

c دوراتها وتعلن بصواب عن الآخر وعمّا هو عين ذاته ، وتصير الذي يجوبها عاقلاً .
وفضلاً عن ذلك ، إذا اتّبع منهج تربوي قويم ، أمسى متّبعه سليماً معافىً يجملته
وأفلت ناجحاً من أشدّ داء . أمّا إذا تهامل وقضى عمره في عيشة عرجاء ، فهو
يصل آذيس (الجحيم) ناقصاً معتوهاً .

(ضرورة الافاضة في الشرح والتفصيل)

d ولعلنا نتناول هذه الامور فيما بعد . أمّا مواضعنا الحاضرة ، فعلينا ان
نبسطها بدقّة اوفى . ولكن قبل الخوض فيها ، لا بدّ ان نفصل ما يتعلق
بنشوء أقسام الجسد ، وما يتعلق بنشوء الروح ، لأية اسباب كوّنت وبأي
عناية من قبل الآلهة ، وأن نتمسك بالمعقول في هذا كله ، وأن نهج هذا المنهج
ونسير على هذه المبادئ .

الفصل الخامس عشر

شرح الامور بالعلة الغائية جسم الانسان

١ - (الرأس وأدوات التنقل)

وإذ كانت الدورات الالهية ثنتين بالعدد، ورام الآلهة أن يقتدوا بشكل « الكل » ، وهو شكل مستدير ، أولجوا هاتين الدورتين في جسم كروي ، نسميه الآن رأسا ، وهو أوفر أقسام الجسم ألوهة والسائد على كل ما فينا . وقد قيد الآلهة به الجسد برمته ، وأخضعوه لخدمته ، اذ فكروا في انفسهم إنه سوف يشترك في جميع الحركات الممكن حصولها . فلكي لا يتحيز وهو يتدحرج على أرض ذات مرتفعات ووهادٍ متنوّعة ، كيف يرتقي تلك المرتفعات ، ويصعد من هذه الوهاد ، أعطوه باقي الجسم مركبةً وهوّنوا عليه السير . ولذا حصل الجسد على الطول ، ونمت فيه اربعة اعضاء ممتدة تطوي ، هيأ له الله بها للتنقل فهو يتمسك بها ويتوكأ عليها ، وأصبح قادراً أن يتردد إلى جميع الامكنة ، حاملاً فوقه مسكن أقدس قسم من ذاتنا واكثرها ألوهة ، فعلى هذا النحو اذن ولهذه الغايات ، نمت فينا أجمعين سيقان وإيادي .

٤٥ (وجهتا الجسم)

a وإذا حسب الآلة الامام أكرم من الراء وأحق بالرئاسة ، جعلوا القسط الاكبر من سيرنا في هذا الاتجاه . فترتب أن يجرز الانسان الجهة الامامية من جسمه بميزة عن جهته الخلفية وغير شبيهة بها .

(الوجه)

b ولذا جعلوا الوجه من هذه الجهة ، من تجوف الرأس . وأنزلوا فيه أجهزة استبصار النفس واستدراكها كله . ورتبوا ان يكون هذا القسم من الجسم شريكاً في القيادة ، وهو القسم الامامي بالطبع .

٢ — (العينان والبصر)

c ومن هذه الأجهزة هندسوا قبل كل شيء الناظرين ، حاملي النور ، ونزلوهما (في الوجه) لهذا السبب التالي . فقد استمدوا من النار كل قسم لا يحرق ، بل يوفر نوراً لطيفاً ، واحتالوا ليصبح جسماً يألف كل نهار . لأنهم جعلوا النار الصافية التي فينا ، تسيل بجمالها ناعمة غزيرة . وكشفوا خصوصاً قسم العينين الأوسط ، بحيث يمنع عن التسرب كل قسم آخر غليظ من النار ، ولا يدع ينساب منها إلا مثل هذا القسم النقي وحده .

d فعندما يلقي إذن نوراً النهار تيار البصر ، ويقع اذاك الشبه على الشبه ، فيتكاثف ذلك النور ، ينشأ ويتركب على خط الناظرين المستقيم جسم واحد مؤتلف . وحيثما يستقر النور المنحدر من داخل العينين ، يقع على النور المنعكس عن الاشياء الخارجية ويلتقي به . فيغدو كله ذا انطباع مماثل لانطباع النور الخارجي بسبب التشابه بينها . وإن مس شيئاً من الاشياء في حالة من الحالات ، أو مسه

شيء من الأشياء ، فهو يبعث حركات الأشياء التي يسبها أو تمسه إلى الجسم بجملة حتى تبلغ الروح ، ويشير ذلك الشعور الذي نقول عنه إننا نرى بناء عليه .

(الرقاد والاحلام)

وحين ينكفيء النور الخارجي المجانس عائداً الى الليل ، ينقطع عنه النور الداخلي . فاذا خرج هذا النور الاخير ولقي نوراً لا يشبهه ، تتغير حاله وينطفئ . لانه لا يلبث بعد من طبيعة الهواء المجاور ، اذ لا يحوي ذلك الهواء ناراً . فيكفّ اذن عن الرؤية ، ويجلب النوم ، لأن الجفون ، تلك الرقابة التي استنبطها الآلهة لحماية البصر ، عندما تغلّق من طبعها ، تحشر في الداخل قوة النار . وهذه القوة تذيب وتمهد الحركات الداخلية . وإذ تمد تلك الحركات يسود الهدوء . وعندما يسي الهدوء عميقاً ، يهبط على المرء رقاد ذو أحلام وجيزة زهيدة . أما إذا انتابت المرء هزات اعنف ، فحسب نوعها ونوع الامكنة التي ترسب فيها ، تحدث في الداخل هزات بمائة وبالمقدار عينه ، وتحدث تحيّلات يحفظ الناس ذكرها عند نهوضهم ، عندما تنبهم الامور الخارجية .

(المرايا)

هذا ، ولا يدعب بعد الآن ان نفهم ما يتعلق بعكس الصور ، التي تعكسها المرايا او اي سطح لامع امس . اذ من تداخل كل من النار الداخلية والنار الخارجية الواحدة في الاخرى ، ثم من تحوّل هذه وتلك كل مرة الى نار واحدة ، في جوار السطح الامس ، وتبدلها مراراً وعلى انواع مختلفة ، تظهر ضرورة مثل تلك الصور جميعها ، لأن النار المحدقة بالوجه تتكاثف مع النار المحدقة باليصر ، حول الشيء الناعم اللامع .

(انقلاب الصور)

وما على اليمين يتوهّم على الشمال ، لان الاجزاء المقابلة من (نار) البصر تلامس الاجزاء المقابلة (من النار المنبعثة من الاشياء) . وهذا خلافاً للعادة القائمة في التلاحم .

(المرايا المقعّرة)

وعلى عكس ذلك ، ما على اليمين يظهر على اليمين ، وما على الشمال يظهر على الشمال عندما يقع النور الذي يتكاثف معه . ويحصل ذلك عندما يعلو سطح المرايا من جانبيه ، (فيقعّر) فيدفع ما على اليمين الى الشطر الشمالي من العين ، والآخر الى الآخر ، (اي وما على الشمال الى الشمال الى الشطر اليميني من العين) .

بيد ان هذه المرآة نفسها ، إذا أدبرت على خطّ عرض الوجه ، فهي تظهر كل شيء وكأنه مقلوب ، لانها تعكس الضياء الوارد من اسفل الى فوق ، ثم الضياء الوارد من عل الى اسفل .

الفصل السادس عشر

الأسباب اللاحقة والآلية وصلتها بالبصر

d فكل هذه الامور اذن هي من الاسباب اللاحقة والمرادفة التي يستعملها الله كخَدَمٍ لتحقيق فكرة الافضل . ولكنّ المفكرين في أغليبتهم يظنون انها ليست اسباباً مرادفة ، بل اسباب الاشياء برمتها ، إذ هي التي تحدث البعد والحركة والجَمَد والذوبان وما الى ذلك جميعاً .

إلاّ أنها غير قادرة قطعاً أن تحرز العقل والفكر ، إذ لا بدّ من الاعتراف بان الروح وحدها ، بين الكائنات ، خليفة بأن تحصل على الفكر . والروح غير منظورة ، في حين ان النار والماء والتراب والهواء نشأت جميعها اجساماً منظورة .

e هذا ، ويتحتّم على عاشق الفكر والعلم أن يتعقّب العليل الاولى ذات الطبيعة العاقلة ، والعلل الثانية التي تحدث بفعل عللٍ اخرى متحرّكة ، تحرك غيرها حتماً. فعلينا نحن أن نتصرف هذا التصرف ، ونطبق عملنا على هذه القواعد . ولا بدّ من الكلام عن كلا الصنفين من الاسباب ، وان نتكلم على حدة ، عن الاسباب المبدعة الاشياء البهيمة الصالحة بفهمٍ وحصافة ، وعلى حدة عن الاسباب المعزولة عن الادراك، التي تأتي افعالها كل مرة اتفاقاً ودوناً نظام .

(سبب حصولنا على البصر)

حسبنا اذن ما قيل عن الاسباب المرادفة المؤازرة العيون ، لتحصل على
القدرة التي حظيت بها الان . وبعد كلامنا السابق ، علينا ان نتحدث عن أعظم
عمل تقوم به العيون لمنفعتنا . وهذا العمل هو الذي لاجله جانا بها الله .

فقد كان لنا البصر ، حسب تفكيري وتحليلي للامور ، علة اكبر فائدة .
لأننا لو لم نكن نرى النجوم والشمس والفلك ، لما قلنا مقالاً واحداً من المقالات
التي تدور الآن حول (كون) العالم . والحال أن النهار والليل اذ شوهدا ،
وكذلك الشهور ودورات السنين واعتدال الربيع والحريف ، وتساوي النهار
بالليل فيها ، وانقلابات الصيف والشتاء ، كل هذه الامور أنشأت الحساب وتفهم
الزمن ، وأدت بذلك الى البحث عن طبيعة « الكل » أو الكون . ومن هذه
الابحاث استحصلنا صنف الفلسفة . ولم يصب ولن يصب جنس المائتين خيراً
اعظم من هذا حبه به الآلهة .

وأقول بتأكيد إن خير العيون هذا هو اكبر خير . ولم تمدح ما دون
هذا من الحيات الاخرى ؟ فهذه قد يرثها عبثاً وينوح عليها ويتنهد من ليس
بفيلسوف ، إذا اصاب بالعمى . وبالإضافة الى تلك الاعتبارات ، فلنقل إن سبب
ذاك الخير الاكبر هو السبب التالي . إن الله قد استنبط لنا البصر وحبانا إياه ،
لكي نرى دورات العقل في السماء وندر كها ونستفيد منها لنطبقها على دورات
الادراك الذي فينا . فدورات فكرنا وفهمنا مجانسة لتلك ، وإن كانت هي
مضطربة قلقه ، وتلك رتيبة بلا اضطراب ولا تشوش . واذا ما علمنا ذلك
وشاركنا العقول (السماوية) في استقامتها الطبيعية ، واقتفينا إثر دورات الله
غير التائهة على الاطلاق ، ركزنا ورسخنا الدورات التائهة الدائرة في أرواحنا .

الفصل السابع عشر

السمع

وعلى الصوت والسمع ينطبق أيضا نفس الكلام . فقد وهبتها الآلهة بناء على الاعتبار عينها ولاجل الغايات ذاتها . لان النطق قد رُتّب ابتغاء الامور عينها . ويسهم الاسهام الاكبر في البلوغ اليها . ثم ان كل ما هو نافع في الموسيقى لجلاء الصوت وسماعه ، فقد اعطي لنا من اجل الانسجام والتناغم . والتناغم أو الانسجام (I Harmonia) له حركات تجانس دورات النفس فينا . وقد اعطته ربات الفن والموسيقى لمن يصادقهن بفهم ، لا لاجل الطرب الفارغ والبسط فقط ، على ما يعتقد بعضهم الآن ظانين أن عشرتهن نافعة لهذا الغرض فحسب ، بل لاجل دورة الروح التي نشأت فينا بلا تناسق وانسجام . وقد منحتنا تلك الإلهات الانسجام لتزيين وتجميل أرواحنا ، وحليفاً لها على التآلف والتوافق . ووهبتنا أيضا الوزن والايقاع عوناً لارواحنا لبلوغ الاهداف عينها ، إذ نشأت في اكثر الناس سجيّة تخلو من الاتزان وتحتاج الى اللطف والنعومة والظرف .

الفصل الثامن عشر

شرح الامور بنظام الضرورة

لقد بينت أحاديثنا السالفة ، ما عدا قسطاً زهيدا منها ، الأشياء التي
أبدعها العقل . ولكن لا بدّ أن يتناول مقالنا الأشياء التي أحدثتها الضرورة .
لأن مولد العالم قد حدث من تمازج وتضافر فعل الضرورة والعقل . ولكن العقل
سيطر على الضرورة بإقناعها أن تسوق الى الأفضل اغلب الأشياء المحدثه . فعلى
هذا الوجه اذن ، وطبقاً لهذه الاصول بالذات ، تتركب هذا « الكل » ، وتتركب
هكذا منذ مبادئه بفعل الضرورة المنغلبة للاقناع الحصيف المدرك .

الفصل التاسع عشر

السبب الشارد

فان رام اذن أحد أن يقول في الواقع كيف حدث الكل طبقاً لهذه
الاصول بالذات ، فلا بد أن يدمج بها العلة الشاردة ، وأن يفصل كيف تحرك
وتعمل من طبعها .

(عود على بدء)

وهنا إذن ، علينا من جديد ان نعود الى الوراء ، ونتخذ ايضاً لهذه
الامور بالذات مبدأ آخر ملائماً . وكما فعلنا في حديثنا عن المواضيع التي تناولناها
آنثذ بالبحث ، علينا الآن ايضاً أن نبدأ من جديد منذ البدء ، في تحدثنا عن هذه
المواضيع الحاضرة .

(أصل العناصر المحتمل)

فلا بد من التأمل بطبيعة النار والماء والهواء والتراب ، قبل مولد الفلك
وأن نتأملها في ذاتها وما مرتت به من صروف قبل وجود العالم . لأنه الى الان
لم يدلنا بعد أحد على أصلها ومولدها . إلا أننا نقول عن النار وعن كل من الثلاثة
الاخري ، و كأننا نعرف ماهي إنها مبادئ ، جاعلين إياها عناصر « للكل » ،

في حال أنه يليق بها أن لا يتصورها ولا يتمثلها احد ولا على وجه الترجيح فقط ،
وان كان قاصر التفكير ، أنها من نوع مقاطع الكلمة .

وعلى كل ، اليك الآن مانعتقه في هذا الموضوع : لن نقول ماهو مبدأ
أو ماهي مبادئ الاشياء كلها ، او ما يظنه الآن أي كان بهذا الصدد وعلى أي
وجه يظنه . ولا تمتنع عن ذلك إلا لانه من الصعب في منهج بحثنا الحاضر ان
نوضح آراءنا بهذا الشأن . فلا تظنوا اذن أنه يجب عليّ الكلام فيه ، كما أني لأقع
نفسي أن في استطاعتي أن أقدم على مهمة في هذه الضخامة ، وأن أبأثرها وأنا
محتق في ذلك .

وحفاظاً على ما قيل في مستهل كلامنا السابق عن قوة البراهين المعقولة
المحتملة ، (المدانية الحقيقة) ، سأحاول أن أبدي ، فوراً ومنذ البداية ، حول
كل شيء بمفرده وحول الاشياء كلها جملة آراء معقولة محتملة . ولن أقصر في هذا
الأمر عن غيري من المفكرين . لا بل سأجتهد بأن أبذلهم في ذلك . وبعد الدعاء الى
الله ايضاً مجدداً ، في استهلال كلامنا ، وهو المنقذ من الشروحات اللامعقولة
المردودة غير المأنوسة ، كي يحفظنا ويسد خطانا الى اعتقاد واعتماد الآراء المعقولة
المحتملة ، فلنبداً في الكلام .

الفصل العشرون

الحل

فليكن إذن مطلع كلامنا عن « الكل » من جديد مفصلاً تفصيلاً أو في من مطلع كلامنا السابق . فقد ميزنا آنذاك صنفين ^(١) من الوجود . وأما الآن فلا بد لنا من أن نوضح جنساً آخر ثالثاً . إذ إن الضربين الأولين كانا كافيين لأبحاثنا المتقدمة . وقد افترضنا الواحد منهما كنوع مثال عقلي دائم الوجود على حال واحدة ثابتة . وافترضنا الثاني كإقتداء واقتفاء للمثال ، ذي حدوث ومنظور .

وآنذاك لم نميز ضرباً ثالثاً ، لاعتقادنا أن الإثنين الأولين يفيان بالمطلوب . وأما الآن ، فيبدو أن البحث يضطرنا إلى السعي كي نبرز في أقوالنا نوعاً عسيراً غامضاً . فأية ميزة أو خاصية طبيعية نفترض له ؟ هذه الميزة على الأخص : أن يكون قابلاً أو يعاوي لكل حدوث وصوره ، وبثابة حاضرة ومُرضِع .

٢٠ - (١) ان افلاطون لا يميز في المعنى بين النوع أو الصنف وبين الجنس ، وهو مستعمل لفظي « ييثنس وإيثنس » كلفظتين أو كلمتين مترادفتين . وفي جملة واحدة ، وفي كلامه عن نفس الجوهر أو الشيء ، نراه يعتمد على السواء إلى كلمة صنف أو كلمة جنس وهذا ما يعمل في مقامنا الحاضر ، وفي مواضع أخرى كثيرة من حوار التيمس وحوار اكرتيس . راجع خصوصاً التيمس ٦٦ b .

(المترجم)

إن هذا القول لصحيح . ولكن يجب أن نورد بشأن ذلك النوع الثالث
 كلاماً انصع وأوضح . غير أن الأمر شاقٌ لاسيما وإنه يتحتم علينا لذلك ان نسبق
 ونحلّ المشاكل المتعلقة بشأن النار وما يصحب النار . اذ يصعب أن نؤكّد عن كل من هذه
 الاشياء أيها يجب ان ندعوه حقاً ماء او بالأحرى ناراً ، وأي منها يجب أن ندعوه باسم
 معيّن دون جميع الاسماء ، اذا اطلقت عليه واحداً فواحداً ، بحيث نستعمل له
 كلمة ثابتة يوثق بها . فاذا أثرنا هذه المشكلة ، فكيف نحلّها؟ وعلى أي وجهٍ ؟
 وأي قولٍ معقولٍ محتملٍ نقوله في هذه الأشياء ؟

فقبل كل شيء ، مانسميه الآن ماءً ، إذا تجمّد نلاحظ ، على ما يظهر ،
 أنه قد غدا حجارة و تراباً . واذا ذاب والنحلّ يسمي هو نفسه ريجاً وهواء . والهواء
 إذا اشتعل يصبح ناراً . ومن جديد إذا تضاءلت النار وانطقات تعود إلى صورة
 الهواء . ثم إنّ الهواء إذا تجمّع وتكاثف يصير غيماً وضباباً . ومن هذين إذا
 تراصاً وتكدّساً أكثر فأكثر ينهمر الماء . ومن الماء ينشأ من جديد التراب والحجر .
 ومن ثمّ ، على ما يتّضح لنا ، نرى أن هذه الأشياء دائرة مغلقة ، يُحدث بعضها
 البعض الآخر ويولّده .

فكذا ، إذ لا تظهر هذه الأشياء أبداً أنها الاشياء عينها ، فمن يتصلب
 بسماجة ، ولا يستحي من نفسه عندما يؤكّد عن أيّ منها أنه شيء ما ، وهذا
 الشيء ، وليس آخر ؟ هذا الأمر غير ممكن ، ولإنما علينا أن نفرض بشأن هذه
 الأشياء آمن الافتراضات بكثير ، ونقول . إنّ ما نلاحظ أنه يستمرّ في التحوّل
 من حالٍ إلى حالٍ ، إذ يحصل له التحوّل غير مرة ، كالنار مثلاً ، علينا كل مرة
 أن نسميه لا هذه النار ، بل ما يماثل النار ، ولا هذا الماء ، بل ما يماثل الماء ،
 وأن لا نسمي ابداً أيّ شيء آخر ، وكان له رسوخاً واستقراراً ، من تلك
 الاشياء التي إذ نعيّنها ونستعمل للدلالة عليها لفظة « ذا وهذا » ، ونظنّ أننا نوضح

شيئاً ما . إذ إنَّ ما نظنَّ أننا نوضعه يتهرَّب مُجْثَلِوِزَا ، ولا يتحمل طبيعة آية لفظةٍ أخرى ، وإجمالاً كلُّ ما يدلُّ به النطق على أنَّ تلك الأشياء مستقرة راسخة باقية . فلا نقولُ عن تلك الأشياء « هذه » . وليكنَّ كلاً منها بمفرده فلنسمه « مايمائل » وما يذاع عنه أنه دائماً شبيه (بما يعزى إليه) . وكذا القول عن جميعها . فنسمي النار « مايمائل » النار في كل الأحوال . وكذلك كل ما له حدوث ومولد أو صيرورة . أمّا ما يتخيَّل لنا أنَّ كلاً من تلك الأشياء يحدثُ فيه ، فيولد فيه ثم يعود ويهلك فيتوارى نائياً عنه ، فيجب أن نستعمل له وحده اسم « هذا وذا » ، وندعوه به . أمّا أي شيء سوى ذلك ، الحار والأبيض وأي من الأضداد ، وكل ما ينشأ عن هذه ، فيجب مرة أخرى أن لا ندعوه باسم « هذا وذا » .

ولا بد من جديد ان تجتهد ونقول في هذا الموضوع قولاً أوضح وأجلى . إن أذاب فتان ذهباً ، وسكبه وآتاه كلَّ الأشكال ، وما انفكَّ هكذا يسكبه ويعرّه بها كلها واحداً فواحداً ، فإن دلَّ احد على شكل من تلك الاشكال ، وسأل : ما هو يا ترى ؟ فأمن بكثير وأقرب إلى الحقيقة أن يردَّ عليه الفتان قائلاً : إنه ذهب . أمّا المثلث وكل الاشكال الأخرى التي حدثت وتولدت في في الذهب ، فلا بدَّ من الامتناع دوماً عن القول بشأنها : إن هذه كائنة ، بما أنها تتحوَّل وتهاوى في حين إبداعها . فإن رام احد أن يقبل كلمة « مايمائل » ، ويأمن بها الزال فليكتفِ بها .

الفصل الحادي والعشرون

« القابل » أو الوعاء

ونفس القول ينطبق بتأكيد على الطبيعة القابلة لجميع الاجسام . فيجب دوماً أن نقول عنها إنها الشيء بالذات وشيء لا يتحول . لأنها لا تفارق أو تغادر قدرتها وخاصيتها على الاطلاق . فهي لا تقبل الاشياء كلها على الدوام . ولم تتخذ قط طبيعة ما ، على وجه من الوجوه ، أو في حال من الاحوال ، تشبه (طبيعة) أحد الاشياء الحالتة والواجلة فيها . فكأن في بها مادة رخوة لزجة لكل طبيعة ، تحركها الاشياء الواجلة فيها ، وتكيفها بأشكالها وهيئاتها . وهي بسبب تلك الاشياء تبرز قارة بشكل وطوراً بآخر . أما الاشياء الواجلة فيها والخارجة منها، فهي تماثل الموجودات الدائمة الوجود . وهذه الكائنات تطبعها بطابعها وتسمها بسمته ، على نحو عجيب يصعب التعبير عنه . ونحن نرجى هذا الموضوع الى ما بعد .

أما في هذه الفترة الحاضرة ، فيترب علينا أن نفقه الاجناس الثلاثة :

الجنس المحدث والجنس « الحادثة فيه » الاشياء ، والجنس الذي يستمد المحدث شبه منه ، فينشأ ويحدث . وقد يجدر بنا أن نصور القابل ونشبهه بالأم ، والجنس « المستمد » منه « بالأب » والطبيعة الواقعة بينها بالابن . كما أنه يترب علينا أن نفكر في أن « القابل » مزعم ان يكون انطباعاً وختماً مذوقاً ، يتخذ في نظر الناظر إليه كل الاشكال والازياء . ومن ثم ، هذا القابل بالذات الذي يقيم فيه المحدث المتسم بسمة (المثال الدائم) ، لا يعدد إعداداً جيداً

ولا شيئاً تهيئاً حسناً لذلك ، مالم يكن بلا شكل ، خالياً من هيئة كل تلك الصور المزمع ان يتقبلها من مصدر ما . لأنه إذا شابه شيئاً من الاشياء الواجبة فيه ، فعندما يقدم على قبول سمات طبيعة مضادة أو مخالفة له كل المخالفة ، لا يمكن عندئذ الا ان يتشبه بها تشبهاً شيئاً ، وإلا أن يبرز هو ايضاً بظهره الخاص . ولذا وجب أن يظل الجنس القابل في ذاته كل الاجناس ، معزول عن كل الصور والهيئات .

(تشابيه مختلفة)

كما ان هذا عينه يجري اولاً للدُهون التي يُتقنون صنعها ويفتنون فيها لتصبح شذية عطرة . فهم يجهدون غاية الجهد لعزلوا عن كل رائحة المواد اللزجة القابلة للطور . والذين يحاولون أن يصوروا اشكالا معينة في بعض المعاجين اللينة ، لا يسمحون ببقاء أي شكل ظاهر فيها على الاطلاق . بل يسبقون ويسونها تسوية تامة في غاية النعومة ، ثم يُنجزون طبع الشكل والحالتم المنتهى . فعلى النحو ذاته إذن ، يليق بالكائن المزمع أن يقبل ، في كل جنباته وعلى دفعات متواترة قبولاً جيداً ، بمائلات جميع الموجودات الدائمة الوجود ، يليق بذلك الكائن أن يكون بالطبع في معزله عن الصور .

ولذا ، لانقل عن أم وقابلة الكائن المُحدَث المنظور والمحسوس إجمالاً إنها تراب او هواء او نار او ماء ، او الاشياء الناجمة عن هذه او التي تتجم هي عنها . ولكننا لانخطيء ولا نغلط اذا قلنا عنها : إنها نوع من الكائنات لا يرى ولا صورة له ، يشارك العالم العقلي بصورة تحيّر الالباب ، ويصعب على الفكر ان يحيط به ويدركه . وبقدر ما يمكن ، مما تقدم ، ان يقتفي المرء إثر طبيعة ذاك الكائن ، فأصح وأقوم ما قد يقول فيها هو القول التالي : إنه يبدو ناراً كلما ظهر قسط منه متقدماً ، وماء كلما ظهر قسط منه رطباً ، وتراباً وهواء بمقدار ما يتقبل بمائلات للتراب والهواء .

الفصل الثاني والعشرون

الصور أو المثل

ولكن يجب أن تُفصّل قولنا تفصيلاً أوفى ، ونبحث في هذه الاشياء على نحو يداني النحو التالي : هل هناك نار هي النار بالذات ، فار قائمة في ذاتها ؟ ونفس السؤال نطرحه بصدد جميع الاشياء التي تقول عنها دائماً انها الاشياء بالذات ، ونقول عن كل منها انه قائم في ذاته . أو تلك الاشياء هي التي نعاينها ، والتي نشعر بها بجواسٍ جسدنا ، وهي وحدها الحاصلة على مثل تلك الحقيقة الواقعية ، بحيث لا توجد سوى هذه اشياء أخرى على الاطلاق وعلى حال من الاحوال ، فنقول عبثاً كل مرة أن هناك صورة عقلية لكل شيء ، ولا تكون هذه الصورة او المثال سوى قول او فكر ؟

إنه يجدر بنا ان لاندع هذه القضية الحاضرة بلا مناقشة ودون بتّ فيها لشكبر ونؤكد ان الاشياء المجردة او المثل موجودة . كما يجدر بنا ان لانلقي فوق طول مقالنا طولاً آخر على هامش مهمتنا الحاضرة . ولكن إن تبين لنا حدّ خطير واضح يفصل لنا القضية في كلام وجيز ، فذاك الحدّ يكون مؤاتياً وموفقاً خير توفيق في ظرفنا الحاضر . فمن جهتي اذن انا ألقى حصاتي وابدي بها حكمي على النحو الآتي : إن كان العقل والظن الصحيح جنسين اثنين ، فتلك الاشياء الثابتة موجودة اتمّ وجود . وهي صور او مثل لانشعر بها ، بل نعقلها فقط .

ولكن ، على ما يبدو لبعضهم ، إن كان الظن الصحيح لا يختلف عن العقل والادراك في شيء ، فكل الأشياء التي نشعر بها بواسطة جسدنا يجب أن نعدّها اثبت الأمور وأرسخها . غير أنه لا بد من القول ان ذينك الأمرين هما جنسان اثنان لأنهما ينشأان الواحد بعزل عن الآخر ، ولا يشبه الواحد منها الاخر في احواله . فاحدهما يتولد فينا عن طريق التعليم ، والثاني عن طريق الاقتناع والاذعان والواحد يصحبه دوما برهان صادق ، والآخر لا يلزمه برهان او منطق . وأحدهما لا يزعمه الإقناع ، وأما الثاني فيمكن أن يضععه ليتبدل ويتحول من رأي الى رأي . ولا بد من الاعتراف أن كل امرء يشترك في الظن ، وأن الآلهة يشتركون في العقل . وأما البشر فطائفة ضئيلة منهم تشترك فيه .

الفصل الثالث والعشرون

الوجود والضرورة والمحل

٥٢

ولما كانت هذه الامور على هذه الحال ، وجب أن نعترف انه يوجد نوع فردٌ هو نوع ثابت لا يستحيل ، لم يولد ولا يبلى ، ولا يقبل في ذاته آخر من آية جهة صدر ، ولا يُدَاخِل هو كائنا آخر على أي وجه وفي أي قسم منه ، وهو غير منظور ، وعلى كل حال لا يناله حسّ . وهذا النوع قد حظي الفكرُ بالتنقيب عنه .

وإنّ هناك نوعاً ثانياً يسمى باسم الأول وبشبهه . وهو محسوس مولود في حركة دائمة ونحوّل ، يحدث في محلّ ما ، ثم يعود فيهلك وينقطع عنه . ويناله الظن بواسطة الحسّ .

أخيراً يوجد جنس أو نوع ثالث ، هو نوع المحل الدائم إنه لا يقبل الفساد ويوفرّ مقررّاً ومقاماً لكل الكائنات ذات الصيرورة والحدوث . وهو لا يلمس بالحواس ، بل بضرب من البرهسان المهجين المختلط . إنه لا يكاد يصدّق ، اذ نحلم طامحين إلى رؤيته ، ونؤكد أنه لا بدّ لكل موجود أن يكون في مكان ما ، وأن يشتمل متسعاً ما ، وأنّ ما ليس على الارض ولا في جهة ما من السماء ليس بشيء .

فبسبب هذه الهواجس كلتها ، وهواجس اخرى شقيقات لها ، تدور حول الطبيعة الواقعية التي لا تغفو ولا يأخذها سبات ، وبفعل الحالة الحتمية هذه ، نصبح عاجزين اذا استيقظنا، أن نميز بين الأمور ونقول الكلام الحقّ بشأنها. وهذا الكلام هو انه يليق بالصورة - بما انها لا تملك حتى الشيء الذي حدثت لاجله ، بل تحمل دوماً طيف شيء آخر - ، إنه يليق بها من جهة ان تحدث وتنشأ في كائن آخر سواها ، وأن تلازم الوجود وتلتصق به هكذا على وجه من الوجوه. وإلا لا تكون شيئاً على الاطلاق . أما الموجود الواقع حقاً ، فالبرهان الصحيح الدقيق والمنطق الصادق ناصرُهُ ومنجده . وهذا هو البرهان المدقّق فيه : ما دام شيء يغيّر آخر ، وهذا الآخر يغيّر ذلك الشيء ، بحيث لا يحدث الواحد في الآخر ولا ينشأ فيه ابدأً ، فلن يصير شيئاً واحداً بالذات في آن واحد ، وهما اثنان .

فهذا اذن هو برهاني وقولي في القضية ، عرضته بإيجاز لأبرّر حكمي فيها: وهو أنه يوجد موجود ومجال وضرورة . وأن هذه ثلاثة على ثلاث أحوال ، وأنها كانت قبل حدوث السماء (أو العالم) .

الفصل الرابع والعشرون

الحركة المحلية والتشوش الاول

أما حاضنة الصيرورة والحدوث ، فتندى وتتقد وتتقبل أيضاً أشكال التراب والهواء ، وتحتمل كل الانفعالات الاخرى الناجمة عن هذه . فتبدو من جهة للناظر في غاية التنوع . ومن جهة ثانية ، بسبب اكتظاظها بقوى وفعاليات ليست متشابهة ولا متوازنة ، لا تنزف هي أيضاً في جانبٍ من جوانبها . ولكن إذ تُثقلها الوزنات من كل حدبٍ وصوب على غير توازي ، فهي ترتجج وتهتزّ بفعل تلك الفعاليات والقوى ، وفي ثقلها وحر كبتها ترُجّ وتهزّ هي أيضاً تلك القوى التي تحرّكها .

وهذه القوى إذ تتحرّك ، بعضها في اتجاهٍ وبعضها الآخر في اتجاه غير الأول ، لا تنفك تفترق بعضها عن بعض ، نظير الجيوب التي يهزّها الغربال أو الادوات الاخرى المستعملة لتفقيّة الحنطة . فهذه الجيوب إذ تهتزّ وتُغربل ، يستقرّ الكثيف والثقيل منها في مقرّ ، والدقيق منها في مقرّ آخر .

وعندئذ ، إذ تهزّ الحاضنة القابلة الاجناس الأربعة على هذا النحو ، لأنها تتحرّك هي نظير آلة تولّد الاهتزاز ، تنفصل العناصر المتباينة أشدّ التباين بعضها عن بعض . وتجمع العناصر المتشابهة أعظم تشابه في موضع

واحد . ولذا أحرز بعض هذه العناصر مجالاً ، وبعضها الآخر مجالاً غير المجال الأول ، وذلك قبل أن ينشأ « الكل » ويزدان بها .

b فمن جهة إذن ، كانت جميع تلك العناصر ، قبل ذلك العهد ، على حالٍ خلّت فيها من التعقل والاتزان تماماً . ولكن عندما شرع الله يزيّن « الكل » (أي العالم بأسره) ، كانت النار أولاً ثم الماء فالتراب والهواء ، كانت كل هذه محتفظة ببعض آثار جوهرها . إلاّ انها برزت في حالة فوضى مطلقّة ، على ما يكون عليه كل شيء عندما يتعد الله عنه أو يغيب . واذ كانت عندئذ بالطبع على ذلك الوضع آتاه الله أشكالها لأول مرة مستعيناً لذلك بالمثل والاعداد .

c ومن جهة ثانية ، ركبها الله قدر المستطاع أبهى وأفضل تركيب ، وهي لم تكن على شيء من ذلك . فليظلّ قولنا هذا راسخاً على الدوام ، بغض النظر عن أي قول أو اعتبار آخر .

الفصل الخامس والعشرون

العناصر الاولى وتركيبها الداخلي ومولدها

والآن إذن ، لابد أن أبشر وأبين لكم ترتيب كلِّ من العناصر ومولدها ، معتمداً في ذلك على برهان غير مألوف . بيد أنكم سوف تتبعون وتدركون هذا البرهان ، لأنكم مطَّلعون على مناهج العلم التي يتحتَّم على المرء اتباعها لتبيان أقواله .

(المثلثات)

إنَّه واضحٌ بعض الوضوح ، ولكلِّ عاقلٍ ، أن النار أولاً والتراب والماء والهواء هي أجسام . وأن كلَّ نوعٍ من الأجسام له سمك وعمق . ثمَّ أن الضرورة تقضي على كلِّ حالٍ بأن يشتمل العمق على طبيعةٍ مسطحة . وأن القاعدة المسطحة المستقيمة تتركَّب من مثلثات . وأنَّ جميع المثلثات تصدر عن مثلثين اثنين فقط ، لكلِّ منها زاوية واحدة قائمة وزاويتان حادتان . وأنَّ أحد المثلثين تنقسم زاويته القائمة من هنا وهناك على قسمين متباينين ، قوامهما ضلعان لا يتساويان .

فنحن باقتفائنا منطق الحتمية والترجيح معاً ، نفرض أن هذا هو مبدأ وأصل النار والأجسام الأخرى (الاولية) . أمَّا المبادئ التي تفوق

هذه المبادئ أيضاً ، فאלله وحده يعلمها ، ويعرفها من الناس من كان صديقاً لله .

فيجب علينا ان نعرض ما يمكن الاجسام الاربعة أن تكون ، وأنها على تباينها فيما بينها ، قادرة أن تتوالد بعضها من بعض ، إذا ما تفككت وانحلّت ، لأننا إذا وفّقنا وبلغنا هذا الهدف ، وفّقنا على حقيقة الصيرورة ، فيما يتعلّق بالتراب والنّار وما بينهما طبقاً لعلاقة معينة . إذ إنّنا لانسمح لأحد بأن يدعي أن هناك أجساماً منظورة أهي من هذه ، يكون كل منها جنساً فريداً قائماً بنفسه . فلنجهد إذن أن نوفّق بين اجناس الاجسام الاربعة المتفاوتة بجهاها ، وأن نلقّي الوثام والانسجام بينها ، لنصرح أننا أحطنا بطبيعتها الإحاطة الوافية .

هذا ، وقد حظي احد المثلثين الإثنيين ، وهو المثلث المتساوي الساقين بطبيعة واحدة . ونال المثلث المستطيل الذي له ساق أطول من الاخرى طبائع لا تخصي ، إذا رمنا ان نباشر ببحثنا الحاضر وتتبع فيه اسلوباً منتظماً . وإن ملك احد وجهه نظراً أفضل ، يكون قد اصطفاها لنفسه ، ليشرح تركيب كلٍّ من هذه العناصر بمفرده ، فليحرز النصر في هذا المضمار ، ونحن نعدّه صديقاً لامناوتاً .

إذن نحن نحسب أهي المثلثات كلها على وفرة عددها ، واحداً منها فقط ، غير مكترئين بالآخرى . وهذا المثلث هو الذي يتركّب منه مثلث ثالث ، هو المثلث المتساوي الأضلاع . وفي تعليل سبب ذلك قد يطول الكلام . ولكن الجوائز الممنوحة عن رضى ، تنتظر من يعلّله ويجد أن الامر على ماقدّمنا .

فلنسرع إذن ونختار مثلثين صنع منها في حدقٍ ودهاء جسم النار

وأجسام العناصر الاخرى ، أحدهما متساوي الساقين ، والآخر يساوي فيه دوماً الضلعُ الاكبر ثلاثَ مرات الضلعَ الاصغر إذا رُبِّعاً . والآن لا بدُّ لنا أن نفصل تفصيلاً اوفى ما عرضناه من قبلُ في غير وضوح . لأن الأجناس الاربعة (أي العناصر) ظهرت لنا وكأنها تتوالد كلُّها بعضها من بعض . ولكونها في ظهورها لنا هذا المظهر ، لا تبدي لنا واقعها القويم . فالاجناس الاربعة تصدر عن المثلثين اللذين اخترنا ، ثلاثة منها تصدر عن المثلث ذي الضلعين غير المتساوين والجنس الرابع يصدر منسجماً عن المثلث المتساوي الساقين . فلا يمكن إذن ان تتفكك الاجناس الاربعة وتنحلّ ، فينحدر بعضها من بعض ، وينشأ هكذا من صغائر كثيرة ، أحجام كبيرة قلائل ، او العكس فيتولد من احجام كبيرة قلائل ، جزئيات كثيرة صغائر . إلا أن ذلك يمكن في الاجناس الثلاثة الاولى . لأنها إذ تنتج عن مثل واحد ، فعندما تنحلّ أحجامها الكبرى يقوم منها جزئيات كثيرة ، تتخذ لذاتها الأشكال الموافقة . والجزئيات الصغيرة عندما تتبعثر من جديد الى مثلثات كثيرة ، إذا عدا عددها واحداً قد تولد نوعاً آخر واحداً ضخماً بحجمه الواحد .

(النوع الأول من المجسمات أو الرباعي الأوجه)

فلنجتزء بهذه الأقوال في ما يتعلق بتوالد العناصر بعضها من بعض . ولعل ما يلي حديثنا السابق الكلامُ عن صورة كلِّ منها ، وعن ماهية هذه الصورة ونشوتها ، وعن توارد الأعداد التي تنشأ عنها .

فنبداً بالنوع الأوّل والأصغر في تركيبه ، فعنصر هذا النوع ، أو إستقيصه ، هو المثلث الذي يبلغ وتوه ضعف الضلع الاصغر . فإذا ضمّ اثنان من مثل هذا المثلث من جهة قطر (الشكل الرباعي الناشء عنها) ، وأعيدت هذه العملية ثلاثَ مرات ، وركزنا الأقطار والأضلع القصيرة في نقطة واحدة ،

هي بثابة نقطةٍ وسطية ، حصل مثلث متساوي الاضلع من المثلثات الأصلية الستة في العدد .

وإذا اجتمعت اربعة مثلثات متساوية الاضلع ، من ثلاث زوايا مطبحة ، تؤلف زاوية مجسمة واحدة ، وقيمتها اصغر مباشرة من قيمة اضيق زاوية مجسمة . وعندما تأتلف مثلثات اربعة من هذا الطراز ، يتركب اول نوع من الجسمات . ومن خواص هذا النوع ان يُقسّم الى اجزاء متساوية متماثلة كل سطح الكرة .

(النوع الثاني من الجسمات أو الثماني الأوجه)

والنوع الثاني يصدر عن المثلثات عينها . فتأتلف ثمانية مثلثات متساوية الاضلع وتؤلف زاوية مجسمة واحدة ، قوامها أربع زوايا مطبحة . وعندما تنشأ ستّ زوايا من هذا النمط يُنجَز ايضا الجسم الثاني على نحو ما ذكر .

(النوع الثالث من الجسمات أو العشرون وجهاً)

والنوع الثالث نشأ من ستين ، مضاعفة ، الإستقصات المتكاثفة (اي من المثلثات البدائية الأساسية التي وترها ضعف الضلع الأصغر) ، ومن اثنتي عشرة زاوية مجسمة ، يحدق بكل منها خمسة مثلثات متساوية الاضلع ، وله عشرون قاعدة (أي وجهاً) قوامها عشرون مثلثاً متساوي الاضلع . وبعد أن ولّد هذه الجسمات الثلاثة الاولى أزيح الصنف الاول من العناصر أو الإستقصات .

(النوع الرابع من الجسمات أو المكعب)

أما المثلث المتساوي الساقين ، فقد أنجب طبيعة النوع الرابع ، وأقامه على اربعة مثلثات ضاماً زواياها القائمة في نقطة متوسطة ، ومؤلفاً هكذا مربعاً

متساوي الاضلع . وستة من هذه المربعات بتلاحمها تنتج ثنائي زوايا مجسمة ،
تتنظم كل منها بتلاقي ثلاثة سطوح قوية . وغدا شكل المجسم المركب على هذا
النحو مكعباً ، وله قواعد ست مسطحة قوامها ستة مربعات متساوية الجوانب .

(النوع الخامس من المجسمات او الشكل الكروي)

وبقي تركيب واحد خامس ، فاستعمله الله عندما رسم للعالم برمته
صورته الحية .

(عود الى فكرة وحدانية العالم)

فان تأمل المرء بروية في كل هذه الامور، قد يتساءل في حيرة هل يجب
القول بوجود عوالم لانهى ، أو القول بأن لها حدوداً . ويُمكن الظن أن الاعتقاد
بوجود عدد لا يحصى من العوالم هو اعتقاد رجل ليس له خبرة حقاً في أمور يفرض
عليه أن يكون خبيراً فيها . أما التساؤل الآخر ، هل يليق القول بأن العالم قد
نشأ فريداً أم نشأت في الواقع خمسة عوالم . فان توقف المرء عند هذا التساؤل ،
فحيرته قد تكون طبيعية ومقبولة اكثر منها في السؤال الاول . أما نحن ، فانه
ينبئنا دون ماريب أن العالم برز واحداً فريداً بالطبع ، وهذا ما يشبه لنا البرهان
المعقول . أما غيرنا فقد يعتقد فيه اعتقادات أخرى نظراً لاعتبارات غير هذه .
ولكن فلندع هذا النقاش .

الفصل السادس والعشرون

أشكال العناصر الأولى الأربعة

أما الاجناس التي انتجها لنا البرهان الآن فلنوردّها الى النار والتراب والماء والهواء ولنوزعها عليها . ولنعط التراب الصورة المكعبة لأن التراب هو ابعده الاجناس الأربعة عن الحركة والتحوّل، واكثر الاجسام مرونة وألينا عريكة . وقد قضت الضرورة وحتمت أن ينشأ الجنس الذي أحرز أرسخ وأمتن القواعد، متسما بهذه الصفات . وقاعدة المثلثات متساوية الأضلع لا متفاوتتها . والسطح المربع المتساوي الجوانب المركب من مثلثين متساويي الأضلع يأتي حتماً أكثر استقراراً ومتانة في اجزائه ومجموعه .

ولذا عندما نخص التراب بهذا الجنس من الجسمات نراعي المنطق المعقول والمحتمل ، ونراعيه ايضاً عندما نمنع الماء أعسر الانواع الباقية حركة ، وكذلك عندما نهب النار أيسر الانواع حركة ، وندع للهواء النوع المتوسط (بين الانواع الثلاثة الباقية) . وبناء على هذا الاساس نعطي النار أدقّ الاجسام والماء أضعفها والهواء الجسم الوسط . ثم نخصص اكثر الاجسام حدّة للنار ، والثاني رتبة من هذا القليل للهواء ، والثالث للماء .

هذه إذن هي الاشكال جميعها . وما أحرز منها أقل القواعد، نشأ ضرورة أيسرها حركة وتحوّلاً ، ثم أمضاها وأحدها من كل وجه . أضف الى ذلك انه

b الشكل الأخرى ، إذ تتركب من أقل الجزئيات عينها . والشكل الثاني (بين الثلاثة الاخيرة) ، أحرز الحواص ذاتها ولكن في منزلة ثانية . والشكل الثالث أحرزها نفسها ، وانما في الدرجة الثالثة .

فلنفرض اذن طبقاً للمنطق القويم وطبقاً للمحتمل والمعقول ، أن شكل الهسرم الجسم ، (الرباعي الأوجه) ، هو استقص النار او عنصره وزرعه . ولنقل أن الشكل أو النوع الثاني من الجسمات حسب نشوئها ، (أي الثماني الأوجه) هو زرع الهواء وعضره ، وان الشكل أو النوع الثالث منها استقص الماء .

(احجام الجسمات الاولى الاساسية)

c وعلينا أن نفقه جيداً أن هذه الاشكال جميعها تبلغ من الدقة قدراً ، لا يمكننا معه أن نرى في كل جنس كلاً منها على حدة ، بسبب صغر حجمها . ولكن عندما يتجمع عدد كبير منها يمكننا أن نرى كتلتها واكدامها . هذا ، وإن نسب كميات تلك العناصر الاولى وحركتها او تحولانها وخصائصها الاخرى على اختلافها ، قد انجزها الله من كل ناحية في غاية الاتقان ، ووفق بينهما اعتماداً على علاقة انسجام ، بمقدار ما دعت له طبيعة الضرورة وانقادت لمشيئته عن رضى .

الفصل السابع والعشرون

تحوّلات الظواهر

فمن جميع الاعتبارات إذن والملاحظات التي قدّمنا ، نستنتج أن هذه هي حال الأجناس الأربعة على الاغلب المحتمل والمعقول .

(التراب لا يتحوّل الى نوع آخر من العناصر الأربعة)

إن التراب اذا لاقى النار ينحلّ بفعل حدتها ومضائها . وقد يتبدّد بعد تفككه ، ويتبعثر إما في النار وإما في الهواء وإما في دفقات الماء ، الى أن تتلاقى أجزاؤه في مكان ما ، فيعود بعضها وينسجم مع بعضها الآخر ويصير تراباً . لأن التراب لا يمكنه أن يتحوّل الى نوع آخر .

(تحوّل الماء والهواء والنار)

أمّا الماء فإن قسّمته النار ، أو قسّمه الهواء ذاته ، فيمكنه أن يتركب ويغدو جسماً واحداً من نار ، وجسمين اثنين من هواء . في حين أن الاجزاء الناجمة عن قسم واحد من الهواء المتفكك ، قد تسمي جسمين اثنين من نار . ومن جديد ، عندما يجردق الهواء أو المياه أو قسط من التراب بالنار ، وتكون هذه

زهيدة وتلك غزيرة ، تتحرك النار في العناصر التي تجرفها وتقاوم ثم تغلب على امرها وتتخطم . وعندئذ يؤلف جسمان اثنان من النار جسماً واحداً من نوع الهواء . وحين يقهر الهواء ويتمزق، يتكون من جسمين كاملين ونصف من الهواء جسم واحد كثيف من نوع الماء .

(عرض الاءور على نحوٍ آخر)

ولكن فلنفكّر في هذه الاشياء على الوجه الجديد التالي . عندما تستولي النار على جنس من الاجناس الاخرى، وتقطّعه حدّة زواياها ورؤوسها، يكفّ هذا الجنس عن التقطع والانقسام اذا تركبت (اجزاؤه من جديد واستجالت) الى طبيعة النار : لأن كل جنس متشابه ومحافظ على ذاتيته ، لا يمكنه أن يحدث في ذاته نحوياً ما ، ولا أن يتأثر أو ينفعل بما يماثله في احواله وصفاته . ولكنّ ذلك الجنس لا يفتأ يتقطّع عندما يستحيل الى جنس آخر أضعف من المستوي عليه الذي يفوقه قدرة ويغلبه . وكذلك العناصر الصغرى إذا كانت قليلة ، وأحدثت بها عناصر اكبر منها كثيرة ، فهي تشم وتضمحل . ولكن إن ابتغت ان تتركب وتستحيل الى صورة قاهرها ، تكفّ عن الاضمحلال ، ويتولد من النار هواء ، ومن الهواء ماء . واذا مضت تلك العناصر الصغرى لتتلاقى وتتجمّع بعضها مع بعض ، واعترضها عارض من الاجناس الاخرى وحاربها وغلبها ، فلا تهرب تنحلّ وتفكك ، الى ان تطرد تماماً وتحلّ انحلالاً كاملاً وتلجأ الى ما يجانسها ، او تغلب على امرها ، وتضحي بعد كثرةٍ وحدّةٍ شبيهة بقاهرها ، وتساكنه وتقيم معه .

(تقلب العناصر من محل الى محل)

هذا ، وإن العناصر كلها تستبدل مواقعها طبقاً للانفعالات والتاثرات

التي أشرنا إليها . لأن جماعات كل جنس بمفرده تتفرق إلى مكانها الخاص ، بسبب حركة قابليتها . فان العناصر التي تتباين كل مرة فيما بينها ، انشبه غيرها ، تندفع بفعل اهتزاز القابلة الى مكان تلك العناصر التي تصير بمثابة لها .

(تنوع كل عنصر تنوعاً لا حد له)

لقد حدثت إذن كل الاجسام الصافية الاولى لأسباب من النوع الذي ذكرنا . أما نشوء أجناسٍ أخرى ضمن انواع الاجسام الاولى ، فيجب تعليقه بتكوين كل من العناصر الاولى . لأن كل تركيب لم يَفرس في الاصل مثلثاً له كبر واحد ، بل مثلثاتٍ اصغر واكبر ، يضاها عددها عدد الاجناس الناشئة في الانواع .

ولذا بامتزاج المثلثات بعضها ببعض (ضمن الجنس الواحد) وبتمازج مثلثات الاجناس فيما بينها ، أمست ذات تنوع لا يحصى له عدد . وينبغي لمن يرومون التأمل في طبيعة هذه العناصر ، والاطلاع عليها ، أن يعتمدوا إلى براهين محتملة معقولة .

الفصل الثامن والعشرون

حركات العناصر وسكناتها

إن لم يتفق المرء إذن حول حركة العناصر وسكونها ، وعلى أي وجه تحدث تلك ويتم هذا ، وفي أية ظروف ، فقد تعترض مجئنا المقبل عقبات كثيرة ومصاعب جمّة . ولقد سبقنا وقلنا في هذا الموضوع بعض القول . ولكن فلننصف إلى ذلك الاعتبارات التالية .

لا تشاء الحركة ابدا ان توجد في التوازي والتوازن . لأنه يصعب ، لا بل يستحيل أن يكون هناك متحرك دون محرك ، أو محرك دون محرك . ولا توجد حركة إن غاب هاذان . ويستحيل ان يكون المحرك والمحرك مستقرين متوازنين في وقت من الأوقات .

وهكذا اذن ، نجعل السكون دوماً في التوازي والتوازن ، ونجعل الحركة دوماً في التفاوت والتأرجح . وسبب ذلك انعدام التساوي في طبيعة التفاوت المتأرجح . وقد استعرضنا حدوث انعدام التساوي . ولكننا لم نقل كيف لا تكف العناصر عن الحركة والتجوال بعضها خلال بعض ، حتى بعد أن وُزعت فئاتها كل فئة بمفردها على جنس من الاجناس الاربعة . فنعود الآن اذن ونعرض ذلك على الوجه التالي .

(مفعول دوران العالم)

إنّ دوران « الكل » أو العالم برمته ، وهو حركة دائرية تريد من طبعها أن تعود على ذاتها ، إنّ ذلك الدوران لما شمل الاجناس الاربعة وجرفها في حركته ، شدّ الحناق على الجميع ولم يدع أيّ مجال فارغاً . ولذا اخترقت النار خصوصاً كل الاشياء ، وعقبها الهواء ، لأنّه ثان بالطبع من حيث الدقة والنعومة ، وتبعها العنصران الآخران كلٌّ منها في منزلته ، وطبقاً لدرجة دقته ونعومته . لأنّ ما تولّد من أعظم الاجزاء ترك في تركيه أكبر الفراغات . وما تولّد من أدق الاجزاء ترك في تركيه أصغر الفراغات . وتلاقي الضغط والازدحام يدفع الاجسام الصغيرة الى المجالات الفارغة الواقعة خلال الاجسام الكبيرة . وفي هذه الحال ، عندما توضع الصغائر بجوار الكبائر ، وتفرّق الاجسام الصغرى الاجسام الكبرى بعضها عن بعض ، وتقرن الكبرى الأجسام الصغرى بعضها ببعض ، تترامى الاشياء جميعها إلى علّ وإلى اسفل ، وإلى كلّ صوب ، ويتّجه كلّ منها نحو مكانه الخاصّ . وهكذا كل شيء يستبدل كبره ، ويستبدل أيضاً استقرار مكانه . وعلى هذا النمط ، وبسبب هذه التفاعلات ، المحافظة الدائمة على حدود انعدام التوازي والتوازن ، تُوفّر بلا انقطاع وبصورة متواترة ، حركة هذه العناصر الدائمة الحاضرة والمستقبلة .

الفصل التاسع والعشرون

أصناف العناصر الأربعة وتعددتها

(النار)

وبعد هذه الملاحظات ، يجب أن نفقه أن أصنافاً كثيرة من النار قد برزت إلى الوجود ، كاللهيب مثلاً ، وما يصدر عن اللهيب وهو لا يحرق ، بل يؤثر الناظرين نوراً ، وما يبقى في المواد المتقدمة بعد انقضاء اللهيب .

(الهواء)

وكذلك القول عن الهواء . فهناك أصفى وانقى صنف من الهواء ، المدعوّ باسم اثير وهناك أكثره عكراً وتلوّثاً ، المدعوّ ضباباً وديجورا . وهناك أيضاً أصناف أخرى لا اسم لها ، وقد نجمت عن تفاوت المثليات .

(الماء)

أمّا الماء فله أولاً صنفان . الصنف الرطب والصنف القابل للسيلان أو الذوبان . فالواحد إذن رطب بسبب اشتراكه في عناصر الماء الصغيرة . ولانعدام التساوي بين هذه العناصر ، فقد نشأ هذا الصنف قابل الحركة من تلقاء نفسه ومن قبل غيره ، بسبب عدم التوازي والتوازن فيه ، وبسبب طبيعة شكله .

أما الصنف الناشيء عن عناصر كبيرة ومتوازبة ، فهو أكثر استقراراً من ذلك الصنف ، وهو ثقيل وكثيف بسبب توازبه وتوازنه . ولكنّه بفعل النار التي تلجه وتحمله ، ينبد توازبه ، وعندما يفقد التوازي الداخلي ، ينال حظاً أوفر من الحركة . وإذا يغدو سهل الحركة ، يدفعه الهواء المجاور فينتشر على الارض ، وقد اتخذ اسماً لكل من الانفعاليين ، فدُعِيَ تدمير كتله وأكداسه ذوباناً ، وانتشاره على الأرض انسياباً وجرياناً . ثم إنَّ النار تتساقط وتقع منه ، من حيث كانت فيه . واذ لا تخرج الى موضع فارغ ، تدفع الهواء المجاور ، وهو يدفع معه كتلة الماء الرطب ، وهي لا تزال بعد سهلة الحركة ، الى مواقع النار ، فيتأزج الماء بالماء . وهذا الماء المضغوط والمدفوع يعود ويسترجع توازبه وتوازنه ، لأنَّ النار ، عامل التفاوت والتأرجيح ، قد ولت ومضت ، فاستقرَّ هذا الصنف من الماء في ذاته . وتخلصه من النار مسمي برّداً ، وتلاقي عناصره بذهاب النار دعي صنف الصقيع والجليد .

٥٩

a

(المعادن ضروب من الماء : الذهب)

وبين هذه الفروع ، التي أطلقنا عليها اسم مياه سائلة أو قابلة الذوبان ، اكتشفها كلها ضرب فريد من الماء ، تألف من أدق العناصر المائية وأصلبها ، وسارك لمعانه اللون الأشقر . وهو يتصفى خلال الصخور ويتجمّد . إنه الذهب أنفس المقتنيات . وفرع من الذهب ، وهو أصلبه بسبب كثافته ، ولونه مائل الى السواد او البنفسجي ، دعي أدَامَسْ . أي المعدن الذي لا يُضبط ولا يُقمع (١) .

b

٢٩ - (١) راجع السيامي ٣٠٣ . ٥ . ثم التاريخ الطبيعي ، ٣٧ : العالم اللاتيني أبلينيوس : معدن في غاية الصلابة ، لونه أشقر من لون الذهب ، ظنوا أنهم يستخلصونه بالصور (ولعله المعدن الحديدى الدبسي اللون ، أو البلاطين) . وعند الاقدمين سمو أدَامَسْ الماس أو نوعاً من الصلب والفولاذ .

(النحاس وصدأه)

وهناك صنف قريب الى الذهب بتركيب عناصره ، له انواع كثيرة ، ومن جهة الكثافة اكتف من الذهب ، وقد داخله قسط زهيد ودقيق من التراب ، بحيث غدا أصلب من الذهب . لكنه أخف من العسجد لانه حوى في داخله فوارق كبيرة ، ونشأ صنف النحاس مرّكباً من مياه وتّضاء كشيعة . وقسط التراب الذي خالطه ، عندما يعتشق النحاس ، يعود ويفارقه فينشق الواحد عن الآخر ، فينزل التراب ويظهر ويسمى صدأ النحاس .

أما الأصناف المعدنية الاخرى المائلة ، فليس من الظرف ولا من الطرافة في شيء ان يناقش فيها المرء عندما يتبع فكرة الأقوال المحتملة المعقولة . وهذه الفكرة قد يجعلها المرء في حياته تسلية متبّدة حكيمة ، حين يدع جانباً ، سعياً وراء الراحة والاستجمام ، الأبحاث عن الكائنات الدائمة الأزلية ، ليتأمل في الموضوعات المحتملة المعقولة ، الدائرة حول الحدوث والنشوء ، ويقتني لذاته مسرة ولذة لاندم عليها ولا يعقبها أسف . ونحن في هذه الساعة ، نستسلم الى هذه السلوى بالذات ، ونتابع ايضاً بعد الآن استعراض الأقوال المعقولة المحتملة ، حول الموضوعات عينها ، على النحو التالي .

(المطر والبرد والجليد)

الماء المختلط بالنار ، لاسيما السلس منه والرطب ، بسبب حر كته والمسيرة التي يسيرها وهو يتدحرج على الارض ، يسمى طلاً . وهو لين ورخو لأن قواعده تمن وتمي ، إذ انها أقل رسوخاً وثباتاً من قواعد التراب . وهذا الضرب من الماء حينما تفارقه النار وينعزل عن الهواء ، يصبح اكثر إتراناً وتوازياً ،

ويتراص على ذاته بفعل العناصر الخارجة منه . وإذ يتجمد هكذا ، فالذي ينقل هذه الانفعالات فوق الارض خصوصاً يسمى برّداً ، والذي تصيبه على الارض يسمى جليداً .

(الثلج والصر او الصقيع)

والذي ينقل هذه الانفعالات انفعالاً أخف وطأة ، فيلبث بين اللين والتجمد ، ففي هذه الحالة ايضاً ، إن طرأ عليه التجمد الجزئي فوق الارض دعي ثلجاً ، وإن انقبض وتجمد ، صادراً عن الندى ، دعي صراً أو صقيعاً .

٦٠ (الموائع الصادرة عن الماء: رحيق النبات: الخمر والزيت والعسل والنسغ)

وأكثر اصناف المياه المتمازجة بعضها في بعض ، والمصفأة بواسطة النبات البارز من التربة ، تؤلف جنساً شاملاً يُقال له ماوية النبات ورحيقه . وبسبب تمازج الماويات ، غدا كلٌّ منها يختلف عن الآخر ، وأصبحت أجناسها إجمالاً ، على كثرتها ، بلا مسمى - ما خلا أربعة انواع منها داخلتها النار ، وبدت اكثر الأنواع صفاءً ، فاتخذت لها اسماء . وهي الخمرة التي تدفئ الروح بعد ادفائها الجسد ، والنوع الناعم الذي يفصل تيار البصر بعضه عن بعض ، فيبدو للناظر بسبب ذلك وضاءً متألّقاً دسماً . انه نوع الزيوت : كالمقطران أو الصمغ على اختلافه ، وزيت الخروع ، والزيت بالذات ، وكل ما هناك من الزيوت ذات الخواص نفسها .

أما النوع الذي يُسيل مسالك الفم ، بقدر ما تحتل ذلك طبيعتها ، فيوفر لها العذوبة بخاصته هذه ، فقد أحرز لقب عسل في كل الانحاء^(٢) . والنوع

(٢) راجع في هذا النص الصعب ، افر كرولي Fraccarelli م.م. ص ٢٨٦ .

الذي يفكك اللحم ويحله بأحراقه ، وهو جنس رغوي ، تميز عن جميع الماويات
او الموهات ، فقد سمي نُسغاً .^(٣)

(٣) ان كل مؤلف او شارح يفسر لفظة (opos) على هواه، فمنهم من قال انها الافيون،
ومنهم من ادعى انها مَحْمِرٌ ، ومنهم من خمن انها نُسغ التينة وهي اسم جنس عام
وتعني اجمالاً كل ضرب من النُسوغ او الصُّموغ . وهنا يحق لنا ان نقول : والله اعلم .
راجع ارسطو : الاحداث الفلكية ٤ : ٧ : ٣٨٤ a ، ثم توالد الحيوانات ٤ : ٤ :
٧٧١ b و ٧٧٢ a .
(المعرب)

الفصل الثالثون

الجمادات الصادرة عن الماء والتراب : الحجارة

وهذه انواع التراب . ومنها النوع الذي تصفى خلال الماء ، فصار على النحو التالي جسماً حجرياً . إن الماء الممتزج بالتراب ، عندما يتقطع بالزج ، يستحيل الى شكل الهواء . وحين يغدو هواء ، يعدو صُعداً الى المكان الملائم طبعه . وإذ لم يتبقي فراغ ما بينه وبين الهواء الخارجي ، فهو يدفع اذن الهواء المجاور . وهذا لثقله ، اذ يُدفع ويفيض منتشراً على كدسة التراب ، يُضيق عليها ويحشرها الى المواقع التي سعد منها الهواء الجديد . والتراب اذ يضغظه الهواء ويحشره مع الماء بصورة لا تحل ، يتركب مع الماء ويؤلف الحجر او الصخر .

وأبهى الصخور الصخر الشفاف ، المركب من عناصر متساوية متوازية وأشعبها الصخر المركب من عناصر تناقض هذه .

(الآجر والحجارة البركانية والبورق أو ملح البارود والملح) .

وهناك نوع تحطف فيه سرعة النار كل المادة الندية ، فيغدو جنساً تركيبه أكثر نشوفة من الأول . وهذا النوع هو الذي نطلق عليه اسم قَبْحَار أو

آجر^(١) . ويمكن أحيانا ان تبقى فيه الرطوبة مخفية ، فيموجع التراب بفعل النار
 وحين يبرد يصبح حجراً ذا لون اسود . وهناك صنفان يفقدان طبقاً للأنظمة
 عينها التي أشرنا اليها ، كثيراً من مائها بسبب التازج ، وهما يتألفان من عناصر
 ترابية أدق وأكثر ملوحة^٢ من الاصناف الصخرية الاخرى ، وتجمدهما جزئياً
 ولذا يعودان وينحلان في الماء . وأحدهما هو نوع النيطرون أو ملح البارود والبورق
 وهو نوع ينقي من (لطخات) الزيت والتراب^(٣) . والنوع الثاني هو نوع الاملاح
 الذي ينسجم خير انسجام في تطبيق المواد التي تطيب لحاسة الفم . وحسب قول
 الشرع إنه مادة تلذذ الآلهة .

(الاجسام غير الذائبة في الماء : الزجاج وبعض الصمغ)

والانواع المشتركة المرعبة من عنصرين ، عنصر التراب وعنصر الماء التي
 لا تتحلل في الماء بل في النار ، تتكاثف لسبب كاسبب الذي سنأتي على ذكره
 وعلى النحو التالي . لا النار ولا الهواء يذيان أكداس التراب ، لأن طبيعتهما
 تتوكل من عناصر ادق واصغر من الفراغات الناشئة بين عناصر التراب . فهما
 يتجولان (بين تلك العناصر) على الرجب والسعة ، غير متضايقين ، ولا يحلان
 التراب ولا يذيانه أما اجزاء الماء فهي من طبيعتها أكبر من الفراغات الناشئة
 بين عناصر التراب . وبما أنها أكبر ، فهي تشق لها سبيلا بالعنف وتحل تلك العناصر

٣-١) تدل لفظة Kéramos على التراب الذي يستعمله الفاخوري ، قبل الطبخ
 أو بعده (optoménois Kéramos) . راجع ارسطو ، الاحداث الفلكية

٤ : ٣٨٠ b وما يلي . -

(٢) كلمة (nitron) او (litron) تدل على السودا او ملح البارود . وعند
 ارسطو يبدو ان لفظة (als,alès) تشير الى املاح السودا،ولفظة (nitron)
 الى املاح البورق والبارود .

٦١
٢
وتذيب التراب . لأن الماء وحده يحلّ بالعنف على الوجه المشار اليه التراب غير المتماص ولا المرصوص . ولكن إذا تماسك التراب وتراصّ ، فالنار وحدها تفككه وتحلّه . لأنه لا يبقى عندئذ منفذاً الى داخله إلا للنار . وكذلك إذا تلاققت (عناصر) الماء وتكاثفت أشدّ تكاثف ، فالنار وحدها تذيبها . ولكن اذا تكاثفت عناصر الماء تكاثفاً أضعف ، فالنار والهواء كلاهما يذيبانها : فالهواء يذيبها بعبوره خلال فراغاتها ، والنار خلال مثلثاتها بالذات .

وإذا تماسك الهواء في عنف فلا شيء يحلّه ، ما لم ينل من عناصره . وإذا انقبض وتماصك دون عنف ، فالنار وحدها تذيبه .

٣
٤
٥
هذا ، وإن الاجسام المعزوجة من تراب وماء ، إذا دهمتها عناصر ماء اخرى وانقضت عليها من الخارج ، فهذه العناصر لا تجد لها منفذاً الى داخل تلك الاجسام فتدعها بجملتها دون ان تذيبها ، وذلك ما دام ماء تلك الاجسام مستولياً على فراغات التراب ودائساً إليها بالعنف . اما عناصر النار ، فهي تلج الى فراغات المياه . وما يجريه الماء بالتراب ، تجريه (عناصر) النار بالهواء ، ويتأتى لها هكذا أن تكون السبب الوحيد في سيلان هذا الجسم المشترك عند ذوبانه . ويتفق لهذه الاجسام أن تحصل على كمية من الماء أقلّ من كمية التراب ، فيدعى كل هذا النوع من الأجسام نوع الزجاج . ومنه كل الاصناف السائلة من الحجارة . أما الاجسام التي تزيد فيها كمية الماء على كمية التراب ، فهي بتكاثفها تؤلف اصناف الشمع برمتها ، واصناف اللبان والبخور .

الفصل الحادي والثلاثون

أصل الانطباعات الحسية

أقد بيننا تقريباً انواع الاجسام المزدانة بأشكالها وباشتراكها (بمختلف العناصر) وباستحالاتها بعضها الى بعض . ولا بد لنا أن نحاول ونبيّن العلل التي تحدث انفعالاتها (فينا) .

أولاً ، يجب إذن أن يوجد الاحساس دوماً بالاجسام التي نتكلم عنها . إلا أننا نستعرض بعد نشأة الجسد وما يمت إلى الجسد ، ولا ما هو مانت من الروح . ومع ذلك ، ما يتفق لنا هو اننا لا نستطيع أن نفصل مسائل الجسد والروح تفصيلاً وافياً ، دون الكلام عن انفعالات الحواس ، ولا ان نفصل هذه الانفعالات دون الكلام عن الجسد والروح . وتفصيل هذه الامور وتلك في آن واحد يكاد أن يستحيل علينا .

فعلينا إذن أن نفرغ الفروع من احد البعثن على أن نعود فيما بعد الى البحث الذي فرغ الفروع منه . وفي هذه الحال ، لكي نتكلم عن الانفعالات الحسية ، حالاً بعد نشأة ما يولدها ، فلنفرض أن أمور الجسد والروح هي أولى في نظرنا .

(الحارّ والبارد)

c
فلتَنَوَّرْ إِذْنَ أَوْ لَمَّا نَقُولُ عَنِ النَّارِ حَارَّةٌ ، وَلِنُبْحَثَ الْمَوْضُوعَ عَلَى النَّحْوِ
الآتِي ، مَعْتَبِرِينَ فِي ذَوَاتِنَا مَا تُحْدِثُ فِي جِسْمِنَا مِنْ أَفْصَلٍ وَتَقْطِيعٍ . فَنَحْنُ كَلْنَا
تَقْرِيْباً نَشْعُرُ أَنَّ انْفِعَالِنَا بِهَا شَدِيدُ الرُّوْطَةِ . وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَفَكِّرَ بِدَقَّةِ اضْلَاعِهَا ،
وَمِضَاءِ زَوِيَّاتِهَا ، وَنَعُومَةِ عُنَاصِرِهَا ، وَسُرْعَةِ حَرِّ كِتْمِهَا . فَهِيَ بِهَذِهِ كَلِّهَا رَشِيْقَةٌ
عَنِيفَةٌ وَقَاطِعَةٌ بِجِدَّةٍ ، فَتَقْطَعُ دَوْمًا مَا تَعْتَرِضُ عَلَيْهِ . وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ نَشَأَةَ شَكْلِهَا ،
وَأَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ خُصُوصًا ، وَلَيْسَ طَبِيعَةُ أُخْرَى ، هِيَ الَّتِي تَقْصِيْلُ وَتَقْسِمُ
اجْسَامِنَا إِلَى أَقْسَامٍ صَغِيرَةٍ وَتَقْطَعُهَا إِرْبًا إِرْبًا . وَهَذَا الَّذِي نَقُولُ عَنْهُ الْآنَ إِنَّهُ
a
حَارٌّ ، هُوَ مِنْ بَابِ الْمُحْتَمَلِ الْمَعْقُولِ ، مَا يُحْدِثُ الْانْفِعَالَ الْحَسِّيَّ وَيُوقِرُ لَهُ اسْمَهُ .

وَعَكْسُ هَذِهِ الْأُمُورِ وَاضِحٌ . وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَفْقُتُهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّرْحِ . إِنْ
العناصر الكبرى من المواد الرطبة المهدقة بالجسم ، تلججه وتدفع العناصر التي هي
أصغر منها . واذ لا تستطيع أن تغوص إلى مواقع هذه العناصر الصغرى ، تضغط
المادة الرطبة فينا . وتُحِيلُ غَيْرَ الْمُتَوَازِيِّ وَالْمُتَحَرِّكِ إِلَى غَيْرِ مُتَحَرِّكٍ بِسَبَبِ
التوازي والضغط وتجمده . وما يساق على خلاف الطبيعة ، يقاوم حسب طبعه
b
ذاته بذاته ، ويدافع ذاته في اتجاه معاكس . ولهذا العراك وهذا الزلزال الداخلي
اعطي اسم الرجفة والاصطكاك ، وكلّ هذا الانفعال وتجريره فينا سُمِّيَ
بردًا وقرًا .

(القاسي والناعم)

والقاسي هو ما ينقاد ويدعن له لحمنا . واللين هو ما ينقاد ويدعن للحمنا .
فهذه هي حال تلك الأشياء في علاقتها بنا .

ويخضع كل ماجلس على قاعدة صغيرة. لكن ما له قواعد رباعية الاضلاع،
ينشئ النوع المقاوم أقوى مقاومة ، لاستقراره على قواعد متينة . لأنه بتهافته
وتواميه على أعظم قدر من التكاثر الذاتي ، من شأنه أن يتصلب غاية
التصلب .

(الثقيل والحفيف)

إن الثقيل والحفيف قد يتضحان لنا وضوحاً تاماً ويظهران في غاية الجلاء،
إذا بحثنا عنهما في بحثنا عن الطبيعة التي يقال لها ، طبيعة الأسفل والأعلى .

إذ لا يصيب من أيّ وجه رأي من يظن أن هناك بالطبع محلين اثنين
متقابلين متضادين ، يشملان العالم بأمره ، وبشطران « الكل » شطرين: الأسفل
من جهة ، فيندفع إليه هاوياً كل ماله حجم جسماني ، والأعلى وإليه ينطلق مكرهاً
كل شيء . لأنه لما كان الفلك برتمه ذا شكل كرويّ ، وإذا وقعت الاشياء على
أبعاد متساوية عن مركزه ، وكانت متطرفة ، فهي كلها بالضرورة متائلة طبعاً في
تطرفها هذا . والمركز بوقوعه على نفس الابعاد (او الامتار) عن أطرافه ،
لا بد أن يحسب على الطرف المخاذي لها جميعها . وإن كان العالم بالطبع على هذا
الوضع ، فمن لا يشتم بحقّ انه لا يسمي الأشياء بأسمائها الملائمة ، اذا حسب شيئاً
من هذه الاشياء التي نتحدث عنها ، عالياً او منخفضاً . لأن المحل الوسط في العالم
خليق بأن لا يقال عنه إنه منخفض أو عال بالطبع . بل يحقّ ان يقال عنه انه في
المركز . وما يحقّ بذلك المحل الوسط ، ليس وسطاً او مركزاً ؛ وليس له أية
بقعة تختلف عن أخرى أقلّ اختلاف ، بالنظر الى المركز أو احد الاطراف
المخاذية له . وما كان متائلاً بالطبع متشابهاً من كلّ الوجوه ، إن أطلق عليه أحد
اسماء متناقضة آية كانت ، كيف يُظنّ به أنه ينطق نطقاً جميلاً صائباً ؟

(مناهضة نظرية المحلات الطبيعية)

٦٣
a
لأننا إذا فرضنا وجود شيء ، وشيء مجسم ، على حالة توازن في مركز
« الكل » ، فهذا الجسم لن يُدفع أبداً الى أحد اطراف الكل ، بسبب تماثلها
من كل ناحية . لابل اذا سار احد حول الجسم في خط دائرة . وتوقف مراراً في
قطبيه ، بحيث تكون قدما المتجول في مُقطب ، محاذيتين لقدميه في القطب
الآخر ، فعين القطب من ذلك الجسم يستطيع جائئنا أن يدعوه أعلى وأسفل .
لأن العاقل الواعي لا يستطيع ، اذا كان « الشامل » ، على ما قدمناه الآن ، ذا
شكل كروي ، أجل ، لا يستطيع العاقل أن يقول عن مكانٍ إنه فوق وعن
آخر إنه تحت . فمن أين جاءت هذه الاسماء ؟ وفي أي ظروف كانت الاشياء
حتى اعتدنا ان نقسمها على هذا النحو وان نقسم الفلك برمته ، وندعوه وندعو
b
الاشياء بتلك الاسماء ؟ هذه مسائل لا بد ان نتفق عليها ، بافتراض الفرضيات
التالية :

إن صعد احد الى ذلك المكان من العالم ، الى المكان الذي حظيت به
خصوصاً طبيعة النار كنصيب لها ، حيث تتكاثر وتجتمع وتسعى الى مقرها
بدافع قوي ، إن صعد إذن احد الى ذلك المكان ، وكانت له قدرة على ان يأتي
عملاً خطيراً مثل العمل التالي ، وهو أن ينتزع من النار بعض أجزائها ، وأن
يتناول تلك الأجزاء ويضعها في كفتي ميزان ، وأن يرفع نير الميزان ، ويجرّ النار
c
عنوة الى هواء لاسبه لها به ، يتضح عندئذ ان الكمية الصغرى من النار تُقهر
بسهولة أعظم من الكمية الكبرى . لأنه اذا رُفع وقران في الهواء بقوة واحدة
فالوقر الأقل ينقاد للعنف انقياداً اعظم ، والوقر الأعظم يقاوم العنف وينساق
له ضرورة انسياقاً أقل ، والكثير يدعى ثقيلاً ومدفوعاً الى أسفل ، والصغير
يدعى خفيفاً ومرفوعاً الى فوق .

ولا بد لنا أن نفاجيء أنفسنا ونقبض على ذواتنا ونحن نأتي العمل نفسه، في مكاننا هذا كما يفاجأ اللص ويقبض عليه . لأننا في تجرؤنا على الأرض نقتلع منها اصنافاً ارضية ، وننتزع أحياناً التراب بالذات ، ونجره عنوة الى هواء لاشبه به وخلافاً لطبيعته . وان كان هناك كميّتان تلازمان ما يجانسها ، فالصغرى منها تنقاد في سهولة أوفر وقبل الكبرى ، لمن يحملونها عنوة الى عنصر يخالف طبيعتها . وتلك الكمية الصغرى نسميها خفيفة ، والمكان الذي نحملها اليه قسراً نسميه الأعلى ، وما ينفعل انفعالات معاكسة لهذه نسميه ثقيلًا ، والمكان الذي يميل اليه بالطبع نسميه الاسفل .

فمن الضرورة اذن ، ان تختلف حال هذه الاشياء بالنظر الى عين الاوضاع ، بسبب كثرة الاجناس التي يشغل كل منها مكاناً يخالف مكان الآخر . لانه اذا قوبل الخفيف في مكان بالخفيف في مكان مقابل آخر ، وقوبل الثقيل في مكان بالثقيل في آخر . والمنخفض بالمنخفض والعالي بالعالي ، وجدت هذه الاشياء جميعها مناقضة بعضها بعضاً، ومنحرفة ومختلفة تمام الاختلاف في نشأتها وكيانها الحاضر بيد انه لا بد من تفهم هذا الامر الواحد بشأنها جملة ، وهو ان الطريق لكل من تلك لاجناس أو الاجسام الاولية ، المبلغ إياها الى ما يجانسها يجعل المحمول ثقيلًا ، والمكان الذي يُحمل اليه في اسفل ، ويعطي الاشياء الاخرى التي على حالٍ تختلف عن هذه الحال ، الاسماء الاخرى . ولذا نعتبر ان هذه هي اسباب الانفعالات التي أشرنا اليها .

(الناعم والحشن)

اما سبب الناعم والحشن ، فكل قد يستطيع أن يراه ويفسره لغيره . إذ القساوة المزروجة بالوعورة وفقدان التوازن تُنتج الحشونة ، والتوازن والسهولة المزروجة بالكثافة تُنتج النعومة .

الفصل الثاني والثلاثون

اللذة والألم

وفيا تحدثنا عنه واستعرضناه ، اعظم واهم ما بقي من المشاعر المشتركة العائدة الى الجسم برمته ، هو سبب انفعالات اللذة والألم ، ثم ما أحرز الشعور من أعضاء الجسد ، وما تشعر به تلك الأعضاء من غموم او متاعب ومن ملذات تصحب الغموم .

فلنستمد اذن على النحو التالي اسباب كل انفعال نشعر او لا نشعر به ، متذكّرين ما يتعلّق بطبيعة السهل الحركة او عسرها ، على ما فصلنا من ذي قبل . إذ يفرض علينا أن نستقصي من هذا القبيل الامور جميعها التي نبغي الاحاطة بها في هذا البحث .

لأن ما هو سهل الحركة بالطبع ، عندما يقع عليه انفعال ولو كان زهيداً تحدث اجزاؤه عين الانفعال ، وتوزعه دائرياً بعضها على بعض ، إلى ان يبلغ الانفعال القوة المدركة ويخبرها عن صفة فاعله . أما الشيء المناقض (أي البطيء الحركة) ، فلبثاته ورسوخه على قواعده لا ينطلق بانفعاله الى أي دائرة حوله ، بل يحتل الانفعال وحده ، ولا يحرك قسماً آخر من أقسام الجسم المجاورة له . ومن ثمّ ، إذ لاتتوازع الاقسام بعضها على بعض الانفعال الاول ، الذي لبث فيها بلا حركة ، يجعل ذلك الانفعال غير محسوس ، إذ لم ينفذ الى الجسم الحيّ

برمته . هذا ما يحصل للعظام والشعر ، وإجمالاً لكل ما نحوي من أقسام في جسمنا
جلثها من التراب . اما الحالة التي تكلمنا عنها قبل هذه الاخيرة ، فهي تتعلق
بالنظر والسمع خصوصاً لأن فاعلية النار والهواء فيها تبلغ أقصى مدى .

اما مسألة اللذة والالم ، فيجب ان نفهمها على النحو التالي . ما هو مخالف
للطبيعة وغيث اذا تواتر يحدث فينا انفعالا ألياً . وكذلك ما يجاري الطبيعة ،
إذا تواتر يؤثر فينا تأثيراً لذيذاً . وما يجري لنا من ذلك ، بتوعدة وفي قدر زهيد ،
لا نشعر به ، والعكس بالعكس في هذه الامور .

أما كل ما يحدث بهينة وتيسير ، فنحن نشعر به أعظم شعور .
ولكنه لا ينطوي على ألم أو لذة . ومثل ذلك انفعالات (جهاز) النظر ذاته
الذي قلنا عنه في ما سبق إنه ، غضون النهار ، يصير معنا جسماً بالطبع مجانساً .
إذا لا البتر والقطع ولا الحروق ولا التأثيرات الاخرى التي يعانها ، تحدث فيه
أوجاعاً . كما لا يشعر بمشاعر اللذة إذا عاد الى ذاته أو نوعيته الخاصة . وانما ينتج
عنه اعظم الاحساسات واصفاها طبقاً لما يتأثر به وطبقاً لكل من الاشياء التي يقع
عليها بوجه من الوجوه ويلامسها .

غير ان اعضاء جسمنا ، المركبة من أجزاء تكبر أجزاء (العين والاذن)
لا تنقاد للمؤثر إلا بالجهد . وهي مع ذلك توزع الحركات وتسوقها إلى كافة
الجسم . وتحظى بمشاعر اللذة والالم . فتشعر بالالم إن بدلت أحوالها ، وباللذة
إن عادت واستقرت في ذاتها وطبيعتها .

والأعضاء التي تضم تدرجياً ، وتفرز ما فيها شيئاً فشيئاً ، في حين أنها
تتملى بتوتر ووفرة ، لا تشعر بافرازها وتفرغ ما فيها ، لكنها تشعر بتملئها .
وهي لا تؤذي القسم المئات من الروح غماً والمأ ، بل توفر له اعظم اللذات .
وهذه الامور واضحة بشأن الروائح العطرة . اما التي تتبدل حالها بتوتر ، وتعود

تدرّجياً وفي عناء الى ذاتها لتستقر على حالتها الطبيعية ، فهي توفّر مشاعر تخالف المشاعر السابقة اتمّ مخالفة . وهذه الامور واضحة كلّ الوضوح ايضاً في حروق الجسم وما يلحقه من بترٍ وقطع .

b لقد تكلمنا عمماً بحيث يحقّ بالجسم كله من انفعالات مشتركة ، وعن كلّ الاسماء تقريباً التي اطلقت على عوامل تلك الانفعالات . امّا الانفعالات التي تحدث في اعضائنا المختصة (بعملٍ معيّن او وظيفة) ، وآثارها واسباب عواملها ، فعلياً ان نحاول تفصيل ذلك ، ان استطعنا إليه سبيلاً .

الفصل الثالث والثلاثون

المذاقات المختلفة

c
علينا اذن اولاً ان نبين قدر استطاعتنا كل ما تركناه جانباً ، في كلامنا السابق على العصارات لأنّ انفعالات اللسان خاصة . ويظهر ان هذه الانفعالات ايضاً تحصل بسبب بعض التازج او التفارق ، شأنها في ذلك اذن شأن اكثر الانفعالات . وعلاوة على ذلك ، لا بد ان يعتمد المرء ، في (تفسير) هذه الانفعالات ، اكثر من غيرها ، الى الحشونات والنعومات .

(القابض والفتج)

d
فالعناصر الواجبة إلى الوشائج ، الممتدة إلى القلب بمثابة خبرات اللسان إذا وقعت على الاجزاء الرطبة من اللحم والغضة ، واذابت منها القسيات الترابية تقبض الوشائج او العروق وتنشفها . فان كانت شديدة الحشونة ، ظهرت قابضة . وإن قلت خشونتها بدت فجة .

(المرّ والمالح والحاذ)

اما المسهلة من هذه العناصر ، والتي تغسل اللسان وما يجردق به ، فان فعلت فعلها هذا وتجاوزت فيه الحدّ ، ثم لجت فيه وبالغت حتى اذابة جوهر

e. اللسان ، كما تفعل خاصة املاح البارود والبورق والكحول والسودا ، فهي تدعى
 كلسها مرّة من هذا القليل . والعناصر التي تنقص فاعليتها عن فاعلية النظرون
 (او الاملاح المذكورة) ، وتجري الإسهال او السيلان باعتدال ، تظهر ماحلة
 دون مرارة مفرطة ، لا بل محببة إلينا . والتي تشارك الفم في حرارته ، فينعّمها
 ويجعلها دقيقة ، تلتهم هي ايضاً ، ثم تحرق الجهاز الذي ادفاها ، وتدفع بسبب
 ٦٦ خفتها الى عل ، نحو حواس الراس ، وتمزق كل ما تعثر عليه في درجها . ولهذا
 a الحواص الهاليجة الصاخبة ، دعيت مثل هذه العناصر حادة (١) .

(الجامض أو المز ، الرغوة والزبد)

ثم إن ما لحقه الفساد من العناصر ، فعدا دقيقاً ناعماً ، يتخلل العروق
 الضيقة ، ويقع على ما يجد هناك من قسيات ترابية وقسيات تعادل بكمية هوائها
 كمية هوائه ، فيحترقها ويجعلها تقور بعضها حول بعض فوراناً . وإذا فارت
 b. تنقص بعضها على بعض ، وتغوص في غيرها وتقعّره ، وتنتشر وتصلب حول
 العناصر الواجبة والنافذة إليها . وإذا انتشرت الرطوبة حول الهواء وتصلبت
 وتقعّرت ، حيناً يازجها التراب ، وآخر نقيّة صافية ، تحوّل تلك العناصر إلى
 اوعية هواء رطبة ، وقطرات مستديرة مقعّرة . وما صدر من هذه الأوعية او
 القطرات عن الرطوبة النقيّة المتصلبة ، تؤثبه هذه الرطوبة إستقراراً ويكون
 سُفافاً ، ويدعى باسم الرغوة (٢) . وما صدر عن الرطوبة المشربة تراباً الهاليجة
 والمالحة معاً لقب زبداً وخميرة . ودعي سبب هذه الانفعالات حامضاً او مزاً (٣) .

٣٣ - (١) ان طعم هذه المواد يشبه طعم الخردن مثلاً .

(٢) ان لفظة pompholyx ذات صبغة علمية . وربما استعملها انكسفورس

(cf. Diels, Vors. 3, I 386, 41) وحددها أرسطو ، توالد الحيوانات ،

٣ : ١١ : ٧٦٢ : ١٤٠٤ وفعل Kicann يعني ضرب المزيج وجعله يُرغى .

(٣) لفظة Oksi تناقض دوماً لفظة gbiyki وتقارب لفظة Picron وتعني

طعماً حامضاً او مزاً ، يشبه طعم ماتوحيه من ذلك رائحة الخمير .

(المذاقات العذبة)

ويحصل بتأثير علّة معاكسة ، انفعال معاكس لكل ما بسطناه بشأن الانفعالات السابقة . فعندما يكون تركيب العناصر النافذة إلى الاجزاء الرطبة من الفم ، ملاءماً بالطبع حالة اللسان ، فهي تدهن جوانب هذا العضو النافذة المشوشة ، وتليينها من جهة ، ومن جهة اخرى ، ما كان من هذا العضو في وضع يخالف طبيعته او مسترخياً ، فهي تشدّد ما استرخى منه ، وترخي ما انقبض . وتركّز كل شيء خبير تركيز ، وتعيده إلى وضعه الطبيعي . وإذ غدا كل ما مائل هذا العنصر لذيداً ومحبباً إلى الجميع ، وشفاء للانفعالات ، فقد دعى عذبا . وهذه الامور هي على النحو المفصّل اعلاه .

الفصل الرابع والثلاثون

الروائح

أما اقتدار المنغرين أو اختصاصها فلا يعتره على أنواع . لأنّ جنس الروائح بجملته هو نصف جنس . ولم يتفق لنوع (أي جنس) من الأنواع (الأساسية) ، ان يكون له من القياس ما يمكنه من أن يجرز الرائحة . فعمرونا المتعلقة بالروائح الشاعرة بها قد رُكبت تر كيباضيق كثيراً على جنسي التراب والماء ، ويتسع جداً لجنسي النار والهواء . ولذا لم يشعر أحد قطّ بأية رائحة لهذه العناصر المذكورة ، ما لم تبلل أو تعفن أو تتبخّر ، فتحدث لها روائح .
لأن هذه الروائح تحدث عندما يتحوّل الماء الى هواء ، والهواء الى ماء . ففي خلال هذا التحوّل تنتشر الروائح . والروائح بجملتها هي دخان أو ضباب . وينشأ الضباب أثناء تحوّل هذين العنصرين ، اذ يصدر الماء عن الهواء . وينشأ الدخان اذ يصدر الهواء عن الماء . ومن ثمّ جميع الروائح أدقّ وأنعم من الماء ، وجميع الروائح أخفّ وأكثف من الهواء . ويتضح لنا هذا الامر وذاك حين يُصاب المرء بالزكام وينسدّ مجرى التنفّس عنده ويستنشق الهواء بشدة . فعندئذ لا تساق اليه أية رائحة . وانما تعقب الاستنشاق النسمة وحدها خالية من الروائح .
فهنالك إذن هذان الصنفان من الروائح ، وهما مغفلان لا اسم لهما ، إذ

يصدران عن أنواع غير كثيرة ولا بسيطة . ولكن فننقل إلهما وحدهما
واضحان^(١) ومنقسمان إلى شطرين، الصنف الطيب اللذيذ والصنف الكريه المؤلم .
فالواحد يهيج ويؤدي الجذع كله الواقع بين هامتنا والسرّة ، وبضايقه بعنف
والثاني يهدّئه ويردّه على نحو مستحبّ إلى وضعه الطبيعي .

٢٤ - (١) راجع تيمس اللوكري ، ١٠١ . a . وأرسطو ، كتاب النفس ٢ :
٤٢١ : ٩ . ٢٧٨ . ثم كتاب الحس والحسوس ٥ : ٤٤٣ . b . ان هذا الفيلسوف
يصنف الروائح كالمذاقات ونعثر عند أمبندكليس وذموكرتس على شروحات مماثلة . راجع
كتاب الحس لثيوفربستس ٩٥ و ٧١ . Wors . 3,1,217,30 et ,2,45,21 .

الفصل الخامس والثلاثون

السمع والصوت

والقسم الثالث من المشاعر التي نبحت عنها في ذواتنا ، هو القسم المتعلق بالسمع . فعلياً أن نفسّر لأيّ من العلل تحصل الانفعالات المسببة له .

فلنفرض بوجه عام اذن ، ان الصوت صدمة يبلّغها الهواء والدماغ والدم عن طريق الاذنين ، الى الروح . والحركة التي تحدثها الروح ، تبدأ في الرأس وتنتهي حول مقر الكبد . وهذه الحركة هي السمع (١) . فان كانت الحركة سريعة كان الصوت عالياً ، وان كانت على شيء من البطء كان الصوت عميقاً . وان كانت الحركة متماثلة متشابهة كان الصوت رتياً متساوياً وناغماً .

وإن كانت الحركة على عكس ذلك ، كان الصوت أجشّ خشناً . وإن كانت الحركة عظيمة ، كان الصوت ضعفاً جهوراً ؛ وإن كانت الحركة على عكس ذلك ، كان الصوت ضئيلاً خافتاً . أمّا ما يخصّ تساوق الاصوات وتناغمها ، فسيُعرض حتماً فيما يلي من أبحاثنا المقبلة (٨٠ b)

٣٥ - (١) في تآلف الاصوات ، راجع ٨٠ b a . يبدو أن النظرية المستغربة التي تدخل الكبد في جهاز السمع ، نظرية انفرد بها أفلاطون . راجع كتاب الحس لثيوفريستس ، رأي ٥٠٠ : ١٤٤ وأثينيس ٤ : ١٩ : ١٠ ، رأي ٤٠٧ a ٢٢ . وأرسطو اذ يعطي الصوت تحديداً يداني تحديد افلاطون ، لا يتكلم عن الكبد . وأفلاطون يسم الاصوات بطابعها الخاص بناء على صفات الحركة المسببة لها ، نظير السرعة أو البطء ، والاتناد أو التشوش ، والعنف ان زاد أو نقص . وتجد عند أرسطو عين الفوارق ، ر كتاب النفس ٢ : ٢ : ٢٢٢ b ٣١ .

الفصل السادس والثلاثون

الالوان

بقي علينا نوع رابع من المحسوسات . فيجب أن نميّز بين ما احرز من أصناف غزيرة دعونها بماجملتها ألوانا . وهي لهيب يجري من الاجسام كل بمفرده وله عناصر تتفق في قياسها (مع عناصر تيار) البصر لتولد الشعور أو الاحساس^(١) . لقد تكلمنا ، فيما سبق من أبحاث ، عن النظر بالذات وعن أسباب حدوثه . فهنا اذن قد يجدر بنا أن نستعرض خصوصاً مشكلة الألوان . وهذا أمر طبيعي . إن القسيات الصغرى عندما تندفع منطلقاً من الأشياء الأخرى وتقع على (تيار) البصر ، تكون عناصرها أصغر أو اكبر أو معادلة لعناصر البصر أو تصغرها ، فالأولى منها تضمّ شمل تيار البصر ، والثانية تبعثه . وهي شقيقات العناصر التي دعونها حارة أو باردة في علاقتها باللحم ، والمحرقه منها التي دعونها حادة في علاقتها باللسان .

(الأبيض والاسود)

والعناصر البيضاء أو السوداء هي أيضا نفس العناصر . وهي من نوع آخر من الأجسام ، تولّد تلك الانفعالات التي جئنا على ذكرها ، ولكنها تبدو غير الاولى لهذه الاسباب الآتية .

٣٦ - (١) ان نظرية النور هذه تذكرنا بنظرية الدرئين .

فعلينا إذن أن ندعوها كما يلي . ما يبعثر تيار البصر هو الابيض . وما يضم شمله على عكس ذلك هو الأسود . أمّا عناصر الحركة النشيطة الصاخبة جداً الصادرة عن نوع آخر من النار ، فهي إذا اصطدمت (بتيار) البصر ، تشتته وتبعثره حتى الحدقتين . وتضغط بعنف على مسالك ومجاري العيون وتذيبها . وتسيل منها النار والماء غزيراً . وهذا ما ندعوه دمعاً . وإذ هي نار جارفة تلقى الاخرى في اتجاه معاكس . وهذه النار إذ تقفز من العين ، تصدر منها وكأنها صادرة عن برق . والنار الواجبة في العين تنطفئ على جوانبها النديّة . وفي هذا التاجج والاصطخاب ، تنشأ ألوان من كل ضرب ولون . ونحن نسمي الانفعال انبهاراً ، وما ينتج عنه اللامع المتألق .

٦٨
a

(الألوان التسعة الأساسية)^(٢)

أمّا جنس النار الواقع ما بين النيران السابقة تلك ، فهو يبلغ الى القسم النديّ من العيين ويمتزج به . ولكنّه لا يتأق . وعلى لألاء النار ، خلال

b

(٢) من الالوان التسعة التي يميزها أفلاطون ، يبدو أن ثلاثة فقط تقابل ألواناً في الطيف . xanthon أو الأصفر الذهبي . وهو لون واقع في موشور قوس قزح بين الاخضر to pracion والبرتقالي أو الأرجواني to phinikon (?) (راجع لأرسطو ، الاحداث الفلكية ٣ : ٤ : ٣٧٥ a ١١) . to éritbron أو الاحمر القاني to pracion أو الاخضر الفاتح . ولكن أفلاطون لا يذكر البرتقالي . والمزائج التي يذكرها لا تعطي ألواناً واضحة صريحة . وهي التالية : الأرجواني ينجم عن الاحمر والاسود والابيض ، وعن نفس المزيج يضاف اليه فائض من الاسمر القاتم . وعن الاصفر والرمادي ينجم الاسمر الفاتح أو الأشقر المائل الى الحمرة . وعن الاسود والابيض واللامع يصدر الازرق اللازوردي أو الازرق اللامع . وعن الازرق اللازوردي والابيض يصدر الازرق الغاهي . وعن الاسمر الفاتح والاسود ينجم الاخضر الزيتوني . راجع لأرسطو كتاب الألوان المتحول ٢ : ٧٩٢ a ٤ وما يلي ، ثم من المقدمة ، فصل ٣ : ٣ .

الرطوبة وبعد امتزاجها بها ، على ذلك اللألاء الذي يعطي لوناً دامياً نطلق اسم
أحمر . وأصبح اللامع ، المخلوط بالأحمر والابيض ، اللون الأشقر . أما نسبة
العناصر الممتزجة ، كم من هذا وكم من تلك ، وإن عرفها احد ، فلا يعقل ان
يقولها . لأنه لا يستطيع أن يعبر ، في شيء من الصحة ، عن حتميتها أو سببها
المحتمل المعقول .

وإذا امتزج الأحمر بالاسود والابيض أحدث اللون الارجواني . وينجم
اللون الارجواني القائم عن هذه الالوان عينها ، اذا اختلطت وأحرقت ومزجت
بها كمية اوفر من السواد . ويحصل اللون الاصهب الناري عن مزج الأشقر
بالرمادي . ويتولد اللون الرمادي عن مزج الأبيض بالاسود . ويصدر اللون
الأصفر عن الابيض إذا خلط بالأشقر . والأبيض إذا لاقى اللامع ووقع على
الاسود المشرب سواداً ، انتج اللون الأزرق اللازوردي . والازرق اللازوردي
عندما يمزج بالابيض يعطي اللون الازرق الفاهي ، المائل الى الخضرة أو الى
الصفار . وإن مزج الاصهب الناري اللون الاسود أصدر اللون الاخضر الفاتح .
والألوان الاخرى الناجمة عن هذه واضح أمرها بعض الوضوح . إذ
يتبين لنا تقريباً ، بأية مزائج قد تماثل ما شاكلها ، وتحافظ على قول معقول بشأنها .

(وجه التخمين في كل ما تقدم)

ولكن إن تناول المرء المحكّ لتمحيص هذه الامور والتثبت منها عملياً
فقد يتجاهل الفارق بين الطبيعة البشرية والطبيعة الالهية ، ويغفل عن أن الله
يعرف ويقدر في آن واحد ان يمزج عناصر كثيرة ويحيلها الى واحد ، كما يعرف
معرفة كافية ويقدر القدرة الوافية أن يحلّ الشيء الواحد ويعيده من جديد الى
عناصره الكثيرة . اما البشر فلا احد منهم اهل لاحدى هاتين العمليتين ، لا
الآن ولا يوماً ما في الزمن المقبل .

الفصل السابع والثلاثون

العلة الضرورية والعلة الالهية

اذن ، كل هذه العناصر (الاولية الاربعة ثم الاساسية) لما كانت بالطبع آنذاك على الوضع الذي اشرنا اليه ، شرع يستمدّها من الضرورة مبدع أهي كائن وأسمى وأفضل كائن بين الكائنات المحدثّة ، عندما كان يلد الإله المكتفي بذاته والأكمل ، مستعملاً في إبداءه العلل الحادمة المساعدة . أمّا الانتظام والصلاح ، فهو مهندسه وبانيه في كلّ الكائنات المحدثّة .

ولذا وجب ان نتميز نوعين من العلل ، النوع الضروري والنوع الإلهي . كما وجب ان نستقصي النوع الالهى في الامور كافّة ، لاقتناء حياة سعيدة ، بمقدار ما تستطيع طبيعتنا إلى ذلك سبيلا .

أمّا النوع الضروري فيفرض البحث عنه بسبب الغاية المذكورة ، مفكّرين انتابدون هذه العلل الضرورية والإلهية ، لا نقدر ان نفقه حتى ولا المطالب وحدها التي نجد في السعي إليها ، ولا ان ننال منها شيئاً ، ولا ان نحظى بها على طريقة اخرى ، ولو قليلاً وعلى وجه من الوجوه .

الفصل الثامن والثلاثون

تلخيص ما سبق

وإذ مثلت الآن إذن بين أيدينا نحن المهندسين ، وكأنها مادة بناء ،
أصناف العزل المنتقاة المصفاة ، التي يجب أن نسيج منها ما تبقى من خطابنا ،
فلنعد مجدداً إلى البدء بإيجاز ، ولتصل بسرعة إلى ذات النقطة التي انطلقنا منها
وبلغنا إلى هاهنا ، ولنجهتد أن نضع ختاماً لمقالتنا ، ونوجه بهامة تلامم جسمه
السابق وتنسجم معه .

فعلى ما قيل إذن في مطلع الحوار ومبادئه ، كانت العناصر السابق ذكرها
في أوضاع مبلبلة متشوشة ، فخلق الله فيها التناسق والتعادل ، في كلٍ منها بالنظر
إلى ذاته ، وفيها جملة بالنظر إلى صلاتها بعضها ببعض ، بقدر ما أمكن أن تكون
متعادلة متناسقة ، وعلى الوجه الذي أمكن . إذ لم يحظ احد العناصر آنذاك بشيء
من هذه الصفات إلا اتفاقاً ، ولم يكن يجدر على الاطلاق أن يُسمى احد العناصر
باسم من الاصماء التي نطلقها عليها الآن ، كالنار مثلاً أو الماء وما إليها من العناصر
الآخري . إلا أن الله غمقها ونظّمها أولاً جميعها . وبعد ذلك ركب منها هذا
العالم بأسره ، وجعله كائناً حياً فريداً ، حاوياً في ذاته كل الكائنات الحية ، المائنة
منها والحالدة . وصار هو ذاته مبدع الآلهة . أما المائتون فقد امر ابنائه ان
يبدعوا حدوثهم .

الفصل التاسع والثلاثون

جنس المائتين

فاقتدى هؤلاء الآلهة ، أبناء المبدع بأبيهم ، وتناولوا منه مبدأ الروح غير المائت ، وسكبوا له في قالب الجسم المائت ، وأعطوه الجسم كله مركبة (١) . وبنوا في الجسم ضرباً آخر من الروح ، هو الصف المائت منها ، المنظوي في ذاته على أهواء رهيبة ومحتومة . وأول تلك اللذة ، وهي أكبر غواية وأعظم طعم للشر . ثم الأتراح والواجع ، طاردة الخيرات . أضف إليها الجسارة والخوف ، وهما مشيران أحقسان . ثم الغضب الذي لا يقبل عزاء أو نصحاً إلا بمشقة . وأخيراً الأمل الحدّاع الذي ينساق في سهولة . ومزجوا هذه الأهواء بالشعور غير العاقل والحب الغرامي المقدم على كل هوس . وركبوا هكذا جنس المائتين خاضعاً لحكم الضرورة .

(إنزال الروح الشهوانية في الصدر)

وخشية منهم أن يذتسوا العنصر الإلهي في البشر ، بتلك الأهواء ، أنزلوا العنصر المائت من الروح في مسكن آخر من الجسم ، بعزل عن العنصر

٣٩ - (١) يبدو أن ذيمينس الأبولوني قد استعمل كلمة أوخينا أي مركبة . وقد وردت في المقطع ٤٤٤ e من هذا الحوار . راجع هيبكراتس ، مقاله في الأرياح ، طبعة لتره ٣ ، ٦ ، ٩٤ . ثم إفريديس ، نساء اطروادة ، ش ٨٨٤ .

الاهلي ، إذ لم يكن إنزالهما معاً ضربة لازب . فبنوا برزخاً وحدداً بين الرأس والصدر، ووضعوا الرقبة في الوسط ، ليُفصلا الواحد عن الآخر . وربطوا الجنس المائت من الروح بالصدر أو ما يدعى لآمة ودرعاً وقفص الصدر .

(الحجاب الحاجز)

ولما كانت تلك الروح المائتة ذات قسمين، قسم منها أوفر جودة بالطبع، وقسم أوفر سوءاً، فصلوا في بناء الجسم فجوةً قفص الصدر إلى شقتين، كما تُفصل (في بيت واحد) شقة سكن النساء عن شقة سكن الرجال ، وجعلوا الغشاء الحاجز حاجباً في وسطها^(٢) . وأسكنوا قسم الروح النائل نصيباً من الشجاعة والغضب ، لحبه المشاحنة والمزاحمة ، في الشقة الأدنى إلى الرأس ، بين الحجاب الحاجز والعتق . كي يكون مصغياً للعقل ، ويشترك معه في قمع جنس الرغبات بالعنف ، عندما لا يريد طائعاً أن ينقاد للعقل المصدر إليه أمره من قلعة الجسم .

(القلب ووظائفه)

أما القلب ، حزام العروق وينبوع الدم الساري في كل أعضاء الجسم غزيراً متدفقاً ، فقد وضعوه في ثكنة الحراسة وأقاموه عليها . وذلك ، كي يشعر كل ما له الاحساس في الجسد شعوراً مرهفاً ، عن طريق جميع المسالك الدقيقة ، بتوجيهات العقل وتهديداته ، عندما يغلي ويفور سخط روح الغضب وهيجانها ،

(٢) إن لفظة دِيافَرَعْمَا ، الغشاء الحاجز ، لاترد عند الفلاسفة المتقدمين على عهد سقراط . وأرسطو لا يستعملها إلا مرة واحدة في تاريخ الحيوان ، ١ : ١١ : ٤٩٢ a . وربما استعارها أفلاطون من معجم الأطباء في عصره . ما لم يكن استخدامها في نصنا هذا أول استعمال مهنيّ فنيّ لها .

لدى إنذار العقل بأن عملاً جائراً يُرتكب بحق الأعضاء من الخارج ، أو من قبل إحدى الشهوات في الداخل . فيكون الشعور هكذا مصغياً للعقل ويتبعه في كل الظروف والاحوال ، ويدع القسم الأفضل بين جميع الأعضاء يقودها ويسوسها .

(الرئة ووظائفها)

وإذ سبق الآلهة وعرفوا أن نبضات القلب وقفزاته تُثار لدى توقعه المكارة واستيقاظ الروح الغضبية ، وأن مثل ذلك التضخم يحدث كله في الأعضاء بفعل النار ، دبروا له إسعافاً وغرسوا في جواره صنف الرئة ، وهي أولاً ليننة وخالية من الدم . ثم إنها تحوي في داخلها نخاريب مثقوبة كأنها نخاريب الاسفنج^(٣) ، كي تتقبل النسيم العليل والشراب ، فتسبرُد وتوفر للقلب في اضطرام غضبه ، شيئاً من الاشرار والرخاء .

ولذا وزع الآلهة قوات القصة الرئوية على الرئة ، واكتنفوا بها القلب ، وجعلوها له بمثابة منضدة ، حتى إذا ما احتاج فيه الغضب وبلغ ذروته ، وقفز القلب على عضويين له ويخضع ويؤتبه شيئاً من البرودة ، يقلّ تعباً وعناؤهُ ويستطيع مع روح الغضب أن يخدم العقل خدمة أعظم^(٤) .

(٣) كلمة الإسفنج تعريب لمرادفتها اليونانية أسببونونغس spongos (المعرب) .
(٤) في وظيفة التنفس راجع فيما بعد المقطع e v ٨ . إن الهواء الذي يلج الجسم لاسيما الرئة ، يبرد الدم ، وهذه النظرية عينها نلقاها منذ عهد بعيد عند أميذوكليس المقطوعة ١٠٠ (Vors . 3.1.258) ، وعند الأطباء الصقليين (فيليستين ، مقطوعة ٦ ، في غالينوس ٤ : ٧١) ، مقطوعة ١٥ ن . م .) وإفلاطون في المقطع b v ٠ ، يتبنى مذهب المدرسة الصقليية في ما يتعلق بوظائف القلب (Wellmann : Die Fragmente der gr. Aerzte . I , 1901 , p. 16) .

الفصل الأربعون

روح تغذية الجسم

أما قسم الروح المائنة الشهوانيّ ، الراغب في المآكل والمشارب وما
يحتاج إليه إجمالاً بسبب طبيعة الجسد ، فقد أنزلوه في البقعة الواقعة بين الغشاء
الحاجز وحدود السرة . وقد هندسوا هذا المكان كله ، وجعلوه بمثابة معلفٍ أو
مزود لغذاء الجسد . وربطوا فيه ذلك القسم من الروح ، وكأنه دابة أو بهيمة
من البهائم الآبدة ، التي يجب أن تُغذّى وهي مقيدة ، اللهم إن رام جنس المائتين
أن يدوم ويبقى . فلنكي تتعلف اذن دوماً بجوار مزودها ، وتلبث أبعد ما يكون
من مقر العقل المشير ، وتحدث أقل اضطراب وصخبٍ ممكن ، وأخفت ضجيج ،
وتدعّ أشرف وأحسن قسم من الروح يتداول في هدوء ما يصلح لمجموعة الاعضاء
ولككلٍ منها بفرده ، لهذه الاغراض كلها اعطى الآلهة القسم الشهواني مرتبته في
تلك البقعة من الجسم .

وعرفوا أنه لم يكن مزماً أن يفهم امور العقل ، وأنته وإن أدرك بحسه
على نحوٍ ما بعضاً منها ، غير مطبوع على الاهتمام لها ، وأنه في الليل والنهار يفتّر
بالروى والخيالات وينقاد لها .

الفصل الحادي والأربعون

بنية الكبد ووظيفته : التبصير والعرافة

وإذ فكر الله^(١) في أمر الروح الشهبانية ، ركب لها صورة الكبد ، ووضعها في مسكن تلك الروح^(٢) ، وجعل الكبد كثيفاً أملس لامعاً ، يجوي العذب والمرّ ، كي تتحدّر الى الكبد من الروح العاقلة قدرة الافكار ، وتقع عليه وقوعها على مرآة تقبل انطباعات لتحوّلها وتعرضها للرؤية صوراً ورسوماً^(٣) ،

٤١ - (١) يمكن أن يعيّن أفلاطون هنا الله بالذات أو المبدع ، لأنّ الله يعمل على تكوين جسم الانسان بواسطة أبنائه الآلهة الثانويّين الذين يقتدون به ويعملون بإشارته (d ٧١) . ويمكن أن يعني الفيلسوف إلهاً من أولئك الآلهة . وهذه الملاحظة تصلح لكلّ المقاطع التالية المماثلة . (المرّب) .

(٢) راجع تحديد الصوت (d ٦٧) ؛ ثمّ يُدْفَرَسْتُس ، كتاب الخواصّ ، ه ، الرأي ١٤٠ ، ١٤١ .

(٣) يقول أفلاطون : « مادة المرارة الجانسة ، ولا يعيّن لمن أو لما هي جانسة . ويمكن أن تكون المادة جانسة للروح الشهبانية . ويمكن أن تكون جانسة للكبد الذي تؤخذ منه ، وهذا معنى مقبول أخذنا نحن به وهو الأرجح ، ولا شيء يمنع من ردّ هذه الصفة إلى الروح الشهبانية ، لأنّ الأرواح حتى العقلانية منها قد رُكِّبَت ، حسب تعليم أفلاطون ، من العناصر التي رُكِّبَت منها الأجسام . غير أنّ القرائن تشير إلى أن المرارة والعدوية هي مرارة الكبد وعدويته . راجع هنا الفصل السابع ثمّ السادس فالرابع عشر . (المرّب)

فترعب الروح الشهوانية تارة ، وذلك عندما تستعمل تلك القدرة قسماً من المادة المرة (٤) الجانسة للكبد . فتتقضّ قوّة الافكار عليها رهية وتهدها ، إذ تخلط بالكبد كله المرارة المستمدة منه خلطاً عنيفاً مزججاً ، وتبدي لتلك البهيمّة ألواناً مريرة (من السخط والاستياء) . وتقبض الكبد وتجعله كله محشوشاً ، وتثني مُغْد الكبد وتلويه بدل أن يكون منبسّطاً قوياً ، وتغلف مداخله (٥) ، وتسبّب الأوجاع والتقيؤ . وتارة اخرى ، تمبّ من أرجاء الفهم والعقل نسمة دعّة وحلم ، فتوسم على الكبد صوراً تناقض الأولى ، فتركد اضطراب المادة المرة ، بامتناعها هي النسمة عن التهييج وإعراضها عن ملازمة وملاسة طبيعة تناقض طبيعتها العقلية ، وتعمد الى العذوبة المغروسة في الكبد أصلاً ، وتستخدمها في معاملة هذا العضو المخبط ، وتصلح ما التوى واعوجّ فيه وتقوّمه وتعيده أملس على ما كان . وتحرر مداخله وحياضه ، وتجعل قسم الروح الساكن بجوار الكبد ودوداً وادعاً ذا تصرف معتدل ، يعتمد إلى العرافة أثناء الليل ، بما أنه لا يحظى بالعقل والتفكير والفتنة .

(العرافة وكيف يمكن أن نفهمها)

وإذ تذكّر الآلهة ، الذين ركبوا أجسادنا ، وصية أبيهم عندما كان

(٤) خلافاً لأي أرسطو الذي ينظر إلى العرافة نظرة شكّ (الاخلاقيات النكوماخية ، ١٣ : ١١٢٧ d ، ٣٠) ، يتكلّم أفلاطون عن العرافين باحترام ، اللهمّ عن الذين يزورهم الوحي الإلهي . (راجع له كتاب الشرائع ، ١ : ٧٧٢ b ، ثم ٩٠١١ : ٩١٤ a) .

(٥) يميّز أفلاطون في الكبد ثلاثة أجزاء . وهي عين الأجزاء التي كان العرافون يتفحصونها . (أرسطو ، تاريخ الحيوان ١ : ١٧ : ٩٦٦ b ، ٣٢) . وهذه تلك الأجزاء : اللغْد ، وغدّة المرارة (ذُخِيه) ، وعرق المدخل (pilai) وهي نفسها يعدّها إفريبيديس في مأساة إلكترا ، ش ٨٢٨ .

يوصيهم أن يضعوا الجسم المائت أفضل صنعة قدر طاقتهم ، قوتوا القسم الحقيير المنحط منا على ذلك النحر المبيّن أعلاه ، كي يلزم هو أيضاً الحقيقة على وجه من الوجوه ، ووضعوا فيه العرافة لذلك . والدليل الكافي على هذا الامر ، هو ان الله اعطى العرافة للقسم الفاقد الفهم والفطنة في الانسان ، إذ ما من احد يتعاطى العرافة الإلهية الصحيحة ، ويلازمها وهو في حالة الوعي ، بل في حالة النوم ، حين تقيّد قدرة إدراكه ، أو يتخلى عنها لو هن المرض او ثورة الروح واهتياجها . وعلى العاقل الصاحي والواعي ان يتذكر الحلم أو انفعال الكبد ، ويفكر بما قالت طبيعة العرافة او طبيعة هيجان الروح ، وأن يستعيد الحيات التي تراءت له ، وان يعرض كل هذا على منطقته ، ليحلل ماتشير اليه احلامه ، وعلى أي وجه تشير اليه ، ولئن تشير بشرّاً او خيرٍ مقبل او ماض او حاضر . وهذا كله ليس عمل الفاقد الوعي المهتاج والمستقرّ بعد في تلك الحال . فمثل هذا لا يحكم بذاته على ماتواي له وماطرق مسامعه . ولقد قيل قديماً وبحقّ ، أن السليم العقل وحده جدير بأن يتدبّر أموره ويعرف ذاته ومصالحته .

ومن هذا القبيل أقام الشرع طائفة الانبياء ليقتضوا ويبدوا حكمهم في شؤون العرافة الالهية ، وهؤلاء يسميهم البعض عرّافين . إلا أن الذين يسمونهم بهذا الاسم يجهلون كلّ الجمل ان تلك الطائفة من الانبياء تفسر اقوالا غامضة ورؤى مُغلّقة ، ولا يصلح قطعاً ان يُدعى اصحابها عرّافين ، بل ان يسموا انبياء ماتوحيه العيرافة (الالهية) .

فلهذه الأسباب إذن تكوّنت طبيعة الكبد على الغرار الذي وصفناه وفي المكان الذي عيناه ، وذلك لاجل العيرافة . وعلاوة على ما قدّمنا ، إن مثل هذا العضو له إشارات الاوفر جلاء في حياة كل فرد . ولكن إن حُرِم الحياة غداً أعمى ، واحرز نبوءات على قدر من الظلام ، لاتشير معه إلى امر واضح .

الفصل الثاني والأربعون

الطحال

وهذا تركيب الحشى المجاور للكبد . وقد وقع مقره على اليسار لأجلها ليحفظها دوماً لأمعة نقيّة ، وقد وُضع بقرب الكبد بمثابة إسفنجة او بمسحة مهبأة ومعدّة بصورة دائمة لمسح مرآة . ولذلك كلّمّا تراكمت حول الكبد بعض الأوساخ والأقذار ، بسبب أمراض الجسد ، تستوعبها جميعها فخاريب الطحال وتنظف الكبد ، لأن الطحال قد حيك اجوف خالياً من الدم . ومن ثمة ، عندما يتملى من تلك الاقذار ، يتضخم وينمو بفعل تلك المواد الملوّثة . ثم عندما يتطهر الجسم ، يعود الطحال ويطمئن ويستقر في وضعه الطبيعي .

(الختام : ماسبق محتمل)

فلنتساءل الآن إذن بشأن قضايا الروح ، ماحرزت من قسم مائت ومن قسم إلهي ، وأين وُضع كل قسم منها ، ومع أيّ أعضاء ولأية علة انزل كل واحد على حدة . فبشأن هذه القضايا كلها ، هل قلنا الصحيح ؟ قد نجرؤ على تأكيد ذلك بجزم إن أيّدنا الله ووافق على اقوالنا . في تلك الحالة فقط نستطيع التأكيد . ومع

ذلك هل قلنا شيئاً محتملاً ومعقولاً في القضايا المذكورة؟ لا بد أن نجازف ونقرّ
بذلك الآن، وحتى بعد بحث وتحصيل ادق. لا بل فلنقل أننا قدمنا شيئاً معقولاً.
أما الموضوع الذي يلي أبحاثنا السابقة، فعلينا أن نتابعه بناء على المبادئ
عينا التي اتبعناها. وهذا هو الموضوع: كيف نشأ باقي الجسم. لقد كان يليق به
أكثر من الجميع بكثير، أن يتركب بناء على الاعتبار التالي.

الفصل الثالث والأربعون

الجوف والامعاء

لقد عرف مر كبو جنسنا ما سنطبع عليه من إفراط وبطر في المأكل
والمشرب ، واثنا سنعمد إلى هذا وذاك ، بسبب الشره والنهم أكثر بكثير مما
يفرض الاضطرار والاعتدال. فلكي لا يتفشى الهلاك إذن ويفتك بنا فتسا ذريعا،
ولكي لا يفنى الجنس المائت سريعاً قبل ان يكتمل ، سبق الآلهة ورأوا كل
هذه المحاذير ، ووضعوا ما يسمونه الحشا في اسفل البطن ، وجعلوه مستودعاً لحفظ
فائض المشرب والمأكل^(١) . ولفوا فيه الامعاء ، كي لا يضطرّ الغذاء ، بمروره في
الحشا سريعاً ، الجسم بأن يلتبس غذاء آخر جديداً ، وكي لا يؤتية النهم والجشع
بسبب شره بطنه ، فيخلق هكذا جنساً لا يتولع جميعه بحب الحكمة والفنون ،
ولا يتقاد ويخضع لأوفر ما فينا من الجواهر ألوهة .

٤٣ - (١) ان علماء التشريح القدامى يميزون في الجذع ثلاثة أقسام : الرأس
ومقاطعة القلب أو قفص الصدر والجوف الاسفل تحت الحجاب الحاجز . راجع التيمش
٧٣ a و ٧٨ c و ٨٥ d . ثم ارسطو ، تاريخ الحيوان ١ : ٧ : ٤٩١ a ، ٢٨ ، ١٧
٢٩ b : ٩٧

الفصل الرابع والأربعون

العظام واللحم والنخاع

أما طبيعة العظام واللحوم وما شاكلها من طبائع ، فقد جرت الأمور بشأنها جميعاً على النحو التالي . ان مبدأ هذه الطبائع طراً هو مولد النخاع . اذ ان رُبُط الحياة قد نيّطت به ، لأنّ الروح مقيدة ومرتبطة بالجسد . ورُبُط الحياة أصلت في النخاع جنس المائتين . وتولّد النخاع ذاته من عناصر أخرى . لأنّ أولى المثلثات ، لانتظامها ونعومتها ، كانت قديرة غاية القدرة ، بسبب دقتها تلك ، أن توفّر النار والماء والهواء والتراب . ففصل الله كلّ جنس من هذه الاجناس الواحد عن الآخر ، ومزجها بعضها ببعض في تعادل وتوازن ، وبفتنته لابـداع زرع شامل لكل الجنس المائت ، صنع النخاع من تلك الاجناس الاربعة .

وبعد ذلك ، غرس فيه اجناس الأرواح وقيدها به . وبجسب الاشكال التي كانت هذه الاجناس مزمعة أن تتخذها ، والمزايا المرتبطة بأصناف الارواح ، بجسب هذه المزايا وتلك الاشكال ، قسم الله النخاع حالاً الى اشكال بمائة ، وجباه مزايا موازية ، في ذلك التوزيع الحاصل منذ البداية^(١)

٤٤ - (١) يظهر هذا النص أن معضلة الوراثة لم تفت أفلاطون . ويبدو أنه ميل الى نظرية تكيف البذار تكيفاً سابقاً أصلياً . راجع ص ٧٦ . c . -

(الدماغ) .

وذلك القسم من النخاع ، المزمع أن يقبل فيه الزرع الإلهي ، قبول الأخدود للبذار ، بعد أن صاغه كروياً من كل صوب ، سمّاه دماغاً . إذ الرعاء المعدّ لقبول هذا القسم ، بعد اكتمال كل كائن حي بمفرده ، سوف يكون الرأس .

(النخاع الفقاري والنخاع العظمي) .

أما القسم المزمع أن يتقبّل الفرع الباقي المئات من الروح ، فقد قسمه الله الى أشكال مستديرة مستطيلة ، وأطلق على كل تلك الاشكال اسم نخاع . وكان الدماغ والنخاع مَراسٍ أناط بها رُبُط كلّ روح الحي . وحول النخاع برمته صنع عندئذ جسماً ، وقبل ذلك جعل للنخاع بجملته لوقايته غطاءً كثيفاً عظيماً .

(العظام عموماً) .

والعظم قدر كتبه على الوجه التالي . غرّبل تراباً صافياً ناعماً ، ثم بلّله بالنخاع وجبهه .

وبعد ذلك وضعه في النار ، ثم غطسه في الماء . وأعادته الى النار ، وثانية الى الماء . وما انفك ينقله هكذا من النار الى الماء ومن الماء الى النار مراراً ، حتى جعله لا يتنوب في كليهما

(الهامة والفقرات) .

واستعمل هذا العظم ، وصنع منه كرةً في قالب ، وجعلها حول الدماغ

a من النخاع ، وترك فيها مخرجاً ضيقاً . وحول نخاع الرقبة والظهر ، صاغ من ذلك العظم فقرات ، وكان كلامها نجران باب ، وذلك بدءاً من الرأس وخلال الجذع كله . ولكي يحفظ هكذا زرع (الكائن الحي) كله ، حصنه بسياج حجري ، وجعل في السياج مفاصل .

(المفاصل) .

واستعان في صنع المفاصل بقدره « الآخر » ، على أنها قائمة في وسطها ، لأجل الحركة والإنحاء .

(الأوصال واللحم)

b واذا فكر الله أن الطبيعة العظمية ، في وضعها القائم ، أوفر جفافاً وتفتتاً وصلابة مما يلزم ، ثم إنها بتعرضها لحماوة النار وبردها من بعد ذلك ، قد يصيبها النخر والتهرؤ ، فتفسد سريعاً ما حوت في داخلها من زرع . فبسبب المحاذير اذتة وأبدع هكذا جنس الأعصاب أو الأوصال وجنس اللحم ، كي يربط الاعضاء كلها بالاول ، ويجعل الجسم كله قابلاً للإنحاء والتمدد ، بشدة الأوصال وارتخائها حول كل نجران . اما اللحم ، فقد جعله حماية من الإحراق ، ووقاية من الشتاء وقره ، وحرزاً من الكبوات والسقطات ، فيكون بمثابة ثوب من لباد ، ينقاد للجسام بلين ووداعة .

c (العرق)

واللحم يحوي في داخله مسادة رطبة حارة ، ترشح في الصيف وترطب الجسم برمته ، وتكفل له شيئاً من البرودة . ثم تعود في غضون الشتاء وتقيه بما

تحمي من نار وقاية كافية من هجمات الجليد المتراكم حوله في الخارج (٢) .

(تركيب اللحم والواصل)

لما فكر المبدع الذي جبل جسدنا ، وكأنه صانع شمع ، بهذه الامور
أخذ ماءً وناراً وتراباً ، وخلق انسجماً بين هذه العناصر ، ومزجها بعضها ببعض ،
وخلط بها خميرة من حامض وملح وضعها فيها ، وزكّب لها ماويأ وطريئاً .

أما طبيعة الأواصل فقد صاغها من مزج عظم ولحم لم يداخله الحمير ،
وضع منها طبيعة واحدة متوسطة المزايا والقدرة بينها ، واستعمل لصبغها اللون
الأشقر . ومن ثمّة نالت الاواصل سجيّة أوفر تماسكاً وقساوة من اللحم واكثر
لزاجة ، وشينشينة أغزر مرونة ورطوبة من العظم . فاتخذ الله هاتين المادتين ،
وشد النخاع الى العظام وأوثق ربطها بعضها الى بعض بواسطة الاعصاب ، وبعد
ذلك غشاها وظلها باللحم من فوق الى أسفل .

والعظام المنطوية على اوفر قسط من الروح إذن ، غلفها بأزهد كمية من
اللحم . والتي خلّت في داخلها اكثر ما يكون من الروح ، غلفها بأفر كمية من
اللحم وأغلظها . وحيث أظهر العقل أن الضرورة لا تفرض البتة وجود اللحم ،
انمى الله هناك قليلاً منه . كي لا يكون اللحم عائقاً من جهة لمثاني الجسم ومنعطفاته ،
فيجعله صعب التنقل ، لأنه غذا عسر الحركة . ولا يكون اللحم من جهة أخرى
متوافراً كثيفاً ، فيتكسد بعضه فوق بعض ، وبسبب قساوته ومثاقته يصدّ
الجسم عن الاحساس ، ويجعل الذهن طائشاً والفكر زهيد الحفظ . ولذا فقد
اكتظّ باللحم عظم الفخذ والساق والورك والساعد والذراع ، وما فينا من عظام

(٢) يذكر أئيتيس رأياً لأمبذكليس يدعي فيه أن العرق ينجم عن فساد الدم .

الا أن افلاطون هو اول من أظهر في جلاء دور العرق في تعديل حرارة الجسم .

بلا مفاصل ، والعظام الداخلية الحالية من العقل والفهم لضالة الروح في النخاع .
هذه جميعها تكاثر اللحم حولها وأحدق بها (٣) .

أما العظام الفهيمة فقد شح لحمها . ما لم يركب الله بعض اقسام اللحم
تركيباً متنوعاً في حد ذاته بغية الشعور ، نظير صنف لحم اللسان . لكن معظم
الاصناف من اللحم ، قد ركب على ذلك النحور . لأن الطبيعة التي تنشأ وتتغذى
بفعل الضرورة لا تبقل على أي وجه أو حال عظماً كثيفاً ولحماً وافراً ، ومع
هذين ، شعوراً مرهقاً .

(طول العمر ونسبة اللحم على عظام الجمجمة)

ولو شاءت هذه الامور أن تتفق وتتلاقى في آن واحد معاً ، لأخرزها
قبل أي تركيب آخر تركيب الرأس ، ولنال جنس البشر ، بامتلاكه فوق جذعه
هامة قوية مكتظة باللحم والعصب ، حياة أطول من حياته الحاضرة مرتين أو عدة
مرات ، وأوفر عافية وأقل اوجاعاً وارتاحاً . اما الآن ، فإذا راح مبدعوننا
يتساءلون بشأن حدوثنا ووجودنا ، هل يصنعون جنساً اطول عمراً وأحط خلقاً
وفضلاً ، او جنساً أقصر عمراً وأوفر فهماً وفضلاً ، بدا لهم أن يختاروا لنا ، ويفضّلوا
لكل انسان على وجه الاطلاق ، عمراً أوجز واحسن ، على عمر اطول واسوأ (٤) .

(٣) ان مينن ، في الكتاب المغفل اللندي ، ف ١٩ ، يلخص هذا المقطع وينسب
ما يعرض من تعليم ال افلاطون . غير أن قسطاً من الأحداث المستشهد بها هنا ، لاحظها
ربما أمبد كلييس من قبل (راجع المقطوعة ٩٦) ، أو ذموكرتس في كتابه « في الجسد
Péri Sarkos . ونجد توسعات ماثلة عند أرسطو ، اعضاء الحيوان ٢ : ١٠ : ٦٥٦ a
١٩ ، ٦٥٤ b ، ٢٧ ، ٦٥٣ a ، ٣٠ ثم مولد الحيوان ٢ : ٦ : ٧٤٤ b ، ٢٣ . وفي وظائف
اللسان ، راجع كتاب النفس ٢ : ٢ : ٤٢٣ a ، ١٧ .

(٤) هذا الموضوع قد عولج مراراً بعد ارسطو . ويحتمل أن يكون ذموكرتس
قد سبق وعالجه . واستقيس : ٤ : ٤٤ : ٨١ w ، يحوي مجازاة لدموكرتس يستعرض
فيها الأسباب التي من شأنها أن تطيل الحياة او تقصرها (Vars . 3 , 2 , 138) .

ومن ثمة غطوا الهامة بعظم دقيق ، ولم يغلفوها باللحوم والأوصال ، إذ ليس لها انحناء ولا انعطاف . ولهذا الاعتباراتها كلها ، اضيف الى جسم كل انسان رأس ارفع شعوراً واكثر فطنة وفهماً ، ولكن اضعف بكثير من باقي الاعضاء .

(الأوصال وأوضاعها)

أما الأوصال فقد وضعها الله هكذا لما قدمنا من علة ، في أسفل الرأس ، وأدارها حول العنق ، ولصقها موزعاً إياها بالتساري ، وربط بها أطراف الافكاك عند أسفل الوجه . أما الأوصال الأخرى فقد وزعها على سائر الاعضاء ، ووصل بها بين مفصلٍ ومفصلٍ .

(الفم والأسنان)

هذا ، وان الذين أبدعوا ونمقوا جبلتنا ، قد زينوا الفم ونظموا اقتداره بواسطة الاسنان واللسان والشفاه ، لأجل ضروريات الحياة وأسمى الخيرات ، ورتبوه على ترتيبه الحالي . وقد تفتنوا في صنع مدخله لأجل الضروريات المعاشية ، وصنع مخرجه لأجل أفضل الغايات . اذ الضروري أولاً هو كل مايلج الجسم ليؤتبه الغذاء . أما غدبر الأقوال المنساب إلى الخارج ليخدم الفهم والفكر ، فهو ثانياً أبهى الغدران وأنجعها . هذا من ناحية .

(جلد الهامة ، تضاعيف عظامها والتحامها ، الشعر)

بيد أنه لم يكن في الوسع من ناحية اخرى ، ان يُستترك الرأس جمجمة عظمية مجردة ، بسبب تقلب الطقس في الفصول ، واشتداد القبط او القرّ فيها . ولا ان يظل بالحجم والاصال فيزدرى ، لأنه غذا ، بسبب كظته باللحوم، غيباً

a بلا إدراك ولا شعور . وبما ان الطبيعة اللحمية لا تنشف ، فقد نشأت فيها قشرة غليظة وانفصلت عنها ، وهي ما يُقال له الآن الجلدة . وهذه الجلدة ، بسبب الرطوبة المحدقة بالدماع ، تسرب بعضها الى بعض ، فتفرّعت ثم تلاصحت واستدارت حول الرأس وغطّته . ورشحت الرطوبة خلال تجاعيد العظام ، وسقت الجلدة وندّتها وأغلقتها على الهامة ، رادّةً إياها على الرأس كأنها عمامة .

b أمّا جنس تجاعيد العظام وتضاعيفها المتنوع جدّاً ، فقد حدث ونجم عن قدرة دورات الروح وعن قدرة الغذاء . فإن احتدم القتال واشتدّ الحراك بين هاتين القدرتين ، تكاثرت التجاعيد ، وإن فتر الاستبناك قلّت التضاعيف .

c وقد ثقت الألوهة هذه الجلدة كلها على دوائرها بالنار . ولذا ثقتبت واندفعت منها الرطوبة الى الخارج ، ما صفا من المادة النديّة والمادّة الحارة ذهب أدرج الرياح ، أمّا ما إمتزج منهما فكان هو الجلد . وحمله الاندفاع الى الخارج . فامتدّ بعيداً وانتشر . وبسبب ثقوبه حافظ على رقّة متساوية . إلا أن الهواء الخارج المحدق به ، (الحركة الدافعة) ، كان يصدّه ويعيده الى الداخل تحت الجلد ، حيث يُحسّر ويتأصل .

وبناء على هذه الانفعالات ، نشأ جنس الشعر في الجلد . واذ هو من نوع السيور فهو مجانس للجلد ، لكنه أقسى وأكثف منه ، لأنه يتراص عندما يبرد . إذ كلّ شعرة عندما تفارق الجلد تبرّد وتتراصّ عناصرها (٥) . وعلى هذا النحو

(*) ان مسألة تكوّن الشعر كان أمبذكليس قد عالجه . راجع ثيوفوستس ، كتاب الحس ، ٢٣ ، (Van , 3 , 1 , 220 , 28) . ولعل أمبذكليس سبق وأشار الى قائل الشعر والأظافر وريش الطيور (التيمس ٦٤ ، c ٧٦ ، e ٩١ ، d) . وأرسطو في كتابه مولد الحيوان ، يخالف أفلاطون في شرح أصل الشعر . ولا تدري هل تعلم افلاطون بهذا الشأن هو نظرية أبداعها وانفرد بها ، أو استعار عناصرها من الغير .

أبداع صانعنا هامتنا كثيفة الشعر، معتمداً على الاسباب المذكورة سابقاً، ومفكراً أنه يجب أن يحلّ الشعر محلّ اللحم حول الدماغ لأمانه ؛ فيكون له غطاء خفيفاً، ويوفر له آتاء الصيف والشتاء ظللاً كافياً وحمى وافياً ، دون أن يشكل أي مانع أو عائق يحول دون الشعور المرهف .

(الأظافر)

ومن تشابك العصب والجلد والعظم حول الأصابع ، نشأ مزيج مشترك من هذه المواد الثلاث ، وجف فصار جلداً واحداً قاسياً ، أبداعته هذه العلة المتضافرة . ولكن الفهم ، العلة العظمى والقصى ، صنعه لاجل الغايات الواقعة عقب ذلك في المستقبل . إذ عرف الآلهة الذين ركبوا أجسادنا ، أن النساء والبهائم الأخرى سوف تنحدر يوماً من الرجال . كما أنهم علموا أن جماعة كبيرة من الدواب ستحتاج الى استعمال أظافرهما في كثير من الأغراض . ولذا طبعوا فوراً في تكوين البشر أصل الاظلاف والمخالب .

ولهذا السبب وهذه الغايات ، أنموا الجلد والشعر والأظافر على أطراف الأعضاء .

الفصل الخامس والأربعون

اصل النباتات

لما نشأت كل اجزاء الحيوان المائت وجميع اعضائه ، واتفق له بحكم
الضرورة أن يعيش في النار والهواء .

وبسبب ذلك كان معرضاً لأن يهلك بفعل هذين العنصرين العاملين على
إذابته وملاشاته ، دبّر له الآلهة عوناً وغيوثاً . فزرعوا طبيعة تجانس الطبيعة
الانسانية ، ومزجوا عناصرها من صور تغاير صورته ومن مشاعر تختلف عن
مشاعره بحيث أمست كائناً حياً آخر^(١) . وهي الآن الاشجار والنباتات والبذار
الأليفة ، التي تتصرف معنا باللين والليافة ، بعد أن هدّبتها الفلاحة . أما في الزمن
الغابر ، فقد انتشرت اصناف النباتات الحرجية الوحشية وحدها ، لأنها أقدم من
النباتات الاليفة (الجنائية وما إليها) .

(أرواح النباتات)

لأن كل ما يشترك في الحياة ، قد يحق أن يقال عنه وعلى أصح الوجوه ،

٤٥ - (١) حسب ابولترخس ، في كتابه « المسائل الطبيعية » ١ : ٩١١ d
اعطى انكسغورس وذموكرتس وافلاطون النبات تحديداً واحداً ، وهو الحيوان المغروس
في تربة Zoon Enguion وعد هؤلاء النباتات حيوانات أمسكت عن حركة التنقل .

إنه حيوان أو حي . وبشترك هذا الكائن الحي الذي كلامنا فيه ، بالصف الثالث من الروح ، القائم طبقاً لما قيل بين الحجاب الحاجز والسرة . وهو لم يحظ قط لا بالظن ولا بالبرهان ولا بالعقل ولا بالأدراك ، ولكن بشعور الذة والألم ترافقه الرغبات . لأنه لا ينفك يتحمل كل شيء ويتفاعل بجميع الانفعالات . ولم يُفطر في حدوثة ومولده على ان يلتفت في ذاته الى ذاته ، ولا ان يدور على نفسه ، أو يدفع الحركة الخارجية ، أو يستعمل حر كته الخاصة ، أو ينظر إلى ذاته ويفكر بشيء مما يتعلق بأموره .

ولذا فهو يحيا ، وليس شيئاً آخر سوى الكائن الحي ، وقد عُرس ثابتاً متأسلاً لأنه حُرْم من حر كته الذاتية .

الفصل السادس والأربعون

وظائف العروق وتوزيعها

وبعد أن انبت جابلونا القديرون هذه الاجناس جميعها ، غذاء لنا نحن الضعفاء حفروا تُرعاً في جسمنا نفسه واقطعوا فيه قنوات، كما تُقْتَطَعُ في البساتين، كي يسقى من معين فياض . وقبل كل شيء مددوا قناتين خفيتين وجروهما تحت البشرة حيث يلتحم الجلد باللحم . وهاتان القناتان هما العرقان الظهريتان ، لأن الجسم مزدوج ، ذو يمين ويسار . وقد جعلوهما على جانبي العمود الفقاري، واضعين بينهما النخاع التوالدي ، كي يزدهر هذا النخاع ويتوسع الى اقصى حد . وينساب مجراهما من هناك رائقاً غزيراً لانه يسيل في منحدر ، فيسقي الاعضاء الأخرى سقياً متعادلاً سوياً (١) .

٤٦ . (١) ان افلاطون يخلط بين النوايض والاوردة ، وشأنه في ذلك شأن ذموكرتس وارسطو نفسه، (راجع ذموكرتس، مقطوعة ١٢٠ ، ١١ ، 84 ، 2 ، 3 ، Vars) ويبدو ان ذموكرتس قد استعمل كلمة *phlévā* العروق الصغيرة . وكلمة *phléps* ، العرق ، لا توجد عند افلاطون الا في التيمس (٦٦ a-d ، ٢٧ d ، ٢٨ b ، ٧٩ a ، ٨٥ d) . والمجريان اللذان يشير اليهما في هذا النص وهما الاجبر والوتين الاسفل والاعلى يفصلهما أيضاً ارسطو ويسميها العرقين الرئيسيين ، *archigheus flevas* (اجزاء الحيوان ٣ : ٤ : ٦٦٦ b ٢٥ - ٥ : ٦٦٧ b ١٤ - ٦٦٨ a ١) . وتشبيه العروق بجهاز لسقاية البساتين يوجد في ن . م . ١٠ a ٦٦٨ .

وبعد ذلك ، فصلوا بين العروق حول الرأس ، وصالوا بينها . وما كان
منها على اليمين ، اجرؤه على يسار الجسم ، وما كان من جهة اليسار ، حنوه نحو
اليمين واجروه من هذه الجهة ، لكي تربط العروق هي أيضاً في آن واحد بين
الرأس والجسم ، وتكون مع الجلد رباطاً لها ، لأن الرأس لم تحوِّط في حجمتها
بأوصال . لكي يبلغ انفعال الحواس ، الصادر عن أي من الشقتين ، واضحاً
جلياً الى الجسم برمته .

ورتبوا سقاية الجسم من ثَمّة على وجهه هو تقريباً الوجه التالي . ونحيط
به في سهولة ، اذا سبقنا واتقنا على هذا المبدأ الذي سأعرضه حالا .

(آلية الجريان الطبيعية في العروق . صلة هذا الجريان بالتنفس)

وهذا المبدأ هو ان جميع الاشياء المركبة من عناصر صغرى ، تصد الاشياء
المركبة من عناصر كبرى من عناصرها . اما الاشياء المركبة من عناصر كبرى ، فلا
تستطيع ان تصد وتمنع عنها الاشياء المركبة من عناصر اصغر من عناصرها .
والحال ان النار لها قسيات اصغر من قسيات جميع الاجناس وبالتالي تمر وتتجول
خلال الماء والتراب والهواء ، وخلال كل ماتركب من هذه العناصر . ولا شيء
يستطيع ان يصدّها او يمنعها عنه .

وهذا الامر عينه لا بد ان نفقه بشأن جوفنا ، وهو ان الماء والشارب
عندما تهوي اليه ، يصدّها عن اختراقه . اما الهواء والنار فلا يستطيع صدّها ، لأن
القسيات فيها اصغر من القسيات التي تتركب هو منها . فقد استعمل الله إذن
هذين العنصرين للسقاية أخذاً من الجوف الى العروق .

فجاءك نسيجاً من هواء و نار ، يحاكي شباك الصيد . ولهذا الشبكة عند فوهتها كوعان مزدوجان ، ثنى الله أحدهما ، وجعله من جديد مشعبا . وبدء آمن الكوعين مدحّ حول النسيج من فوق الى اسفل رقائق و كأنها من خيزران . و حواشي نسيج الشبكة من داخلها جعلها كلها من نار ، اما الاكواع و غلاف اوعية الشبكة فقد جعلها من نوع الهواء . و اخذ هذا النسيج و حوِّط به الكائن الحي المجهول على نحو مماثل النحو التالي .

دلتى احد الكوعين الى الفم . ولما كان مضاعفا ذا شعبتين أنزل الواحدة (بوعائها) الى الرئة من القصبة الرئوية و انزل الاخرى (بوعائها) على جانب القصبة الرئوية ، إلى الجوف . ثم اخذ الكوع الثاني و شقه الى اثنين ، و انزل فرعيه من مسلكي الأنف . وهكذا عندما لا يمر تيار الكوع الاول المشعب من الفم تزدهم التيارات ، كلها ، حتى تيار ذلك الكوع (الاول المعطل) ، و يمر بالكوع الثاني (المنحدر من مسلكي الأنف) .

و غلاف الشبكة الآخر (الخارجى الذي من نوع الهواء) ، غرسه الله حول ما تجوِّف من جسدنا .

(التنفس)

وجعل الله كل هذا الغلاف ينساب مرة في لبّ الى اوعية (النسيج النارية) لأنه هواء ، وجعل الكواع الأوعية تصعد مرة اخرى مناسبة في نعومة . ثم انه جعل النسيج لشفافة الجسم ، ينغمس خلاله الى الداخل ، و يعود ينقذف خلاله الى الخارج . وجعل الأشعة المقيّدة داخل النار تتبع الهواء في انسيابه من الداخل الى الخارج ، و من الخارج الى الداخل . و نظم الأمر حتى ينقطع هذا

(المد والجزر) من الحدوث ، مألث الحيوان المألث في قيد الحياة . ونحن نؤكد ان واضع الاسماء اطلق على هذا الجنس (من الحركة) ، اسم استنشاق وتصعيد .

(التغذي)

وكل هذا الفعل والانفعال جرى على جسمنا ليرتوي ويستبرد ، فيتغذى ويعيش . لأن النار المقيدة في داخل (اوعية النسيج) ، تتبع النسمة في حركة ولوجها وخروجها ، والنار في ارتقائها الدائم ، تجوز خلال الجوف وتأخذ في اجتيازها المآكل والمشارب وتذيبها وتقسّمها الى قسيات صغيرة ، وتسوقها معها خلال المخارج التي تجتازها ، وكأني بها قد استقمتها من نبع لتصبها في الأقية ، وتفيضها في العروق ، وتدفع بجاري العروق لتتدفق خلال الجسم تدفق القنوات .

v ٩
a

الفصل السابع والأربعون

شرح التنفس وتعليه تعليلاً آلياً

ولكن فلننظر مجدداً إلى انفعال جهاز التنفس ، انرى كيف صار الى ما هو عليه الان ، وأية علة يستخدم لذلك . اليك اذن هذا البحث .

بما انه ليس من فراغ يستطيع المندفع بجر كته ولوجه ، وبما أن النسمة فينا تندفع الى الخارج ، ما ينتج عن ذلك واضح لكل مفكر ، وهو أن المندفع بجر كته لا ينفذ إلى فراغ ، بل يطرد المجاور له من مقره . والمطرود هو أيضاً يدفع المجاور له . وطبقاً لهذه الضرورة الحتمية ، كل ما تطرده النسمة في خروجها ، يندفع إلى المقر الذي خرجت منه . وعندما يدخل الى هناك ويملؤه يعود ويتبع النسمة (في انطلاقها الى الخارج) . وهذا الامر يحدث كانه معاً وكأنه دولا ب انساق في دورانه ، بسبب انعدام الفراغ .

ولذا عندما ينساب نسيم الصدر والرئة الى الخارج ، يعود ويتخزن بسبب الهواء المحدق بالجسم ، اذ يغوص هذا الهواء الى الداخل ، خلال مسام اللحم ، وقد طرده النسيم الخارج . ومن جديد يعاد هذا الهواء على أعقابيه ، فيخرج خلال الجسم ، ويدفع النسمة المستنشقة الى الداخل عن طريق الفم ومسالك التخزين .

(أسباب التنفس العامة) .

وهذه التفاعلات لا بدّ أن نضع علّةً لبدايتها وانطلاقها السبب التالي .
كل كائن حي ينطوي على أحشاء ، تحرق بالدم والعروق ، حرارةً جداً . وكأنها
معين نار تأججت في داخله . وهذا المعين هو الذي مثلناه وشبهناه بنسيج
شبكة ، وقد حيك كلّه من نار ، ومُدّد في وسط الكائن الحي . أما أقسام
النسيج الخارجية (والبعيدة عن الجوف) فقد حيك من هواء .

والحال أن الحرارة ينطلق بطبيعته الى بقعته في الخارج وإلى ما يجانسه .
وهذا المبدأ لا بدّ من الاعتراف به . وإذا كان له مخرجان اثنان ، منفذ الى
الخارج خلال الجسم ، ثم منفذ آخر خلال الفم والمِنْخَرين ، فعندما ينقضّ على
فئة (من أقسام النسيج الهوائية) ، يضغط الفئة الاخرى من حوالها . والفئة
المضغوطة تقع في النار (الداخلية) وتسخن . اما الهواء الخارج فيبرد . وبتغير
الحرارة ، وتحوّل الاقسام (الهوائية) الى حرارة أعظم ، يميل الهواء الأوفر
حرارة من جديد الى المخرج والمنفذ الآخر ، ويندفع اندفاعاً أقوى الى ما يجانسه .
طبيعته الذاتية ، ويضغط الهواء في (الأقسام النسيجية الخارجية) الاخرى . وهذا الهواء
في انفعاله الدائم يعين الانفعالات ، وإحداثه انفعالات دائمة بمثابة بردها لقاء تلك ،
ومخضه بصورة دورية ، وتفاعله من هنا وهنا بعامل الحرارة والبرودة ، يمكن
الاستنشاق والتصعيد من الحدوث .

الفصل الثامن والأربعون

نتائج اخرى مماثلة

وعلل الانفعالات الناشئة عن المحاجم الطيبة ^(١) ، (كاسات الهواء)
وعلل البَيْع ، وعلل القذائف ما انطلق منها في الجو ، وما انقضت منها على
الأرض ^(٢) ، كل هذه العلل لا بد ان نتعقبها من هذه الناحية (التي أشرنا إليها في
الشروح السابقة) . وكذلك الاصوات ، ما بدا لنا منها مريعاً أو بطيئاً عالياً
أو منخفضاً ، وما حمل منها الى اسماعنا قارة ناشراً لا انسجام فيه ، بسبب انعدام
التشابه بينه وبين الحركة التي تثيرها تلك الأصوات فينا ، وتارة متناسقاً منسجماً
بسبب التشابه بينه وبين الحركة المثارة فينا .

٤٨ - (١) كلمة سيكياً تعني القَرَع ، وهو ضرب من الكوسى ، ثم استعملت
من باب التوسّع للدلالة على كاسات الهواء . واستعمل هذه الكاسات عريق في القدم -
في التنفّس ، راجع من المقدمة الفصل السابع ، البحث الثاني ، الفقرة ٦ و ٧ . -
(٢) لفظة Riptouména استعملها ارسطو هو أيضاً للدلالة على القذائف (راجع
له كتاب الطبيعة ٧ : ١٠ : ٢٦٦ b ٣٠) -

(اسباب الانسجام والنشوز في الاصوات)

لأنّ ما هو ابطأ من تلك الاصوات ، يلحق ما كان منها سابقاً وامرّع ،
عندما تكاد حركة هذا الاخير أن تنقطع وتبلغ الى حركة تشبه حركة البطيء .
والاصوات البطيئة في اندفاعها عقب الاصوات السريعة (الموشكة على الانقطاع
عن الحركة) ، تحرك بجرّتها الحركة الموشكة على التوقف . وعندما تلحق الاصوات
البطيئة بالسريعة (لتباطؤ هذه الأخيرة) ، لا تشوش الحركة الاخرى بانقضاضها
عليها ، ولكنها تخلق تشابهاً وتماثلاً بين الحركات البطيئة في الاساس ، وبين
الحركة الأوفر سرعة التي كفت عن اندفاعها السريع . وتمزج هكذا من
الحركة الحادة (أي الصوت الرفيع العالي) ومن الحركة المنخفضة (أي الصوت
الغليظ الثقيل) شعوراً واحداً (منسجماً) (٣) .

ومن ثمّة توفر الذّة لفاقد اللب أو الغالين عن وعيهم ، وتوفّر
الانشراح الروحي للتجاء الليبين ، بسبب محاكاة الانسجام الالهي ، الحاصلة في
حركات مائة .

(ظاهرات اخرى مماثلة)

ومن هذا القبيل ايضاً كل تيارات المياه ، وكل تساقط الصواعق وانقضاضها
وخوارق جاذبية العنبر أو الكهرباء والحجارة الهرفلية المعدنية المغنطيسية .

(٣) لقد أشار ال هذا الشرح في المقطع ٦٧ .

فليس لأي من هذه المواد جاذبية ما . وإنما انعدام الفراغ وضغط هذه الاشياء لبعضها الآخر ، وانطلاق جميعها في تشتتها وتجمعها ، كل عنصر منها الى المقرّ الملائم طبيعته ، بعد استبداله المقرّ الذي كان فيه ، كل هذه الظواهر العجيبة المستغربة ، بسبب هذه التفاعلات المتشابهة بعضها ببعض ، تتضح لمن يبحث عنها حسب طريقتنا .

الفصل التاسع والأربعون

تغذي الجسم

فأمر التنفس اذن ، ومنه انطلق مقالنا هذا ، قد حدث طبقاً لهذه القواعد وبسبب هذه العلة ، على ما أشرنا اليه في توسعاتنا السابقة .

هذا وحين تقطع النار الأغذية ، وترتفع داخل الجسم على أعقاب نسيم التنفس ، تملأ العروق في ارتفاعها بالأغذية المهشمة ، إذ تستمدّها من الجوف وتقيضها في الأوردة والنوابض . وهكذا ، بسبب هذه العمليات ، تجري في كل ارجاء الجسم ، وعند جميع الاحياء « روافد الغذاء » .

وهذه الاغذية المقتطعة ، اذ هي حديثة العهد ، صادرة عن اشياء مجانسة لها ، وقد صدر بعضها عن الائمات ، وبعضها عن الاعشاب والبقول ، التي انتبها الله لهذه الغاية بالذات ، وهي ان تكون غذاء ، تأخذ ، بسبب تمازجها ، ألواناً مختلفة الانواع جدا ويغلب عليها خصوصاً اللون الاحمر ، وهي طبيعة تبدعها النار بتقطيعها الجواهر وانطباعها في المادة الرطبة .

(الدم)

ولذا اخذ لون السائل في الجسم المظهر الذي وصفناه . وهذا السائل

٨١ ندعوه دماً . وهو غذاء اللحوم ، واجمالا غذاء الجسد برمته (١) . ومن ثم ،
a يرتوي كل قسم في الجسم وكل عضو ، ويملاً ما فرغ منه منذ الأساس .

أما طريقة الامتلاء من الدم، وطريقة استنزافه او الافتقار اليه ، فتحدث
مثلاً تحدث حركة كل شيء في العالم بأسره ، تلك الحركة التي يندفع بها كل مجانس
الى ما يجانس ذاته ، لأن ما يحدق بنا من الخارج ، لا يفتأ يذينا ، ويوزع ما اذاب
منا على الصنف المائل ، باعتبار بكل فئة الى فئتها .

(حركة الدم)

و كذلك الاجزاء الدموية فينا ، المشتتة في داخلنا ، والدائرة في كل
b كائن حي كأنما في فلك لها . إنها مضطرة ان تحاكي حركة « الكل » (أي العالم
باسره) . فكل من الاجزاء الدموية اُذن المقسمة في داخلنا ، يندفع الى ما يجانسه
ويملاً عندئذ من جديد ما فرغ في الجسم .

(الشباب والشيخوخة)

فعندما تزيد كمية الدم المستنزف على الكمية المنصبة في الاعضاء ، يذوي
الحي برمته ويذبل . وعندما تنقص كمية الدم المستنزف عن الكمية المنصبة في

٤٩ - (١) كان أنكسفورس قد شرح تركيب الدم على طريقة مماثلة (راجع
أفينيس ١ : ٣ : ٥ الرأي ٢٧٩) . ثم ان اعتبار الدم غذاء للجسم هو تقليد قديم (راجع
تاريخ الحيوان لارسطو ٣ : ١٩ : ٥٢ b ١٩٦ . وله أيضا اجزاء الحيوان ٣ : ٢ : ٦٥٠
a ٣٤) . وفي الفرضيات المتعلقة بطبيعة الدم ، راجع لمينن النظرات الطبية ف ١٩
فق ١ .

c العروق ، ينمو الحي بجملته . فان كان ببيان كل حي اذن حديثاً ، وكانت مثلثات عناصره جديدة بعد ، كأنها واردة من مصادرها ، أحرز ذلك البيان تماسكاً وترباطاً متيناً بين مثلثاته ، وان كانت كتلته المتكاثفة جملة غضة رخصة ، لأنها ناشئة حديثاً عن النخاع ، ومغذاة في الحليب . اما المثلثات الواردة من الخارج والمنطوي عليها ذاك البيان في ذاته . - وقد تتألف منها الماء كل والمشارب - فهو يقطعها بمثلثاته الجديدة ، ويقهرها ويضبطها لأنها أقدم من مثلثاته وأهش منها وهكذا إذ يُغذّي هذا التركيب الحي بمثلثات كثيرة متشابهة وحديثة ، يُسميه ويجعله يتعرع .

d ولكن عندما تحتل (٢) أصول المثلثات ونهي ، لأن كثيراً منها قد جاهد جهاداً طويلاً وقاوم عناصر شديدة ، لا يستطيع البيان عندئذ ان يقصم مثلثات الغذاء الواجبة ، الى مثلثات أخرى تشبه مثلثاته . لا بل تنفصم مثلثاته ذاتها في سهولة . بفعل المثلثات الواردة من الخارج . والحي عندما يقمع ويوهن في هذا الامر ، يدوي ويدبل بجملته . وانفعاله هذا يسمى هراً .

(الموت الطبيعي)

أخيراً ، عندما لا تستطيع المثلثات التي تتخلق الانسجام بين النخاع والعظم ، وتربط بينهما ، الصمود والمقاومة ، وتنفصم عراها لتعها وعنائها ، تحل قيود .

(٢) راجع السفسقي ٢٦٥ ، والتيمس ٦٦ و ٨٤ و ٩٠ . b . يمكن أن تكون لفظنا ريزا و خلان قد استمدتا من المعجم البيثغوري . وقد استعمل ير منيذس كلمة خلان وهي تشبه ألقاظنا العربية تحلا و خلا و اختل بلفظها ومعانيها . (المرّب) .

الروح . واذا تطلعت هذه من أغلالها ، تجاري طبيعتها بلذّة وتطير . لأنّ كلّ ماخالف الطبيعة أليم . وما جارها لذيد . والموت أيضاً يراعي هذه الاصول نفسها . فإن حدث بسبب الامراض والجروح كان عنيفاً أليماً . وإن جاء مع الشيخوخة في نهاية العمر بصورة طبيعيّة ، كان أقلّ الآجال شدّة وعناء . لا بل صحبه شيء من المتعة ، لا شيء من الألم والغم .

الفصل الخمسون

شرح عام للأمراض

أما مسألة الامراض من أين تنشأ ، فقد غدت واضحة بعض الوضوح لكل فكر نبيه . لأنّ الأجناس (أي العناصر) التي تكاثف منها الجسد أربعة . وهي التراب والنار والماء والهواء . وتزايد هذه العناصر ازدياداً مفرطاً أو تناقصها تناقصاً يخالف الطبيعة ، وانتقالها من موقعها الخاصّ الى موقع غريب ، ثم إن تعدّد الأنواع في عنصر النار والعناصر الاخرى ، واستيلاء كلّ منها على ما لا يلائمه من تلك الأنواع ، هذه العلل جميعها وكلّ ما سألها ينشئ اضطرابات وأمراضاً . إذ إنّ كلّ عنصر او ضرب من العناصر يخالف الطبيعة ويخرج عن موقعه الخاصّ ، يجعل العناصر الاخرى تسخن بعد برودة ، وتنتدى بعد جفاف ، وما كان منها خفيفاً يسي ثقيلاً ، والثقيل يضحى خفيفاً ، فتقبل العناصر هكذا كلّ القلبات وعلى كل وجه .

فنزّك إذن أنّ الحيّ يلبث صحيحاً معافى في حالة واحدة فقط ، وذلك عندما يضاف الشيء فيه الى مثيله او يطرح منه ، طبقاً لنظام واحد وعلى طريقة واحدة وفي نسبة واحدة ، فيتبيح الحي هكذا للشيء أن يثبت في ذاته بمائلاته . وما يحدث خلافاً لهذه العناصر او القوانين في وروده او صدوره ، يجري تغيرات من كل نوع وأمراضاً وتهلكات لا حصر لها .

(اعتبار آخر أدق بشأن الامراض)

وإذ تألفت تراكيب ثانوية طبيعية ، كان لابد من النظر الى الامراض .
نظرة ثانية ، والتأمل فيها مجدداً لمن يريد ان يفهمها .

فالنخاع والعظم واللحم والأوصال تتكاثف وتنشأ من هذه التراكيب
الثانوية . والدم أيضاً يتولد منها عينها ، ولكن على وجه مختلف . وأغلب الامراض
ينشأ على النحو الذي مبين سابقاً . غير أن أخطرها تشتد وطأته على الصورة
الآتية .

عندما يجري تحويل هذه المواد (الحية) على عكس ما انطبعت عليه ،
حينئذ تفسد وتتلف ، لأن اللحوم والأوصال تتولد بحسب الطبيعة من الدم ،
فتصدر الأوصال من المادة الحيطية في الدم ، بسبب التجانس بينهما ، واللحوم
من المادة المنخشرة في الدم ، حين تنخسر وتنفصل عن المادة الحيطية . وما يتعصر
من الأوصال واللحوم ، وهو ديسم ولزج في آن واحد ، يلبصق اللحم بجوهر
العظم ، ويغذي العظم ذاته ، المحدق بالنخاع وينميه (١) . وأما المادة النازفة خلال
كثافة العظام ، فهي أنقى جنس من المثلثات ، وأدق جنس وأدسمه ، ترشح
من العظام وتنصب في النخاع فتسقيه . وإن جرت الامور على هذه الاصول ،
كان معظمها سليماً صحيحاً . وتدب الامراض حين تجري على عكس ذلك

هـ (١) تدل لفظة nevra على الأوصال أو الأطناب ، وهي الربط سينديسي عند

أرسطو ، تاريخ الحيوان ٣ : هـ . وحسب القرائن يبدو أن كلمة is. inos
تدل تارة على العضلات عموماً ، وطوراً على القسم الليفي أو الحيطي في
الدم . والعنصر اللزج في الدم هو ربما العنصر الناجم عن الليف الدموي أي
غلاف العضل ، أو هو المادة اللزجة التي تسقي المفاصل .

(أصل الأخلاط الخاطئة وما تسببه من الامراض)

ف عندما يبيع اللحم ، ويزجي مائعه الى العروق ، حينئذ يختلط الدم الغزير المتنوع بالهواء ، ويتشج في الاوردة والشرايين بضروب من الألوان والمرارة: أضف اليها الحموضة والملوحة بما لهما من فعاليات ، ويحتوي صنوفاً من الصفراء والخطارة والنخام او القيح (٢) . لأن كل هذه المواد قد صارت الى حالة تداع وفساد . ومن ثمة ، فهي أولاً تقضي على الدم وتهلكه . وإذا غدت لا توفر للجسم أي غذاء ، فهي تندفع الى كل ارجائه خلال العروق ، غير محافظة قط على نظام دوراتها الطبيعية متعادبة فيما بينها ، اذ لا يوفر بعضها لبعض متعة ما ، تحارب ما بقي متماسكا من الجسد وعلى حالة جيدة ، قائماً في مكانه ، فتذويه وتهلكه . فأعققت قسم من الجسم اذن يبيع . وإذا أمسى صعب التطبيقخ او الاستواء ، فهو يسود بفعل الحموة المستولية عليه من عهد بعيد . وبسبب تهرئه من كل جانب يصبح مرثاً ، وينقض بقسوة على كل جزء من الجسم لم يفسد بعد . وإذا ذاك يتخذ (اللحم) ذو اللون الاسود الحموضة تارةً بديلة عن المرارة ، إذ تكون عناصر المرث قد دقت دقة أعظم ، وطوراً تعود المرارة وتغوص في الدم ، وتستمد منه لوناً اكثر احمراراً . واذا مازجه اللون الاسود ، يميل الى الاخضرار . وعلاوة على ذلك ، قد يختلط اللون الأشقر بالمرارة ، عندما تذيب النار الناجمة عن الالتهاب ، الحماً جديداً حديث العهد .

(٢) تعني كلمة افليغيا البلغم أو النخام أو القيح . وهي من الأخلاط الباردة ، المادة للصفراء . راجع الجمهورية ٨ : ٥٦٤ B . ونحن نعثر عند تلاميذ هكبرانس وعند أرسطو على التعليم عينه .

(الصفراء)

وقد سميت هذه الأخلاط كلها باسم مشترك هو الصفراء^(٣) ، أطلقه عليها إما بعض الأطباء ، وإما حكيم قادر أن يشمل في نظرة اشياء كثيرة متباينة ، وأن يرى فيها كلها جنساً واحداً يستحق هذه التسمية .

(أخلاط اخرى الغرَق والبلغم والنُخام وما إليها)

والأخلاط الاخرى التي تدعى ضرباً من الصفراء ، كل ضرب منها له حدّ خاص به حسب لونه . أما الحُثارة ، فان صدرت عن مصّل الدم^(٤) ، كانت حلوة المذاق . وإن صدرت عن الصفراء المائلة الى السواد الحامضة ، كانت خبيثة شرسة ، لا سيما عندما تمتاز بها بسبب الحرارة قوة الملوحة . ومثل هذا الحِلط يدعى البلغم الحامض .

اما الحِلط الناجم عن ميعان لحم حديث طريء داخله الهواء ، فهذا الجنس من الأخلاط تمازجه الريح وتلفّه الرطوبة وتخرّقه . فتنشأ فقاقيع عن هذا الانفعال ، لا تشاهد واحدة فواحدة لضآلتها . ولكن مجموعها يؤلف جرماً منظوراً . وبسبب حدوث الرغوة والزبد ، تأخذ هذه الفقاقيع لوناً ابيض في

(٣) ان لفظة خُلّي تدل على صنفى الصفراء ، ما كان منها صفراوياً وما مال الى السواد (٨٢ و ٨٣) : وأرسطو لا يستعمل الكلمة ابدأ في صيغة الجمع .
(٤) لفظة إخوّر تعني القسم الأبيض المائع من الدم ، وتعني من باب التوسع ، الجزء السائل من كل خلط او الحُثارة ، وعند أرسطو هي قسم من الدم له شكل الماء .
راجع تاريخ الحيوان ٢ : ٤ : ١٧٥١٦٥١ .

العين . وميوعة اللحم الغضّ هذه كلها ، عندما يمازجها الهواء في لُحمتها وسداها ،
نسميها النخامة البيضاء^(٥) . ومصل النخام المتروك حديثاً هو العرق والدمع ،
وما مائلها من الرطوبات الاخرى جملة ، الفائضة يومياً من الاجسام لتطهرها^(٦) .

(٥) ان عبارة لفكون افليفا ، النخامة البيضاء تعني رطوبة مادية بلغمية مازجها
الهواء وكون فيها حباً وفاقيع . والعبارة مأفوسة لدى الاطباء المنتمين الى المدرسة
الهيبيكراتيّة .

(٦) لفظة opos او بالاحرى opos تعني مصل النخام او أي خلط آخر عندما
تنفصل عنه المادة اللزجة الدهنية . كذلك يميزون في الحليب المصل opos والمادة الجينية
pyita (راجع لارسطو تاريخ الحيوان) ٣ : ٢ : ٥٢١ b ٢٧ .

الفصل الحادي والخمسون

الاخلاق سبب الامراض

وكل هذه الاخلاق قد غدت أدوات الامراض . وذلك عندما لا يتملى الدم ، حسب الطبيعة ، من الماء كل والمشارب ، بل يستمد حجمه خلافاً لمدن الطبيعة من مواد مناقضة .

فكل لحم إذن يتفكك بسبب الأمراض . إلا إذا لبثت أسسه (سليمة) ، فرطاً المصاب تكون متوسطة نصفية ، لأنه يستطيع بعداً أن يستعيد (صحته) .

٨٤ (صنفنا الامراض الخطيرة الاولان)

١ - ولكن إن مرض ما يصل اللحوم بالعظام ، ولم يلبث بعداً من جهة غذاء للعظم ، بعد انفصاله عن ألياف الدم وعن الأوصال معاً ، ولم يلبث من جهة اخرى رباطاً للحم بالعظم ، بل اصبح خشناً مالحاً جافاً ، بعد أن كان دسماً ناعماً لزجاً (١) ، وذلك بسبب نظام عيش سيء . عندئذ ، اذ يصاب مثل هذا الجوهر بهذه الأرزاء ، يعود ويبرد هو نفسه تحت اللحوم والأوصال ، ويتفكك

٥١ - (١) يظن افلاطون أن اللحم لاصق بالعظام عن طريق مادة لزجة ، تماثل

راسب الدم المتجمد .

عن العظام . واللحوم بانهارها وتساقطها عن أصولها ، تدع الأطناب والأوصال
عارية ومليئة بالأملح (٢) . وهي ذاتها بانكفائها الى مجرى الدم ، تنهافت وتقع
فيه ، وتزيد وفرة الامراض التي تكلمنا عنها من قبل .
ان هذه البلايا التي تنتاب الاجساد لشاقة باهظة . ولكن العاهات التي
تسبق هذه أفدح وأعظم .

فعندما لا يستنشق العظم الهواء استنشاقاً كافياً بسبب كثافة اللحم ،
تسخنه العفونة فيصديه النحر ولا يعود يقبل الغذاء بل هو يبرد ويسري على العكس
مع المادة الغذائية ، وهذه تنصب في اللحوم ، واللحم يقع في الدم ، ويحدث جميع
الامراض التي تفوق السابقة شدة وعنفاً (٣) .

٢ - وتحصل العاهة الأخيرة بين جميع تلك العاهات المتقدم ذكرها ،
عندما تعطل طبيعة النخاع نفسه ، بسبب نقص او إفراط ما ، فتحدث اخطر
الأمراض ، وأشدها فتكاً ، فتؤدي الى الموت ، لأن جوهر الجسم كله يجري بحكم
الضرورة جرياً عكسياً .

(الفئة الثالثة من الامراض)

٣ - وهناك صنف ثالث من الامراض ، ولا بد ان نعرف أنه ينشأ عن
نواح ثلاث : عن الهواء والنخاع والصفراء .

١ - (الامراض الناجمة عن الهواء) :

عندما لا تحوي الرئة ، وهي قيّمة الجسم وخازنة نسباته ، مخارج نظيفة ،

(٢) في أطوار هذه الامراض المختلفة ، راجع المقدمة ، الفصل الثامن .

(٣) يدور حديث أفلاطون ههنا ولاشك على امراض نظير نخر العظام او سرطانها

ولم يأت الفيلسوف من قبل على ذكر تنفس العظام هذا .

إذ يكون جريان الرشوحات قد سدّها ، فلا يعود نسيم التنفس يسري من هنا وينساب من هناك أكثر مما يلزم ، عندئذ يفسد ما لا يحظى من اجزاء الجسم بالانشراح والبرودة ، ويضغط على بعض العروق ويخترقها ويلويها ، ويذيب الجسم ويبلغ الى وسطه ، ويستولي على الغشاء الحاجز^(٤) وينحسر فيه .

ويسبب من جرّاء هذه الاخطاء كلها ، طائفة عظيمة من الامراض الأليمة يصحبها غالباً عرق غزير جداً ، ويحدث مراراً أن يتحلل اللحم في الجسم ويتفكك . وحين يلج إليه الهواء ، ولا يستطيع أن يسري الى الخارج ، يولد له آلاماً هي ذات الآلام السابقة .

ويولد الهواء اعظم الآلام ، عندما يحدّق بالأوصال ، وبما يجاورها من عروق ويورمها^(٥) ، فيجذب هكذا الى الورا الأوصال المتصلة بالعضلات القابلة الامتداد ، وبواسطتها يسحب أيضاً العضلات بالذات .

(مرض التّيسّس ومرض التّيسّس الخلفيّ)

وقد أطلق على هذه الامراض ، بسبب انفعال التشنّج ، اسماً تبيّني أي أمراض التشنّج وابستوثيني أي تشنج الاعضاء والتواؤها الي خلف ، وعلاج هذه الامراض شاقّ ، غير ان الصغفونات أو الحميات ، خصوصاً عندما تتاب العليل في مثل هذه الاحوال ، تليّن الاعضاء وتقضي على الداء .

(٤) لم يبد من سياق الكلام سابقاً ، أن الرئة تقوم بهذه الوظيفة العضوية ، عندما وصف افلاطون (d ٧٠) تركيبها . وفي الحديث عن نظرية التنفس (a ٧٩ ومايلي) لم يذكر الرئة ايضاً . وربما يشار هنا الى الاحتقان الرئوي على انواعه ، والى التهابات الرئة .
(٥) إن التيسّس ، والكلمة يونانية ، أي تشنج الاعصاب ، مرض وصفته بتفصيل كتب المدرسة الهبكراتية .

٢ (الامراض الناجمة عن البلغم أو النخام)

أما النخامة البيضاء فهي صعبة وشاقّة ، بسبب الهواء المحتجز في الفقائيع أو الحَبَب . ولكن اذا لقي الهواء منافس الى الخارج غدت النخامة (أو العلة الناشئة عنها) أخفّ وطأة وأهون ، الا أنّها تلتطخ الجسم بلبخات بيضاء ، وتولد أمراضاً مجانسة لهذه .

والنخامة البيضاء اذا اختلطت بالصفراء الضاربة الى السواد ، وامتزجت بالدورات الإلهية جداً ، القائمة في الرأس ، شوّشت نظامها ، وان دهمت العليل وقت السبات ، فهي اللطف وأهون ، وان انتابت المرضى وهم صاهون ، صعب التخلص منها ؛ واذا كانت هذه العاهة ذات طبيعة مقدسة سرية ، دُعيت بكلّ حق المرض المقدس (٦) .

والنخامة الحادة الحامضة والمألحة هي منبع جميع الأمراض الرشيحة وبما أن مواضع الجسم التي تسيل اليها ، متنوعة جداً ، فقد اتخذت اسماء متنوعة جداً .

٣ (الامراض الناجمة عن الصفراء : الحبوب والبثور) .

أمّا الأمراض التي يُقال انها تحدث في الجسم التهابات ، وذلك بفعل احراقها والهاهيا ، فهي تنشأ جميعها بسبب الصفراء . فالصفراء اذن تأخذ لنفسها منقسماً الى الخارج ، وتبعث في غليانها بثوراً من كل نوع .

(٦) إن المرض المقدس أو مرض الصرع عرفه اقدم أطباء اليونان ووصفوه . (راجع هروذتس ٣ : ٣٣ وهبكراتس ٢٩١ . Aër) وأفلاطون يلمح الى هذا الداء في الشرائع ١١ : ٩١٦ . a

(الالتهابات الداخلية)

ولكنها اذا حُشرت في داخل الجسم ، تحدث فيه امراضاً كثيرة النهاية محرقة ، ويحصل أعظم تلك الامراض ، عندما تخرج بدم نقيّ ، وتحوّل جنس الألياف عن تركيبه الخاصّ .

(وظيفة الاليف الدموية)

وهذه الاليف قد وُزعت في الدم ليحتفظ بالدفّة والميوعة من جهة ، وبالكثافة من جهة أخرى في تعادلٍ وتوازن ، ولا يسيل من مسامّ الجسم لميوعته بسبب الحرارة ، ولا يعسر عليه ان يدور في العروق ، لتثاقل حرركه ان كان مفرط الكثافة . فالألياف الدم بتركيب طبيعتها ، تحافظ على تعادل هذه المزايا . وهذه الألياف ، ان جمعها احد حتى من دم ميت وفي حالة برودة ، يسيل الدم الباقي بجملة ، ولكن ان تركها المرء على حالها ، فهي تجمد الدم سريعاً بفعل البرودة المحدقة به .

(فعل الصفراء في الالتهابات)

واذ كان الألياف هذه الفعالية في الدم ، وكانت الصفراء بطبيعتها دماً عتيقاً ، يعود ويندوب من اللحوم لينصبّ في الدم ، فهي أولاً تتجمد ان وقعت في الدم دافئة رطبة وبعقدار زهيد، بسبب فعالية الاليف ، واذا جمدت وأطفئت بعنف ، ولدت داخل الجسم برودة وارتجافاً .

ولكن اذا تدفقت الصفراء في الدم غزيرة ، تقمع الألياف مجراتها وذفتها . وعندما تقوّرها تهزّها بعنفٍ وتسبب لها الاضطراب . وان غدت قادرة على قمع الألياف الى النهاية ، تجتاز الى صنف النخاع ، وتحمل ربط الروح من هنالك ، كما تحمل ربط سفينة ، وتدع الروح حرّة طليقة .

أما إذا كانت الصفراء ذات كمية أقل . وقاوم الجسم الذوبان ، فهي
تتغلب عندئذ على أمرها . وإما أن تغادر الجسم من جميع مسامه ، وأما أن
تخسر خلال العروق الى اسفل الجوف او الى اعلاه ، فتنبذ من الجسم ، كما ينبذ
المنفيون المشردون من دولة تائرة ، وتحدث عندئذ الاسهال والزحار وجميع
الامراض الممثلة .

(الحمى)

وهكذا ان كان الجسم مريضاً ، خصوصاً من تفاعم النار فيه ، فهو يحدث
الاحتراقات المتواصلة والحميات^(٧) . وان مرض بتفاعم الهواء فيه ، أحدث
الحميات اليومية . وان نتج مرضه عن تفاعم الماء، أحدث الحميات الثلاثية ، لان الماء
أبطاً من الهواء والنار . أما المرض الصادر عن التراب ، فهو يحدث الحميات
الرباعية ، ولا يتخلص المرء منه الا بالجهد ، لان التراب يأتي في الدرجة الرابعة
وهو أبطاً هذه العناصر كلها .

(٧) إن لفظه Plirétos الدالة على الحميات ، هي لفظة عتيقة (راجع
أرسطو ثانس السراميني ، ١٠٣٨ ، ثم لأفلاطون ، فيذرُس ١٠٥ ، وثيوسيديتس
١٧٨) .

الفصل الثاني والخمسون

أمراض النفس

إن أمراض الجسد تحدث وفقاً لما بيننا أعلاه . وأمّا أمراض النفس
فهي تجري على النحو التالي ، طبقاً لاستعداد الجسد .

ولا بدّ أن نسلّم أن اعتلال الروح هو اختلال العقل^(١) . وللاختلال
ضربان ، أحدهما الجنون والآخر الجهل . ومن ثمة ، أيّة إصابة عاناها المرء من
هاتين العلتين ، لا بدّ أن نسميها مرضاً . وكذلك المذات والآلام المفرطة ،
يجب أن نحسبها من أخطر أمراض النفس ، لأنّ الانسان سواء استفزّه الفرح ،
أم عانى عكس هذا الشعور بسبب الألم ، يتعجّل اختيار هذا الشيء في غير
حينه ، أو ردّل ذلك في غير أوانه ، ولا يستطيع أن يرى أو يسمع شيئاً بما

٥٢ - (١) يعثر على نفس التعبير في كتاب الشرائع ٣ : ٦٩١ C أي « أعظم مرض
هو اختلال العقل » . هذا ، وإن العبارة السقراطية « ليس المرء شريراً بإرادته » ،
نجدها مراراً في الحوارات . مثلاً في امبروتغورس d e ٣٤٥ . وحوار غورغيس
٨٠ ، يتوسّع في النظرية القائلة ، بأنّ الإذائل ليست سوى أمراض . ويعمد الى تعابير
يستعيرها من المعجم الطبي : hypoulos ما ليس له سوى ظاهراً الصّحة والعافية ،
Kai aniatos ولا يقبل الشفاء . أمّا في حوارنا هذا ، فالنظرية مدعومة باعتبار
دقيقة مستمدة من علم الحياة .

يقوم اموره . لا بل يشور ثأثره ويحتاج جداً ، ويغدو حينئذٍ عاجزاً كل العجز
عن التعقل ، ويعيداً عن المنطق وعن أعمال الروية .

ومن غزر مناه وتدفق حول النخاع ، وشابه دوحه وافرة الثمار جداً
نمت وترعرت وكثر جناها ، وتجاوزت فيه الاعتدال ، حصل هو ايضاً في كل
امر على اتراح متواترة ، وجنى من رغباته وثمرات الرغبات ملذات وافرة .
وإذ يُصاب بمسّ من الجنون في اطول فترة من عمره ، بسبب الملذات العظمى
والاتراح القصوى ، يحتجز روحه ، في الجسد وبواسطة الجسد ، عليه معتوه .

(ليس الأشرار سوى مرضى)

ومثل هذا لا يحسب عليلاً ، وإنما شريراً عن رضى وتعمد . أمّا الحقيقة
فهي ان اتزاقه الى الشهوات البدنية متأتّ ، في قسطه الأعظم ، من استعداد
عنصر واحد ، ينضج في الجسد رطوبته ، خلال مسامّ العظام وفجواته . وبصير
هذا الاستعداد مرضاً في النفس . وكذلك القول تقريباً عن كل ما يُعدّ افراطاً
في الملذات ، وما ينسب إلى الأشرار من عارٍ على انهم متعمدون شرهم .
فتعيرهم هذا ليس بصائب . اذ لا يكون احد شريراً بطوئه ، وإنما الشرير يصير
شريراً بسبب استعداد فاسد في جسمه ، وتربية بلا تهذيب . وهذان الأمران
بغضان الى كل انسان ، ويلزمانه على كرهٍ منه .

(أصل الاهواء والميول المنحرفة)

هذا ، وانّ النفس تعاني شرّاً عظيماً عن طريق الجسم ، من قبل الأتراح
والاوجاع . فإن كانت الاخلاط الناجمة عن النخام حامضة في المرء ومالحة ،
وتأثت في الجسم مع كل ما فيه من رطوبات او سوائل مرّة وصفراوية ، ولم

تَجِد لها منفذاً الى الحُزج، وادارت بجزيتها في الجسد مع دورة الروح واختلطت وامتزجت بها ، فهي تُحدث امراض النفس المتنوعة . وهذه الامراض تشتدّ وطأتها او تضعف ، ويزداد عددها او ينقص ، وتندفع تلك الاخلاط الى مواقع الروح الثلاثة ، كلّ منها الى الموقع الذي يدهمه ، ويزخرف فيه ضرباً متنوعاً من الإستياء وحدّة الطبع ومن التخاذل والانهيار ، او من الجرأة والتهور ومن الخوف والجبين . وايضاً من النسيان يرافقه البطء في الحفظ وبلادة الفهم والفكر .

b.

(نتائج التربية والحياة الاجتماعية)

أضف الى ما تقدّم الاعتبارات التالية : عندما لا يكون لمثل هؤلاء الناس الذين ترعرعوا على سجيّة فاسدة ، كما ذكرنا ، سوى سياسات شريرة ؛ ولا يتقرع ماسعهم في دولهم ان كان في الندوات العامة او في الاجتماعات الخاصة الاّ اقوال قبيحة ؛ وفضلاً عن ذلك عندما لا يتعلّمون منذ حداثتهم ايّ تعليم يشفيهم من ادوائهم ، فهؤلاء جميعهم يغدون اشراراً ، - وكلّ واحدٍ منّا - بسبب علّتين قاهرتين ليس لنا فيها ايّ ضلع . وان وجب ان نشكو فيها احداً ، فأولى بنا ان نشكو الاهلين من ان نشكو اولادهم ، واولى ان نجرّم المهذّبين من ان نجرّم طلابهم وتلاميذهم . ولا بدّ ان يسعى المرء جهد المستطاع بالتهذيب والعلوم الملائمة ان يتجنّب الشرّ ويختار الخيرَ المعاكس له .

ولكن هذه الاعتبارات هي موضوع دراسة آخر .

c.

الفصل الثالث والخمسون

مبدأ الطب الجسدي والنفسي . التعادل بين الروح والجسد

انّ الموضوع الذي يتجاوب مع الموضوع السابق ، هو امر العناية بالاجساد والارواح ، والبحث عن الوسائل الكفيلة بحفظ هذه وتلك سليمة صحيحة . فالآن يجدر بنا ويليق ان نقابل ذلك البحث بالبحث الحاضر . اذ التعادل يفرض علينا ان نتكلّم عن الامور الصالحة وان نفضّلها في حديثنا على الشريرة . وعليه نقول إن كل خير بهي . والبهاء والجمال هو الاعتدال . وإذ قرّض أن يكون الكائن الحيّ صالحاً وجميلاً، فلا بدّ أن نعتبره من فئة معتدلاً والصغيرة من المعادلات نشعر بها ونفكر بها وندرّكها . أما أخطر المعادلات وأعظم النسيب ، فنحن لانقف منها موقف التفكير والمنطق .

فبالنظر الى حالات العافية والمرض ، وحالات الفضيلة والرذيلة ، ليس من تعادل أو إخلال بالتوازن أعظم وأخطر من التعادل أو عدمه فيما بينها ، اللهم إذا استثنينا التعادل بين الروح بالذات والجسد بالذات والتوازن بينهما . وهذه المعادلات والنسب لانبثقت عنها ولا تفكرت بها . ولا نفقه أن الكائن الحيّ برمته لا يكون بهياً جميلاً ، إذا حوت نفس قديرة وعظيمة على كل صعيد صورة بشرية هزيلة ومنحطة ، أو إذا بُني هذان الجوهرا على عكس ذلك ، لأنّ

٥ الكائن الحيّ يكون متشوّشاً خالياً من أعظم النسب والمعادلات . وأمّا الكائن الحيّ الحاصل عليها ، في الحالة المعاكسة ، فهو لمن يستطيع أن يشاهده أبيه المشاهد على الاطلاق وأجدرها بتعشّقنا .

(تشبيه لايضاح الفكر) .

ومثال ذلك جسم طالت ساقاه بإفراط ، أو أحرز ضخامة اخرى في احد اعضائه . فهذا الجسم قبيح بالاضافة الى اختلال التوازن فيه . وهو في مشاركته الروح أعباءها ، يعاني متاعب جمّة ، واختلاجات كثيرة . وبسبب ثققله وتهاديه يتعثر مراراً ويهوي على الحضيض ، ويسبّب لذاته أسوأ لا تحصى .

٨٨ فلا بدّ إذن أن ندرك أنّ المساوي وعينها تقع ايضاً للمر كسب من جوهرين ،
a وهو ما ندعوه الكائن الحيّ . فحين تكون النفس فيه اقوى من الجسد ، فهي تتولى امره بجدّة ، وتمزّه بجملته هزاً عنيفاً من الداخل ، وتوعبه عللاً . وعندما تراول باستمرار بعض الدراسات والمباحث فهي تذيبه . وتصرف الى القاء الدروس ، والى المعارك الكلاميّة والحطائية في الندوات العامّة . وفي المجالس الخاصّة تلبه بالخصومات والطموح وحبّ المنافسة . وتضععه وتركضه بالاسهال وتجلب له الرشوحات وتخدع العدد الاوفر بمنّ يدعون اطباء ، وتحملهم على عزو هذه الاعراض والامراض الى اسباب لا دخل لها في تلك الحالات . هذا من جهة .

b ومن جهة اخرى ، قد يكون الجسد ضخماً ويفوق الروح بكثير ويغرس مع ذهنٍ صغير وهزيل . واذا نشأ في الناس بالطبع رغبتان اثنتان ، رغبة تجاري الجسد هي رغبة الغذاء ، ورغبة تماشي ما هو اوفر الوهة فينا ، هي رغبة الفهم والادراك ، فان حركات الجوهر الأقوى تتغلّب وتسمي ما يخصّها . أمّا العقل

المتنمي الى الروح، فتجعله طائشاً لا يقبل العلم ولا ذاكرة له . وتولد له هكذا
ابھظ الأدواء واخطرھا ، الا وهو الجهل .

(العلاج هو العناية بالجسم والروح معاً) .

وهناك خلاص وسلامة واحدة للآثنين . وذلك بأن لا يحرک المرء الروح
دون الجسد ، وان لا يحرک الجسد دون الروح . كي يكون الاثنان في حوزة
متكافئين متوازنين ، وفي صحة جيدة . فعلى العالم الرياضي ، وعلى كل من
يتعاطى اية دراسة او اي نشاط عقلي مجهد ، ان يوفّي الجسد قسطه من الحركة ،
وان يمارس الرياضة البدنية . ثم على من ينصرف الى هواية الرياضة الجسدية ،
ان يوفّي الروح قسطها من الحركات ، وان يعتمد لذلك الى الموسيقى ، وكل
ضرب من الفلسفة والحكمة . اللهم ، ان رغب المرء بحق ان يدعى ويعبد
بصواب جميلاً صالحاً في آن واحد (١) .

(ضرورة التمارين الرياضية الموقّعة) .

فعلى المرء ان يعتني بالروح والجسد وبأقسامها ، طبقاً لهذه المبادئ وعينها
مقتدياً في ذلك بـجواهر « الكل » وصورة العالم بأسره .

فالجسم يحترق ويبرد بفعل العناصر الواجدة الى داخله . كما انه يحفّ
ويتندّى بفعل العناصر الخارجية المحدقة به . ويتحمّل ما ينتج عن هذه الانفعالات

٥٣ - (١) المؤلف في هذه العبارة اليونانية أن يرد الوصفان فيها معطوفين بأداتي
العطف té Kai . ولذا استغرب ريفو تركيبها في هذا النص . راجع ابرنتغورس
٣١٥ الجمهورية ٣ : ٤٠١ : ٤٠١ و٤٠٢ و٤٠٣ .

بفعل الحركتين الداخليّة منها والخارجيّة . فعندما يسلم المرء جسمه الى حركات رياضيّة ، بعد ان يكون ذاك الجسم وادعاً مستسلماً الى الهدوء ، يغلب الجسم على امره ويهلك . ولكن ان اقتدى المرء بن دعواتها مربيّة العالم وحاضته ، ولم يدع قطّ جسمه يستسلم الى السكينة في حالٍ من الأحوال . بل راح دوماً يحركه ويثير فيه بعض الإهتزازات ، فهو يحميه بلا انقطاع على وجهٍ طبيعيّ ويدفع عنه الحركات النائرة عليه من الداخل ومن الخارج . واذ هيزّ الجسم باعتدال ينظّم عوامل الانفعالات الجائلة حول الجسم ، وينظّم اعضاء الجسد المنفصلة بها حسب تجانسها ، ويرتّب صلاتها بعضها ببعض ، طبقاً للبحث الذي بسطناه سابقاً وتناولنا فيه طبيعة العالم . وعلى هذا النحو ، لا يضع عدداً بازاء عدد ، ولا يسمع للعوامل ان تولّد في الجسم حروباً وأمراضاً . بل يجعل صديقاً بجوار صديق ، ويوفّر العافية ويعمل على صيانتها .

ومن الحركات الرياضيّة ، أفضلها هي الحركة الجارية في الجسم والمنبعثة عنه . وهي أوفر الحركات مجانسة للحركة العقلية الروحيّة ، ولحركة الكل أو العالم بأسره . أما الحركة الصادرة عن آخر فهي دون تلك . وأخطّ الحركات جميعها هي التي تصدر عن الغير ، وتحرك الجسم وهو مستلقٍ ومستسلم إلى الراحة والسكينة .

ومن ثمّة ، أفضل تطهيرٍ وتنشيطٍ للجسم ، هو التطهير والتنشيط الناتج عن التمارين الرياضيّة . والتطهير والتنشيط الآتي في الدرجة الثانية ، هو الصادر عن استنشاق الهواء في الزوارق والمراكب ، أو في أية أداة نقلٍ غير متعبة .

(المعالجة الطيبة بالذات)

والصنف الثالث من الحركة قد يفيد ، إذا اضطرّ المرء إليه غاية الاضطرار . وإلاّ فيجب أن لا يقبله على الاطلاق كل امرئٍ حصيف مدرك . وهذا الصنف

هو الصنف الطبيّ الذي يعتمد الى التطهير (والتنشيط) بواسطة العقاقير الصيدليّة .
إذ يجب أن لا نهجّ بالعقاقير ، الامراض الطفيفة التي لاختطورة لها . لأنّ قوام
الامراض يشبه من بعض الوجوه طبيعة الكائنات الحية .

لأن لقاء (العناصر والجواهر) في هذه الكائنات الحية ، وفي كل صنف
أو جنسٍ من اجناسها برمته ، يحدث وله أزمنة من العمر معيّنة منظمة ، وطبقاً
لهذا النظام يُغرس كلّ كائنٍ حيّ ، وينشأ وله عمر تحدّده له الحتمية أو القدر ،
إلا في الحالات أو الطراريء التي تفرضها الضرورة (٢) ، لأنّ المثلثات في كلّ
كائنٍ حيّ تُر كَسب حالاً ومنذ البداية ، ولها قدرة معيّنة . فهي إذن قادرة ان
تفي بمهمّتها إلى فترة زمنية محدودة ، لا يستطيع أحد ان يتجاوزها ابداً ولا أن
يعيش من بعدها .

وهذا النجوع عنه يتحقّق في قِوام الأدوية والامراض وفي طبيعتها التي
التي تتألّف منها . فان اخلّ احد هذه الطبيعة وافسدها بالعقاقير ، وخالف الفترة
الزمنية المحدّدة لها حتّى ، (لنشوئها وتقلّصها وزوالها) ، فهو يودّ ان تتحوّل
الامراض الزهيدة القليلة الى امراض خطيرة وكثيرة . ومن ثمة يجب على المرء
بقدر ماتسمح له اوقات فراغه ، ان يتدبّر ويوجّه مثل هذه الادواء جملةً بالحماية
ونظام المعيشة ، لا أن يُثيرها ويهيجها معالجاً إياها بالادوية والعقاقير الصيدليّة .

(٢) نجد نظرية مماثلة معروضة في المسائل المنحولة المنسوبة الى ارسطو (١ : ٦ ؛
١٢ b ٨٥٩) . إن الاعتقاد القائل بأن كل داء يتطور تطوراً منتظماً ، في فترة زمنية
محدودة ، هو أحد مبادئ الطب في المدرسة الهيستكراثيّة .

الفصل الرابع والخمسون

ضرورة ترويض الأرواح الثلاث معاً

فليكن كلامنا على النحو السابق ، بشأن الكائن الحيّ المشترك (في جوهرين) ، وبشأن قسمه الجسديّ ، كيف يستطيع المرء ان يهذّبه ويوجهه التوجيه الصحيح ، او كيف يتوجه طبقاً لطبيعة هذا القسم ، حتى يجا حياة تناسب العقل .

اما القسم المفروض فيه أن يهذّب ويقود ويوجهه ، فالاولى ان يعتنى به اولاً جهد المستطاع ، ليغدو في غاية الجمال والفضل ، ويؤهل هكذا لتهذيب جوهر الجسد وقيادته وتوجيهه . والتبسّط في هذه المواضع كافٍ وحده في حدّ ذاته ، ليكون عملاً فكرياً مستقلاً بذاته . ولكن إن تتبّعها المرء ، حسب المبادئ السابقة ، كعمل اضافي هامشي ، وبحث فيها على هذا الوجه وختم هكذا المقال الحاضر ، فلا يكون قد حاد عن منهجه وقصده .

لقد قلنا ورددنا مراراً ، ان للروح ثلاثة انواعٍ ، وان هذه الانواع قد حلّت وسكنت فينا في ثلاثة اقسام ، وأن كلّ نوعٍ او جنسٍ منها قد لقي حركاته . وعليه لا بدّ من القول الآن ايضاً بأقصى الاجاز ، ان كلّ نوعٍ من هذه

٩٠
a
الانواع يعيش في البطالة ولا يزاول حركاته الذاتية ليخلد بعدها الى السكينة ،
يُسي بحكم الضرورة ضعيفا هزبلاً جداً . أمّا النوع المنصرف الى رياضاته الخاصة ،
فيصير في غاية القوّة ، ولذا لا بدّ ان يحرص المرء على ان تنال هذه الاقسام من
الروح ، حركات متوازنة متعادلة فيما بينها .

(الروح العاقلة ومنزلتها السامية)

وبشأن اسمى انواع الروح فينا ، يجب ان نفكر التفكير التالي ، وهو
ان الله قد اعطى كلاً منا هذا القسم من الروح بمثابة رب وملاك إلهي . وهو الذي
نقول عنه انه يسكن القمة من جسدنا ، وانه يرفعنا عن الارض لقرابتنا بالسما
ومجانستنا لها . ونحن نؤكّد بمنتهى الصواب والصحة اننا اغراس سماوية ، لانبتاتٍ
أرضية ، لأن الألوهة قد قوّمت جسم كل انسان ، ووجهته الى ذلك الصوب ،
b حيث لقيت الروح ولادتها الاولى ، وعلّقت هامتنا وجذورنا بذلك الاتجاه^(١) .

(كيف تشر كنا تلك الروح بالخلود)

فمن ينهمك إذن في الشهوات والمطامع ، ويتعب ويضني بافراط من
اجلها ، تتحول أفكاره جميعاً حتماً إلى افكار مائة ، وتصير قدر ما يمكن ، من
كل الوجوه أفكار مائة ، إذ لا يقصر عن المائت ولو بشيء زهيد ، لانه أنمى في

٥٠ - (١) لقد أبدى برجسن وجدرى Bergson et Gaudry اعتبارات تداني
هذه الاعتبارات في جوهرها .

ذاته ما يماثل المائت (٢) . أما الذي يغار على حب المعرفة ، ويجهد لتحصيل
افكار صوابية صحيحة ، ويروض من مواهبه خصوصاً موهبة ادراك الامور
الخالدة والالهية ، فهذا الانسان ان يبلغ الحقيقة ، لا بد أن ينال الخلود
بمقدار ما يمكن الطبيعة البشرية ان تحظى به ، وأن لا يفوته منه شيء . هذا ، ومن
جهة ثانية ، بما أنه يخدم الألوهة دوماً ويتعبدها ، وبما انه يحفظ الرب أو الملاك
الساكن فيه بهيئاً مزداناً ، فمثل هذا الانسان يكون حتماً في غبطة فائقة .

أما العناية بأي شيء ومن قبل كل انسان فقوامها واحد، وهو أن يُعطى
كل جوهر قسطه الملائم من الحركة والغذاء . والحركات المجانسة للجوهر الإلهي
فيها ، هي أفكار « الكل » ودوران أفلاكه . فيجب على كل امرء ان يتتبعها ،
وأن يصلح دورات روحنا الفاسدة في رأسه ، والمتعلقة بالمصير ، وذلك باطلاعه
على ائتلاف العالم وعلى دوران افلاكه ، ويجعل فهمه مماثلاً للمفهوم ، طبقاً لطبيعته
القوية الاساسية . واذا ماثل المفهوم ، بلع اخيراً الى الحياة المثلى والفضلى ، التي
عرضها الآلهة على البشر ، لحاضر زمنهم ومستقبله .

(٢) يستنتج من هذا النص ليس فقط ان أقسام الروح ليست كلها خالدة ، ولكن أن
في الخلود أيضاً درجات . راجع اسبنوزا ، الاخلاق ، الباب الخامس . ففي ذلك المقام
يبسط هذا الفيلسوف نفس الفكرة . (انتهى) .

ولكن يبدو لي أن افلاطون لا يقول تماماً هذا القول . لا بل يقول عكسه صراحة
في المقاطع ٤١ bcd و ٤٢ bcd و ٤٣ a . فالروح العاقلة قد أبدعها الله إذن
خالدة . ولكنها ان انهمكت في أهواء الجسد وميوله المنحرفة ومقاسد أطباعه ، غدت
وكأنها مائتة لأن افكارها تسمى افكار مائت - وهذا بالذات مايقوله افلاطون في نصنا
الحاضر - وفي مايلي ٩٠ e و ٩١ d الخ ، يعود الفيلسوف ويؤكد نظرية التقمص او
الولادات المتعاقبة ، حتى يرجع الانسان الى صفاء اصله ومبادئه فيحظى عندئذ بالخلود
والسعادة التامة .
(العرب)

الفصل الخامس والخمسون

التقمص وأصل الحيوانات

و الآن يبدو لنا أن ما كلفنا عرضه في البدء والتبسط فيه ، عن الكل ،
أو العالم يرمته حتى مولد البشرية ونشأتها ، قد أشرف على الانتهاء . إذ لا بد ان
نذكر بكلمات وجيزات كيف نشأت الكائنات الاخرى ، ولا ضرورة للاطالة في
الموضوع ، إذ يبدو للمرء هكذا أوفر اتزاناً واعتدالاً ، في هذه المقالات الدائرة
حول المواضيع التي تناولناها بالبحث . فليُعرض إذن الموضوع الحاضر على النحو
التالي :

١ - (أصل جنس الاناث)

إن كل الرجال الجبناء الرعايد بمن جبلوا و كوّنوا (في البدء) وقضوا
عمرهم في الاثم ، عادوا في الولادة الثانية ، وصاروا نساء حسب المنطق المحتمل
المعقول . وفي تلك الفترة من الزمن بالضبط ولهذا الاسباب ، خلق الآلهة وهندسوا
حبّ الجامعة . وركبوا فينا لذلك كائناً حياً ذا روح ، وفي النساء كائناً آخر
بمثالها ، وضعوا كلا منها على الطريقة التالية .

(حبّ الجماع وأصله : الزرع البشري)

لقد ثقب الآلهة مخرج الشراب فينا ، الذي به يمرّ المشروب ، بعد اجتيازه الرئة ، مناسباً تحت الكلاوي إلى المثانة . وهذه تستقبله فيضغطه الهواء ، فتدفعه هي بمؤازرة هذا الضغط إلى الخارج . هذا المخرج إذن ثقبه الآلهة ، لينفذ إلى النخاع المتكاثف ، المنحدر من الرأس إلى العمود الفقاري ، بعد مروره بالرقبة . وهذا النخاع هو الذي دعواته في مقالاتنا السابقة منى أو زرعاً .

فهذا النخاع ، لانه ذو روح حيّة ، وقابل للاستشاق ، يؤثي العضو الذي يستشاق منه ، الرغبة الحيويّة في الفيضان ، ويختلف هكذا حبّ التوالد . ولذا نشأ الكائن الحيّ ، الساهر في الرجال على طبيعة الأعضاء التناسليّة المكرّمة ، متمرّداً منفرداً بحكمه ، نظير حيوان لا يفهم نواهي العقل ولا ينقاد لها ، بل يسعى ويجاول بشهواته المهتاجة الجاحجة أن يسيطر على الجميع .

(الرحم وطبيعته : الرغبة الملحة في الولادة)

وما يدعى عند النساء مهلاً ورحماً ، هو من هذه النواحي على الوضع عينه ، وفيه يقيم كائن حي يطمح الى إيلاد البنين . فعندما يبقى هذا الكائن بعد أوان المراهقة زمناً طويلاً ، عاقراً بلائثار ، يثور ساخطاً بشدة ويستخدم غيظاً فيجول في أرجاء الجسد كلّّه ، ويسدّ مجاري التنفّس ومخارجه . وحين لا يسمح باستنشاق الهواء ، يزعجّ بالجسم في أقصى الحن والضيق ، ويولد له أمراضاً وادواء أخرى في غايه التنوع^(١) .

٥٥ - (١) هذه النظريّة ، المتعلّقة بأخطار عقر المرأة ، هي شائعة مدرسيّة في الطب اليوناني . وزعم ارسطو أن الرحم إذا بقيت فارغة تستطيع أن تصعد في الجسم وتحنق المرأة العاقر (مولد الحيوانات ١ : ١١ ، ٧١٩ ، ٧١٩ ، ٢١٥) ، راجع غالينوس

d وتدوم الحال على هذا المتوال ، إلى أن يتلاقى حبّ الرجال وشوق النساء ، فيتجمعان ويجنيان الثمر ، وكأنه عن الشجر . ويزرعان في المهبّل كأنما في أخدود ، كائنات حيّة لا ترى لصغر حجمها ، وغير متصوّرة بعد . ثم يميزان أعضائها بعضها من بعض ، ويغذيّانها داخل الرحم ، إلى أن تنمو وتترعرع . وعقب تلك المدّة ، يسوقانها إلى النور ، وينجزان هكذا مولد كائنات حيّة تامّة (١) .

٢ - (أصل الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها) .

(١) - الطيور

e على هذا النحو إذن نشأت النساء ، وكلّ جنس الإناث . أما طائفة الطيور فقد تطوّرت قليلاً ، وأنبقت لها ريشاً وأجنحة بدل الشعر ، وانحدرت هكذا من رجال لا طالحين ولا صالحين ، وإنما خفاف الرؤوس ، ينصرفون إلى الكلام عن الاحداث الجوية العلوية ، ويعتقدون بعد ذلك لسذاجتهم ، أن البراهين التي تدعم هذه الامور بناء على معطيات البصر هي أرسخ البراهين (٢) .

(١) يبدو من هذا النص أن معلومات أفلاطون في علم الحياة ، أو معلومات معاصريه العلماء الذين أخذ عنهم ، كانت متقدّمة جداً وبصورة مستغربة على العلم الشائع في زمانه .

(٢) إن كل هذا المقطع يتّسم في وضوح بالتهكّم والسخرية .

٢) الدواب

أما صنف البهائم التي تدب على الارض ، وصنف الوحوش الضارية ، فقد انحدر كل منها عن اناس لا يتعاطون الفلسفة ابداً ، ولا يتأملون بطبيعة الفلك في شيء من الاشياء ، لانهم انقطعوا عن استعمال الدورات الإلهية السائرة في رؤوسهم ، واتبعوا أقسام الروح المتسلطة والأمرّة في الصدر .

فبسبب هذه المشاغل والشؤون إذن ، حنوا رؤوسهم وجروها إلى الارض لقرابتهم معها ومجانستهم لها ، وارتكزت أعضاؤهم الامامية على الخفيض وغدت لهم قوائم . واستطالت هاماتهم وتشكلت جداً ، طبقاً لنوع الضغط الذي لحق دورات الروح ، وحركتها في كل منهم . ولهذا العلة ، برز صنف البهائم الدابة على قوائم أربع أو أكثر ، وقد جعل لها الله من تحتها قواعد ، وكثرها لمن غزرت غباوته منها ، ليُجر الى الارض جرّاً أوفر .

٣) الزواحف والدود

أما أغنى أولئك الناس الذين انبطحوا على الخفيض ، ومددوا عليه أجسامهم تماماً ، فقد استحالوا الى حيوانات لا أرجل لها وغدوا زحافات تتجرر على الارض .

٤) الاسماك والحلزونيات وضروب المحارات

أما الصنف الرابع فقد صار صنفاً مائياً ، وصدر عن أوفر الناس بلاهة وجهلاً .

والآلهة الذين حورّوهم وركبّوهم فيما بعد ، لم يحبّوهم أهلاً ولا للنسمة الصافية النقيّة ، لانهم لو تّوا نفوسهم بكلّ تمادٍ في الرذيلة ، وعضاً عن نسمة الهواء الرقيقة الناعمة النقيّة دفعوهم الى قعر الماء لاستنشاق روائح لثقه الآسنة .

ومن ثمة صدر شعب الأسماك ، وشعوب الرخويّات ، وكل الطوائف الاخرى المائيّة ، فزال اولئك كعقابٍ للجبل في اسفل درجاته سكنى العالم في أحطّ دركاته . وعلى هذه القواعد والاصول ، تحوّلت الكائنات الحيّة جميعها بعضها الى بعض في ذلك العهد ، ولا تزال الآن أيضاً تتحوّل ، وتبدّل أحوالها بفقدان الفهم أو تحصيله والوقوع في الحماقة أو التخلّص منها .

الخاتمة

والآن نقول إن خطابنا عن « الكل » برمته قد انتهى ، لأن هذا العالم اذ قد استوعب هكذا الكائنات الحيّة ، المائنة منها والخالدة ، وأخذ ملأه بها ، وغداً حيّاً منظوراً يشمل الكائنات المنظورات ، وإلهاً محسوساً هو صورة الإله المعقول ، صار أعظم وأفضل وأبهى وأكمل فلّك ، وهو هذا العالم الاوحد مولودُ الله الوحيد .

ہوار

اکرتیں

المقدمة

الفصل الأول

صحة حوار أكرتيس وميزته العامة

١ — صحة الحوار .

إنّ صحة أكرتيس يعترف بها عموماً النقد الحاضر . فلم يناقشها ،
وبيراهين غريبة من نوعها سوى سوشيه وسكوف Socher et Suckow . فهذا
الحوار في نظر الأوّل قد لا يليق بالمثاليّة الافلاطونية ، لأنه برمته وصف واقعي
محسوس ، لا بل انجراف وراء الحواس . إلاّ أنّ سكوف ، وهو أوفر حذراً ،
يعتمد استناداً الى ابروكليس على مكانة اكرانتشر ، ويدعي أن هذا الاخير
في كلامه عن الأطلنثيس لا يستشهد إلا بالتيمثس ، كأنه يجهل اكرتيس^(١)
ولكنّ هذا البرهان هزيل دونما ريب ، لأنّ ابروكليس يذكر عبارة واحدة

G. F. W. Suckow : Die Wissenschaftliche und Künstlerische (١) - ١
From der Platonischen Schriften, Berlin 1855.

لاكثر انثر ، في حين أن هذا الكاتب قد قال أشياء أخرى كثيرة ، وتكلم
ربما في موضع غير هذا عن اكرتيس .

وعلاوة على ذلك ، يستحيل الفصل بين التيميس و اكرتيس ، لأن
هذا تمة ذاك . فانشاء اكرتيس له اكبر العلاقات بانشاء التيميس .
بجيت اضطرر جميع النقاد الضليعين في دراسات الانشاء ، أن ينظروا الى
الحوارين في آن واحد وأن يسموها بنفس السمة (٢) . وليس الأمر على هذا
النحو فقط من جهة الانشاء، بل يعلن التيميس أيضاً في صراحة عن اكرتيس .
والموضوع العام في هذا الحوار ينطبق انطباقاً تاماً على الموضوع المشار اليه في
في التيمس (٢٧ b) . وأوجه الشبه في التفاصيل تلفت النظر : فقصة
الاطنطيين يعلن عنها في الحوارين بعبارات تكاد تكون واحدة (التيمس
٢٤ e و اكرتيس ١٠٨ e) ، والتمييز بين الطبقات الاجتماعية في أثينا ،
يعرض لنا على نحو واحد . وينوه لنا اكرتيس ، كما ينوه التيمس ، باعتدال
الفصول في الاتي (ت ٢٤ c ، ك ١١١ e) . ولا تضعف فينا هذا
الانطباع العام الفوارق الطيفة التي يمكن المرء ان يعثر عليها هنا او هناك في
النصين . ففي التيمس تبسط أثينا وحدها سيادتها على أثينا . أما في اكرتيس
كما في مينيكسنيس ، فهي تتقاسم الملك وهيفيستس . وفي التيمس تجاري
نظم أثينا ، وقوانينها الاجتماعية ، نظم وقوانين مصر ، أما في اكرتيس فلا

C. Ritter: Untersuchungen über Plato, Stuttgart, 1888, p. — (٢)

58-59, et Platon I, München 1910, p. 255..

تُثار مسألة تلك النبوة في الشرع. ويذكر اكرتيس، نظير الجمهورية، مشاغل النساء الحربية، وكان التيمس قد اغفل ذكرها الصريح^(٣). ولكن هذه فوارق لا تفع من التوقف عندها. فالحوار يجري عين النهار الذي تجري فيه منادمة التيمس^(٤). والمتحاورون هم انفسهم، واسلوب العرض واحد: حديث متواصل في حلقة سماع أجمعوا عن الكلام للاصغاء^(٥).

٢ — ميزة الحوار العامة

إن مخطط الحوار او تصميمه جليّ آتمّ الجلاء. بعد تقديم وجيز يجاري تقديم التيمس، يصف اكرتيس تباعاً الشعبين الخائضين الحرب، شعب أثينا وشعب الأطلنتيس، وعاصمتهم وبلدتهم. ثم يعدّد ما أبدى الإله مؤسس دولة الاطلنتيس من احتياطات يضمن بها المحافظة في تلك البلاد، على سوّد العدل. ويفصلّ الحفلات الطقسية التي تجعل تلك الاحتياطات اكثر أبهة وحفاوة. إلا أن تلك الاحتياطات لم تكُ وافية بالمطلوب، لأن البربرية والهمجية تغلبت في النهاية، وغدت لدى ملوك الأطلنتيس تشاحاً استمطر عليهم العقاب الإلهي. وعند هذا الحد، ينقطع نصنا فجأة.

فليس لدينا إذن من اكرتيس سوى مقدمة، تُطلعنا أهميتها على المدى الذي كان من المحتمل أن يتخذ هذا الحوار، لو أنجز تديجه. لا بل قد استوعى أفلاطون انتباهنا الى أن خطاب اكرتيس سيطول جداً. ولكنه يتوقف بالضبط

(٣) الجمهورية ٥ : ٤٥٢ a .

(٤) اكرتيس ١١٠ d . راجع : Th. Bach Meletemata Platonica , diss . Vratislaviae , 1858 , P. 21 et suiv . Il Raeder , Platons Philosophische Entwicklung , Leipzig , 1905 , P. 374 .

(٥) يثيرن اكرتيس ٠٨ . b d .

في حين أوشكت الرواية أن تبتدىء ، وهي قوام العنصر الرئيسي في ذلك الخطاب (١) . لأن كل ما تقدم من وصف البلاد والقوانين ، لم يكن سوى تمهيد . ونحن نعرف من التيميثس أنه كان على حوار اكرتيس أن يشمل قصة الحرب بين الاثينيين والأطلنطيين ، والكارثة التي عقبها . ويردد علينا اكرتيس أن ما يعالج افلاطون من موضوع ، هو حرب نشبت في عهد سحيق ، حمت فيها أثينا الحضارة الهلينية ، كما كان من شأنها أن تفعل أيضاً فيما بعد ، وتحمي تلك الحضارة من سيطرة الفرس (١٠٩ a) .

فينقضا إذن القسم الأسامي من الحوار . فهل كتبه افلاطون ثم فقدناه؟ أو حال الموت دون أن ينجز الفيلسوف حوار اكرتيس ؟ أو عدل عن مشروع ثلاثيته الكبير ليصنّف كتاب الشرائع ؟ إن هذا الرأي الاخير هو المقبول عموماً من عهد هرمان Hermann (٢) . فقد قيل ان خاتمة الحوار لم تؤلف قط . والبرهان على هذا القول ، أنه لم يبلغنا ولا مقطع واحد منها ، وأنه لم يذكرها ولا كاتب واحد ، ولا اختار من تلك الخاتمة مقطعاً واستشهد به . فعلينا ربما أن نردد عن افلاطون نفسه ، ما نقله لنا التيميثس عن صولن ، وهو أن الأحداث لم تترك له متسعاً وافياً من الوقت ، ليسجل ما اتمه عليه الكهان المصريون (٢١ c) . ولكن هذه الفرضية لا تخلو من بعض الصعوبة . فالكرتيس في قسمه الذي بلغ إلينا ، يوحي أن هذا العمل الفكري تام ، وأنه درس درساً متقناً في تفاصيله . فليس إذأ عملاً تمهيدياً ، ولا مسودة ، ويصعب على المرء حتى أن يرى فيه

٢ - (١) b ١١٣ : « ومطلع كهذا كان عندئذ مطلع خطاب طويل » .

Geschichte und System der Platonischen Philosphie, I, 1839 (٢) .
p. 514. Cf, E Munk : Die naturliche Ordnung der Platonischen,
Schriften. Berlin, 1857 ; p. 340 , Bach

عجالة أولى . فهل تصور أفلاطون العمل برمته ، ولم يُحز منه سوى مطلعته ؟ وهل عدل من بعدُ عن موضوعه الأول لأسباب نجهلها ؟ ولكن كيف نعلم كل هذه الأمور ، ونحن لا نعرف لا تاريخ فكر الفيلسوف ، ولا اساليب شغله وإنتاجه ؟

هذا ، ومطالعة الباب الثالث من كتاب الشرائع تدعو إلى التفكير . فيبدو أنّ المرء يجد في هذا النص شبه صدق حوار أكرتيس . إذ إنّ أفلاطون بعد أن يُلخّص قصة ملوك اليونان الأوائل الأسطورية ، يروي بعبارات رائعة كفاح الأثينيين ضدّ المجتاحين الفرس . أما ما يتعلق بماضي أثينا الأبعد . فهو يردّد بنفس العبارات تقريباً ما سبق وقاله في حوار أكرتيس وحوار التيمستس ، وهو أنّ كوارث متعاقبة منعت روايات مآثر أثينا القديمة من أن تبلغ إلينا ، لأنّ الطوفان لم يبقِ كلّ مرة إلاّ جليّين أميين (٣) . ألا يعني هذا أنّ أفلاطون ، بعد أن أقدم على عمل محيّب ، وهو أن يروي لنا قصة الأثينيين المثالية ، عدل عن قصده الأوّل وعاد إلى هدف عادي ، وهو أن يظهرهم على ما كانوا في الواقع ؟ فقد فرض الفيلسوف على نفسه في التيمستس ، مهمة تفوق عبقريته . ولذا نراه يعدل عنها في الشرائع ، ويترك دون رجعة حوار أكرتيس ويهرمكراًتس . وبما أننا أحرار في اقتراح الفرضيات ، فلتحجب هذه الفرضية جهلنا .

وسوف نتفحص على التوالي بعضاً من المسائل العويصة جداً ، التي يثيرها حوار أكرتيس فنعالج الأنساب الأسطورية ، ثم وصف أثينا والأطلنتيس ، ووصف طقوس الذبيحة والقسم ، وأخيراً نتحدّث عن مصادر أكرتيس .

(٣) كتاب الشرائع ٣ : ٦٧٧ b : « بعض الجليّين الرعاة » . ثم ٣ : ٦٨٢ b :

« وعلى كل حال ، يبدو أن نسياناً رهيباً قد أصابهم » .

الفصل الثاني

الأنساب الاسطورية

يختلف أصل الأثينيين عن أصل الأطلنطيين ، فأولئك كلهم مواليد أرضهم ، نشؤوا من تربة موطنهم بالذات ، في كنف أثنا و هيفستس دوناً ريب . ولكنهم لا ينتمون الى اله أحمي في عداد الأجداد (١) .

وعلى عكس ذلك ، فقد انحدر ملوك الاطلنطيين من إله البحر بوسيدون ، ومن مائنة بنت أحد مواليد الارض . فملوك الأطلنطيس وحدهم أحرزوا ألقاب

١ - (١) يسهو هنا البيرفرو عن بعض أمور شيرة اقربها الاسطورة اليونانية . وهي ان الارض هي الجدة الكبرى ، وان الآلهة طراً م ابناؤها ، ماعدا آلهة من الدرجة الثالثة أو الرابعة ولدم الخواء وابنته دجنة الليل الخالك . فالآلهة الاولون العظام جميعهم ، أبناء اورفوس وابناء اخرونس ، م وآباؤهم وأمهاهم أولاد الارض . فاذا خرج الاثينيون من الارض فقد صدروا عن مصدر كريم شريف وجيه ، أصل كل شرف وكرم وجاه ، وأنبل واعرق محدد ، لانهم اخوة الآلهة العظام . أضف الى ذلك ان الآلهة والبشر اجمعين في اعتقادهم من اصل واحد . واخيراً معروف ان إرخفس أو إرخثونيس هو ابن هيفستس والارض الجدة الكبرى . فالاثينيون ، كسائر الشعوب اليونانية ، قد انتموا م أيضاً الى إله من الآلهة الكبار . راجع في هذا كله ، كتاب الاسطورة اليونانية ، للأب فؤاد بريارة ، طبعة وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٦٦ ، الباب الاول ، ف ١ ، م الباب الثاني ف ١٧ ، ٤ .
(المغرب)

شرف ، بينما كان الاثينيون برمتهم ابناء الارض . والاعتقاد السائد هو أن الاثينيين قد ولدوا من تربة موطنهم نفسها . صحيح أن شعوباً كثيرة كانت تفاخر بأصل كهذا ، ولكن الاثينيين كانوا يغالون بتلك المفخرة ، على ما يظهر . وفي زمن افلاطون ، ساد ذلك الاعتقاد عموماً ، ونصوص كثيرة تنبئنا بهذا الأمر (٢) .

١ - اصل الاثينيين :

إلا أن قصة منشأ الاثينيين ، على ما رواها حوار الكرتيس ، لاتتفق ، فيما يبدو ، وأوسع الروايات رواجاً . ولا يعني قولنا أن افلاطون يدس «مواليد ارض » جرداً ومجهولين قبل عهده . ولكنه يختار بالضبط ، في لائحة طوبلة من الابطال مواليد الارض ، أناساً يمكن سيرتهم الخيالية أن تتعلق بأسطورة الاطلنتيس دون تشويش كبير للتقاليد .

فلوك أثينا الأربعة الاوائل ، المذكورون في الكرتيس ، ككربس ، وإرخنفس وإرخونيس وإرسخون ، هم من ابطال أهل الارض ، ومن أقدم من ذكروا في كتابات اليونان الأقدمين . وربما ذكرنا ككربس على ما أشار فيلامفتس Wilamowitz ، باسم احدى القبائل الأتيكية الأول . ويعرف صاحب الأذسية ، في أثينا ، بيت إرخنفس ، حيث اعتادت أثينا أن تتودد . إذ يحتمل أن يكون ذلك البيت من ذلك الهين هيكلاً مشتركاً للإلهة الأولمبية وللإله الارضي (٣) .

(٢) السفسقي ٢٤٧ c منيكنسنس ٢٣٧ b ، الجمهورية ٣ : ٤١٥ e ، السيامي

a c ٢٧١ و b ٢٦٩

(٣) أذسية ٧ : ٨١ ، الياذة ٢ : ٥٤٧ . راجع G. Finsler , omer 1, 2

Leipzig , 1913 , p . 222

ويسمى هرودوتس إِرِخْتِس «مولوداً من الارض» . وكذلك سْفُكليس ، في رواية إيس ، يقول عن الإِرِخْتِسِين إنهم «مواليد الارض»^(٤) . ويظن فلانمفتس Wilamowitz أن إِرِخْتُونيس هو ربما مرادف فقط لإِرِخْتِس^(٥) . وعلى كل حال ، يذكره بِنْدَرَس أيضاً بين «مواليد الارض» . ويمثله لنا إفريديس بثابة إله من آلهة الارض ، مرتبط بها بعد نصف ارتباط ، يوج على سطحها بعجزه ، وهو لا يزال عجز زحاف من الزحافات^(٦) . ويبدو إِرِسْخْتُون أحدث الآلهة الاربعة ؛ ولعله هاجر وهبط الأتكي ، بعد إقامة في ثيسيا . وشهادات مختلفة ، أقدمها دون ريب شهادة هيلنكسوس^(٧) ، تربط بين قصة «قالب التربة» وهيكل ذُوْتِن الثيسالي القديم . وتروي إحدى أساطيرهم ، وقد نقلتها لنا شهادات هيلستية فقط ، أن إِرِسْخْتُون كان قد اقتلع ، في ذُوْتِن ، إحدى الاشجار المقدسة المظلمة هيكل ذِميترو . فتعقبه ثار الإلهة ولحق به أخيراً ، رغم ما تحيلت ابنته الساحرة ميسترا من الأعيب وحيل ، دأبت في استنباطها لتدفع عن أبيها الاذى^(٨) . ولكن إِرِسْخْتُون بن كيكرنيس ، وقد مات قبل والده ، كان في زمن أفلاطون قد استوطن أتنا منذ عهد بعيد ونجس بجنسيته^(٩) .

وعرفت تقاليدهم ملوكاً آخرين قدامى كَثيرون ، تعاقبوا على عرش الأتكي . وذكرت من جملتهم اكرتوس وأمفكتين ، واثنين آخرين حملاً

(٤) ش ٢٠٢ من الارخثيين «مواليد الارض» . راجع هرودتس ٨ : ٥٥ .

(٥) Aristoteles und Athen , 2 , Berlin , 1893 , P. 128

(٦) ابن ، ش . ٢٧٠ .

(٧) أثينس ١٠ : ٤١٦ ، a

(٨) كليمخس ، نشيد لاكمرام ذميترو ، ش ٣٠ وما يلي .

(٩) بفسنيس ١ : ٢ : ٦ .

اسم بنديتين ، وإغيثس وئسفس . وقد اختار أفلاطون من بسين « مواليد الارض » ، أناساً تشابكت حكايتهم ، في عهد سحيق ولا شك ، مع الاساطير المتعلقة ببسيدون فارخفس قد قتل ابنا بسدون الثلاثة إيفملبس وإمارذس وفورفس . وهيكل فورفس في أثينا ، يمثل عراك إرخففس وفورفس ، ملك الكوريتيه وابن إله البحار والأنهار . وكان ارخففس نفسه فتك بامارذس وشدخه شدخاً ممتاً . وإمارذس هذا هو ابن ايفملبس ، وأمير اهل الفسيس ، الذين كانوا يجاربون آنذاك الأثينيين^(١٠) . وقد صرع ايفملبس نفسه ، ابن بسدون وأخترنيا ، وتجنّدل قتيلًا امام ارخففس .

وبعد ذلك قاربوا أيضاً بين اسطورة ارسخثون واسطورة بسيدون . فيبدو اذن أن أفلاطون قد اختار ملوكاً أوائل لأثينا ، الأبطال الذين صارعوا ابناء الاله حامي الأطلانتيس . واولئك الملوك طرأ ابطال نبتوا من تربتهم ، أبطال ولدتهم أرضهم . وهم يمثلون نظام اليابسة مقابل سيادة البحار ؛ وقدرة التربة المغذية على الانجاب ، تجاه نزوات الآلهة الفوضوية . فالأثينيون ، على عكس أعدائهم ، مرتبطون بالارض التي تحملهم ، ومتحدين بها بوثاق لا يجلّ عراه بلى .

هذا ، ويعنى أفلاطون جهد المستطاع باحترام التقاليد . فهو يقول انّ الابطال الذين يأتي على ذكركم قد سبقوا عهد ئسفس . وهذا كان الاعتقاد السائد ، وقد نقله عن السلف أصحاب الانساب اليونانية . ورخامة بارس تذكر ارخثونيس وارخففس قبل ئسفس^(١١) . أما الكارثة الستي محقت

(١٠) بفسنيس ، ١ : ٥ : ٢٠ : ١٤ : ٢٨ : ٥ .

(١١) رخامة بارس ، العبارة ؛ وشكل اسم ارخففس ، بدل ارخففس يوجد

وحده في رخام بارس ، ويعثر عليه هو نفسه في مخطوط فيينا ٥٥ .

الأطلننتيس فقد وقعت بعد طوفان ذيفكليثن . وزعم المؤرخون الأقدمون أن ذاك الطوفان قد وقع على عهد أكرتوثوس أو كيكثربس أو أمفكتين^(١٢).

٢ - أصل الاطلنطين .

أما في ما يتعلق بأنسب ملوك الأطلننتيس ، فقد كان لأفلاطون حرية أوفر . ومع ذلك ، فقد اجتهد هنا أيضاً أن لا يجازف بجازفات تهول قراءه . فأمة ملوك الأطلننتيس تتحدر من اقتران بسذون بامرأة مائة ، هي اكلتو بنت افيثتر ولفكيثي ، مولودي الجزيرة الأولين . وأنجب هذان المولودان الأولان عشرة ذكور . وولدوا توأم اثنين اثنين على خمس ولادات . وهم أطلاس وايغميس أو غاذرس ، أميفرس وافيمن ، أمينيسس وأفتوخثنس ، إلابس ومينستر ، واخيرا ازيس وذيبريس . وقد يعجب المرء من انحجاب النساء انحجاباً تاماً عن تلك السلالات الملكية . وهذا الإهمال الغريب لا يليه ايّ تعليل . أما أسماء الملوك بالذات ، فقد استمد أفلاطون بعضها من القصائد الهوميرية دون أية صلة بين حاملها وشخصيات الياذة هومرس . فالإلياذة تعرف افيمنس وايغميس ، ابني اذميتس والشكستيس . وتعرف أيضاً ميستر نجل ابريس^(١) . وافيتر بن ليو كرتس ، يبرز في الأذسية ، حيث يقضي عليه تليمنس^(٢) . ثم ان بفستيس يذكر « مولود ارض » اسمه ايفميس وهو أول ملك تولى عرش باثري^(٣) . ولكن ملكين على الأقل ، من ملوك الأطلننتيس بمجملات

Jacoby . Das marmor Parium , Berlin , 1904 , P . 136 et sv (١٢)

٢ - (١) افيمن ، الياذة ٢ : ٧٣٦ - ٥ : ٧٩ - ٧ - ١٦٧ - ٨ : ٢٦٥ - ١١

٢٧٥ ، ايفميس ، ٢ : ٧١١ ، ٨٦٣ - ٢٣ : ٢٨٩ ، ميستر ، ٢٤ : ٣٧٥ .

(٢) الاذسية ، ٢ : ٢٤٢ - ٢٢ : ٢٩٤ .

(٣) ٧ : ١٨ : ١٢ .

اسماً لم يُعرف له مثيل عندهم . فلا نعثر في اي مصنف على اسم ازيس ، مع ان كل مخطوطات اكرتيس تثبتة ^(٤) . ولقب ذيبيريس لا يظهر الا في نصوص متأخرة جداً عن نصوص حوارنا ، عند هيراكلتس المزيّف مثلاً ، الذي ينعت به الهسبريدز ^(٥) .

أما أطلاس ، اول ملك من ملوك الأطلنثيس ، فله وحده شخصية اسطورية واضحة المعالم إلا ان اطلاس اكرتيس لايتّ بأية صلة إلى أطلاس الأذسيّة أو « مولد الآلهة » لهيسيدس . وكيف غادر اطلاس ، الاله اليوناني بلاد أركديا ، حيث كانت ذراعاه تسند قبة السماء ، لينأى بلا انقطاع نحو الغرب باتجاه عمّد هيرقليس ، ويغدو في آخر المطاف حارس تلك الاعمدة التي تدعم قنطرة السماء ، إنها قصة رواها لنا فلامفثس في شيء من الفن ، يجعلها قريبة جداً الى الواقع ^(٦) .

غير ان ابن الطيطان يابيثس من الأفيانسيّة اكليمينى لم يعد في حوار اكرتيس سوى الملك اطلاس ، اول عاهل على عرش الأطلنثيس . ولا شيء في الحوار يُذكر بهيمته الاولى كما عينها هيسيدس ^(٧) . فهل اختار افلاطون تلك الاسماء عفويّاً وعرضاً ، كما قد يغرر المرء بنفسه ويعتقد ؟ وهل اكتفى بأن يقلب صفحات الاناشيد الهومييريّة ، كما ينقّب روائي معاصر عن اسماء ابطاله في دليل

(٤) لا يعرف بفسنيس سوى أزيّس بن اكلمنس ، ٩ : ٣٧ : ١ .

(٥) هراكلتس المزيّف ، طبعة فيستا ، ص ٨٠ ، ١١ .

(٦) الأذسية ، ١ : ٦٢ . Wilamowitz, Eurpides Heracles 2, p. 130 ;

Homerische . Untersuchungen p. 23 ; cf . G. Finsler. Homer. I, 2, p.3.

(٧) مولد الآلهة لهسيدس ، ش ٥١٧ - ٥١٩ والشهادات في طبعة ارزاخ ،

ما ، رغبة من الفيلسوف بأن ينسّق في حوارهِ سلاطة خياليّة ، وأن يجاري ، ومن يدري ، استنباطات سابقه ؟

إن عدة اتّفاقات غريبة تمنعنا عن افتراض من هذا النوع . اذ قارب هِسْتُدُس من ذي قبل بين حكاية الهِسْبِيرِيذِيّة - واسم ذِيْبَرِيْس يردّنا اليها - وبين اسطورة اطلّاس^(٨) . ويَإِنْفِيْمَلُس ، يقول لنا افلاطون ، يحمل أيضاً اسم غاذِرِيس . واسمه يُطلق على المقاطعة كلها التي حلّ فيها ، فتدعى المقاطعة الغذيرية . والحال ان ابليّس العتيق وسُليّس سوف يكلّمانا ، بعد ذلك بكثير ، عن مدينة افريقية تدعى غذير او غذير . واسمها يشير في اللغة الفينيقية الى مكان محصّن بأسوار^(٩) . وفي أواخر القرن الثالث للمسيح او مطلع الرابع يذكر أفينيّس الشاعر اللاتيني قلعة في شمال افريقيا اسمها غذير^(١٠) . فلا تسرع إذن بافراط لنؤكد ان اختيار اسماء الملوك الاطلنطين اعتباطي صرف . فبقدر ما نتمعق في درس مؤلفات افلاطون ، بذاك القدر نستشفّ فيها ، حتى في التفاصيل نوايا ومقاصد خفيّة .

(٨) مولد الآلهة لهِسْتِدُوس ، ش ٥١٧ .

(٩) هِسِيخِيْس : « يدعو الفينيقيون غاذِرًا الامكنة المحوّطة بأسوار » .

(١٠) De ora maritima, vers 266 ; • Nam Punicorum lingua conscriptum locum Gaddir vocabat. » (Poetae latini minores, Wernsdorf p. 436)
يقول هذا الشاعر اللاتيني في قصيدته « الساحل » : « لأن لغة الفينيقيين تدعو غذير (مكاناً محصناً » .

الفصل الثالث

وصف أثينا ووصف الأطلننتيس

١ - أثينا .

إنّ وصف الأتيكي القديمة المقتضب يشمل في آن واحد معلومات تتعلق بمواقع الأمكنة وطبيعة البلاد ، وملخصاً عن النظام الاجتماعيّ الأول .

(١) - فمن الوجهة الأولى ، أي من وجهة موقع الأمكنة وطبيعة البلاد إنّ أبرز حدث قبل الطوفان ، هو وجود طبقة كثيفة من التربة الصالحة للزراع على سطح أرض الأتسكي ، حيث لا نرى اليوم سوى صخور جرداء . فبدل الجبال الحالية وأردافها المنحدرة عمودياً، وبدل جرود فيلنفس الحجرية ، تراكت في القديم رواب تموج بسفوحها اللطيفة الانحدار، وآجامها الكثيفة ومراعيها الحسبة . وقد فاضت عيون متدفقة في كلّ مكان ، من أرض نضبت مياهها الآن وقبّلت .

ويدلّل أفلاطون على ذلك بتفسير مستغرب لأحداث معاصرة . فالحركة

التي جرفت بها أمطار الطوفان إلى البحر التَّربّ الزراعيّة ، تلاحظ بعد في الجزر الصغرى ، إذ ان صخور سواحلها الناشرة تغوص في اليمّ بصورة شبه عموديّة . وكذلك الجسور الحشبية الثقيلة ، (الداعمة عوارض سقف الرذّهات) في الحرائب القديمة ، تثبت هي أيضاً وجود الغابات في القدم . وفي الواقع ابتداء تجريد البلاد من غاباتها منذ اقدم العصور ، وعرّى في بطن قمم جبال إيتّا وبيليّين وهيلكّون وبارنّس من حلاها الخضلة الخضراء . وقد لاحظ أفلاطون تلك الاحداث ، ونسبها الى كارثة من كوارث الطبيعة ، في حين أنّ يد الانسان هي التي دمرت دوغماريب الآجام والغابات ، وأنضبت يتابع المياه .

وعلى كلّ ، فالأتيقي القديمة كانت أرحب وأوسع مما بقيت عليه . فقد امتدت نحو الجنوب الى حدود برزخ كورنّس . ومقاطعة ميغرا كانت لاحقة بها . وبلغت نحو الشمال خط كيرّون وبارنيس وجبل فيلفس مع الصرود المنحدرة الى نهر آسبّس ، واتصلت بمدينة أوزبّس على قناة إيفيا (١١١ de) . فقد كانت اذن تمتد الى مقاطعتي فينيّا وميغرا القائمتين على عهد الفيلسوف . ومع ذلك كلّه ، فهي دولة صغيرة ، ولو بدا لنا من أفلاطون انه يشيدبعظمتها .

والمدينة وقلعتها أيضاً كانتا اكبر مما هما عليه في أيامنا . فالأكرّوبليس في العهود التاريخيّة لم يبقَ منها سوى الرابية التي انتصب فوقها هيكل البريثنون . اما الأكرّوبليس الأولى فقد انحدرت جنوباً وشرقاً الى نهر الإليّسوس ، وقد شملت أكمة ابنيكس وقلة ليكفّثوس نفسها . ومن أكمة ابنيكس إلى هضبة ليكفّثوس كلومتان ونصف على خطّ مستقيم . أما الأكرّوبليس التاريخيّة فقياسها من الغرب الى الشرق لا يبلغ الا ثلاث مئة وخسين متراً . وقد كان يحوط المدينة والأكرّوبليس في القدم سور واحد (١١٢ b) . والأخبار الفاصلة بين الهضاب الحاليّة لم تكن قد اطمانت بعد . وتفجر على الأكرّوبليس

بالذات ينبوع فيّاض ، هو ربما معين الكليسيديزرا الجاري إلى الآن ، في اسفل المنحدر الغربي^(١) . ولم يبق من ذلك ينبوع سوى مغايض شحيحة ، انتظمت بشكل مستدير كعيون كير وئي ونبع البنيكس . والأثنيون في أيام القبط يتهاقون على تلك الجداول والغدران .

في وسط الأكرؤوبليس ، وهي ربوة المدينة ، انتصب هيكل اكرموا فيه هيفيستس وأثنا . ويبدو أنّ العبادتين قد اتحدتا في الواقع منذ أعرق الأزمان . وهذا ما يثبتة لنا لقب أثنا الهيفيستيا . وقراء اكرتيدس كانوا يتصوّرون حالاً الهيفيستين ، معبد أثنا وهيفيستس ، القائم في حيّ الفخار ، قرب السوق الكبيرة ، الى الشمال الغربي من الأكرؤوبليس الحاليّة .

(٢) - ونظام أثنا القديمة السياسيّ ، بمائل كل المائلة في الكرتيدس ، للنظام الذي اشار اليه التيمس من قبل . واساس ذلك عزل الطبقات عزلاً تاماً الواحدة عن الاخرى . فأصحاب الصناعات والفلاحون يقطنون البقعة المحيطة بالأكرؤوبليس . والمحاربون يسكنون الأكرؤوبليس نفسها حول الهيكل (١١٢ d) ، وقد قامت منازلهم على المنحدر المتّجه الى الشمال . واحتلت المنحدرات الجنوبية حدائق وملاعب ومطاعم^(٥) . وتشترك النساء في الخدمة الحربية . وعدد المحاربين يلبث على الدوام عشرين ألفاً^(٦) .

١ - (١) ارستفانس ، لستراتا ، ش ٩٠٣ .

(٢) هسيخيس ، في مادة هقسثيا .

(٣) بفسنيس ١ : ١٤ : ٥ .

(٥) راجع كتاب الجمهورية ٣ : ٤١٦ b و ٤١٧ a .

(٦) راجع الجمهورية ٥ : ٤٥٢ a و ٤٦٦ c . ان هذا العدد لا يتفق

والعدد الذي يشير اليه الباب الخامس من كتاب الشرائع .

٢ - الأطلننتيس

إنّ الأطلننتيس هذه ، قسمة بُسِيدُون ونصيده، هي حسب معطيات التيميس جزيرة كبرى تحوق بها جزر اخرى . وتعديل مساحتها مساحة آسيا وليبيا مجتمعين . ولا يفيدنا اكرتيس اكثر من التيميس عن موقعها بالضبط . ولكنّه يصفها في ادقّ تفاصيلها .

١ - إليك اولاً وصف العاصمة . حول الرابية التي عقد عليها قرانه بالبشرية اكلثو Cloto شيد بُسِيدُون مجموعة من الوصائد المتداخلة المستديرة . وكل وصيدة تتألف من رصيف فسيح يحدق به خندق واسع عميق . والجزيرة الداخلية المتوسطة ، اي قمة الأكمة التي اعتلاها هيكل بُسِيدُون ، لها قطر طوله خمسة استاذيا اي ٨٨٨ متراً^(١) . وتحيط بها قناة عرضها استاذين اي مئة وسبعة وسبعون متراً ، وستون سنتماً . وتحوّط الجزيرة الداخلية وقناتها ، وصيدة اولى مستديرة عرضها استاذين مضاعف ، اي ٢٥٥ متراً وعشرون سنتماً . ويحدق بهذه الوصيدة خندق ثان له نفس العرض . هناك اخيراً رصيف ضخّم ثان وقناة ثالثة ، عرض كل منها ثلاثة استاذيا ، اي ٥٣٢ متراً وثمانون سنتماً . وهذا الحدق الاخير يبعد عن البحر خمسين استاذيا ، اي ٨٨٨٠ متراً .

ذلك هو عمل الإله . وقد كمله ملوك الأطلننتيس بأشغال جبارة . فقد أقاموا اتصالاً بين الحدق المستدير الخارجي والبحر ، بواسطة تُرعة مستقيمة ، طولها خمسون استاذيا ، وعرضها ثلاث ابليثرات أي ٨٨ متراً وثمانون سنتماً ،

٢ - (١) لم نردف القياسات بما يوازيها من الامتار الا ليكون القارىء لنفسه فكرة تقريبية عن مدى اتساع العاصمة . راجع H. Nissen, Griechische und Romische metrologie, dans 1. Muller, Handbuch 1. 2, Munchen, 1892, P. 835. وكلمة استاذين اليونانية جمعاً عندهم استاذيا . وقد أثبتنا اللفظين ههنا .

وعمقها مئة قدم اي ٢٩ متراً وستون سنتمترأ . وقد شادوا جسراً ضخماً ، عرضه ابليثر اي مئة قدم ، فوق الحنادق والأرصفة ، ليصل الأكمة الملكية بباقي بقاع الأطلنيس . وتكلل الأرصفة ، ونحمت سكنى الإله ، اسوار هائلة عززتها الأبراج وغشتها الصفائح المعدنية . وقد اقتلعوا الصخور لبناء الأسوار من الجزيرة الداخلية اي من الأكمة الملكية ، ومن الارصفة . والمقالع التي استخرجت منها الصخور تحولت إلى مرافئ في بطن الارض ، تأوي اليها المراكب . وقد حفروا في الارصفة ممرات مسقوفة ، تعبر فيها السفن لتجتاز من خندق الى آخر . اخيراً حول الخندق او القناة الخارجية المستديرة خطتوا رصيفاً جديداً ، يبعد عن القناة خمسين استاذياً ويبلغ شاطئ البحر . وبين ذلك الرصيف والخندق المستدير الخارجي ، تمتد المدينة ببيوتها المتراسة بعضها الى جوار بعض . فالخنادق المستديرة او القنوات ، تؤلف ثلاثة مرافئ ، تأوي اليها المراكب القادمة من كل البلدان . وهي ليل نهار تعج بجمهور من الناس ، انصرفوا الى اشغالهم وملئوها صبياً (١١٧ e) .

ويشاهد المرء في الجزيرة المتوسطة ، هيكل بسيدون واكنثو وقصر الملوك المنيف (١١٦ e) . وفي وسط الجزيرة يشرف الهيكل ، وطوله استاذين اي مئة وسبعة وسبعون متراً ، وستون سنتمترأ ، وعرضه ثلاثة ابليثرات اي ثمانية وثمانون متراً وستون سنتمترأ ، يشرف ذلك الهيكل بجدرانته المتألفة ذات الثراء البربري . وقصر العاهل يباهي الهيكل رونقاً وبهاء ، وقد احاطت به معازل الحرس الملكي . واحتل اكبر جزيرة مستديرة كالاسوار ، اي الجزيرة الخارجية ، ميدان سبق شاسع استدار معها وشغلها من جناباتها . وهناك نبعان لا ينضبان احدهما ماءً باردة والثاني ماءً ساخنة ، يتفجران في الجزيرة الصغرى المتوسطة ، ويمدان الحمامات العمومية المختلفة بمياهها ، كما يؤتيان

اجمة بسيدئون الرطوبة الناعمة . وتتدفق تلك المياه الى الوصيدة الحارجية في جهاز علمي من القنوات .

أما تكوين باقي الجزيرة الطبيعي فلا يقلّ عجباً عما سبق . إذ يحقد بكلّ الأطلنثيس سلسلة من الجبال ، ماعدا جهة واحدة ، هي الجهة الجنوبية حيث قامت المدينة . وبين تلك الجبال يمتدّ سهل مستطيل ، يتّجه نحو الجنوب . و يبلغ طوله ثلاثة آلاف استاذيا ، أي ٥٣٢ كلم ، و ٨٠٠ م . وعرضه ألفين ، أي ٣٥٩ كلم و ٢٠٠ م . وتحيط بذلك السهل مُترعة ، عمقها ابلثر أي ٢٩ متراً وستون ، وعرضها استاذين أي ١٧٧ متراً وستون . وهذه المترعة تكتنف السهل برمتها ، ماخلا جهة المدينة ، اذ تنحدر مياهها في البحر من جانبي المدينة . ويتفرع عن تلك المترعة ثلاثون قناة مستقيمة متوازية عمودية بالنظر الى سفوح الجبال ، تؤمّن ري السهل كله . ولتلك القنوات روافد منحرفة تعرج على المدينة ، لتحمل الى اهليها المواطنين مباشرة حاصلات المناطق الجبلية .

فمساحة السهل يجملتها تعادل إذن ستة ملايين استاذيا، أي ١٩١٢٨١ كم. مربعاً . وقد قسمت الى ستين الف ولاية . مساحة كلّ منها عشرة استاذيا في عشرة ، أي اكثر من ثلاثة كلم . مربعة بقليل . وخلف المترعة المحيطة بالسهل ، والبالغ طولها عشرة آلاف استاذيا ، تمتد المنطقة الجبلية ، وقد مُقسّمت هي ايضاً الى ولايات لا تُحصى ، واستوعبت عدداً غفيراً من السكان .

(٢) إنّ نظام الأطلنثيس الاجتماعي هو حربي صرف . والولاية قبل كل شيء هي مفرزة عسكرية . وجملة الولايات الستين الفاً المنتشرة في السهل ، تقدّم للدولة عشرة آلاف مركبة حربية ، ومئتين وأربعين الف حصان ، ومليوناً ومئتي ألف محارب : بنسبة عشرين من كل ولاية ، ومئتين واربعين الف نوتي ،

لايف ومثي سفينة تقل مثي بحار . ومجموع الولايات يؤلف عشر مقاطعات ،
يخضع كل منها لأحد الملوك العشرة ، (١١٩ c) .

ثم يرسم لنا افلاطون لوحة رائعة عن الثروات المتنوعة جداً ، التي
اكتظت بها جزيرة الأطلنطيس . أولاً الثروات المعدنية . فقد حوت الجزيرة
أصنافاً مختلفة من الحجارة الصالحة جداً لكل ضرب من البناء . وتتوافر فيها المعادن
الثمينة من ذهب وفضة ونحاس جبلي ، ذاك المعدن الذي لا يعرف منه الآن سوى
الاسم ، (١١٤ e ، ١١٦ b ، ١١٩ c) فأية مادة يدل عليها هذا الاسم الحقيقي
المعروف دون ريب قبل عهد افلاطون ؟ إن صاحب القصيدة المدعوة بجننا ،
والمعزوة الى هسيئدس ، يكلمنا عن ران من ذاك المعدن المجهول ، نحاس الجبل (٢) .
وأرسطو يذكر الكلمة ، في مقطع من التحليلات الثانية ، دون ان يعرفها (٣) .
وبعد ذلك بزمان يذكر كتاب العجائب المنحول والمعزوة الى ارسطو ، مناجم
نحاس جبلي في فينيئس من اعمال أركذيتا على مقربة من مكيني (٤) . وفلسبونس
في تفسيره كتاب التحليلات يقول : إن نحاس الجبل هو واحد والنحاس الأصفر ،
المخلوط بالتوتيا . ويسلك المسلك نفسه اصحاب كتب الكيمياء (٥) القديمة . ولكن
نحاس الجبال المذكور في الكرتيس ليس معدناً مركباً . انه معدن بسيط لا يشبه
النحاس الأصفر . إذ له الناع كالناع النار (٦) . فهل اختفى ذاك المعدن ، او غدا

(٢) المجلد ش ١٢٢ : ران من نحاس الجبال اللامع .

(٣) التحليلات الثانية ٧ : ٩٢ b . ٢٢ .

(٤) ٥٨ : ٨٣٤ b : ٢٥ « وفي فينيئس معادن تدعى نحاس الجبال » راجع

هرودتس ٦ : ٧٤ .

(٥) لبرتلو Berthelot ، الكيمياء في الاجيال الوسطى ، المجلد الاول ، ١٨٩٣ ،

ص ١٣ : ٦ : ٧٤ . -

(٦) ٥١١٦ c : « وله الناع النار » .

مجهولاً في ايامنا؟ أو عنّ على بال افلاطون ، كي يضلل القاريء ، ان يستعمل كلمة مأنوسة في عهده بمعنى غير معناها ؟ نحن نجهد حقاً هذا الأمر ، ولا ريب أننا سوف نجهد دائماً .

ولا تقلّ ثروة الاطلنتيس الزراعية عن ثروتها المعدنية . واطوفلان يعدد بارتياح ما توفر الارض لسكانها من مختلف انواع الثمار . وهو يدلّ عليها باستعارات يصعب على المرء ان يُعين لها انواعاً محددة . فهل يتكلم افلاطون عن الزيتون والرمّان والليمون ، وهي ثمار معروفة ، ان لم يكن في اليونان ، فعلى الأقل في العالم الهليني ؟ هذا ما يمكن المرء ان يخمنه . او يتكلم الفيلسوف عن ثمار ليست من حاصلات اليونان ، كجوز الهند والحروب والتمر ؟ لابدّ هنا ايضاً من الاعتراف بجهلنا (b ١١٥) .

وحوانات الأطلنتيس تشمل الحيوانات الداجنة والآبدة المعروفة في بلاد الإغريق . ويذكر افلاطون منها خصوصاً الفيل « اكبر الحيوان نهماً » .

الفصل الرابع

شعائر الذبيحة والقسم

إنَّ اغرب قسم ربما من الكرتيس ، يصف لنا ما يتبعه ملوك الاطلتيس الكهنة من شعائر ، عندما يُقسِمون بأن يملكوا بالعدل ، وعندما يقضون في امر فردٍ من افرادهم العشرة إذا اجترح جريمة ما .

١ - شعائر الذبيحة

فكل خمس او ست سنين ، يلتزم الملوك العشرة في معبد الإله لهذه الغاية . ويطلقون في حمى هيكَل بَسِيدُون جملةً من الثيران الوحشية . فيتسلح الملوك وخدمهم بزازيق وحبائل ، ويختارون ضحيّتهم ويطبقون عليها في زاوية ، وبعد احكام ربطها يذبحونها على نُصْب من نحاس الجبال .
اما وصف رتبة الذبيحة ، ففي غاية الدقّة المهنيّة . إذ يعتمد الى المفردات المستعملة للدلالة على ذبح الاضاحي ، المفروزة للكافة ابناء الارض (١) . ولا يُغفل الوصف شيئاً : فالساعة المعينة ، ساعة الاصيل عند ارخاء الليل سدوله ، هي الساعة الملائمة لاستدعاء قوى الجحيم . وبعد انجاز الذبيحة واهراق

١ - (١) ١١٩ c « كانوا يذبحون » ١٢٠ a « يقدرسون ويحرقون محرقة كاملة » .

الدماء ؛ يطهرون جزع العمود الذي تذبح عليه الضحية وتُحرق بقاياها محرقة^٢ كاملة دونما ريب . وفي المأدبة الطقسية التي تَعْقِبُ التقدمة ، لا يأكلون من بقايا الثور المضحي^(٢) . والكلام هنا عن طقس من طقوس الذبح المتبعة منذ آلاف السنين ، نظير الطقس الذي يذكره هيرودوتس (٢ : ١١) .

غير ان تفاصيل مختلفة من الرتبة الطقسية نطلعنا اطلاقاً ادق على طبيعة الذبيحة المقدمة لبُسِيدُون . فأولاً ليست تلك الذبيحة محرقة من النمط المؤلف . اذ يبدو بصورة شبه اكيدة ان ملوك الأطلنتيس يذبحون على هذا الوجه الإله نفسه في شكل من الأشكال التي يجب ان يتقمصه . فبُسِيدُون يدعى مراراً الثور ، والحائر ، والدابة ذات القرون الملتوية^(٣) . فعندما يشرب اولئك الملوك من دماء الثور يتيهماً لهم انهم يغدون والاله وحدة ذاتية ، ذاك الاله الذي ضحوه في صورته ومثاله . وعندما يرشون وينضحون يجلط الدم او علقه ، فهم يارسون طقس التطهير المؤلف^(٤) . وثانياً ، ان دم الثور هو الذي يُستعمل لحَم وتأييد ما يُبرز الملوك من ايمان .

(٢) راجع P. Stengel, Die griechischen Sakralaltertümer (1. J. - E. Muller, Handbuch der Kl. Altertums - Wirs. V. 3, 2, 1898. p. 57) .
Harrisson; Prolegomena 2. 1908, p. 61 et sv. ; Critias 120 a b.

(٣) راجع لهسيديس ، انشودته المنحولة « انجن » ش ١٠٤ . - وقد كانوا يكرمون بُسِيدُون بذبائح ثيران سود ، الايأذة ٢٠ : ٤٠٣ ، والأذسية ٣ : ٥ .

(٤) يستعمل أفلاطون كلمة Thromvos . راجع لايسخلس الحثفوري اي حاملات تقادم الموتى ، ش ٥٣٣ ، ٥٤٦ ، ثم الافنيديس اي الرحيات وهنّ الاهات الانتقام ، ش ١٨٤ : جلط ... الدم المسفوك .

شعائر القسم .

وليس ذلك القسم قسماً عادياً ، يشبه الايمان التي يقسمها أفلاطون ، على غرار مواطنيه ، ويطيب له ولهم ان يرددوها في كل سانحة من حياتهم ^(٥) . اذ ان « الشرب من دم الثور » هو في الدين الاغريقي القديم ، من اعرق وارهب تحكيم الآلهة في قضايا البشر . فمن اقدم على شرب الدم وهو حائض في دينه وضميره ، يتعرض لان يموت فوراً ، كما حدث لبستينيس المجرم بجريرة دس الدسائس على كمفيسيس ^(٦) . اما من اجتاز المحنة بنجاح وسلام ، فهو مسلح لاشق الصعاب . لا بل ربما استطاع ان يجتاز دون اذى مياه نهر الجحيم .

وبقية الشعائر تفوق ايضاً ما سبق خفاء وروبة وسيرية . فبعد شرب الدم ، وتقديس الكؤوس التي سكب فيها ، يجلس الملوك عند هبوط الظلام ، على رماد الذبيحة ، وقد اطفؤوا الانوار كلها . وعلى هذا النحو ، في ظلمة دامسة ، يقضون ويصدرون الاحكام . وعند انبلاج الصباح ، يسجلون نصها حفرأ على صفائح من نحاس الجبال . وقد ارتدوا لخدمتهم هذه ملابس فاخرة ، مشربة زرقه رصاصية ، كأنها اثواب الافاعي ، او مياه اليم العميقة الشفافة ، أو سحب مماء عاصفة ، او ثياب حداد اقشحت بها ثيتيس ^(٧) . الوان الملابس الملكية اذن لون الحداد ؟ ام هو بالاحزى لون الاهات النعمة ، والاهات المصائر ، وآلهة الجحيم ، عندما تصعد الى النور وضوء النهار ؟ فاللوحات انفسها ، التي ينقش الملوك عليها احكامهم ، توحى الى الحيال صورة طقس من طقوس الموت .

(٥) راجع كتاب الشرائع ١٠ : ٩٠٨ c و ١٦ : ٩١٧ a و ١٢ : ٩٤٨

c ٩٤٩ ، b .

(٦) هرودتس ٣ : ١٥٠ .

(٧) التيمس ٦٨ c ، والاباظة ٢٤ : ٣٤ .

الفصل الخامس

مشكلة مصادِر الكريّيس

في سياق الحديث ، ابدى عرضنا بعض المعطيات الواقعية التي اعتمد عليها افلاطون ليؤلف روايته . ولكننا لا نستطيع ان نجد من تلك المعطيات الا عدداً زهيداً ، اذ قد تلفت اغلب الوثائق القادرة ان تفيدنا . وما هو اكيد ثابت ان افلاطون قد رمى في كل امرٍ الى حدّ اقصى من بمائلة الحقيقة .

فان دار الكلام على قصة اثينا ، فما يشير اليه افلاطون من احداث ، لم يحو قطّ ما من شأنه ان يثير دهشة معاصريه . ففي زمانهم ، بعدت الاتيكي جداً عن ان تكون على ما هي عليه الآن من وحشة واقفار . فقد كان جبل الكثيرون ، وهذا ما نتبته من فاكهة افريبيدس ، ظليلاً تكسوه غابات الصنوبر والسنديان^(١) ، وتغطيه مروج خضراء سقتها العيون الفيضة . ولم ينقطع قطّ فعل القوى البركانية عن الظهور في الاتيكي بين الفينة والفينة ، بنتوء تلال او انخساف تربة او انشقاق صخور ، كانخساف التربة الذي حفر وادي تمي في عهد التاريخ، دون ان يكون ذلك بارزاً بـروزه في فيتيا ولكونية او في لكريس .

١ - (١) الفاكخة ش ٦٨٧-٦٧٨ ، ١٠٥١-١٠٥٢ .

وان تناول البحث نظام بلاد الإغريق الأولى السياسي ، فعدد وافر من التقاليد القديمة يثبت التمييز الشديد بين الطبقات في دولة أثينا الغابرة . وقد حفظ لنا تعليق على الأوكسيخوس مقطوعة من دستور الأثينيين لأرسطو يذكر فيها انفصال طبقة الفلاحين عن طبقة أهل الصناعات (٢) . وان رام أفلاطون يتحدث عن تفاصيل شعائر العبادة وطقوسها ، فقد كان يكفيه ان يفتح عينيه ليرى ، في كل بلاد اليونان ، الف حفلة وحفلة ، تضاهي كلها ما وصف برهبتها وسريتها .

ولكن ما هي العناصر التي كانت متوقرة لديه لوصف الأطلنتيس ؟ لقد عاجنا هذا الموضوع في كلامنا عن حوار التيمستس . فقبل أفلاطون ، لم يذكر على ما يبدو ، شعب الأطلنطيين ، سوى المؤرخ الميليتسي هيكيتستس ، وهيرودوتس الناسج على منواله . وما قاله هذا وذاك عن الشعب المذكور غامض ومستغرب ، ولا علاقة له مع معطيات اكرتيس . في داخل ليبيا ، شمالي كيب الرمال الفاصلة بين الصحراء والأرض الآهلة ، قرب جبل أطلاس والى غرب أرض الأطرنتيين ، انتشرت بلاد الأطلنطيين . وتفصلها ليبيا الوحوش الاوابد عن سواحل البحر المتوسط ، اذ قد أقام على تلك السواحل الليبيون الرعاة الرحل (٣) . وما عتم فساد هذا الوصف ان ظهر ، اذ ليس في البقعة المشار اليها سوى سهول متموجة ، لا جبال شاححة (٤) . وبعد هيرودوتس ما برح الكتاب يدفعون بجبال اطلاس نحو الغرب ، الى جوار الأطلنطي مباشرة

(٢) التعليق على ٣٧١ d - -

(٣) هروذتس ٤ : ١٨٤ - -

(٤) راجع فكتور بيرار V. Bérard ، « الفينيقيون والأديسية » ص ١٤٤ - ٢٤٦ . وهذا الكتاب يجعل الأطلس في جبل القروود . ولكن اجنسيل S. Gaill يدحضه في كتابه « قصص تمت الى تاريخ أفريقيا الشمالية » ص ١٠٧ هروذتس الجزائر وباريس ١٩١٦ ، ص ١٠٧ - -

بمحيث جعله ذيشيبسيس الميئسي في القرن الثاني قبل المسيح ، على شاطئء المحيط بالذات^(٥) . وتبع بلد الاطلنطين نفس الطريق ، وقد بحث عنه في تلك الجهات ولا يزال خصوصاً يبحث عنه كل من استثارهم هذه المشكلة الشائكة التي لا حل لها .^(٦) وعلى كل حال ، ليس من علاقة بين القبيلة الهمجية المتوحشة الموصوفة في هيرودوتس ، وشعب اكرتيس الراقى المتحضر حضارة فخمة .

وعلاوة على ذلك ، كيف المرور من رمال افريقيا الى الجزيرة الشاسعة التي يحدثنا عنها افلاطون ؟ ويبدو أن تلك الجزيرة لم يعرفها أحد قبل التيمس . وإنما يذكر ابرو كلئس نصاً مؤرخ يوناني ، اسمه مَرّ كلئس ، الف كتاباً على الحبشة^(٧) ، يتكلم فيه صاحبه عن عشر جزر في البحر الخارجي ، اكبرها جزيرة بسيدون ، وهي تبلغ طول ألف استاذيا أي ١٧٨ كلم . ويقول ذاك المؤرخ : « كان سكان جزيرة بسيدون يلهجون بذكري جزيرة الأطلنتيس ، التي سبقت في الواقع . ووجدت في تلك الأنحاء . وقد تناقلوا تلك الذكري عن السلف . وقد كانت أفسح الجزر ، وسيطرة مدة أحقاب طويلة ، وبسطت سلطتها على جميع جزر

(٥) ذيوذرس^٣ : ٦٠ . -

(٦) راجع دربوا ده جوبانفيل D'Arbois de Jubainville ، أول سكان اوربا

١ : ٢ ، ص ٣١ و ٢٤ . ومن احب التبحر في هذا الموضوع يجد معلومات في المصنفات التالية :

- مانتزي Manzi ، كتاب الاطلنتيس ، باريس ، ١٩٢٢

- جاتفوسه Gattefossé ، الحقيقة عن الاطلنتيس ، ليون ، ١٩٢٣

- ده فينيه R. Dévigne ، قارة متوارية ، الأطلنتيس أو القسم السادس من

الكرة الأرضية ، باريس ، ١٩٢٤

- الاب مور L'Abbé Moreux ، هل وجدت الأطلنتيس ؟ باريس ، ١٩٢٤

(٧) راجع ديهل ، ١ : ١٧٧ ، ص ١٠ - ٢٠ . -

الأطلنطي . وكانت ملكاً لبُسِيدون . غير أننا إذا استثنينا ابُروكلُوس ، لا يعرف احد مَرَكلُوس هذا ، مؤرخ افريقيا . وعلى كل حال ، فقد طالع مَرَكلُوس نفسه حوار التيميس وحوار اكرتيس . ويبدو نصّه مجرد مطابقة لرواية أفلاطون : « ان الأطلنتيس لا يذكرها سوى افلاطون والذين قرؤوا له . » ان هذا الحكم هو حكم مؤرخ من اوسع المؤرخين اطلاعاً على هذه المواد . وهذا الحكم يصحّ كل مرة يتقب المرء عن المصادر تنقيحاً دقيقاً^(٨) .

وفعلا حسب المرء أن يطالع الكرتيس ، ليكتشف عملياً المنهج الذي ألفه افلاطون في النقل . فكل عناصر وصفه الاطلنتيس قد استمدها بما حوله في العالم اليونانيّ ، في أثينا بالذات ، أو على نحو الحضارة الهلينيّة ، في كريت وربّما في مصر .

فالقسم الاسطوري كآته من حوار اكرتيس هو أولاً دقيق كلّ الدقة . يطابق التقاليد اليونانيّة ، على ما رأينا . وحيث يظنّ المرء أنه يلقي بعض التباين ، يُحتمل أن يكون افلاطون قد اتبع تعليماً نجمله . وإذا أحصى الفيلسوف ، خلافاً للعرف والعادة ، حول بُسِيدون مئة جنيّة من جنّيات البحار بدل خمسين ، فما ذلك إلا من باب المغالات في جزيرة ضخمة مثل الأطلنتيس^(٩) . أضف إلى ذلك أن هيكل بسيدون واكتو ، قرينته البشرية ، يشبه شهاً تماماً أيّ هيكل يونانيّ . لا بل يكاد أن يكون في ضخامة هيكل أرتيس أفسس أو هيكل زيفس الألبينيّ في أثينا ، ولا يبدّهما عظمةً إلا قليلاً . فالزخارف فيه أوفر

(٨) راجع اجسيل S.Csell، تاريخ افريقيا الشمالية القديم ١، ١٩١٣، ص ٣٢٨

(٩) لم يصحّ بيندروس إلا خمسين نريديس أي جنيّة من بنات نريفس ،

الأناسيد البرزخيّة ٦ : ٨ . راجع إفربيديس ، إين ، ش ١٠٨١ -

ثراءً ، ولكن نمط التزيق مماثل . وعلى غرار المعبد اليوناني ، فيكل الأطلنثيس هو مسكن الإله . وليس كالكنيسة المسيحية بيت المؤمنين . ففيه يمين صن جبار الإله ، تحدى به تماثيل أولاده واحفاده ، نظير زيفس العظيم في هيكل أولمبيا (١٠) وفي الغابة المقدسة حول المعبد ، انتصبت مئات التماثيل وقد نذرتها ووفقتها له تقوى المؤمنين . ولم يتمكن الفنانون اليونان أن ينمقوا هياكلهم الا بالرسوم والزخارف المتنوعة الالوان . أما ملوك الاطلنثيس فقد غشوها بصفائح فضية وعسجدية . فالمادة الثمن وأغلى ، واما اسلوب التتميق والتزيق فلا يختلف .

وفيا يتعلق بنبات الاطلنثيس وحيوانها ، نجد أفلاطون يقف منها متعمداً ولا ريب ، موقفاً مبهماً . فعنده تفصيل واحد دقيق ، وهو ذكر الفيل ، ولكن هذا التفصيل لا ينطوي على انوار خاصة عن القارة المتوارية . والفيل لا يوجد الآن في شمال أفريقيا إلا أن شهادات وافرة تشير الى وجوده فيها حتى القرون الاولى من التاريخ المسيحي . وفي اراضي الإغريق ذاتها ، ألم يتهيا مرة من المرات لأفلاطون أن يشاهد بقايا الفيل القديم ، وقد انتشر ربما في العصور الغابرة على كل سواحل البحر المتوسط (١١) ؟

ولكن أيّ نماذج استطاع افلاطون أن يرى حوله ، لوصف موانئ الأطلنثيس وترعها ومبانيها وحصونها المستورة . من الثابت الأكيد أن

(١٠) بفسنيس ٩ : ٢٥ : ٤ ثم ١٠ : ٧٣ : ١١ . -

(١١) راجع اجسيل S.Gesil ، تاريخ أفريقيا الشالية القديم ، ١٩١٣ ،

٧٤ - ٧٩ . ثم كاييه Cayeux اكتشاف الفيل القديم في جزيرة فيليس (محضر صادر عن

ندوة العلوم ، ١٩٠٨ ، ص ١٠٨٩) . -

أفلاطون لم يضطرّ أن يبنّى في البحث والتقيب . لأنّ مهندساً عبقرياً ، هو هودمس المليتسي ، كان قد أنشأ في جوار أثينا وعلى مقربةٍ منها قبل عهد أفلاطون بقليل ، مجموعةً كاملةً عجيبةً من المراقيء والمدن ومستودعات الذخيرة والقلاع . ففي البريئفس ، في ما كان سابقاً جزيرة صخرية ، وصلها فيما بعد بالبابسة برزخ من رواسب السيول ، انتصبت منطقة عالية من الأسوار الكثيفة دُعمت من سبعين إلى سبعين متراً بأبراج قوية . وقد عززت تلك المنطقة الحماية حول الموانئ الثلاث ، ميناء كانثرسٌ وميناء زريثا وميناء منيخيا ، وجعلت منها حصوناً لا ترام .

وبعد ذلك العهد بقليل ، شيّد في البريئفس السكيفثيكي أي مستودع العتاد، لتصف هناك في نظام تامّ الذخيرة والمؤن المعدة للاساطيل الأثينية .

لا غرو أن موانئ البريئفس ليست مستديرة متداخلة . وهي تفتح على البحر بترع متوازية مستقلة . ولكن اثنتين منها ذات شكل مستدير . ولا بدّ أن تكون ضخامة المشروع قد أثرت في أجداد أفلاطون ، فانطبعت نفوسهم بها انطباعاً عميقاً . (١٢)

هذا ، وتفصيل أخرى من الوصف الأفلاطوني في هذا الحوار ، توحى لنا صورة عن حضارة كانت قد اندرست في عهد أفلاطون ، منذ زمانٍ سحيق . غير أن ذكرياتها كانت ولا بدّ قد لبثت حيةً في عالم البحر المتوسط ، وتلك الحضارة هي حضارة بحر إغينيّس وكريتي والمستعمرات الكريتيّة . وما

(١٢) راجع لارسطو ، السياسيات ٢ : ٧ : ١٢٦٧ b و٢٢ وبفسنيّس ١ : ١ : ٣ - ١ : ١ : ١ J. G. Frazer على آثار بفسنيّس في اليونان القديمة ، ترجمة روث Roth باريس ، ١٩٢٣ ، ص ١٨٦ ، ١٩٤ .

انفككت جزيرة كَرَبِيّ مدّة عصور ، محورَ شغل النحاس والقلز ، المرغوب فيه إلى حدّ كبير في الاطلنّيس. وقد عرفت زخارف الاحجار المتنوّعة الالوان. وقد زُيّنت بمنلها حصون جزيرة بُسِذون . ويبدو أنّ أيّ بلد من بلدان العالم القديم لم يتقن فن استخدام المياه اتقان كَرَبِيّ له . ولم يجارها احد في تخزين العيون والينابيع، وجرّها إلى أمكنة نائية في قنوات محكمة الصنع . فالحضارة الكَرَبِيّة ، كحضارة الاطلنطيّين ، حضارة بحريّة . أخيراً جزيرة كَرَبِيّ هي موطن مصارعة الثيران ، ومهبط عبادة الآلهة التي اتخذت شكل الاثوار .

وصيد الثور المقدّس قسم لازم من رتبة الذبائح ، ليس فقط في كَرَبِيّ ذاتها ، وفي اكنّسوس وغيورنيا ، ولكن أيضاً في كلّ بلد بدا فيها أثر الحضارة الكَرَبِيّة ، نظير ميّيني وثيرنثس وأرخميني وقيّو . فاللوحات المنقوشة والاواني المصور عليها تبدي لنا الصيادين الرّسّاقين . فهم ، نظير ملوك الاطلنّيس ، متسلحون بشباك ومزاريق ، ومستعدّون لاقتناص الوحش الضاري ، قبل تضحّيته ، إذ فيه يتجلّى إله كَرَبِيّ العظيم . (١٣)

فقد كان في وسع افلاطون ، دون أن يخرج تقريباً من أثينا ، ان يعثر على كل عناصر روايته الجوهرية . وليس المرء في حاجة الى احتمال وجود تقاليد افتراضية ، تتعلق بسلطنة سِلِيّته قديمة ، أو بملكة خفية المعالم تولاهها أرلان أو ميزلي . فعندما كان الاثينيّون يطالعون حوارا كَرَبِيّيس ، كانوا يلاقون فيه مشاهد مانوسة لم تضحّم تقريباً ولم تحوّر . ومن يدري هل استمدّ افلاطون

A.-J. Evans : The palace of Minos I. The neolithic and early and middle minoan ages. Oxford, 1921 ; G.Glots:la civilisation égéenne, Paris, 1923, p. 126.210.339 . -

قروضا من أدب روائي خياليّ سابق؟ إذ لم تخل الاغريق منذ عهد الأذسيّة وعهد أرسطو كُنَيْسِيّ البِرُّ كُنَيْسِيّ الشيخ، من قصص أسفار الى بلاد عجيبة. فتاريخ هِرُودُوتُس يفرض مجموعة من المؤلفات السابقة لعهد، صبغتها لا علمية صرفة ولا خيالية بحتة. وكثير من تلك المؤلفات كان متداولاً ولا بدّ في زمن افلاطون .

وهناك سمة بين السمات في الاسطورة الافلاطونية تسترعي الانتباه إلى أكبر حدّ، وهي انتظام المنشآت في الأطلنيس انتظاماً هندسياً . فهذا الانتظام في الحقيقة هو صبغة تشترك فيها كل المدن أو الدول الوهمية . وهي تظهر فوق كل شيء عمل العقل ، غير المبالي بتشوش المادة ، أو العاكف على تمغه والسيطرة عليه . وقد عرف رجل فنّ فريد، وهو هِبُودَمُس مبدع البِرِّ لَيْفِس ، ومؤلف مشروع غريب أيضاً لدستور مثالي ، قد عرف ذلك العبقري أن يحقق على الأقل في الحقل المادي مخطئاً يقهر به فهمُ الانسان الطبيعة المعاندة . فلا يستحيل أن يكون افلاطون قد استوحى إحدى كتابات هِبُودَمُس (١٤) .

وعلى كل حال يرى المرء في سهولة أن وصف الأطلنيس لا يخلو من نوايا التهذيب والتوجيه . فحضارة أثينا الزمن الغابر ، وحضارة الأطلنيس تتعارضان تعارض مثاليين متباينين . فمن جهة فضيلة رصينة وقوة معتدلة ، ومن جهة قدرة غاشمة جامحة . ومن جانب دولة صغيرة قادرة في اقصى حدّ ان تجيش عشرين الف محارب . ومن الجانب الآخر شعب لا يحصى ، وجيش قوامه مليون ومئتا الف بجند ، وعتاد ضخم جبار .

(١٤) أرسطو ، السياسيات ٢ : ٧ : ١٢٦٧ b ٢٢ (١) ، Diels , Vorsokr . 3 .
P. 293) ويحتمل ان يكون هيبودمس قد استعمل كلمة « المناضلون » للدلالة على المحاربين .
وأفلاطون في التيمستس يعمد الى عين الكلمة .

ذلك أن الأطلنيس ، خلافاً للأتسكي ، هي بلد بربري : بربري بعظمة منشأته المفرطة ، وبحصب أراضيها خصباً لا يُصدّق ، وبزخارف قصوره وهياكله الثرية الباذخة ، ثم بربري بخطط معاركه المختلفة عن خطط الاغريق . وهؤلاء لم يلجؤوا قط في حروبهم الى المركبات والرماة (١٥) .

أخيراً ، تعيش الأطلنيس على الصعيد السياسي ، في ظل نظام طغياني . إذ لا بدّ لملوكها من حماية حرس منتخين بكل عناية (d ١١٢ و d ١١٧) . ومع حفظ التناسب ، لا يقدر المرء أن لا يرى في حوار اكرتيس شبه معارضة أو مجازاة لحوار مينيكسنس ، حيث عولج موضوع مماثل في قالب مختلف . وسقراط لا يستسلم تماماً الى السخرية ، عندما يسدي فيه ثناء عاطراً الى مدينته ومسقط رأسه ، وإلى مواطنيه الاثينيين ، محتدياً في ذلك حذو المراتي أو معارضاً لها . فبلاده بلاد غالية عزيزة على قلب الآلهة ، اذ تنازع بسيدون وأثينا مهمة السهر عليها . والأتسكي لم تولّد على متنها ، نظير أرضين اخرى ، زرافات من الوحوش الضارية والآبدة . وانما انجبت هي نفسها قاطنيتها ، وانتجت لهم الغذاء الملائم ، وحببتهم ثمرة الزيتون . ومن ثم ، فهي في الحقيقة أهم وريبيتهم وتربيتهم (١٦) . ثم لأنها اثنمت الآلهة عليهم ، فربوهم الترية اللازمة (١٧) . وهكذا ، لما كان للاثينيين جميعاً اصل واحد ، فهم وحدهم عرفوا المساواة الحقيقية . وفي كل بلد آخر يمارس المواطنون الأسياد الطغيان ويستسلم له العباد .

(١٥) « ولدى سماعهم اسماء يونانية تطلق على اناس برابرة .. » d ١١٦ « وهم

نسيج بربري .. » .

(١٦) مينيكسنس c ٢٣٧ .

(١٧) e ٢٣٧ و b d e ٢٣٨ .

وفي الواقع أخطب الاثنيون القدامى ، أجداد الاثنيين المعاصرين ،
أخطبوا في حالات متعاقبة ، جهود الاحكام البربرية الطغيانية للسيطرة عليهم.
واستعبادهم . وتغلبوا على إيفمكثبئس ، وقهروا الأمزونيّات ، ودحروا
كثيرين غيرهم من الفاتحين البرابرة (١٨) . أفليست الأطلنتيس اقدم السادات
البربرية وأرهبن أيضاً ؟ اليست ذاك الحكم المطلق حيث يتجلى جوهر البربرية
بالذات في شرح اقتداره وثرانه وفي ما يولد من كبر و صلف ؟ فعلى هذا النمط ،
يأزج المغزى الخلقى النيات والتوجهات الوطنية . وهل الحرب التي تشنها أئينا
على الأطلنتيس ، سوى معارضة شعرية للحرب الحقيقية التي ألبت على البربرية
الفارسية ، مدة نصف قرن من سنة ٤٩٢ ق . م الى سنة ٤٤٩ ، كل قوى اليونان
بقيادة أئينا ؟

وفي رواية وقائع تلك الحرب ، في القسم الضائع او غير المكتمل من
حوار اكرتيس ، كان لا بدّ لافلاطون من إعادة سرد إيسخلس الشيخ لها ذلك
السرد الرائع ، ولكن على طريقته الخاصة . ويتحتمّ عليه اذ ذاك ان ينقل الصراع
خارج حدود التاريخ ، وأن يستخلص منه في حرية مطلقة العبر الأزليّة .

ومن هذا القبيل تعارض لاريب فيه ، بين القصة الأفلاطونية وكلّ
محاولات سابقي افلاطون او معاصريه . فما من كاتب عرف ، بنهج يفضل نهج
أفلاطون ، أن يلقينا في عالم الوم ، وان يفرض علينا حلمه كحقيقة عينية . ولكن
أفلاطون في استنباطه بالذات وفي تلميه بعارضته ، لا يدع خياله ينساق ، خلافاً
لتلميذه هركليدس ، إلى مدى أبعد مما عين لنفسه من حدود . ولا يحتاج بشغورس
والمجوس أن يتدخلوا في روايته . فهو يعرف أن يحقق ، معتمداً على ما يقره

(١٨) ٢٣٩ b . « وكيف ردوا على الاعقاب أعداء قبل هؤلاء أيضاً ... »

العالم الذي يجيا فيه من معطيات ، أسطورة مدهشة بتدقق حياتها ، على كونها في ذات الوقت دقيقة كمحضر مساح ، وغارقة في ضياء الأعلام . وهو يعرف أيضاً أن يُبرز خير إبراز ما انطوت عليه من عبر سامية ، تطيب للفيلسوف وتروق السياسي .

فمقطوعة الكرتيس لا تقلّ قدرأ عن الجمهورية والشرائع . لا بل ربما سمحنا لأنفسنا بالاعتقاد أن جوهر الفن الافلاطوني الخاص بالفيلسوف والذي لا يجاريه فيه احد ، يظهر في هذا الحوار بنصاعة دونها نصاعة أي حوار آخر .

الفصل السادس

مخطوطات كريتيس

إنّ مخطوط حوار كريتيس الرئيسي هو الباريزي ١٨٠٧ ، حيث تُنسخ الحوار على الصفحات ١٤٥ - ١٥٢ . وشأنه في هذا الأمر شأن حوار التيمس .

أما المخطوطان W.Y فلا يجويان نصّنا . لكن مخطوط فيينا الخامس والخمسين ينطوي على نسخة ممتازة ذات اختلافات كثيرة هامة ، لم يخرجها كلها المشرفون على طبع الحوار . والفايكافي ٢٢٨ والبندقي ١٨٤ يوفران هما أيضاً بعض الفوارق القيمة .

وقد قابلنا نصّنا مقابلة كاملة على الباريزي A وعلى مخطوط فيينا الخامس والخمسين . وحواشي نصّنا اليونانيّ تشير الى اختلافات ذبلك المخطوطين . وقد استفدنا فائدة كبرى من طبعة كريتيس المنشورة سنة ١٨٥٥ ، مزدانة بحواش ثرية وترجمة لاتينية أنجزها اسنيدر (١) .

Index lectionum in universitate litterarum Vratislaviensi per hiemem (١) - ١
A. MDCCCLV , habendarum ... et Diem natalem Regis... Friderici Guilelmi
IV celebrandum ... indicit G. E. Chr. Schneider (2 diss. Vratislaviae, 1855).

حوار الكريستيان

أو الحوار الاطالنتي

أشخاص الحوار

- تيميُّس
- أكرتيس
- سكراتس
- هرمُكراتس

حوار الكريستس

أو الحوار الاطلنطي

١ — المطلع : ارتياح تيمميس إلى الصمت بعد طول الحديث .

تيمميس : كم يلدّ لي ، يا سقراط ، أن افلت الآن بسرورٍ من جولات
الحديث ، و كأنني قد رحت استريح بعد درجٍ طويلة . فابتهل إلى الإله الذي ١٠٦
وُلد فعلاً من قبل ، ذات يوم في الزمن الغابر ، والمولود الآن في أقوالنا منذ
عهدٍ قريب ، أن يهنا صيانة ما قيل منها باعتدال ، وإن سَططنا في الكلام عن ١٠٧
غير تعمّد ، وتجاوزنا الحدود ، أن يفرض علينا العقوبة الملائمة . والحكم القويم
أن يعاد من فرطٍ وشدّة إلى الأصول والنعم السديد . ولكي يستقيم لنا القول
من الآن فصاعداً ، في كلامنا عن مولد الآلهة ، نسأله أن يمنحنا خير العلاج
وأنجعه ، ألا وهو المعرفة . وبعد الابتهاال ، ندع ، على ما اتفقنا ، متابعة
الحديث لا كرتيس .

٢ — الكرتيس يلتبس إغضاء سامعيه .

الكرتيس : ألا يا تيمميس ، إني أقبل الأمانة . ولكنني أحنو

c حدوك . كما ابتدأت وطلبت تسامح سامعيك لإقدامك على حديثٍ خطير ، أنا
أيضاً ألتمس الآن نفس التسامح لا بل أحسب نفسي أهلاً لتسامح أعظم ، بشأن
١٠٧ ما أنا مقدم على قوله . وعلى كوني أعلم أنتي موشك أن أسأل سؤالاً مفرط
a التبجح وأكثر خشونة مما يُطاق ، فمع ذلك لا بدّ لي من إبدائه .

أولاً ، أي انسان أريب مدركٍ يجروّ على ادعاء أن ما قلت لم تُجد
قوله ؟ ولكن لا بدّ لي أن أحاول على وجهٍ من الوجوه تلقينكم أن ما سيقال
بجاجة الى تسامح أعظم ، لأنه أكثر مشقّة وصعوبة . إذ أسهل على المرء ، يا
تيمثس إذا تحدث إلى الناس في قضية تدور حول الآلهة ان يظهر لهم في مظهر
المصيب ، من أن يحدثنا نحن الماثنين في قضية من قضايانا ، ويظهر لنا ذلك المظهر
عينه . لأن عدم خبرة السامعين بشؤون الآلهة ، وجهلهم المطبق بأموها ،
بوفران منفرجاً كبيراً لمن يُقدم على الحوض في قضية من قضاياها ، ونحن نعرف
حق المعرفة ما هي درجة اطلاعنا على قضايا الآلهة .

ولكن لأوضح مقالتي إيضاحاً أوفى ، اهتموا معي لهذه الناحية التالية .
إنه لضروري حقاً من بعض الوجوه ، ان تكون أقوالنا نحن جميعاً قدوةً ما
ومثالة^(١) . فلننظر الى عمل الرسّامين الذي به يصوّرون أجسام الآلهة والبشر .
ولننظر اليه في ما يلقى من هيبة أو عناء ، ليبدو للمشاهدين أنه يمثّل تلك
c الأجسام تمثيلاً وافيّاً ، فنتشبّت عندئذ أننا فيما يتعلق بالارض والجبال والأنهار
والآجام والسماه وجملة ما فيها وما يدور في فلکها ، في كل هذه نكتفي ونسرّ
بان يتمكن رسام أن يجاري شيئاً منها ولو زهيداً ، ويقارب فيه شبهها . أضف

(١) إن نظريّة الفن التي يذكر بها أفلاطون في هذا المقام ، قد بسّطت في
الجمهورية ١٠ : ٥٩٨ وما يلي ، وفي السفستي أيضاً . ويبدو لنا أن التبسّط فيها هبنا
يجعل على شيء من الملل لأنه لا يلائم الموضوع .

إلى ذلك اننا لما كنا لا نعرف شيئاً مضبوطاً عن مثل تلك الأشياء ، فنحن لا
تحرى رسومها ولا نناقشها ، بل نجتزئ برسم ظلها رسماً غامضاً خداعاً . d

ولكن عندما يقدم رسّام على تصوير أجسامنا ، بما أننا نشعر شعوراً
مرهقاً بأي نقص في رسمه بسبب ملاحظتنا الملحة الدائمة لذواتنا ، نغدو محكمين
و (نقسو بأحكامنا) على من لم يؤدِّ تادية تامّة كل أوجه الشبه . وهذا الوضع
نفسه يجب أن نعتبره مطبّقاً على الأقوال والأحاديث . فنرضى بالأمور السهوية
والإلهية ولو صورها الكلام تصويراً زهيداً . أما الأمور التي تمتّ الى المائتين
والبشر فتتحرها بكلّ دقة . e

فيجب إذن أن تغضوا الطرف عمّا سأقوله حالاً وبدون استعداد ، إن
لم أستطع إيفاءه حقّه تماماً . إذ لا بدّ ان نفهم أنّ تصوير احوال المائتين ليس
بالسهل ، بل صعب وشاقّ ، لأن تلك الأحوال تمتّ الى الظنّ والتخمين . ولقد
نطقتُ بهذا كله ، يا سقراط ، لرغبتني في أن أذكركم بهذه الأمور ، والتأسأ
لا لتساهل أقلّ بل أعظم بشأن ما أنا مزعم أن أقول . فان بدا لكم أي التمس
منحة عادلة ، فاجبروني إياها عن طيبة خاطر . ١٠٨ a

سقراط : ولم لا نحبوك إياها ، يا اكرتيس ؟ ولتوهب من قبلنا
نفسُ الهبة للخطيب الثالث أيضاً ، لهرمكرايس . إذ من الواضح أنه سوف
يلتمس بعد قليل عين الإنعام نظيركما ، عندما يترتب عليه ان يتكلم . فلكي
يستنبط إذن مطلعاً آخر ولا يضطر ان يردّد عين الاستهلال . فلينطق وهو
واثق أنّ إغضائنا مضمون له لذلك الحين . وإني أسبق وأقول لك ، يا عزيزي
اكرتيس ، استعداد الجمهور نحوك ، لأن الشاعر الأوّل قد نال كلّ رضاه
وأثار إعجابه . ومن ثمّ سوف تحتاج الى تساهل جمّ ، إن قدّرت فتمكّنت
من نيل نفس التأييد والاعجاب . b

c
هرم مكراتيس : طبعاً يا سقراط ، إنك توجه نفس الانذار ، إلى الزميل
هذا وإليّ . ولكن في الواقع يا اكرتيس ، لم يرفع حتى الآن معالم الغلبة
والانتصار رجال خلعت قلوبهم . فعليك إذن أن تبأثر خطابك بشهامة ، وبعد
الدعاء الى أبولون وربات المعرفة والأدب والفنون ، أن تظهر مآثر مواطنينا
بالأقدمين وتُشيد بمدحهم .

a
اكرتيس : يا صديقي هرم مكراتيس ، لا تزال ثابت الجأش لأن
امامك آخر ، ودورك في الكلام عتِن للغد . ولكن المهمة الملقاة عليك ، سرعان
ما ستبدي لك خطورتها . والآن عليّ أن أذعن لنصحك وتشجيعك ، وأن استجد
بن ذكرت من الآلهة ، وبالآلهة الآخرين ، ولا سيما الذاكرة امنيمسي .
إذ أخطر أقوالنا تكاد تتعلق كلها بهذه الإلهة الأخيرة . لأننا إذا تذكرنا ذكرى
وافية وروينا أقوال الكهنة (المصريين) - وقد نقلها صولون الى ديارنا - فأنا
أعرف تقريباً أننا سوف نبدو لهذا الجمهور بظهر من أنجز ما يليق به إنجازاً مقبولاً .
والآن هيا بنا إذن لنتمّ ما قصدناه ، دون أيّ إبطاء .

٣ - تلخيص معطيات التيمسُس

e
فلنتذكر قبل كل شيء ، أن جملة ما انقضى من السنين تسعة آلاف ، منذ
أن وقعت الحرب وأعلنت بين الشعوب القاطنة ما وراء عمد هر كليس وخارجاً
عنها من جهة ، وبين الشعوب كلها القاطنة قبل تلك العمد داخل البر من جهة
أخرى . فينبغي لنا الآن أن نفصل تلك الحرب .

كان الناس اذن يردّون أن هذه الدولة رنست الشعوب البرية وخاضت
الحرب كلها ، وأن ملوك جزيرة الأطلنيس تزعموا شعوب البحر . ولقد قلنا إن تلك
١٠٩ الجزيرة كانت آنذاك أكبر من ليبيا وآسيا . أما الآن وقد غاصت في اللجة

• بسبب الهزات الارضية ، فهي لا توفر للسبحرين من ههنا الى البحر الكبير سوى لثقى لا يُعبر يمنع الابحار والاجتياز بها .

وسيدي سياق كلامنا ، وهو يتبسّط و كأنه على سجيته ، سيدي في كل تفاصيله ، أن معظم الشعوب كانت بربرية ؛ وكم كان عندئذ عدد شعوب اليونان . ولكن الضرورة تفرض علينا أولاً أن نعرض من المبادئ ، ما يتعلق بأثينيّ ذلك العهد ، وما يتعلق بخصومهم ومناوئهم ، وأن نفصل سطوة واقتدار كلا الطرفين والسياسة أو نوع الحكم المتبع لدى كل منها. وبين هذا وذاك بالذات ، علينا أن نعطي الأفضلية في الكلام لهذا البلد ، وأن نبدأ به مقالنا . b

الفصل الأول

أثينا الزمن الغابر

١ - أثينا ملك هيفيستس وأثينا

لقد اقترح الآلهة على بقرع الأرض ، واقتسموها كلها فيما بينهم بالرضى لا بالنزاع . اذ لا يجمل القول بأن الآلهة يجهلون كل ما يليق بكل منهم ، كما لا يستقيم القول بأنهم ، على علمهم بما هو اصلح لغيرهم ، يحاولون أن يستأثروا به دون الآخرين بالخصومات والمشاحنات . فقد نالوا إذن بقرع العدل والحق ، ما تصبو اليه نفوسهم وأقاموا في مقاطعاتهم . ولما هبطوها، جعلوا يربونها ويغذونها كأنها قطعان رعيتهم وبثابة قنابا وصغار رضع لهم . بيد أنهم لم يعمدوا الى العنف لإخضاع أجسادنا بقوة اجسامهم ، كما يرعى الرعاة قطعانهم بالضرب ، بل كانوا يقودونا ويقوتون خطانا ، من حيث ينقاد الحيّ غاية الانقياد ، من رأس سفينتنا ، مؤثرين على أرواحنا طبقاً لنواياهم بالاقتراع ، تأثير النوتي على سفينته بالدفعة ، فمكذا كانوا يقودون الجنس البشري طراً ، وهو جنس المائتين ، ويسوسونه تلك السياسة .

إذ قد نال بعض الآلهة بالقرعة جهات معينة ، وحظي بعضهم

بجهات اخرى ، وتولتوا تنظيمها ورعاية شؤونها . ولما كان هيفيستس وأثينا قد أحرزا طبيعة مشتركة ، هي أولاً طبيعة وسجية إخوة من أب واحد ، وهي ثانياً ميل واحد الى ذات الهوية والمزامي ، ناتج عن جهبا المعرفة والفنون ، لأجل ذلك نال الإثنان معاً ميراثاً واحداً هو هذه البقعة ، لأنها ثلاثها وتصبو طبعاً الى الفضيلة والتعقل . وقد أنجبا فيها أناساً أفاضل وُلدوا من التربة بالذات^(١) ، ووضعاهم نظاماً سياسياً قوامه العقل والفتنة .

وقد حُفظت أسماء اولئك الرجال ، ولكن أعمالهم درست وعفت بسبب الكوارث والبلايا التي حلت بأعقابهم ، وبسبب تراخي الأزمان وطول الحقب . لأن الأجيال المتعاقبة الناجية من تلك الكوارث ، على ما قيل سابقاً ، لبثت جبيلة أمية ، تسمع سماعاً فقط بأسماء عظماء البلاد ، ولا ينقل إليها فضلاً عن ذلك إلا النذر المقتضب عن أعمالهم . فكانوا اذن يأتنون أعقابهم بسرورٍ على تلك الأسماء . أما فضائل السلف وشرائعهم فقد جهلوا ، ما خلا أصداء غامضة حرل كل منها . ولما ضاقت بهم سبل العيش وضرورياته طيلة أجيال مديدة هم وأبناؤهم ، كانوا يتشاغلون بتلك الضائقات ، صارفين اليها أفكارهم ومتناولين إياها بأحاديثهم ، وهملون شؤون أسلافهم الأوائل ، ويتغاضون عن فعالهم الغابرة السجقة . لأن الاهتمام بالاسطورة والتنقيب عن الامور الغابرة لم يجتاحا المدن إلا مع الفراغ من المهوم المعاشية ، عندما عرف بعضهم أن ضروريات الحياة قد أُثمت لهم ، وليس قبل . ومن ثمة قد حفظت لنا اسماء الاقدمين دون الاعمال .

وأقول هذه الأشياء ، وأقيم الدليل على قولي معتمداً في ذلك على رواية صولن . فهو يقول ان أغلب أجداد كيكربس وإرخثفس وإرخثونيس وإرسخثون

١ - (١) راجع في تفصيل هذا كله كتاب الاسطورة اليونانية ، للأب بربارة ، دمشق ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد ١٩٦٥ . (المعرب)

b وغيرهم (من الملوك) ، وان كل ما يتردد عندنا من بطولات عمن سبقوا عهد
نفس ، عندما تذكر اسماء كل منهم ، إن أجداد كل هؤلاء الرجال قد سردها
أولئك الكهنة في حديثهم عن الحرب التي وقعت آنذاك ، ذا كرين اسماء أبطالها .
وكذلك اسماء وأجداد النساء (اللاتي عشن في تلك العهود) ، قد رويت هي
ايضاً على الطريقة نفسها .

٢ — دستور أثينا القديم :

c وبما أن المهام المتعلقة بالحرب كانت في تلك العهود مشتركة بين الرجال
والنساء ، - ولذا زين أهل هاتيك العصور إلتهم المسلحة وأبدوها بذلك الزي ، طبقاً
للقانون المشار اليه في هذا المقام - ، في الواقع يبرهن زي الإلهة وتمثالها على أن
كل الحيوانات المزدوجة ، المؤلفة من ذكور وإناث ، تستطيع بطبيعتها أن توفر
لكل جنس فيها ، (جنس الذكور و جنس الاناث) ، الفضيلة الملائمة المشتركة
(بين الجنسين) .

d وقد قطن في هذا البلد آنذاك أولاً جماهير المواطنين المنصرفين الى المهن
والصناعات ، والى تأمين العيش من الأرض ، وثانياً جمهور المحاربين ، وقد عزله
منذ البدء اناس إلهيون ، فأقام منفرداً عن الجماهير الاخرى ، وقد أمنت له كل
وسائل العيش والتهديب ، لا يقتني أحد من افراده ملكاً خاصاً ، معتقدين أن
الاشياء كلها مشتركة بينهم . فهم لا يفرضون على المواطنين الآخرين إتلاوة ما ، ولا
يتقاضونهم سوى المعيشة الواقية ، بعد أن يقوموا بجميع المهمات التي وفيناها
البارحة حقها من التفصيل ، في كلامنا على حماة البلاد المقامين (للذود عنها) .

٣ — وصف الأتكي القديمة وحدودها :

وفي الحقيقة ، ما كان يقال عن بلادنا صادق يحمل على الثقة . فقد شملت في ذلك العهد حدوداً امتدّت من جهة الى المضيّق ، ومن جهة البرّ المقابلة الى قمم جبال كِشرون وبارنيس ، والمحدرت نحو اليمين وضمت مدينة أربيا ، وعلى الشمال بلغت البحر وتاخمت نهر آسبوس .

هذا وقد تفوّقت تربتنا على كلّ تربة بطبيعتها وخصبها . ولذا تمكنت البقعة أن تقوت آنذاك جيشاً عرمرماً ، مع انقطاعه التام عن أشغال الفلاحة والزراعة . ولنا دليل كبير على ذلك الحُصْب ، وهو أن البقية الباقية من هذه التربة تضاهي أية بقعة أخرى على الاطلاق بغزارة ثمارها الفاخرة وتتوّعها وطية مراعيها لكلّ ضرب من الحيوان . وفي ذلك الحين كانت التربة تؤتي ثمارها بوفرة فائقة ، فضلاً عن جمال تلك الثمرات ولذتها .

ولكن كيف يكون هذا الكلام أميناً صادقاً ، وبناءً على أي أثر من تلك التربة القديمة قد يستقيم ؟ إن أرضنا كلها راحت تتباعد عن البرّ وتستطيل بمتدّة نحو البحر ، وتستلقي عليه وكأنها رأس . وحوض البحر حولها يغور بجملته إلى عمق سحيق . وإذ حدثت طوفانات ضخمة كثيرة خلال الآلاف التسعة الماضية ، — وهذا هو عدد السنين المنصرمة من ذلك الزمن إلى عهدنا هذا (١) . — ففي تلك الاحقاب الطويلة والغير المتعاقبة ، إنجرفت تربة الارض من الصرود العالية ، ولم تترك نجوداً أو تلالاً تستحق الذكر ، كما تفعل في أمكنة غير هذه الأمكنة . بل سحبتها السيول دوماً الى الاعماق المحدقة بأرضنا حيث غارت

٣ - (١) تلك هي المدة التي أشار اليها هذا الحوار من قبل (١٠٨ ع) ، كما اشار اليها حوار التيمس (٢٣ و ٢٤ ع) .

وتوارت . ولم يبق منها سوى آثار ، مثل الآثار الراسبة في الجز الصغيرة (٢) .
وإذا قيست هذه البقايا بالتربة القائمة في ذلك العهد ، شابهت عظام جسم مريض .
فقد جرفت من الأرض تربتها الحصبة الرخصة ، ولم يلبث من البقعة سوى جسمها
الأعجمي .

ولكنها في ذاك الزمان ، كانت سليمة ، وشملت جبلاً غزيرة التربة عالية
واتسعت لسهول وافرة التربة أيضاً خصبة سُميت اليوم سهول فيلنفس البركانية (٣) .
وحوت في جبالها غابات كثيفة لا تزال آثارها قائمة إلى يومنا هذا . لأن من تلك الجبال
ما لا يوفر الآن غذاءً إلا للتحل وحده . ولكن من زمن ليس بالبعيد ، كانوا يقطعون
منها أشجاراً ضخمة تصلح لدعم أكبر الأبنية . ولا تبرح سقوف تلك الأبنية
سليمة حتى الآن . هذا وقد كثرت فيها أيضاً الأشجار المثمرة الباسقة . وتوافرت
فيها المراعي الطيبة المواشي .

وكانت تلك التربة تستغل أيضاً مياه زيفس (٤) السنوية ، لا كأراضينا
الحاضرة التالفة ، التي يجري عليها الغيث وهي جرداء ، ثم ينحدر إلى البحار . بل
كانت هي نفسها تحوي كمية غزيرة من المياه ، ثم تقبل ماء السماء وتحترنه في

(٢) يلمح أفلاطون هنا إلى جزر الكيكلاديس ، المنتشرة على شكل مستدير
في بحر إغيس ، وهذا معنى اسمها . وهي مجرد صخور عارية ، لا تربة فيها
ولامياه . إلا في ماندر .

(٣) إن كلمة فلسس اليونانية تدلّ على ضرب من الحجارة البركانية السوداء الكثيرة
الثقوب كالاسفنج . وكلمة فلسس استعملت هنا للدلالة على أرض كثرت فيها
تلك الحجارة . راجع لأرستفانس رواية الاخرنيس ٢٧٣ ، والسحب ٧١ .

(٤) زفس هو أبو الآلهة والبشر في نظرم . وقد نسبوا اليه كل الاحداث الساهوية
العلوية من برق ورعد ومطر وبرد وتلج . ولذا قال هنا « مياه زفس »
وعنى بها الامطار الموسمية . راجع الاسطورة اليونانية ، للأب فؤاد برنارة
طبعة وزارة الثقافة والارشاد ، دمشق ١٩٦٥ . (المغرب)

طبقاتها الصلصالية المتناسكة التي لاتدعه يرشح ، وتتسرب مياه الهضاب العالية ، وتحقنه في جوفها ، ثم تفجر في كل البقاع كوثراً فياضاً يتدفق بلا انقطاع من الينابيع والانهار . والمياكل القائمة إلى ايامنا هذه على عيون تلك الغدران ، هي دلائل لنا على صحة كلامنا الحاضر عن تلك التربة القديمة .

تلك كانت طبيعة الريف ، وذلك كان وضعه . وقد عمل فيه ونظّمه على ما يليق به مزارعون حقيقيون منصرفون كل الانصراف الى مهمتهم ، متعشقون الجمال وصالحون بالطبع ، ينعمون بأرض غاية في الجودة ، ومياه متدفقة فياضة لاتنضب ، وفصول مؤاتية تلك البقاع ، معتدلة خير اعتدال .

٤ - مدينة أثينا :

أما المدينة فقد أهلت على الوجه الآتي في ذلك العصر الغابر: فقبل كل شيء لم تكن حالة هضبة الأكرّ وبليس على ماهي عليه اليوم . اذا انقضت عليها ليلة واحدة ، انهمرت امطارها انهاراً خارقاً فأذابتها وجرّتها من التربة وصحبها هزات أرضية ، وقبل الهزات فيضان ماء هائل ، هو الطوفان الثالث قبل الكارثة التي حلت على عهد ذفكليين^(١) .

وقد بلغت تلك الهضبة من العظمة مدى كبيراً ، بحيث امتدت إلى نهر هرذتيوس وإليستوس وانطوت على تلة ابنيكس وعلى جبل لكفستوس المقابل لها . وغزت تربة الهضبة كلها ، وانبطحت وتسطّحت في أعاليها ما خلا جهات قليلة منها . وسكن خارج الأكرّ وبليس ، على سفوحها بالذات ، أهل

٤ - (١) قد وقع اذن أربعة طوفانات ، ومنها طوفان ذفكين ، قبل الزمن الحاضر . والتمسح يقول فقط : وقد وقع من ذي قبل طوفانات كثيرة (٢٣ b) . راجع المقدمة ٣ : ١ . والاسطورة اليونانية المذكورة ، بشأن ذفكين وطوفانه .

المهن والصناعات، ومن المزارعين كل الذين انصرفوا الى الزراعة والفلاحة بجوارها
أما رأس الأكرؤوبئليس فقد اقام فيه منظوباً على ذاته جمهور الحارين، وجعلوا
مساكنهم حول هيكل أثينا وهيئفسئسئس ، وحصنوها بجدار واحد ، كأنها
حديقة منزل واحد . ونزلوا بيوتاً مشتركة واقعة في شمال الأكرؤوبئليس
وأعدوا هناك مطاعم شتوية . وتوفرت لهم كل اسباب المعيشة المشتركة ومايليق
بها من نوادر وهياكل إلا أنهم قد أعرضوا عن الذهب والفضة ، ولم يعمدوا
قط الى استعمالها . بل اتبعوا سبيلاً وسطاً بين الترف والحسة ، وابتنوا لأنفسهم
منازل جميلة ، شاخوا فيها هم وأحفاد احفادهم ، متقلبين فيها ذاتها على الدوام ،
وتاركينها من بعدهم لأعقاب يائلونهم .

أما الجهة الغربية من الأكرؤوبئليس فقد استفادوا منها لانشاء حدائق
وملاعب ، ومطاعم جماعية يغادرونها آناء القيط . وتفجرت في موضع
الأكرؤوبئليس الحالية عين غزيرة واحدة ، غارت الآن بسبب الهزات ، ولم
تترك حولها سوى جدار صغير . أما أهل ذلك العهد ، فقد كانت توفر لهم
جميعاً ماء غزيراً لا ينضب ، يفيض فيضاناً في الشتاء وفي الصيف .

وهذا كان نمط حياتهم . كانوا يسهرون على مواطنهم ، ويسوسون
شعوب اليونان الاخرى ، وهي منقادة لهم عن رضى . ويجرصون أشد الحرص
على أن يبقى فيهم عدد الرجال والنساء ، الذين أصبحوا قادرين على خوض الحروب
أو الذين خاضوها وظلتوا قادرين على خوضها ، واحداً على الدوام ، أي حوالي
عشرين ألفاً في اقصى الحدود . فقد امتاز اذن اولئك الجملة بتلك المزايا ، وساسوا
دولتهم وبلاد اليونان طراً بالعدل على ذلك المنهج المطرد . واشتهروا في كل

اوربا وآسيا بجمال أجسادهم وبمختلف مناقبهم الروحية . وذاع صيتهم اكثر من جميع معاصريهم (٢) .

(٢) إن هذا الوصف المقتضب يذكرنا باللوحة التي رسمها أفلاطون في الجمهورية عن الدولة المثلى . ولكنه لا ينطبق على البرنامج الذي بسطه الفيلسوف في التيمس (a b ٢٧) . وطبقاً لذلك البرنامج ، كان على اكرتيس أن يتوسع خصوصاً في عرض مناقب الأثينيين القدامى . ولعل أفلاطون يعتمد الغموض والإبهام ، ولعله يدع هذا الموضوع ليجول فيه جولة أكمل في حوار هرمكراتس .

الفصل الثاني

الأطلننتيس

١ - لماذا يسمي الكريتيس أصحابها بأسماء يونانية

ولنبسط لديكم الآن أنتم الخلائ - لأن كل المعارف مشتركة بين الأصدقاء - ، لنبسط لديكم حال مناوئهم الذين شهروا الحرب عليهم ، ولنفصل كيف كانت حالهم ، وأطوار نشأتهم ، إن لم تفتنا ذكرى تلك الأمور ، لأننا سمعنا بها ونحن بعد أطفال .

ولا بد لي ، قبل مباشرة الحديث ، أن أبين لكم أيضاً هذه النقطة التالية بإيجاز ، خشية أن تدهشوا لكثرة سماعكم أسماء يونانية ، أطلقت على أناس برايرة . سوف تعلمون إذن سبب تلك التسميات . إن صولن ، لعزمه على الاستفادة من هذه القصة في شعره ، قد استفهم عن معنى الأسامي . فوجد أن اولئك المصريين الأولين قد دونوا تلك الأسماء بعد ان نقلوها بعناها الى لغتهم . وهو في نوبته ، تفهم مفاد كل اسم من تلك الأسامي ونقلها الى لغتنا وسجلها . وهذه المخطوطات قد كانت طبعاً عند جدي ، ولا تزال لدي الى الآن . وقد أكبت على درسها وتأملها وانا بعد غلام صغير^(١) . فإن سمعتم إذن أسماء تجاري أسامي بلادنا ، فلا يأخذكم العجب ، إذ اطلعتم على سببها . أما تلك القصة الطويلة ، فقد ابتدأت في ذلك العهد كما يلي تقريباً .

١ - (١) لعل أفلاطون قد سها عما قال في الفقرة السابقة ، وهو أن اكريتيس قد سمع سماعاً فقط في طفولته بتلك القصص والروايات ، لا أنه قد أكب على درسها وتأملها . ولم يرد ذكر لهذه المخطوطات المحفوظة عند اكريتيس في حوار التيمس (b c ٢٦) .

٢ - الأطلننتيس ملك بَسِيدُون . ملوكها الأوائل .

على ما قلنا ، في ما سبق ، عن اقتراع الآلهة (على أرجاء الكون) ،
واقتسامهم الارض كلها بينهم ^(١) ، حصصاً هنا أكثر اتساعاً وهناك أقل ، وإقامة
المياكل والذبائح لأنفسهم ^(٢) ، حظي بَسِيدُون على هذا النحو بجزيرة الأطلننتيس ،
وأقام أبنائه الذين انجهم من امرأة مائة ، في مكان ما من الجزيرة هذه أو صافه .

على مقربة من البحر وإلى منتصف الجزيرة بجملتها ، امتدّ سهل قليل عنه
إنه كان أبهى كلّ السهول طراً ، ومن أوفرها طيبةً وخصباً . وانتصبت كذلك
في هذا السهل ، على خمسين استاذياً من منتصفه ، هضبة منخفضة الجوانب . هنالك
كان يسكن رجل اسمه افيثُر ، من أهل الأرض الأولين الذين نشؤوا في تلك
البقعة ، ومن تربتهم بالذات . وقد أقام مع امرأته ليفكيبي . وانجبا ابنة
وحيدة اسمها الكيتو . ولما بلغت الصيئة سنّ الزواج ، ماتت أمها وتوفي أبوها
ومال إليها بَسِيدُون واقترن بها . وحصن الهضبة التي أقامت عليها . وقدّها على
شكل مستدير . وحوطها بحلقات أو وصائد صغيرة فكبيرة من ماء ومن تراب
تلتف تباعاً الواحدة حول الاخرى ، اثنتين من تراب ، وثلاثاً من ماء . وقد
خطها وكأنه يدور على نفسه من منتصف الجزيرة . وكل حلقة تبعد بعداً واحداً
من كل جهاتها عن ذاك المنتصف . ولما حصنها على هذا الوجه ، غدت بمتعة على
البشر . إذ لم يكن بعد من سفن ولا من إبحار . وهو نفسه كإله زيتن الجزيرة

٢ - (١) بشأن قسمة الاراضي بين الآلهة انظر هنا المقطع ١٠٩ b .
يذكرنا افلاطون هنا باعتقاد عم وانتشر عندهم ، وقد حاولوا ان يفسروا به اختلاف
العبادات المحلية .

(٢) راجع في أساء الأشخاص على اختلافهم ، المقدمة ، الفصل الثاني . -

المتوسطة (الناشئة عن الوصائد والحدائق المحدقة بها) (٣) . وفجر من تربتها
ينبوعي مياه ، أحدهما يتدفق ساخناً والآخر ينساب من عينه عذباً بارداً .
وقدم للجزيرة من الأرض طعاماً متنوعاً وافراً .

١١٤
a
وولد له في خمس ولادات عشرة توأم ذكر . فربّاهم وقسم جزيرة
الأطلننتيس كلها إلى عشرة أقسام ، وأعطى الأول من مولوديه الأكبرين مقرّ
أمّه والحصة المحدقة به . وهي أفضل الحصص وأكثرها اتساعاً . ونصبه ملكاً
على إخوته الآخرين . وجعل هؤلاء أمراء . وأقطع كلا منهم ولاية أناس كثيرين
وسلّطه على بقعة شاسعة .

b
وسمّاهم جميعهم باسمائهم . وأعطى الأكبر أو الملك الاسم الذي أطلقت
نسبته على الجزيرة كلها وعلى البحر المسمّى أطلنطيّ ، لأن اسم اطلّاس كان
اسم (ابنه) الأوّل ، الذي ملك في ذلك العهد . وأطلق على الثاني ، المولود
بعد ذلك ، اسم إيفميليّس باليونانية وغادّرس باللهجة المحليّة . لأن التوأم
الثاني نال بالقرعة طرف الجزيرة المتّجه نحو أعمدة هيركليس ، والمقابل الآن
المقاطعة الغذيريّة المسماة باسم مكان هناك أطلق اسمه على تلك المقاطعة (٤) ودعا
ابنيه ، المولودين في الولادة الثانية ، الأوّل أمفيريس والثاني إفيمن . وأعطى
c
الاثنين المولودين في الولادة الثالثة ، السابق اعطاه اسم امينيسيس واللاحق

(٣) يلاحظ القاريّ أنّ افلاطون يصف حالتين متعاقبتين على جزيرة
الاطلننتيس . وقد زيّن الجزيرة وجعلها على التوالي الالهة ثم البشر بحذقهم ومهارتهم .

(٤) كل هذه السلالات والانساب تبدو وكأنّها مجارة أو معارضة لما أليف منها
الشعراء والمؤرخون . ولا ريب أن افلاطون ينهك في هذه التفاصيل كلها ، ونيته المزح
والتهكم . لأنّها كما يبدو لن تفيد أية فائدة في ما بعد . أمّا اختيار الاسماء ومعانيها ،
فليرجع في ذلك الى المقدمة ، الفصل الثاني . -

اسم أفثوخثن . والأوّل من البطن الرابع دعاه الاسبس والتالي ميستر .
ولولودي البطن الخامس للمتقدّم فيها جعل اسم أزايس وللمتأخّر اسم
ذيبرييس .

فهؤلاء قطنوا الجزيرة هم وأعقابهم مدى أجيال وأجيال . وتسلبوا
على جزير كثيرة أخرى في البحر . لا بل ، على نحو ما قيل سابقاً ، بلغت
سيادتهم حدود مصر وتيرينياً الواقعة داخل أعمدة هرّكليس من جهتنا هذه (٥) .
وولدت لأطلاس سلالة كبيرة وكريمة . والملك وهو الأكبر كان يسلم الملك
دوماً لبكر مواليده . فحفظوا الملك مدى أجيال وأجيال .

٣ — موارد الأطلننتيس الطبيعية .

وقد أحرز اولئك الملوك ثروة بلغت من الضخامة حدّاً لم تبلغه قط
ثروة أيّة سلالة ملكية قبلهم ، ولا يسهل أن تبلغها يوماً ثروة من بعدهم .
وتوافرت عليهم كل موارد المدينة وكل موارد المقاطعات الأخرى من البلاد . وقد كان
يأتيهم من الخارج بسبب سيادتهم ، خيرات وافرة . ولكن أكثر الخيرات
الضرورية للحياة كانت الجزيرة نفسها توفرها لهم . أوّلاً كل ما يُستخرج من
المناجم من معادن صلبة أو سهلة النوبان (١) . وذلك المعدن الذي نسميه الآن
فقط ، وفي ذلك العهد ، بالإضافة إلى اسمه كان صنفه يُستخرج من الأرض .
وهو نحاس الجبال الموجود في بقاع كثيرة من الجزيرة . وقد كان لأهل ذلك

(٥) في موضوع السلطنة الأطلنطية راجع التيمس (ab ٢٥) .

٣ — (١) يعني بكلمة تكتتا ticta المعادن السهلة الذوبان كالرصاص والقصدير ، راجع

السفستي (c ٢٦٥) .

العهد أنفس المعادن ماخلا الذهب (٢) . ثانياً كلّ الاخشاب التي تقدّمها الغابات
للنجارين في شتى اشغالهم ، كانت الجزيرة توفرها لهم بلا انقطاع . وتقوت ايضاً
بوفرة صنوف الحيوانات الداجنة والآبدة . وكان فيها علاوة على ذلك ضرب من
الفيلة منتشر جداً . إذ قد تيسّر فيها المرعى والغذاء لكلّ الحيوانات الاخرى ،
العائشة في البحيرات والمستنقعات والغدران ، والتي ترعى في الجبال والسهول ،
وتيسّر ايضاً حتى لذاك الحيوان وهو أضخم الحيوانات وأشدّها نهماً (٢) .

وبالإضافة الى تلك الحيات ، كانت الجزيرة تحمل وتربي خير إثماء كل
صنوف العطور والأطياب ، التي تنميها الارض الآن في آية بقعة من بقاعها ،
سواء صدرت تلك الأطياب من الجذور أم الأعشاب أم الاشجار أم الصمغ
المتقطرة من الأزهار أو الثمار . وتؤتي ايضاً أثماراً طريئةً وجافّةً جعلت اطعامنا،
وثماراً نستعملها لإعداد الخبز ، ندعو أحنافها كلها حبوباً ، وثماراً تحملها الأشجار
المختلفة فتعطينا المشروبات والمآكل والدهون ، والاثمار التي جعلت للتسليّة والذّة،
ذات القشور والصعبة الاذخار ، وكل الأثمار التي نقدّمها بعد الطعام والاكتظاظ
منه لمن تعب من الأكل كفاكهة مسلية مستحبة ، كل تلك الفواكه والأثمار
على اختلاف أصنافها ، كانت الجزيرة الواقعة تحت الشمس تؤتيها إذ ذاك فاخرة
بهية رائعة ، وبكميات لا تحصى .

فقد استغل القوم ، إذن كل تلك الحيات وجنوها من تربيتهم ، ثم
انصرفوا الى تشييد الهياكل والأبنية الملكية والموانئ ومرافئ تخزين السفن
وإصلاحها . وعمّروا ارجاء البلاد برمتها وزينوها بانتظام على النحو التالي .

(٢) في مايتعلق بنحاس الجبال ، راجع المقدمة ، الفصل الثالث ، القسم الثاني .

(٣) بشأن حيوانات الاطلنيس ، راجع ن.م. من المقدمة .

٤ — تخطيط حاضرة الملك وأبنيتها:

فأقاموا الجسور أولاً فوق الخنادق التي مُوتت بماء البحر، المحدقة بحاضرة الملك القديمة ، وفتحوا هكذا طريقاً الى الخارج، ومن الخارج الى القصور الملكية. أما القصور الملكية فقد شيدوها حالاً ومنذ البدء ، في مهبط الإله وموطن أجدادهم . وكان الواحد منهم يتسلمها من سلفه مزينة منمقة ، فيعود الى تزيينها ، ويفوق من سبقه في الأبهة والسؤدد . وهكذا دواليك حتى بلغوا في تزيين البناء حد الدهشة والذهول ، يستولي على من يشاهد ضخامة الأشغال ورونقها .

واحتفروا ترعة باسروا بها من البحر، عرضها ثلاثة ابلتوات (٨٠، ٨٨ متراً) وعمقها مئة قدم (٦٠، ٢٩ م) وطولها خمسون استاذيا (٨٨٨٠ متراً) وبلغوا بها الخندق الخارجي وجعلوا مرور السفن عن طريق تلك الترعة من البحر إلى الخندق ممكناً ، وقد أصبح ذلك الخندق بمثابة ميناء . وشقوا فوهة الترعة بحيث تتسع لإبحار ثلاث سفن معا من أضخم السفن . وكذلك حفروا الوصائد أو الارصفة الفاصلة بين الخنادق ، حفروها بازاء الجسور ، بحيث تتسع لإبحار سفينة ثلاثية واحدة من خندق إلى آخر وسقفوها فوق المنمرات . فصارت السفن تعبر تحت تلك الجسور لأن شفاه (أي جوانب ممرات) الأرصفة علت علواً كافياً سطح البحر لتسمع (لأ كبر السفن أن تعبر منها إلى الخنادق) . لأن أكبر الخنادق الذي جرت اليه مياه البحر بلغ من العرض ثلاثة استاذيا . والرصيف الذي تلاه ساواه عرضاً والحلقتان التاليتان (أي الخندق والرصيف) ، الرطبة منها عرضها استاذين مضاعف ، واليابسة لها هي أيضا نفس العرض الذي لسابقتها الرطبة . وأما الخندق الذي يلتف حول الجزيرة عينها الواقعة في وسط الهضبة فعرضه استاذين (١٧٧، ٦٠ م) والجزيرة أخيراً التي قام فيها القصر الملكي بلغ قطرها خمسة استاذيا .

وقد حوّطوا هذه الجزيرة الأخيرة والارصفة وجانبي الجسور ، ولها
 ايليشرثن من العرض ، بسور من حجارة . وأقاموا أبراجاً وأبواباً على الجسور
 عند ممرات مياه البحر الى الحنادق . واقتطعوا الحجارة من دائرة الجزيرة المتوسطة
 ومن الارصفة الملتفة حولها ، من جانبي تلك الارصفة الجانب الداخلي والجانب
 الخارجي . ومن تلك الحجارة ما هو أبيض وأسود وأحمر ، وفي حين اقتطاعها
 كانوا يحفرون في الصخر مستودعين للسفن سقفها الصخر ذاته . وقد نسقوا
 الأبنية تنسيق الحائك لحيطان نسجه . فمنها ما شادوه بسيطاً من لون واحد ،
 ومنها ما نثقوا الوان حجارته مازجين بين لون ولون ، بغية اللهو والتسلية . فحبوها
 لذّة طبيعية ، وصفحوا وجه سور الرصيف الخارجي كله بالنحاس ، مستخدمين
 هذا المعدن وكأنه دهان « وصبّوا على سور الرصيف الداخلي قصديراً وغلقوه
 به ، أما سور الاكروبلس نفسها (أي الجزيرة التي توسّطت الهضبة) ، فقد
 غشّوه بنحاس الجبال ، ولهذا المعدن التماع النار .

b

c

هـ - البلاط والهيكل والينايع ومختلف الابنية .

أما الابنية الملكية داخل الأكروبلس فقد نظّمت على النحو التالي .
 ففي وسط الجزيرة بالذات شيد هيكل مقدس لا كليتسو وبسدون ، حوّطوه
 بسياج من ذهب وحظروا دخوله على الجميع ، فهناك خلف بسدون واكتو
 سلالة الملوك العشرة ، وولداها في ذاك المسكان . وإلى هناك كانوا يأتون كل سنة
 من المقاطعات العشر ، ويقدمون الذبائح الحولية الربيعية لكل من أولئك
 الملوك الاولين ^(١) .

d

هـ - (١) ان كلمة هورثا اليونانية تعني الربيعية . ولما كانوا يأتون كل سنة أي مرة
 في السنة يقدمون الذبائح للملوك العشرة الأولين ، ابناء بسدون وأنصاف الالهة ، كانت
 تلك الذبائح الحولية الذبائح الربيعية التي يقدمون فيها بواكير الثار والغنم . وهذا معنى
 الكلمة ايضاً أو احد معانيها . (المعرب)

وهيكل بسذون نفسه كان له استاذين طولاً وثلاثة

ابلترات عرضاً. وله من العلو ما يلائم الطول والعرض ويجعل في النظر . ولكن شكله كان بربريتاً . وقد لبسوا الهيكل كله من الخارج بالفضة ، ما عدا مشارفه فقد غشوها بالذهب . ومن داخل الهيكل شوهد السقف كله من عاج منمتق بالعسجد واللجين ونحاس الجبال ، وما تبقى من جدران وأعمدة وحضيب ، غطّوه بالنحاس الجلي . ونصبوا في الهيكل تماثيل من ذهب ، الإله واقفاً على مركبته ، يقود أحصنها الستة المجنحة ، (بمشوق القامة) يكاد يسّ ذروة السقف بهامته ، والنييرثيدة على مئة ذلفين من حوله . وقد اعتقد أهل ذلك العهد أنّ هذا كان عدد هاتيك الجنيات (٢) . وقامت ايضاً داخل الهيكل تماثيل أخرى كثيرة ، قدّمها أفراد المواطنين وفاء نذورهم . وحول الهيكل في الخارج ، نقشوا في الذهب رسوم كلّ النساء وكل الرجال الذين أنجبهم الملوك العشرة الأولون . وأقيمت تماثيل كثيرة قدمها الملوك وفاء نذر أفراد المواطنين في العاصمة ، أو في المقاطعات الخارجية التي تسلبت الامراء عليها . وقد جرى المذبح بفخامته واتقان صنعه تلك الزينة الرائعة . كما لاق البلاط الملكي بعظمة السلطنة وأبهة الهياكل ورونقها . (٣)

وقد استغلوا ينبوعين ، ينبوع الماء البارد ونبوع الماء الحار ، وغزارة مياهها لا حدّ لها . وكلاهما صالحان بالطبع صلاحاً عجيباً للاستعمال ، للذة مياهها

(٢) في الإله بسذون إله البحر والسير ، راجع للاب فؤاد بربراة ، الاسطورة اليونانية ، دمشق ١٩٦٦ ، ٢ : ١١ : ١ وما يلي . وفي النييرثيدة نبات زفس ، نفس الكتاب ٣ : ٢ الفقرة الاولى . (المعرب)

(٣) لقد لفتنا النظر في المقدمة ، الفصل الخامس ، الى أن هيكل بسذون واكتنو يائل على نطاق أوسع ، وأكبر تقاسيم الهيكل اليوناني المألوفة .

b
وخصها . وأنشؤوا حولها أبنية ، وغرسوا أشجاراً تلائم طبيعة المياه . واحتفروا
أحواضاً وبركاً ، منها ما هو في العراء تحت أديم السماء ، ومنها ما هو مستوف
شئوي للحمامات الدافئة . وجعلوا الحمامات الملكية على حدة ، وحمامات الرعايا
على حدة ، وجعلوا أيضاً حمامات خاصة بالنساء ، وخصّصوا غيرها بالخيل ، وأخرى
بالدواب الباقية . وأعطوا كل فئة من تلك الحمامات الزينة اللائقة بها . وفائض
المياه سبوه الى أجمة بُسِذُون المقدسة ، وقد انطوت على كل أصناف الشجر ،
البديع الإلهي بروعه وبسوقه بسبب طيبة التربة . ومددوا قنوات الى الجزيرتين
أو الوصيدتين أو الرصيفين المحددتين بالجزيرة المتوسطة بازاء الجسور ، ليوصلوا
المياه اليها بواسطة تلك القنوات (٤) .

c
وبنوا هنالك هياكل كثيرة لألثة كثيرين ، وغرسوا حدائق وبساتين ،
وأقاموا ملاعب عدة رياضية وميادين تدريب للخيل ، كل فئة على حدة في كتا
الجزيرتين المستديرتين كالإسوار . ومن جملة تلك الاشغال ميدان سبق خاص ،
أقيم في منتصف الجزيرة الكبرى المستديرة ، عرضه استاذين وطوله ينتشر حول
دائرة الجزيرة كلها ليتيح للخيل التنافس . ومن على جانبي ذلك الميدان الملتف
حول الجزيرة (الكبرى الخارجية) ، شيدت معاقل الحرس لجمهور حملة الرماح .
d
وأكثرهم أمانة نظمت حراستهم في الصغرى من الجزيرتين المحددتين

(٤) ان اهتمام افلاطون البالغ بمنشآت الاطلنثيس المائية يفسر ولا ريب بالاعتبارات
التالية :

- ١ - باعتبار أن افلاطون يعارض بين ذلك البلد الغارق في كل صنف من الخبرات
الطبيعية ، وبين الأتكي القاحلة الجافة في عهدها التاريخي .
- ٢ - بالنظر ربما الى ذكريات الأعمال الرائعة العجيبة التي حققها الكوريتيون في
هذا المضار ، على ما فرضنا سابقاً في المقدمة ، الفصل الخامس .

بالأكثروبلّيس ، في الجزيرة المقابلة تماماً لرأس الهضبة . والذين فاقوا الجميع أمانة أعطيت لهم منازل في داخل الأكثروبلّيس ، حول (قصور) الملوك بالذات (٥) .
 اما مستودعات السفن ، فقد غصّت بالمراكب الثلاثة ، وكل التجهيزات والمعدّات اللازمة لها ، وكلها على خير أهبة . هذا ما يتعلق بمسكن الملوك وقد نُظِم على النحو الذي يتنا . أما من يجتاز المرافىء ، وهي ثلاثة ، ويتجه نحو خارج الهضبة ، يلقى سوراً يتدّى عند البحر ، ويدور حول الهضبة ، على بُعد خمسين استاذياً من أكبر الحنادق . وهذا الحندق هو نفسه أكبر الموانىء المستديرة حول الهضبة ، ويلزم السور هذا البعد من كل جهة . ثم ينغلق على ذاته عند فوهة التربة الممتدة من البحر .

فكل تلك البقعة كانت عامرة بمنازل كثيرة متراصة . وازدحمت التربة وأكبر المرافىء بالمراكب والتجار . وقد أتوا من كل حدب وصوب ، وملؤوا الفضاء أثناء النهار وآفاء الليل ، لوفرة عددهم ، صراخاً وصخباً وكل ضرب من الضجيج .

٦ — الرقعة الباقية في البلاد ، طبيعتها الجغرافية وتنظيمها :

لقد ذكرنا الآن عن حاضرة الملك وعن المسكن القديم ، (مسكن الاله وابنائهُ الملوك العشرة وقريته اكلتسو) ، ما كان يتروّد تقريباً في ذلك العهد . وعلينا ان نعيد الى الذهن طبيعة الرقعة الأخرى من البلاد ، وما كانت عليه ونوع تنظيمها .

(٥) ان الذوريفوري هم بالضبط حراس الطغاة . وبمعنى اسمهم حملة الرماح وبريتندزرس ، على ما يقال ، هو اول من أقام مثل اولئك الحرس لذاته في مدينة كورنثس . راجع في هذا الموضوع الجمهورية ، ٨ : ٥٦٧ d ثم ٩ : ٥٧٥ b ، وذيجنس اللاثرتي ١ : ٩٨ . هذا ، وفي دولة يونانية ، على زعم افلاطون ، لا يحتاجون الى ثكنات ولا الى ذلك التمييز بين كتائب أكثر أو اقل أمانة .

قد كان إذن يقال أولاً أن البلاد كلها كانت عالية جداً عن سطح البحر ناشرة الصخور ، وأن البقعة المحدقة بالعاصمة كانت كلها سهلاً يحوط تلك العاصمة ، وأن السهل نفسه احدقت به الجبال على دائرته ، وانحدرت الجبال حتى ساحل البحر ، وأن السهل كان بطاحاً متساوية الأديم ، كلها مستطيلة ، يبلغ مداها على جانبيها ثلاثة آلاف استاذياً ، ومن وسطها أخذاً من البحر نحو الداخل ، ألفي استاذياً (١) . ونظراً إلى الجزيرة يحملتها ، قد انجبت تلك البقعة نحو الجنوب ، وأمنت أذى رياح الشمال . وقد أشادوا آنذاك بوفرة الجبال المحيطة بها وشموخها وبهاثها ، إذ تفوقت على كل جبالنا الحالية وضمت عدداً كبيراً من القرى الغنية بالسكان ، كما اشتملت على انهار ومجيرات ومروج ، توفر القوت لكل المواشي ، من الحيوانات الداجنة أو الأبدية ؛ وغابات كثيفة من كل صنوف الأشجار ، اللازمة لجملة الصناعات الخشبية ، ولكلٍ منها بوفرة منقطعة النظر .

لقد عملت الطبيعة إذن في ذلك السهل ، وتعب عليه ملوك كثيرون ، ومدة احقاب طويلة . وكان رباعي الشكل ، وأكثره مستقيم الجوانب مستطيل . وماشذ عن ذلك منه ، فقد قوّموه بحفر خندق حوله . وإن تحدّث المرء عن عمقه وعرضه وطوله ، فقد لا يصدق قوله عن عمل كهذا من صنع الأيدي ، لضخامة ذلك المشروع إذا قوبل بالاشغال الأخرى . ولكن لا بدّ لنا من ترداد ما قد سمعنا .

حفر الخندق إلى عمق ابليسشرّثن ، وبلغ عرضه في كل مداه استاذيين . وإذا احاط بالسهل كله ، فقد وصل طوله إلى حد عشرة آلاف استاذياً . فهذا الخندق كان يستمدّ مياهه من الجداول المنحدرة من الجبال ، ويدور حول السهل ، ويبلغ ضواحي العاصمة من على جانبيها ، ومن هناك يتركونه يجري نحو

٦ - (١) فتكون مساحة السهل ستة ملايين استاذين . راجع a ١١٨ و a ١١٩ .

البحر ليصب فيه . وفي أعالي ذلك الحندق (من جهة الجبال) اشتقوا منه قنوات واسعة ، عرضها بالضبط مئة قدم (٦٠ ، ٢٩ متراً) ، جروها في السهل نحو قسم الحندق القريب من البحر . وكانت كل قناة تبعد عن الأخرى مئة استاذيا . وعن طريق تلك القنوات كانوا يزجون أخشاب الجبال إلى المدينة ، وينقلون المحاصيل الأخرى بالمراكب في مواسمها . وشقوا ترعاً جانبية للملاحة بين قناة وأخرى وبين حاضرة الملك .

واعتادوا جني ثمرات الأرض والفواكه ، مرتين في السنة ، مستغلين مياه زيفس في الشتاء ، وماتحمل منها الأرض في الصيف ، جارّين جداول من الترع والأقنية .

أما عدد الرجال الصالحين في السهل لحوض الحروب ، فقد فرضوا بشأنه أن يُقدّم كل قلم اقتراع او ناحية رئيس سرية . واتسعت الناحية الى عشرة استاذيا في عشرة . وجملة النواحي ستون الفناحية ، وقيل إن عدد رجال الجبال والبقاع الأخرى من البلاد لا يُحصى . وقد وزعوا ، حسب الامكنة ومواقع القرى ، على تلك النواحي ، وأخضعوا جميعهم لرؤسائها . وقد رُتب على كلّ رئيس سرية ، أن يتبرّع للحرب بسدس مركبة حربية ، ليبلغ عدد المراكب عشرة آلاف ، وأن يقدم حصانين وفارسين ، وجوادي مركبة أيضاً ولكن دون المركبة ، ومحارب يصلح للخدمة في المشاة أو الفرسان مع ترس صغير ، ومع فارس الجوادين الإضافيين سائسها أيضاً ، وجنديين من المشاة المدججين بالسلاح وقوّاسين ، ومن الرماة اصحاب المقاليع اثنين أيضاً ، ومن المشاة رماة الحجارة وحملة الرماح ثلاثة من كل صنف ، وأربعة ملاحين لتجهيز ألف ومئتي

سفينة . فقد نُظِّمَت إذن أمور حاضرة الملك الحربية على النمط الآنف الذكر .
أما أمور المقاطعات الأخرى فقد نُظِّمَت على وجه غير هذا . وقد يطول بنا
الوقت لتفصيله (٢) .

٧ — السلطات وحفلة القسم ومحكمة الملوك .

أما السلطات ومراتب الشرف فإليك ما كانت عليه ، وقد نُظِّمَت
كذلك منذ البدء . لقد تسلَّط كلٌّ من الملوك العشرة في مقاطعته وفي مدينته ،
على الناس وأغلب القوانين ، معاقباً من يشاء وقاتلاً من يشاء . أما سلطة الملوك
الواحد على الآخر وصلاتهم فيما بينهم ، فقد حدّتها فرائض بسيدون ، على ما
نقله اليهم الشرع وتوصياته ، وقد نقشها الملوك العشرة الأولون على نُصَب من
نحاس الجبال ، وضع في منتصف الجزيرة في هيكل بسيدون .

فهنالك كان الملوك العشرة يلتئمون مرةً في السنة الخامسة ، ومرة في
السادسة بالتعاقب ، مراعين في تحديد السنين تساوي العدد المفرد بالعدد المزدوج .
وفي اجتماعهم كانوا يتقاضون في الشؤون والمصالح المشتركة بينهم ، ويتنظرون في
مخالفات الشرع إذا تجاوزه أحدهم ، ويقضون فيها .

وعندما كانوا يجمعون الجلوس للقضاء ، كانوا قبل ذلك يتبادلون الأيمان

(٢) إن التنظيم العسكري الذي يصفه أفلاطون في هذا المقام هو تنظيم بربري
لأن اليونان لم يستعملوا قطّ المركبات الحربية ، التي شاع استعمالها عند المصريين والفرس
والمقلاع أيضاً كان سلاحاً بربرياً ، استعمله خصوصاً أهل لغوريا . راجع المقدمة
الفصل الخامس .

التالية . بعد إطلاق الثيران في (أجمة) هيكل بسذون ، ينفرد فيها الملوك العشرة ويضعون إلى الإله أن يقبض على الضحية المقبولة لديه . ثم يطاردون تلك الثيران بلا سلاح من حديد ، ولكن بالدبابيس والشباك فقط . والثور الذي يقبضون عليه ، كانوا يسوقونه إلى النصب ، ويدبحونه فوقه طبقاً لسننهم .

وقد نُقش على النصب ، فضلاً عن الشرائع ، قسم يستدعي لعنات كبيرة على الحائنين . فبعد تضحية الثور طبقاً لشرعهم ، وبعد إحراق كل أعضاءه يزوجون كأساً كبيرة من دمه ، وينضحون به كلاً منهم بفرده . وما تبقى من دم الثور يأخذونه ويلقونه في النار ، بعد تطهير النصب به . وعلى الأثر يتناولون جامات من ذهب ، ويستقون دماً من الكأس الكبيرة ، ويسكبون منه فوق النار ، ويحلفون أن يرعوا في القضاء السنن المنقوشة على النصب ، وأن يعاقبوا من يكون قد سبق وتجاوز إحدى تلك السنن ، وأن يتقيدوا بها من بعد ولا يتجاوزوا إحداها عمداً ، وأن لا يحكموا أو ينقادوا لامر حاكم منهم ، إلا إذا حكم طبقاً لشرائع أبيهم . وبعد أن يتعهد كل منهم بهذه الأمور عن نفسه وعن سلالة مستدعي اللعنات ، يشرب من دم الثور ويقدم جامه لهيكل الإله (١) . ثم ينصرف إلى العشاء وما إليه من ضروريات .

وعند حلول الظلام ، وقد خمدت وبردت نار الأضاحي ، يتشجون جميعهم بحلة زرقاء من أهبى الحلل ، ويجلسون على الحضيض ، فوق رماد الأضاحي التي أقسموا عليها . وفي الليل الخالك ، بعد إطفائهم كل نور حول الهيكل ، يشرعون في التحاكم ، ويقضون في أمر من قد يتهمه أحدهم أنه خالف الشرع في شيء . وبعد التقاضي وإصدار الحكم ، حالما ينبثق الفجر ، يستجلون أحكامهم

٨ - (١) تلك كانت عادة مألوفة بعد الذبيحة ، لا سيما في الأمور الخطيرة الهامة.

على لوحة من ذهب ، ويعلقونها للذكرى مع حلهم .

وكان لهم سنن كثيرة أخرى خاصة ، تتعلق بصلاحيات وامتيازات كل من الملوك العشرة . وأعظم تلك السنن أن لا يشهروا السلاح أبداً بعضهم على بعض ، وأن يهتوا جميعهم لنجدة من يستنجدهم ، إذا حاول أحدهم في مدينة من مدنها أن يعزل الأسرة المالكة ، وأن يتفاوضوا معاً نظير أسلافهم في شؤون الحرب وغيرها من المهام ، تاركين الزعامة والقيادة العليا فيها لسلالة أطلاس ، وأن لا يكون للملك من صلاحية في إصدار حكم الموت على أحد اقربائه ، إن لم يوافق على ذلك الحكم أكثر من نصف الملوك العشرة .

٨ — انحطاط ملوك الأطلننتيس الخلفي

كانت إذن تلك القدرة الجبارة الهائلة في هاتيك البلاد ، فجيئتها الإله (زيوس) ودفع بها الى بلادنا هذه ، لعلنا نأثمل على ما قيل العلة التالية :

مدة أجيال طويلة ، وما دامت فيهم طبيعة الإله وافية كافية ، لبث الملوك العشرة خاضعين للشرع منقادين له ، عائشين بحلم وتعقل طبقاً للعنصر الإلهي المنتمي فرعهم إليه . لأنهم حصّلوا بفضله مشاعر وعواطف صادقة ونبيلة من كل وجه ، متصرفين بحكمة في كل صروف الدهر الطارئة ، ومعاملين ايضاً بعضهم بعضاً بدراية وحسنة . ولذا ما خلا الفضيلة ازدروا كل ما تَوَقَّر لهم من خيرات ، وعدّوه من الصغائر حقيراً . وحسبوا بسهولة كوقرٍ شاقّ أكداس الذهب وغيره من النفائس المقتناة . ولم يسكروا بسبب ثرواتهم ، ولم ينزلقوا في الترف ، بل لبثوا واعين صاحين ، يستشفّون في ثقابة ذهنهم أن تلك الخيرات تزداد لهم بسبب مودتهم وتصافهم المتبادل وفضلهم وفضيلتهم ، وأن الخيرات على عكس ذلك تنقص وتتلأشى بفرط التهاف عليها والتقدير الزائد لها ، وأن الفضيلة ايضاً تلتف

آثذ معها . فكل صنوف النعم التي أتبنا على ذكرها وتفصيلها سابقاً ، توافرت وتكاثرت لديهم بسبب مثل هذا التفكير ومثل تلك العقلية، وبسبب الطبيعة الإلهية المستقرة فيهم .

b) ولكن عندما ذبل فيهم العنصر الإلهي وذوى ، ومازج مراراً وتكراراً العنصر المائت المتفاقم ، تغلب عليه الطبع البشري . وعندئذ، لم يعد في وسعهم حمل نعمائهم الحاضرة ، فهانوا وتحافروا . وبدوا لأنظار أصحاب البصيرة ملطخين بالعار والشنار ، وأتلفوا أبهى النفائس الروحية وفقدوها . أما القاصرون عن النظر الى حياة السعادة النظرة الصادقة ، فقد حسبهم إذ ذاك في ذروة الفضل والغبطة ، مكتنزين جشعاً ظالماً وسؤدداً واقتداراً .

c) إلا أن يفس السائد بالحق والشرع على الآلهة ، لقدرته على استشفاف مثل تلك الأمور، لما فقه الى آية حالة زرية وصلت تلك السلالة الفاضلة (أصلاً) ، أراد أن ينزل بها العقاب ، كي تعود وتضحى أكثر اتزاناً واعتدالاً ، وتُردّ بالعقوبة الى صوابها . فاستدعى الآلهة أجمعين ليعقدوا جلسة طارئة في أفخم قصورهم ، الواقع في قلب الكون بأمره ، والمطلّ على كل الكائنات التي ينالها التحول والصيورة . وبعد ان لمّ شملهم قال .

انتهى بعون الله وأيده

أنجز تعريب هذا الحوار وأعاد النظر فيه ، الأب فؤاد بربارة الدمشقي

في ٢٢ كانون الأول سنة ١٩٦٧ - دمشق

الفهارس

مقدمة حوار التيمس

- ٧ الفصل الأول : تأليف وتاريخه ، ملاحظات عامة
- ٧ البحث الأول : مصير التيمس على مرّ العصور
- ٩ البحث الثاني : ميزة التيمس العامة
- ١٢ البحث الثالث : الموضوع الرئيسي في الحوار
- ١٤ البحث الرابع : التصميم والانجاز
- ١٧ البحث الخامس : طابع التخمين في العرض
- ٢٢ البحث السادس : أشخاص الحوار
- ٢٧ البحث السابع : إحالات التيمس إلى حوارات سابقة
- ٣٠ البحث الثامن : تاريخ التيمس وعلاقته بـ فيلسف والسياسي
- ٣٣ البحث التاسع : مصادر التيمس
- ٣٩ الفصل الثاني : اسطورة الأطلنطيس
- ٤٧ الفصل الثالث : الله ونموذجا العالم
- ٤٧ البحث الأول : نموذجا العالم
- ٤٩ البحث الثاني : وجود المثل والصور
- ٥١ البحث الثالث : إله أفلاطون في التيمس
- ٥٥ الفصل الرابع : روح العالم
- ٥٥ البحث الأول : موقع روح العالم

- ٥٧ البحث الثاني : عناصر تركيب روح العالم
- ٥٩ البحث الثالث : تركيب روح العالم
- ٦٦ البحث الرابع : تأليف السلسلة
- ٧٥ الفصل الخامس : نظام أفلاطون الفلكي
- ٧٥ البحث الأول : الكرة السماوية
- ٧٦ البحث الثاني : أبعاد الكواكب السيارة
- ٧٩ البحث الثالث : حركات الكرة السماوية
- ٨٠ البحث الرابع : فرضيات أفلاطون الفلكية
- ٨٥ البحث الخامس : موقع الأرض وجودها أو سكونها عن الحركة
- ٨٩ البحث السادس : صورة العالم
- ٩١ الفصل السادس : نظرية المحلّ والعناصر
- ٩١ البحث الأول : المحلّ
- ٩١ ١ - مقام نظرية المحلّ
- ٩٢ ٢ - الضرورة
- ٩٣ ٣ - صعاب مشكلة المحلّ
- ٩٥ ٤ - استعارات افلاطون
- ٩٥ ٥ - هل المحلّ هو المكان الفارغ
- ٩٧ ٦ - معنى النظرية الافلاطونية المحتمل
- ٩٩ البحث الثاني : الصور
- ٩٩ ١ - وجود المثل أو الصور
- ١٠٠ ٢ - علاقة نظرية المثل بنظرية العناصر

٦٠٢ البحث الثالث : العناصر

٦٠٢ ١ - متواليّة العناصر الهندسيّة

٦٠٥ ٢ - المثلثات الاساسيّة

٦٠٨ ٣ - المجسمات الأولى

٦٠٩ ٤ - صعوبات هذا البناء

٦١٤ ٥ - اتساع معارف افلاطون الرياضيّة

٦١٧ البحث الرابع : الأحداث الجويّة

٦١٧ ١ - النار

٦١٨ ٢ - الهواء

٦١٨ ٣ - الماء

٦٢٠ ٤ - التراب

٦٢٣ الفصل السابع : روح الانسان وجسده

٦٢٣ البحث الأول : الروح البشريّة

٦٢٣ ١ - أقسام الروح

٦٢٥ ٢ - الأرواح السفليّة

٦٢٦ ٣ - الحوارات الأخرى ومصاعب التعليم

٦٢٨ ٤ - التقمص

٦٣١ ٥ - اتحاد الروح والجسد

٦٣٣ البحث الثاني : الأجسام الحيّة

٦٣٣ ١ - عناصر الاجسام الحيّة

٦٣٤ ٢ - التشريح عموماً

- ١٣٥ ٣ - الغائية في بنية الجسم
- ١٣٨ ٤ - تنسيق المسائل المتعلقة بعلم العضوية
- ١٣٨ ٥ - العروق الكبيرة
- ١٣٩ ٦ - التنفس والغذاء
- ١٣٩ ٧ - مجاري التنفس الغشائية والغازية
- ١٤١ ٨ - عملية التنفس
- ١٤٣ ٩ - عملية التغذية والدورة الدموية
- ١٤٣ ١٠ - مصادر علم الحياة الأفلاطوني
- ١٤٥ البحث الثالث : نظرية الاحساسات
- ١٤٦ ١ - الرؤية
- ١٤٨ ٢ - المذايا
- ١٤٨ ٣ - الالوان
- ١٥٠ ٤ - السمع
- ١٥١ ٥ - الذوق
- ١٥٢ ٦ - الشم
- ١٥٢ ٧ - اللمس
- ١٥٣ ٨ - الحس المشترك
- ١٥٤ ٩ - مصادر هذه النظريات
- ١٥٥ الفصل الثامن : المرضية والمداواة والوقاية
- ١٥٥ البحث الأول : مبدأ المرضية الافلاطونية
- ١٥٦ البحث الثاني : اللحم والدم
- ١٥٦ البحث الثالث : تحلل اللحم
- ١٥٩ البحث الرابع : الحميات

١٥٩	البحث الخامس : مصادر المرضية في التيمس
١٦٢	البحث السادس : امراض النفس
١٦٢	البحث السابع : المداواة والوقاية
١٦٥	الحسام :
١٧١	الفصل التاسع : مخطوطات التيمس ونصّه
١٧١	البحث الاول : في المخطوطات
١٧٥	البحث الثاني : النص والترجمة

التيّمس وهو حوار في نشأة الكون والانسان

- ١٨١ ١ - التمهيد
- ١٨١ ١ - المطلع
- ١٨١ ٢ - تلخيص حديث البارحة
- ١٨١ ٣ - يود سقراط تاريخ دولة حقيقة يقابل وصفه النظريّ
- ١٨٥
- ١٨٨ ب - التطرق إلى الموضوع
- ١٨٨ ١ - حديث اكرتيس
- ١٩٠ ٢ - رواية صولن
- ٢٠٣ ج - الأسلوب المفروض اتباعه في باقي الحوار
- ٢٠٤ د - توزيع الأدوار
- ٢٠٧ الفصل الأول : المثالان الممكنان والمبدع
- ٢١١ الفصل الثاني : لماذا هناك عالم . الصلاح الإلهي .
- ٢١٣ الفصل الثالث : طبيعة مثال العالم . الحيّ بذاته
- ٢١٥ الفصل الرابع : لما كان العالم جسماً فهو يفرض وجود النار والتراب
- ٢١٧ الفصل الخامس : العالم كرويّ وهو يكفي ذاته ويشمل الاجسام كلها
- ٢٢١ الفصل السادس : روح العالم
- ٢٢٧ الفصل السابع : وظائف روح العالم

- ٢٢٨ الفصل الثامن : اصل الدوام والزمن
- ٢٣١ الفصل التاسع : وضع الكواكب السيارة في الفلك ودورها
- ٢٣٥ الفصل العاشر : لا بد ان مجوي العالم اربعة اصناف الاحياء
- ٢٣٩ الفصل الحادي عشر : سلالة الآلهة الآخرين الشعبية
- ٢٤١ الفصل الثاني عشر : تركيب اجساد الاحياء الآخرين
- ٢٤٣ الفصل الثالث عشر : المبدع يصور الارواح ويركبها
- الفصل الرابع عشر : الآلهة الاحداث يصورون الاجسام
- ٢٤٧ اتحاد الروح والجسد :
- ٢٥١ الفصل الخامس عشر : شرح الامور بالعلة الغائية : جسم الانسان
- ٢٥٥ الفصل السادس عشر : الاسباب اللاحقة والآلية وصلتها بالبصر
- ٢٥٧ الفصل السابع عشر : السمع
- ٢٥٩ الفصل الثامن عشر : شرح الامور بالحتمية والضرورة
- ٢٦١ الفصل التاسع عشر : السبب التائه الشارد
- ٢٦٣ الفصل العشرون : المحلّ
- ٢٦٧ الفصل الحادي والعشرون : القابل أو الوعاء
- ٢٦٩ الفصل الثاني والعشرون : الصور أو المثل
- ٢٧١ الفصل الثالث والعشرون : الوجود والصيرورة والمحلّ
- ٢٧٣ الفصل الرابع والعشرون : الحركة المحلية والتشوش الأول
- ٢٧٥ الفصل الخامس والعشرون : العناصر الأولى وتكوينها الداخلي ومولدها
- ٢٨١ الفصل السادس والعشرون : اشكال العناصر الأولى الأربعة
- ٢٨٣ الفصل السابع والعشرون : تحولات العناصر
- ٢٨٧ الفصل الثامن والعشرون : حركات العناصر وسكناتها

٢٨٩	أصناف العناصر الأربعة وتعددها	: الفصل التاسع والعشرون
٢٩٥	الجمادات الصادرة من الماء والتراب : الحجارة	: الفصل الثلاثون
٢٩٩	أصل الانطباعات الحسية	: الفصل الحادي والثلاثون
٣٠٥	اللذة والألم	: الفصل الثاني والثلاثون
٣٠٩	المذاقات المختلفة	: الفصل الثالث والثلاثون
٣١٣	الروائح	: الفصل الرابع والثلاثون
٣١٥	السمع والصوت	: الفصل الخامس والثلاثون
٣١٧	الألوان	: الفصل السادس والثلاثون
٣٢١	العلة الإلهية والعلة الضرورية	: الفصل السابع والثلاثون
٣٢٣	تلخيص ما سبق	: الفصل الثامن والثلاثون
٣٢٥	جنس المائتين	: الفصل التاسع والثلاثون
٣٢٩	روح تغذية الجسم	: الفصل الأربعون
٣٣١	بنية الكبد ووظيفته : التبصير والعرافة .	: الفصل الحادي والأربعون
٣٣٥	الطحال	: الفصل الثاني والأربعون
٣٣٧	الجوف والأمعاء	: الفصل الثالث والأربعون
٣٣٩	العظام واللحم والنخاع	: الفصل الرابع والأربعون
٣٤٧	أصل النباتات	: الفصل الخامس والأربعون
٣٤٩	وظائف العروق وتوزيعها	: الفصل السادس والأربعون
٣٥٣	شرح التنفس وتعليه تعليلاً آلياً	: الفصل السابع والأربعون
٣٥٥	نتائج أخرى بمائلة	: الفصل الثامن والأربعون
٣٥٩	تغذي الجسم	: الفصل التاسع والأربعون

٣٦٣	الفصل الخمسون : شرح عام للأمراض
٣٦٩	الفصل الحادي والخمسون : الأخلاط سبب الأمراض
٣٧٣	الفصل الثاني والخمسون : أمراض النفس
٣٧٧	الفصل الثالث والخمسون : مبدأ الطبّ الجسماني والنفسي
	: التعادل بين الروح والجسد
٣٨٣	الفصل الرابع والخمسون : ضرورة ترويض الأرواح الثلاثة
٣٨٧	الفصل الخامس والخمسون : التقمص واصل الحيوانات
٣٩١	الخاتمة

مقدمة حوار الكرتيس

٣٩٥	: صحة حوار الكرتيس وميزته العامة	الفصل الأول
٣٩٥	١ - : صحة الحوار	
٣٩٧	٢ - : ميزة الحوار العامة	
٤٠١	: الانساب الأسطورية	الفصل الثاني
٤٠٢	١ - : أصل الأثينيين	
٤٠٥	٢ - : أصل الأطلنطيين	
٤٠٩	: وصف أثينا ووصف الأطلنتيس	الفصل الثالث
٤٠٩	١ - : أثينا	
٤١٢	٢ - : الأطلنتيس	
٤١٧	: شعائر الذبيحة والقسم	الفصل الرابع
٤١٧	١ - : شعائر الذبيحة	
٤١٩	٢ - : شعائر القسم	
٤٢١	: مشكلة مصادر الكرتيس	الفصل الخامس
٤٣٣	: مخطوطات الكرتيس	الفصل السادس

حوار اكرتيس أو الحوار الأطلنطي

- ٤٣٩ - ١ - المطلع : ارقياح تيمتس إلى الصمت بعد طول الحديث
- ٤٣٩ - ٢ - اكرتيس يلتبس إغضاء سامعيه
- ٤٤٢ - ٣ - تلخيص معطيات التيمتس
- ٤٤٥ - الفصل الأول : أثينا الزمن الغابر
- ٤٤٥ - ١ - : أثينا ملك هيفستس وأثنا
- ٤٤٧ - ٢ - : دستور أثينا القديم
- ٤٤٨ - ٣ - : وصف الأتكتي القديمة وحدودها
- ٤٥٠ - ٤ - : مدينة أثينا
- ٤٥٣ - الفصل الثاني : الأطلنيس
- ٤٥٣ - ١ - : لماذا يسمي اكرتيس باسماء يونانية
- ٤٥٤ - ٢ - : الأطلنيس ملك بسذون، ملوكها الأولون
- ٤٥٦ - ٣ - : موارد الأطلنيس الطبيعية
- ٤٥٨ - ٤ - : تخطيط حاضرة الملك وأبنيتها .
- ٤٥٩ - ٥ - : البلاط والهياكل والنيابيع ومختلف الأبنية
- ٤٦٢ - ٦ - : الرقعة الباقية من البلاد : طبيعتها الجغرافية وتنظيمها
- ٤٦٥ - ٧ - : السلطات وحفلة القسم ومحاكمة الملوك
- ٤٦٧ - ٨ - : المخطاط الاطلنيس الحلقي .

تصويب اللفظاء

صوابه	الخطأ	سطر	صفحة
استثينا	استثينا	١٩	٨
ليحوّل	ليحوّل	١٩	١٤
القسم الثاني	الثاني	١٤	١٥
مستطيلة	مستطيله	٤	٤٢
حدث	حدث	٥	٤٣
ونوع محسوس	ومحسوس	٢٠	٥٢
نظير	نظير	١	٦٠
$\frac{b a}{b + a} = \frac{b a \tau}{b + a} = x$... = x	١٠	٦١
Aristoxène	Artoxène	١٨	٦١
٣:٤	٣ ٤	١	٦٤
فذن	فذن	١	٦٥
١٢	١٦	١٣	٦٨
٨١	١٨	٤	٦٩
٤	٤		
$(\frac{1}{2} + 1 - \frac{1}{3} + 1)$	$(\frac{1}{3} + 1 - \frac{1}{3} + 1)$	٧	٧٠

صفحة	سطر	الخطأ	صوابه
٧٠	١٦	٦٠٧٥	٦٠٧٥
٧١	١	٦٠٧٥ و	٦٠٧٥ و
٧٢	١	بعد الراسبان : (ناقص) ٤٨٦ - ٥١٢	٧٢٩ - ٧٦٨
٨١	١٤	الثابتة	الثابتة
٨٣	١٤	فالممدد	فالممدد
٨٥	٢٠	سميلتشيش	سميلتشيش
٨٦	١٠	كلمة «جهة» زائدة	حذفها
٩٤	٨	تهائية	نهائية
٩٥	٩	«فالمحل» ، «الموقع»	«فالمحل» و«الموقع»
٩٧	١٥	التحول والاشكال	التحول والصور
٩٧	١٥	على تلك الاشكال	على تلك الصور او المثل
١٠٧	١١	حذف العبارة المكررة : وإذا جمعت ثلاثها معاً زويتين قائمتين	
١٠٩	١١	بينها	بينها
١١٣	١٤	هذا	هذا
١١٤	١٧	بلهستير	بلهستير
١١٥	٧	عيفلكس	بيمفلكس
١١٥	١٩	BF	Cf
١١٥	٥٣	سائق	سائق
١١٦	٢٢	الترجم	المعرب
١١٧	٥	الجورية	الجوية
١١٩	٢١	التشريحية	التشريحية

صوابه	الخطأ	سطر	صفحة
c2894:10	الشرائع c893:10	٢٤	١٢٧
المتخزين	المتخزين	٣	١٤٢
Empédoce	Empépoele	٢٠	١٤٢
ثيوفرسثس ^(٣)	ثيوفرسثس	١٣	١٤٦
مُزَّة	مُزَّة	٢١	١٥٦
تيتس وأ...	تيتس	٤	١٥٨
ولا يتراجع	ولا يتراجع	٤	١٥٨
السواد	السداد	٢٢	١٦٠
Péri diétis oxéon	(٦) راجع : يضاف	١١	١٦١
و Ilberg Kuehlewein	Ilberg Kuehlewein	١١	١٦١
أصله	أصله	١٨	١٦١
Cf. Arius Didymus ap, Stobée Ecl .	يزاد المرجع التالي :	١٨	١٦١
I, 17, 1, p. 154,8 Wachsmuth .			
يرذل	يرزل	١٧	١٦٢
فلسفة للتاريخ	فلسفة التاريخ	١٤	١٦٨
القسوة	القوة	١٩	١٦٨
العملية	العامة	٢٢	١٦٨
ماورائياً	ماورائياً	٣	١٦٩
للااء	للااء	١٢	١٦٩
أفضى	أفضى	٤	١٧١
في	فيه	٢	١٧٢

صفحة	سطر	الخطأ	صوابه
١٧٥	٩	فظهر	مظهر
١٨٦	١٤	الأقوال	الأقوال (١)
١٨٦	١٩	(١)	٣ - (١)
١٨٧	١	في معارك	في المعارك
١٨٧	٦	مدية	مدينة
١٨٨	١	البي	التي
١٨٩	٣	الآلهة	الإلهة
١٩٠	٢٢	كلمة المترجم تعني دو ما في الحواشي	«المعرب»
١٩١	١	آميرس	آميرس
١٩١	١٦	أحميس	أحميس
١٩١	٦	ألفى	ألفى
١٩٤	٢٠	افريديس	افريديس
١٩٩	١٥	pitura	pitura
٢١٠	١٥	بينيس	بينيس
٢٢٨	٨	الأزلية	الأزلية
٢٢٩	٧	ماحدث	ما حدث
٢٢٩	١٢	طبيعة	طبيعة
٢٣٩	٩	الشعر	الشعراء
٢٤٨	٩	الاضطرابات	الاضطرابات
٢٤٨	١٤	الرياح	الروح
٢٤٨	١٤	تعطل	تعطل

صفحة	سطر	الخطأ	صوابه
٢٤٩	١٨	الفاصلة مقلوبة بعد فأكثر	
٢٥١	٩	يَتَحَيَّرُ	يَتَحَيَّرُ
٢٥٣	١٢	تَحْيَلَاتٌ	تَحْيَلَاتٌ
٢٥٣	١٧	نَارٌ	نَارٌ
٢٥٣	١٩	المُحَدِّقَةُ	المُحَدِّقَةُ
٢٦٢	٤	أَيٌّ	أَيٌّ
٢٦٣	١٨	المترجم هنا وفي كل مكان آخر تعني «المعرب»	
٢٦٣	٥	فَلَا بَدَّ	فَلَا بَدَّ
٢٦٥	١١	تَجْتَهِدُ	تَجْتَهِدُ
٢٧٠	١	يُخْتَلَفُ	يُخْتَلَفُ
٢٧١	١٣	يُصَدِّقُ	يُصَدِّقُ
٢٧٢	١٠	يُنشَأُ	يُنشَأُ
٢٧٨	٧	الجَسَمَاتُ	الجَسَمَاتُ
٢٧٨	١٢	الاستقصات	من الاستقصات
١٨٣	٢	تحويلات الظواهر	تحويلات العناصر
٢٨٣	١٤	أَوِ الْمَاءِ	أَوِ الْمَاءِ
٢٩٠	١٨	أَدَامَسٌ	أَدَامَسٌ
٢٩٠	١٨	أي المعدن ... الخ هذه العبارة توضع بين هلالين ، وهي	شرح للنص -
٢٩٠	٢٥	ممدن	معدن
٣٠٣	٣	لاشبهه به	لاشبهه له به

صوابه	الخطأ	سطر	صفحة
أنه	نه	١٤	٣٠٣
الاجناس	لاجناس	١٥	٣٠٣
تحدث	تحدث	١١	٣٠٦
جوهر	جوهر	١٥	٣٠٩
الأزليّة	الأزليّة	٧	٣٣٦
ثو فرستس	ثو فرستس	١١	٣٣٦
يحفظ	يحفظ	٣	٣٤١
وقرّه	وقرّه	١٥	٣٤١
داخله	داخله	١٨	٣٤١
Vors	Vaer.	١٩	٣٤٥
حتى لا ينقطع	حتى ينقطع	٢٠	٣٥١
الطبيّة	الطبيّة	١٨	٣٦٠
و كذلك إن كانت	وإن كانت	٣	٣٦١
هذا التركيب الحّي	هذا التركيب الحّي	٧	٣٦١
بر منيدس	بر منيدس	١٩	٣٦١
ينقص	ينقص	١٢	٣٦٥
مادّة	مادّة	٤	٣٦٧
عندئذ	عندئذ	٢	٣٧٢
Piréos	Piréos	١٣	٣٧٢
بلغ	بلغ	١٢	٣٧٥
يبدو	يبدو	١٧	٣٧٥

صفحة	سطر	الخطأ	صوابه
٣٩٧	١٣	غَدَّت	غَدَّت
٣٩٩	١	ينجز	ينجز
٤٠٣	١٠	هَلِيسْتِيَه	هَلِيسْتِيَه
٤٠٦	٨	انقطاع	انقطاع
٤٠٧	١٤	هَسْدُوس	هَسْدُوس
٤١٠	٢	الناشرة	الناشرة
٤١٠	١١	باريس	باريس
٤١٠	٢١	سور واحد	سور واحد ^(١)
			وتضاف الحاشية ^(١) : e ١١٢
٤١١	٢	الغربي	الغربي ^(٢)
٤١١	٧	المفتيا	المفتيا ^(٣)
٤١١	١٤	(d ١١٢) ^(٤)	
٤١١			تصحح ارقام الحواشي بحسب مراجعها في النصّ حسب التصحيح السابق
٤١٣	٧	اكلثو Cloto	الكثو Clito
٤١٣	١٢	أي ٢٥٥	أي ٣٥٥
٤١٦	٤	وأطوفلان	وأفلاطون
٤١٧	١	شعائر القسم	٢ - شعائر القسم
٤٢١	٢	الكريبتيس	الكريبتيس
٤٢٧	٧	اتخذت	اتخذت
٤٤٩	١	الجزر	الجزر

صوابه	اغطاً	سطر	صفحة
بيوتاً	بيوتاً	٤	٤٥١
الفصل	القصل	٢٠	٤٥٧
الذبايح	الذبايح	٢٢	٤٥٩
يجملتها	يجملتها	٤	٤٦٣

1978 / 12 / 2000

الطبايوس

هذا الحوار خلاصة ضمنها أفلاطون نتائج
أبحاث الأكاديمية، وصاغها ضمن إطار فلسفته
العامة وقد تكاملت أو كادت تتكامل .

ففيه أم موضوعات الأفلاطونية :
نظرية المثل - خلق العالم - التفسير
الديالكتيكي للوجود ، الى جانب المعلومات
العلمية لذلك العصر .

ويستمد هذا الحوار أهميته ، الى جانب
ما تقدم ، من أنه كان الأساس الذي ارتكز
اليه تفسير الكون في العصر الوسيط عند
العرب وعند الغربيين .

أما اكرتياس فجزء من حوار لم يتم
أفلاطون ، وان يكن مكملاً للطبايوس .

وقد أرفقنا الترجمة بمقدمة للبحثة ألبير
ريفو أستاذ الفلسفة في السوربون وأحد
كبار الأخصائيين في الدراسات الأفلاطونية.
هذه المقدمة تلقي نوراً جديداً على النقاط
الغامضة في الحوار ، كما تبين الظروف التي
كتب فيها .

الطبايوس

هذا الحوار خلاصة ضمنها أفلاطون نتائج
أبحاثه الأكاديمية، وصاغها ضمن إطار فلسفته
العامة وقد تكاملت أو كادت تتكامل .

ففيه أم موضوعات الأفلاطونية :
نظرية المثل - خلق العالم - التفسير
الديالكتيكي للوجود ، الى جانب المعلومات
العلمية لذلك العصر .

ويستمد هذا الحوار أهميته ، الى جانب
ما تقدم ، من أنه كان الأساس الذي ارتكز
اليه تفسير الكون في العصر الوسيط عند
العرب وعند الغربيين .

اما اكرتياس فجزء من حوار لم يتمه
أفلاطون ، وان يكن مكملاً للطبايوس .

وقد أرفقنا الترجمة بمقدمة للبحاث أليير
ريفو أستاذ الفلسفة في السوربون وأحد
كبار الأخصائيين في الدراسات الأفلاطونية.
هذه المقدمة تلقي نوراً جديداً على النقاط
الغامضة في الحوار ، كما تبين الظروف التي
كتب فيها .